هكذا اهتديت

عظماء ومشاهير أسلموا

تأليف

الدكتور/ أحمد محمد زين المنَّاوي

طريق القرآن
Quranway

هكذا اهتديت

هكذا اهتديت

عظماء ومشاهير أسلموا

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

1438 هـ - 2017 م

بإمكانك الحصول على نسخة

إلكترونية مجانية من هذا الكتاب

من خلال موقع **طريق القرآن**

www.quranway.com

هكذا اهتديت

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (58) آل عمران

إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ
بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (91) آل عمران



الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

الفهرس

المقدّمة

منحوني شرف الاطلاع على تجاربهم وتوثيقها..

وعندما بدأت بتحرير شهاداتهم لم أكن أتوقع أنهم سيعلّمونني..

كنت أظن أن إسلامي المتأصّل في نفسي كافٍ في حدّ ذاته..

ما كنت أنتظر منهم أن يرشدوني إلى نواحي العظمة في عقيدتي..

وما كنت أعرف حق المعرفة نعمة أن يولد الإنسان على دين الإسلام..

وما كنت أعلم أن الفطرة هي المفتاح الذي يحرّك الله به قلوب عباده..

وما كنت أدرك أن أعظم المعارك هي تلك التي تدور داخل النفس البشرية..

ففي داخل هذه النفس تُصنع الانتصارات العظيمة أو الهزائم الكبرى..

إن أصعب قرار يتخذه الإنسان في حياته هو أن يغيّر دينه وعقيدته..

ليس من السهل أن يتنازل عن دين آبائه.. لكنها العزيمة القوية والإرادة الصلبة..

والبصيرة النافذة والعقل الراجح الذي يميّز بين الحق والباطل.. والهدى والضلال..

وقبل ذلك كلّه فإنها الهداية الربانية التي دبّت في ضمائرهم فاستجابوا لنداء الفطرة..

أناس عاشوا الكفر بكل ما فيه.. مارسوا الشرك بالله.. لم يميّزوا بين الخالق والمخلوق..

ثم أراد الله لهم الهداية فغمرهم بنوره فأبصروا..

حينما لامس قلوبهم وهج ذلك النور كاد يحرقها..

فاندفعوا نحوه بلهفة تاركين خلفهم الهوى والشهوات..

علماء ومثقفون.. قساوسة ورجال دين.. نجوم ومشاهير..

شخصيات لها وزنها ومكانتها الدينية والعلمية والأدبية..

نفوسهم كبيرة.. عقولهم راجحة.. بصائرهم مستنيرة..

عظماء بإسلامهم.. عقلاء بتحولهم من الكفر إلى الإيمان..

درسوا دين الله الحق فراعهم جماله وأعجبتهم مبادئه..

حطموا قيود الخوف وتنازلوا عن كل شيء في سبيله..

نجحوا في أن يحوّلوا الاقتناع بالحق إلى اعتناق له..

والإعجاب بالإسلام إلى عقيدة تجري في عروقهم..

فبادروا إلى نصرته والتضحية من أجله بعد أن كانوا أشد عداءً له..

إن في قصصهم عبرًا وآيات بينات من لطف الله عزّ وجلّ وتدبيره لعباده..

حكاياتهم مختلفة في جوهرها، ولكنها متشابهة في ظاهرها.. رحلة طويلة وشاقة في طريق الضلالة والضياع، تنعطف بهم إلى الشك وفقدان الثقة بمعتقداتهم، فيحرّروا عقولهم من قيود الآباء، ويتأكدوا أنهم كانوا على باطل، فيتفكروا في أنفسهم، وفي الغاية من خلقهم، وفي مصيرهم بعد الموت.. ثم تأتي اللحظة الحاسمة التي يتجاوزون فيها ذلك المنعطف الخطير بقوة روحية فيّاضة، ويستجيبون لنداء الفطرة الذي يهتف في أعماقهم فينطقون بالشهادة معلنين بها دخولهم في دين الإسلام.. يخلعون على شاطئه رداء الضلال والضياع، ويتحولون تحولًا كاملًا في تصوراتهم وتصرفاتهم وقيمهم وأفكارهم.. يشعرون بفرحة غامرة، ونشوة روحية عارمة في أعماق نفوسهم.. ويتحول مجتمع الكفر والضلال إلى التشهير بهم والتضييق عليهم ومحاصرتهم.. وتبدأ فترة قاسية من المحن والابتلاءات في حياتهم، ولكنهم لا يستسلمون ولا يساومون مهما كان الثمن.. يثبتون على المبدأ ولا يحيدون عنه، ويتشبثون بالحق بعدما عرفوه وأقبلوا عليه بعقولهم وقلوبهم، تاركين خلفهم ما كانوا فيه من وحل المادة وظلام الشرك.

توصلوا بأنفسهم إلى حقيقة أن الدين عند الله هو الإسلام.. نظروا إليه بتجرّد وحياد وإنصاف فعرفوه على حقيقته وآمنوا بأنه الدين الكامل، والشرع الوافي، والمنهج المساير لكل العصور والأزمان، والمُشبِع لحاجات البشرية كلها، والراعي لحاجة الفرد والمجتمع.. فالإسلام بالنسبة إليهم هو سماحة التعامل ورقي السلوك وجمال القيم، وهو دين الوسطية التي لا حرج فيها ولا غلو ولا تضييق، وهو الدين الذي اختصه اللّه بأقوم المناهج وأكمل الشرائع وأوضح السبل.

الإسلام بالنسبة إليهم يعطي ولا يأخذ، يمنح ولا يمنع، يعزّ الفرد ولا يذلّه، يقنع العقل ولا يصادمه.. فمن يعبد بشرًا أو حجرًا أو شجرًا أو يتعلق قلبه بغير اللّه، يتعب كثيرًا ولا يرتاح قليلًا، هذا بالنسبة إلى الفرد، أما بالنسبة إلى المجتمع صغيرًا كان أو كبيرًا فإنه يدفع الثمن باهظًا إن هو ابتعد وترك وأعرض عن منهج ربه ودينه الحق.

الإسلام بالنسبة إليهم هو الاستسلام للّه تعالى وإفراده بالعبادة، وهو الدين الوحيد المعتبر

والمقبول عند الله، وهو آخر الأديان السماوية، والناسخ لجميع الشرائع التي قبله، وهو دين يدعو لعبادة الله وتوحيده، وتعاليمه متصلة السند بالرسول المبلغ.. والإسلام يحوي ما يليق بالله من صفات، ولا يوجد فيه صفات تنتقص من كمال الله وعظمته، ويحوي ما يليق بالأنبياء والرسل، ولا يحوي ما ينتقص منهم، ويحوي الجواب على ما أراده الخالق من الإنسان، ومن أين أتى وإلى أين المصير، ويدعو لمحاسن الأخلاق وجميع الفضائل، وينهى عن المنكرات وجميع الرذائل، وفي اتباعه صلاح البشرية، ويوافق العلم الحديث ولا يتعارض معه في شيء.

الإسلام بالنسبة إليهم هو دين الكمال والشمول، الذي يقدّم للبشر منهجًا متكاملًا في جميع أمور الحياة، وما يحتاجون إليه في دنياهم وفي عباداتهم ومعاملاتهم وفي شتى المجالات ومختلف نواحي الحياة، فهو منهج للحياة البشرية بكل مقوّماتها، وفيه صلاح الأفراد والجماعات والأمم والشعوب، وهو دين متوازن يربط الإنسان بخالقه برباط وثيق، وقبل ذلك فهو دين الفطرة السليمة، وقد اشتمل على المبادئ الراقية والأخلاق والنظم العادلة والأسس الكاملة، وجاءت شرائعه وعباداته ومبادئه متوافقة مع العقل وشاملة وكاملة ووافية لكل متطلبات الحياة، ولكلّ الشعوب والأجناس، وصالحة لكل زمان ومكان، وهي لا تختص بزمان دون زمان، ولا ببلد دون غيره، ولا بخلق دون سواهم، وقد توجّهت دعوة الإسلام، منذ فجرها الأوّل، للناس كافّة على اختلاف ثقافاتهم وألوانهم وأجناسهم ولغاتهم.

الإسلام بالنسبة إليهم هو أصحّ العقائد وأصلحها للقلوب والأرواح، وهو الذي يهدي إلى أحسن الأخلاق، وما من خُلق فاضل إلا أمر به، ولا خلق سيئ إلا نهى عنه، لهذا كانت القاعدة الكبرى لهذا الدّين العظيم رعاية المصالح كلها ودفع المفاسد، فهو يساير الحياة وركب الحضارة، فيأمر بطلب الأرزاق من جميع طرقها النافعة المباحة من تجارة وصناعة وزراعة وأعمال متنوعة، ولم يحرّم إلا الأسباب الضارة التي تؤدي إلى ظلم وجور وبغي وعدوان، وذلك من محاسنه.

الإسلام بالنسبة إليهم هو الداعي لنفسه بنفسه، حيث شكّلت بساطة تعاليمه ووضوحها الأثر الأكبر في جذب القلوب نحوه، وتضمنت عقيدته وشريعته من الفضائل ما يجعل الناس يحرصون أشد الحرص على أن يدخلوا فيها، ثم إن الإسلام يعطي الداخل فيه كل شيء ولا ينتقصه شيئًا، فإن الإنسان يكسب الصلة المباشرة بالله سبحانه وتعالى من دون أي وسيط، ويدعوه ويتوسل إليه دون حجاب، ويعبده ويتقرب إليه من دون أسرار أو خرافات لا يقبلها العقل، ويكسب الأمل في حياة أسعد وأرغد في هذه الدنيا، ثم حياة الخلود في دار البقاء.. ولذلك يدخل الناس في دين الإسلام أفواجًا من مختلف الديانات، برغم ما يعانيه أهل الإسلام في هذا العصر من ضعف ووهن، وما تهيأ لأعدائهم من أسباب القوة.

الإسلام بالنسبة إليهم هو أسرع الديانات انتشارًا في العالم، وإن سر انتشاره بارز في فطرته، وهو الدين الذي يوافق سنن الله تعالى في الخلقة الإنسانية؛ لأنه يعطي القوى الجسدية حقوقها، ويمنح القوى الروحانية حظوظها، ويسير مع هذه القوى على طريق الاعتدال حتى تبلغ كمالها. وهو الدين الذي يدعو إلى توحيد المعبود وإفراده بالألوهية، وهو أمرٌ مركوز في الفطرة البشرية السوية قبل تلويثها بالشرك والإلحاد والغلو. إنه دين الوسطية والاعتدال، وهو وسط في أموره كلها عقيدة وشريعة وأخلاقًا، وهو وسط بين غلو الديانات الأخرى وتفريطها، وهو وسط يجمع بين مطالب الروح والجسد، وحاجات الفرد والمجتمع، فلا يُغَلِّب جانبًا على آخر إلا بما يتناسب مع صلاح الروح وسلامة الجسد، وفلاح الفرد وإصلاح المجتمع.

الإسلام بالنسبة إليهم هو الدين الذي أجمع عليه رسل الله جميعهم، فدَعوا إلى توحيد الله وإلى الاستسلام له بالتوحيد وإفراده بالعبادة وحده دونما سواه. وإن من بين كل الشرائع التي يتعبّد بها البشر في عالمنا اليوم، شريعةَ مُحمَّد -صلّى اللَّه عليه وسلّم- هي وحدها شريعة الإسلام الذي ارتضاه الخالق سبحانه وتعالى لعباده. وبعد هذا الدين الخاتم لم يعد هناك دين آخر يرضاه الله عزّ وجلّ ويقبله من أحد، وما كان يُقبل من النصارى قبل بعثة مُحمَّد -صلّى اللَّه عليه وسلّم- لم يعد الآن مقبولًا، وما كان يقبل من اليهود قبل بعثة عيسى -عليه السلام- لم يعد مقبولًا منهم بعد بعثته. ووجود يهود ونصارى بعد بعثة مُحمَّد -صلّى اللَّه عليه وسلّم- ليس معناه أن الله يقبل منهم ما هم عليه، أو أنهم على دين الحق. لقد كان ذلك قبل بعثة خاتم الرسل، أما بعد بعثته -حتى قيام الساعة- فلا دين إلا الإسلام الذي جاء به مُحمَّد -صلّى اللَّه عليه وسلّم-، ولا يقبل الله عزّ وجلّ دينًا غيره، وكل من دان بغير الإسلام فدينه باطل مردود عليه.. وهذا ما ينص عليه القرآن الكريم نصًّا صريحًا واضحًا، والخطاب فيه للناس كافّة:

وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (85) آل عمران

القرآن الكريم بالنسبة إليهم هو مفتاح العقول والقلوب، وهو أسرع الطرق للوصول بهم إلى الحق.. وهو الذي تربَّع على عروش قلوبهم وأخذ بمجامع أرواحهم ونفوسهم المتعطشة إلى الحق، وأشرق تأثيره في نفوسهم، واستحوذت معانيه على أفكارهم، ليحلِّق بهم عاليًا حيث البهاء والنقاء والصفاء.. لقد أذهلهم من القرآن سطوته العجيبة التي تخضع لها النفوس عند سماعه.. ظاهرة غريبة تحتار فيها عقولهم عندما يجدون للقرآن الكريم في نفوسهم سطوة وجلالًا، وفي قلوبهم رهبة وهيبة، تفوق قدرتهم على التحمّل فتقشعر أبدانهم وتفيض أعينهم برغم أنهم قد لا يفهمون لغته ومعناه!

القرآن الكريم بالنسبة إليهم هو الكتاب الذي ختم الله به كتبه إلى البشرية، وهو الوحي السماوي الوحيد المحفوظ بين أيدي الناس اليوم، وبنفس اللغة التي نزل بها.. وهو قرآن واحد فقط لا يختلف باختلاف الطوائف الإسلامية المتعدّدة.. وهو قرآن يحتوي على النص نفسه المنسوخ من المخطوطة الأصلية التي كُتبت بين يدي خاتم الأنبياء والمرسلين مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم-، ويتوارثه الحُفَّاظ عبر الأجيال من خلال أسانيد صحيحة متواترة، وهو الكتاب الوحيد الذي تكفّل الله سبحانه وتعالى بحفظه.. وهو خاتم الكتب السماوية، ولذلك جعله الله عزّ وجلّ أعظم كتبه إلى البشرية، وأشملها وأحكمها، حيث جمع فيه محاسن ما قبله من كتب، وزاده من الكمالات ما ليس في غيره، وجعله شاهدًا وأمينًا وحاكمًا ومهيمنًا عليها كلها، فما وافقه من كتب الأولين فهو حق، وما خالفه منها فهو باطل وضلال.

إن شهاداتهم تعد دليلًا بيّنًا، وبرهانًا قاطعًا لأولي الألباب، وأصحاب النفوس الزكية، والعقول السوية، على أن الإسلام هو دين الله الحق الذي ارتضاه سبحانه وتعالى للعالمين، وأن كل ما سواه من أديان وعقائد ليست بحق، لأنها إما معتقدات بشرية، وإما رسالات سماوية أدت دورها في زمن من الأزمان وانتهى دورها ولم تسلم من يد البشر التي تناولتها بالتحريف والتغيير والتبديل فأخرجتها عن إطارها الرباني.

نماذج رائعة من قصص هؤلاء المهتدين إلى دين الحق، اخترتها لكم من بين مئات القصص في مختلف الأزمنة والعصور، ومن مختلف الدول والثقافات، ومن مختلف المستويات الأدبية والتعليمية، أقدمها لكم بين دفتي هذا الكتاب، وأصوّر لكم من خلالها واقعًا حقيقيًّا لا أخترعه من العدم أو أألّفه من الخيال الأدبي، وإنما حقائق وشهادات موثقة نطقت بها ألسنتهم أو سالت بها أقلامهم.

لقد كانوا صادقين مع أنفسهم، فنبذوا ما كانوا عليه من كفر وشرك وضلال، وأعلنوا بكل شجاعة أنهم كانوا على باطل، وأن الدين الحق هو الإسلام، الذي يوافق فطرتهم السليمة، ولا يتعارض مع مسلّمات عقولهم، فهدأت قلوبهم بما رأت من الحق واطمأنت، واقتنعت ضمائرهم بصحّة الاعتقاد واستقرّت، فأقبلوا إلى الله خالقهم مخلصين له الدين، واثقين بأنفسهم، مستمسكين بالعروة الوثقى، فنالوا بذلك خير الدنيا ونعيم الآخرة.

قصص واقعية أبطالها شخصيات استثنائية، رجال ونساء، شيوخ وشباب، عاشوا زمنًا يحسنون الظن بأسلافهم، يصدقونهم ويقلدونهم، فتشرّبوا منهم المفاهيم الأساسية عن الحياة، وتكيّف تفكيرهم على أساسها، وأصبحت ميزانًا يقيسون عليه أمور دينهم ودنياهم، حتى تكوّنت

على أعينهم وقلوبهم وآذانهم غشاوة، فباتوا لا يستجيبون لدعوة الحق لا لسبب مقبول، بل لمجرد أنها مخالفة لما ألفوه وتطبّعوا به وتربّوا عليه، ثم أراد الله لهم الهداية، فأنار بصائرهم وشرح صدورهم لدينه الحق.. فقد كانوا أصدق الناس نيّة، وأذكاهم عقلًا وفهمًا، ولم يسلموا إلا بعد بحث وتدقيق وتمحيص وتفكير استهلك منهم وقتًا طويلًا وصل في بعض الحالات إلى عشرات السنين، وسجلوا ضروبًا عجيبة من التحليل والموازنة والمقارنة، وأفكارًا في غاية الدقة، ولهذا كانت لديهم القدرة الحاسمة للتفرقة بين حقيقة دين الإسلام وواقع المسلمين اليوم وما هم عليه من وهن وتخلف واضطراب وصراع.

وإن الأمر ليزداد أهمية عندما يكون معظمهم من القسيسين والمبشرين الذين حملوا لواء الدعوة إلى النصرانية وشنوا حملات التضليل والتشكيك في الإسلام، فكانوا أشد الناس عداءً لهذا الدين.. ويزداد الأمر مصداقية عندما يتأكد أن إسلام هؤلاء هو اعتقاد واقتناع، وإيمان خالص، لا مدخل فيه للخداع، أو الإكراه، أو المصالح الشخصية الضيقة، وأن قبولهم الحق اعتمد في الأساس على استعدادهم ورغبتهم الصادقة في الوصول إليه، وجاء بعد قراءة متأنية ودراسات علمية مستفيضة، ومناقشات موضوعية جادة.. ويزداد الأمر حسرة عندما يعترف هؤلاء بجهلهم المطلق بالإسلام قبل دراسته ومعرفته، وأن كراهيتهم له نابعة من تعاليم الكنيسة التي شحنت نفوسهم بالأكاذيب ضد هذا الدين العظيم.. ويزداد الأمر عظمة عندما يتحول هؤلاء إلى دعاة لنصرة دين الحق، فهم أعلم بالداء وأدرى بالدواء، فيبطلون الديانة النصرانية من أناجيلها، ويثبتون للناس انحرافها وتحريفها.

إن في قصص هؤلاء المهتدين دروسًا وعبرًا.. في البداية كانوا أشد عداءً لدين الإسلام.. يحاربونه بكل السبل والوسائل ما استطاعوا لذلك سبيلًا، ولكن بعد القراءة المتأنية، والدراسة العلمية الجادة، والمناقشة الموضوعية للأديان والكتب المقدسة، توصلوا إلى حقيقة أن الدين عند الله هو الإسلام، الدين الحق الذي يروي ظمأ الأسئلة الخالدة في تاريخ الإنسان: من أين أتيت؟ ولماذا أعيش؟ وإلى أين أذهب بعد الموت؟ هذه الأسئلة الكبرى في الحياة التي تسكن في أعماقنا، ولا مفر لنا من مواجهتها.

سوف أفسح لهم المجال ليكشفوا لكم بأنفسهم عن العوامل الحقيقية التي دفعتهم لاعتناق الإسلام، وكيف سكب في قلوبهم الحائرة السكينة والطمأنينة، وغمر أرواحهم المتعطشة بالرضا والسلام الداخلي.. وكيف وجدوا فيه شاطئ النجاة بعد طول شرود في بحار المذاهب المتلاطمة وركام العقائد المتناقضة.. وكيف وجدوا فيه الأجوبة الشافية والمقنعة عن تساؤلات مصيرية كبرى طالما أرهقت عقولهم.. وكيف وجدوا فيه صفاء العقيدة ونقاءها، وبساطتها ووضوحها،

وخلوها من الشوائب والعوالق التي أصابت غيرها، وسهولة فهمها واستيعابها.

سوف أفسح لهم المجال ليرووا لكم تاريخهم وسيرتهم ومسيرتهم وقصص هدايتهم، ولكن قبل ذلك أود أن ألفت نظر القارئ غير المسلم إلى أنه سوف يجد أن كثيرًا من أبطال هذه القصص يغيرون أسماءهم بعد دخولهم إلى الإسلام، ربما لرغبتهم في التخلص من ماضيهم المؤلم بكل ما فيه، إلا أن تغيير الاسم ليس شرطًا من شروط صحة إسلام المرء، وللمسلم الجديد الحق في الاحتفاظ باسمه السابق ولا حرج عليه في ذلك إلا إذا كان اسمًا لا تجوز التسمية به شرعًا.. وسوف يجد أيضًا أن كثيرًا من المهتدين إلى دين الإسلام يحرصون على إشهار إسلامهم في المؤسسات الرسمية، وهذا أيضًا ليس شرطًا من شروط صحة الإسلام، فالإنسان يمكنه أن يسلم بينه وبين نفسه ويمارس شعائر دينه الجديد في الخفاء حتى تتاح له الظروف المناسبة لإعلان إسلامه.

أدعوكم الآن إلى سياحة إيمانية خاشعة نتأمّل من خلالها سلسلة مباركة من القصص الواقعية الرائعة.. إنها سلسلة مستمرة ليس لها نهاية، وهي غيض من فيض في قافلة المهتدين إلى دين الحق، وستظل تنمو ويزداد أتباعها بعز عزيز أو بذل ذليل حتى يعمّ الإسلام المعمورة كلها، وذلك مصداقًا لوعده الحق سبحانه وتعالى:

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (32) هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ (33) التوبة

والله ولي التوفيق،،



27 ذو القعدة 1438 هـ

هكذا اهتديت

تأشيرة الدخول

من يظن أنه مرّ بأعجب الأحداث ندعوه إلى الانقلاب على ما كان يظن!!

تدبير الله لاستدراج أحبابه إليه هو العجب العجاب!!

خيال أعظم المؤلفين لا يصل إلى حبكة بعض قصص المهتدين الجدد!!

إلا أنه مع الله لا عجب..

العجب يأتينا من عدم التوقع أو التصديق لضعف القدرة أو مخالفة المنطق..

العجب يأتي من ضعف قدرتنا على استيعاب عظمة التدبير والإحكام من الله..

خاصة عظمة المحبة.. محبة الله لعباده ولطفه بهم..

وهل هناك دليل على المحبة أعظم من الإخراج من الضلال إلى الهدى؟!!..

إليكم قصة من أعجب قصص محبة الله وتدبيره لهداية من يحب..

بطلة قصتنا صحفية بريطانية لامعة عملت في أكثر صحف العالم شهرة، حاولت في استماتة العثور على تأشيرة تدخل عبرها أفغانستان لتجمع معلومات عن الجماعات الإسلامية.. عندما لم توفق في الحصول على تأشيرة دخول برغم محاولاتها المضنية، تنكرت في شخصية امرأة أفغانية خرساء فارتدت الشادوف الأفغاني النسائي المشهور، كما انتعلت حذاءً بلاستيكيًّا قاسيًا أدمى قدميها ثم ركبت الحمار وهي البريطانية المنعمة التي لم يسبق لها أن رأت حمارًا في حياتها.. اخترقت الحدود في جنح ليل حالك ونجحت في مهمتها، لكن اكتشف أمرها في رحلة عودتها إلى باكستان حينما سقطت فجأة من على ظهر الحمار، فأنستها الحادثة نفسها فصرخت باللغة الإنجليزية، وسقطت الكاميرا التي كانت تخفيها داخل ثيابها على الأرض أمام أعين جنود طالبان فوقعت في قبضتهم باعتبارها جاسوسة، خاصة وقد اكتملت ترتيبات الهجوم الأمريكي البريطاني على أفغانستان.. كان أمامها خياران فقط: الإعدام أو السجن في أحسن الظروف.. ولكن الله عزّ وجلّ بلطفه قدّر لها خيارًا ثالثًا لم يكن مطروحًا ولا حتى في عالم الخيال، اختارته بنفسها عن قناعة تامة!! إنها الصحفية البريطانية إيفون ريدلي بطلة هذه القصة.

ولدت (إيفون ريدلي) في 23 إبريل 1958 وإلى جانب تميزها الأكاديمي في مختلف مراحلها الدراسية تميزت ريدلي بخاصيتين اثنتين: أسلوبها القوي في الكتابة وجراءتها التي تدفعها إلى

التضحية حتى بروحها مقابل تجويدها لعملها وتحقيقها للسبق الصحفي.. عملت إيفون في أكبر الصحف البريطانية (الإندبندنت) و(الأوبزرفر) و(صنداي تايمز) و(ديلي إكسبريس).. أرسلتها هذه الأخيرة -التي كانت تعمل بها رئيسة لقسم الأخبار الخارجية- إلى أفغانستان بغرض رصد الحركات الإسلامية الموجودة هناك بصفة عامة، وجماعة طالبان الحاكمة على وجه أخص.

بعد ثلاث محاولات فاشلة للحصول على تأشيرة دخول من السفارة الأفغانية في باكستان، تسللت ريدلي في جنح الليل مخترقة الحدود الباكستانية-الأفغانية وهي تركب على ظهر حمار هزيل تارة، أو داخل سيارة متهالكة أعطالها أكثر من حركتها تارة أخرى.. من يراها ترتدي الشادوف الأفغاني النسائي المشهور، وتنتعل حذاءً من البلاستيك القاسي الذي يدمي القدمين لا يمكنه أن يتخيل لحظة أنه أمام صحفية بريطانية شغلت القرّاء في العالم بكتاباتها الجريئة القوية.

بعد مغامرة باهرة نجحت ريدلي في عبور الحدود، بل وصلت إلى كابول عاصمة أفغانستان وأنهت مهمتها بنجاح، ثم بدأت تجهيزاتها للعودة إلى باكستان لتغادر منها إلى مسقط رأسها بريطانيا.. لسوء حظ ريدلي اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت الحرج، قرارًا ظالمًا بشن حرب شعواء على أفغانستان بعد أن رفضت طالبان تسليم زعيم تنظيم «القاعدة»، أسامة بن لادن.. دفع القرار الأمريكي حكومة طالبان إلى تشديد إجراءاتها الأمنية والتي من بينها إغلاق الحدود الأفغانية الباكستانية.

في الثامن والعشرين من سبتمبر من عام 2001 قررت إيفون الهروب إلى باكستان عبر طرق جانبية وعرة غير مطروقة.. انتحلت ريدلي شخصية امرأة أفغانية خرساء اسمها «شميم» تود السفر مع زوجها إلى قرية في ضواحي «جلال آباد» لكي تزور أمه المريضة.. لكن!! على مقربة من الحدود الباكستانية وقع ما لم يكن في الحسبان!! سقطت ريدلي فجأة من على ظهر الحمار، فأنستها الحادثة الطارئة تقمّصها لشخصية المرأة الأفغانية الخرساء حيث صرخت باللغة الإنجليزية دون وعي منها!! ليس هذا فحسب، بل سقطت الكاميرا التي كانت تخفيها داخل ثيابها على الأرض أمام جنود طالبان الذين سمعوها تصرخ بالإنجليزية فنظروا في اتجاهها وقد عقدت الدهشة ألسنتهم ثم تجمدت ذات الألسنة لمرأى الكاميرا!!! تحول الأمر إلى كابوس مرعب!

تقول إيفون ريدلي إنها لن تنسى النظرة التي رأت ضراوتها في وجه ذلك الرجل من طالبان الذي فغر فاه في ذهول وهو ينظر إلى الكاميرا وقد احتوته الدهشة حتى النخاع.. ثوانٍ من الصمت الرهيب مرت على ريدلي في بطءٍ قاتل وكأنها سنوات لا تحصى ولا تعد.. فجأة قطع وتر الصمت انفجار للرجل وهو يصرخ في غضب ثم يسحبها في قسوة ويحطم الكاميرا تحت مرأى حشد من الجنود الغاضبين الذين أخذوا يصرخون في وقت واحد: «جاسوسة أمريكية!..

جاسوسة أمريكية»!.

اقتيدت ريدلي إلى السجن وتم التحقيق معها خلال فترة الاحتجاز على أنها جاسوسة أمريكية، وهي تهمة عقوبتها الإعدام إن ثبتت، وإن لم تثبت فكان السجن في انتظارها لدخولها أفغانستان بطريقة غير مشروعة.. في البدء مرت بذهنها الروايات التي كانت تسوقها وسائل الإعلام الغربية عن فظائع حكومة طالبان المتعطشة للدماء، والتي تفوق أكبر الأنظمة وحشية وهمجية في تاريخ البشر، عندها أيقنت أنَّها ستتعرض لاغتصاب جماعي من جنود طالبان يليه تعذيب فظيع ثم نهش وحشي للحمها، أو في أحسن الأحوال رجمها بالحجارة بعد أن يذيقوها أشد صنوف العذاب.. لكنها تفاجأت حينما رأت منهم معاملة إنسانية واحترامًا كريمًا لها كإنسان، فقد قدموا لها كل ما يحتاجه المعتقل من طعام وكساء وغيره من الخدمات.

اندهشت ريدلي حينما لم تتعرض للتعذيب من قبل طالبان كما توقعت، بل حتى لم يقم أي رجل بتفتيشها إذ أرسلوا لها امرأة أفغانية لتتأكد ما إذا كانت تحمل سلاحًا، بعد ذلك تم نقلها إلى مكان مجهول.. في البدء كانت متوجسة خائفة من المكان الذي كانت في طريقها إليه إلا أنها تفاجأت حينما وجدته مكانًا مكيفًا به دورة مياه نظيفة.. اندهشت ريدلي مرة أخرى حينما وجدت معاملة طيبة من قبل الحارس والمترجم والمحقق فقد كانوا في غاية الرقي والرأفة.. ومن الأمور التي تعجبت منها ولم تجد لها تفسيرًا آنذاك ملاحظتها أن المحققين الأفغان كانوا يتحاشون النظر إلى وجهها، وكانوا ينظرون إلى الأرض أو السقف عندما كانوا يوجهون لها الأسئلة عبر مترجم لم يكمل العشرين من عمره.. وفيما بعد عرفت سر ذلك التصرف إذ علمت أن الإسلام يحرم على الرجل النظر إلى المرأة الأجنبية.

قضت ريدلي 10 أيام بين أناس وصفتهم وسائل الإعلام الغربية بالوحشية والقسوة والظلم، ولكنها وجدتهم على العكس من ذلك تمامًا، بل إن حبهم وإخلاصهم لبعضهم بعضًا أثر فيها كثيرًا وهنا قالت ريدلي: «لقد كانوا في غاية الاحترام والإنسانية، ولو قارنت أسري بما يحدث في سجون أبو غريب في العراق أو معسكر غوانتنامو في كوبا، لتيقنت أن أيامي في الأسر بين يدي طالبان كانت نزهة.. وباعتباري من الناشطين في مجال العمل ضد الحروب، أود أن أعترف على الملأ بأنني لم أتعرض خلال فترة اعتقالي لأي نوع من الإهانة أو الاضطهاد والتعذيب، كما أنني لم أتعرض لأي شكل من أشكال الاعتداء الجنسي كالاغتصاب أو غيره. وأعترف للعالم أجمع بأنني أشكر الله بأن عملية أسري كانت على يد طالبان ولم تكن على يد أمريكا!».

وذكرت ريدلي أنها كلما ازدادت رفضًا لتصرفاتهم كانوا يزدادون لطفًا معها.. بل لم ترَ رجلًا واحدًا منهم نظر إليها.. وكانوا يقولون لها: «أنتِ أختنا وضيفتنا، ونريدُ أن تكوني سعيدة».

في اليوم السادس من اعتقالها في مدينة جلال آباد، وبعد أن تأكدت طالبان من أن أسيرتهم صحفية بريطانية وليست جاسوسة وعدوها بإطلاق سراحها.. سألها أحد شيوخ طالبان إن كان لديها رغبة باعتناق الإسلام، فأجابته بأنها لا تستطيع أن تتخذ قرارًا بأمر يرتبط بتغيير أساسي في حياتها وهي من وراء قضبان السجن، وعرضت عليه صفقة بديلة مفادها أنها ستقوم بقراءة القرآن ودراسة الإسلام إذا ما تم إطلاق سراحها.. قالت ذلك ولم تكن تأمل ألبتة في نجاح صفقتها.. وهي تتحدث عن ذلك الرجل قائلة: «إن النور الذي كان يشع من وجه ذلك الرجل كان الشرارة الأولى التي جعلتني اهتم بالإسلام، الذي حدثني عنه ببساطة».

أخيرًا أُطلق سراح ريدلي بعد مرور عشرة أيام على اعتقالها وتم ذلك بتدخل مباشر من الملا عمر القائد الأعلى والزعيم الروحي لطالبان.. وما أذهلها أن إطلاق صراحها أتى في صبيحة اليوم الذي أعقب بدء انطلاق الهجوم الأمريكي البريطاني على أفغانستان بالصواريخ والقنابل، ذلك الهجوم الوحشي الظالم الذي مات جرّاءه الكثير من الأبرياء.

عقب عودتها إلى العاصمة البريطانية لندن سالمة من دون أذى أيقنت تمامًا بأن طالبان كانت على كلمتها ووعدها بإطلاق سراحها بالرغم من كل المتغيرات التي حدثت في الساحة الدولية، خاصة عندما بدأت الحرب ضد طالبان، فشعرت بأنه يجب عليها أن تكون عند عهدها معهم فبدأت بقراءة القرآن الكريم من النسخة المترجمة التي أهداها لها ذلك الشيخ الأفغاني الذي وصفت وجهه بالوضاءة.. ظلت ريدلي تقرأ القرآن الكريم والأحاديث النبوية والكتب الإسلامية لمدة ثلاثين شهرًا متواصلة فشعرت خلالها بأنها تعيش رحلة نورانية ترتقي بها إلى قمم سامية من الصفاء الروحي والتصالح مع الذات.

وخلال قراءتها المتواصلة كانت ريدلي تركز على آيات القرآن الكريم التي تتناول أوضاع المرأة في الإسلام وذلك لتعرف حقيقة المزاعم التي تقول إن الإسلام ينتهك حقوق المرأة ويقودها إلى الوراء.. لكنها انبهرت بشدة حينما وجدت أن كتاب الله سبحانه وتعالى يحتوي مضامين واضحة تتعارض تمامًا مع ما سمعته عن وضع المرأة في الإسلام، إذ وجدت أن القرآن حفظ للمرأة نفس الحقوق التي كفلها للرجل مثل حقها في التعليم وحقها كمرأة متزوجة، ونصيبها في الميراث وإلى غير ذلك من الحقوق الأخرى.. كما عرفت من السيرة النبوية أن أول من اعتنق الإسلام امرأة وهي السيدة خديجة زوجة الرسول -صلى الله عليه وسلّم-، كما عرفت أن امرأة هي أول من نال الشهادة في الإسلام ألا وهي سمية (أم عمار)، فضلًا عن ذلك عرفت أن الله سبحانه وتعالى جعل الجنة تحت أقدام الأمهات، كما اطلعت على حديث الرسول -صلى الله عليه وسلّم- عندما جاءه رجل يسأل: من أحق الناس بحسن صحبته، فذكر الأم ثلاث مرات ثم جاء الأب أخيرًا.. بل عندما التقت بعدد من النساء المسلمات انبهرت بمستواهن التعليمي والثقافي.

ولم يمض وقت طويل على ريدلي حتى اعتنقت الإسلام عن قناعة تامّة.. وهي تتذكر جيّدًا الساعة التي نطقت فيها بالشهادتين وهي الواحدة والنصف من صباح الثلاثين من يونيو عام 2003 أمام الشيخ أبوبكر صاحب المكتبة في برمنجهام.

ذهبت ريدلي عقب إسلامها إلى الأراضي المقدسة لأداء فريضة الحج وهي ترتدي نفس الملابس التي كانت ترتديها عندما كانت بالمعتقل في كابول فهي كما تقول إن تلك الملابس تمثل رمزًا خاصًا تدرك أبعاده جيدًا.. تقول ريدلي إن رحلتها لأداء فريضة الحج تعتبر أكثر تجربة عاطفية مؤثرة عاشتها في حياتها وهي تصف مشهد المسلمين وهم يتدافعون نحو الكعبة قائلة:

«كنت في طريقي إلى الكعبة، وقتها لم أتمكن من دخول الحرم لشدة الزحام من الكتل البشرية التي كانت تزحف وتتدافع من أجل الدخول، كانت حالة من الاضطراب البشري، وفجأة انطلق صوت الأذان مناديًا للصلاة. وخلال ثوانٍ معدودة اصطفت هذه الكتل البشرية المتزاحمة في صفوف معتدلة واحدًا وراء الآخر في سكون تام.. لا أعتقد أن أكبر جيش في العالم يمكنه أن يفعل ذلك بالانتظام الذي رأيته، وبدأت أصرخ داخل نفسي لا يوجد جيش أكثر طاعة وأقوى نظامًا من جيوش الله سبحانه وتعالى. ولكن للأسف لقد فشلنا في أن نعكس صورة هذا الاتحاد خارج أماكن عباداتنا وعجزنا عن إظهار نفس القوة لأننا لو كنا متحدين بنفس القوة في العالم ما استطاع أحد أن يتجرأ على غزو بلادنا، ولأصبحت شعوبنا أكثر احترامًا وتقديرًا.. يا للأسف نفتقد هذه القوة خارج مساجدنا وأماكن عباداتنا».

ومن المواقف المدهشة التي تذكرها ريدلي أنها أول صحفية تجري لقاءً صحفيًا مع المغني كات ستيفن الذي أشاح بوجهه عن عالم الشهرة والمال واعتنق الإسلام، وأصبح الداعية المعروف «يوسف إسلام».. كانت ريدلي متحمسة للقائه لأنها كانت من المعجبين بغنائه قبل أن يعتزل عالم الغناء! من الأشياء التي تذكرها جيدًا أنها تقدمت إليه لتصافحه فاعتذر لها بحجة أن الإسلام يمنع مصافحة المرأة الأجنبية، وتذكر أن الموقف ذاته حدث لها مع شيخ الأزهر عندما زارت القاهرة عام 2006 ولكن بصورة معكوسة، إذ كانت هي الطرف الذي امتنع عن المصافحة! وهنا تقول ريدلي: «وصفني شيخ الأزهر بأنني متطرفة لأنه عندما مد يده إليّ لمصافحتي ثلاث مرّات، رفضت المصافحة، التزامًا بالحكم الشرعي، فقال لمن حوله إنني متطرفة، مشيرًا إلى أن من يعتنقون الإسلام من الغربيين يسمعون فقط للصوت الأصولي»! وهنا تنتقد شيخ الأزهر بقولها: «أنا مسلمة فقط، لا أتبع شيخًا بعينه، ولا طائفة بعينها، أنا بكل بساطة أتبع الرسول الكريم وأهل السنة والجماعة.. فهل هذا يكفي لاتهامي بأني متطرفة؟!».

بعد إعلانها لإسلامها عانت إيفون ريدلي كثيرًا من وسائل الإعلام الغربية، إذ انقلبت عليها ناسية حق الزمالة وشنت عليها هجومًا عنيفًا. ولم تقتصر معاناة ريدلي على الحملات المسعورة

التي شنتها ضدها وسائل الإعلام، إذ تلقت تهديداتٍ بالقتل، بل تمَّ الاعتداء عليها بالضرب من قِبل السلطات البريطانية لا لشخصها ولكن لاعتناقها الإسلام، إذ كانت قبل إسلامها تحظى بمكانة شديدة التميز لدى الحكومة البريطانية.

لم تزد الحملات الشرسة والتهديدات المسعورة إيفون ريدلي إلا صمودًا على موقفها الثابت، بل أخذت تتعمق في فهم ودراسة الإسلام، وبعد أن تشبعت بالعلوم الإسلامية سخّرت قلمها لتدافع عن قضايا الإسلام والمسلمين في كل مكان خاصة قضية الحجاب.. كما قدمت العديد من المحاضرات في الولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا وجنوب أفريقيا والشرق الأوسط حول القضايا المتعلقة بالعراق وإسرائيل وأفغانستان والشيشان وكشمير وأوزبكستان والمرأة في الإسلام والحرب على الإرهاب.. وهي تعتبر واحدة من رعاة جماعة الضغط البريطانية التي تعرف بـ«سجناء الأقفاص»، كما أنها تعمل رئيسة للفرع الأوروبي لاتحاد المرأة المسلمة، ونائب رئيس رابطة مسلمي أوروبا، كما أنها عضو في تحالف «أوقفوا الحرب» ومتحدثة في المسيرات التي ينظمها، إضافة إلى أنها عضو بحزب الاحترام، وقد ترشحت عنه في الانتخابات البرلمانية.. وقد صدر لها كتابان هما (بين يدي طالبان) و(تذكرة للجنة).

سبحان الله!! تقدمت ريدلي بطلب للسفارة الأفغانية في إسلام آباد تريد تأشيرة دخول إلى أفغانستان ففشلت في الحصول عليها برغم محاولاتها الثلاث الأمر الذي جعلها تتسلل إلى الأراضي الأفغانية، متنكرة في زي سيدة أفغانية تستر وجهها بالبرقع! تم القبض عليها من قبل قوات طالبان لتحصل على تأشيرة دخول إلى الإسلام وليس أفغانستان، فتحولت من صحفية بريطانية تكره الإسلام إلى داعية وإعلامية مسلمة تعمل حاليًّا محررة صحفية بالقناة الفضائية الإسلامية التي تتخذ من لندن مقرًا لها وتبث برامجها في مختلف أنحاء أوروبا!

وهبها الله موهبة صحفية إعلامية مميزة.. فسخّرتها لخدمة الإسلام..

بموهبتها وخبرتها توفر لغير المسلمين تأشيرات الدخول.. إلى الإسلام..

من فشلت في الحصول على التأشيرة تساعد غيرها الآن في الحصول عليها..

فهل تريد أنت أيضًا تأشيرة الدخول؟!

إذًا.. اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (57) - (69) - (79) - (91) - (98) - (122) - (116)

لم يُجب أحد

من فقد الله.. ما وجد شيئًا!!.. ومن وجد الله.. ما فقد شيئًا!!

هذه عبرة قصتنا.. بطلها كان كتلة من النشاط في مجال التنصير.. أُعجبت به الفاتيكان فأغدقت عليه المال الذي رفعه لزمرة الأثرياء، كما خصّصت له من الأموال ما يحتاج إليه لتنصير أصحاب الحاجة الملحّة والعوز من المسلمين ضعيفي الإيمان. سؤال صغير من تاجر مسلم بسيط قلب حياته رأسًا على عقب، وهو الفارس الذي لا يشقّ له غبار في ساحات التنصير والدعوة إلى دين النصرانية!! بل ألجم لسانه فصام عن الكلام وعجز عن تقديم خطبته ودرسه في الكنيسة، وهو الخطيب اللبيب المفوّه!!

انفرد بنفسه يبكي بمرارة ويدعو من اعتقد أنه الله أن يلهمه الصواب.. نام وقد ضعضعت فؤاده وعقله موجة من الهواجس المزعجة والتساؤلات الملحّة.. رأى في المنام رجلًا لم يتبيّن ملامح وجهه لأن فيوضًا من الضياء كانت تشعّ منه.. وبينما هو يغوص وسط بحر متلاطم من الدهشة والذهول دعاه الرجل باسم «إبراهيم» بدلًا من اسمه الحقيقي! ثم سلّمه مفتاحًا بصريًّا لكي يفتح به مغاليق قلبه حتى يدرك بنور بصيرته الحقيقة التي ظلّ يبحث عنها وسط طوفان من الدموع.. من هو ذلك الرجل الوضيء؟ وما هو مفتاحه العجيب؟ وكيف استخدمه بطل هذه القصة ليفتح به مغاليق الباب الذي خرج عبره من ظلمات الكفر المدلهمة إلى نور الإيمان الشفيف؟

الإجابة عن كل هذه الأسئلة سوف نتعرّف إليها من خلال هذه القصة الحقيقية التي دارت أحداثها المدهشة في جنوب أفريقيا لأحد أقارب المناضل المعروف نيلسون مانديلا، وهو القسّ السابق سيلي، الداعية الإسلامي الحالي إبراهيم، كما سمّاه ذلك الرجل الوضيء في المنام.

نصطحبكم الآن في رحلة استثنائية إلى ذلك البلد الذي يقع في أقصى الطرف الجنوبي من القارة السمراء حيث نجد في انتظارنا القسّ السابق سيلي، الذي كان يهتمّ بالنصرانية كثيرًا ويروِّج لها بشتّى السبل، وكان نشطًا للغاية في خدمة الكنيسة، ولذلك اختارته الفاتيكان وقدَّمت له الدعم اللازم ليكون من كبار المنصِّرين في جنوب أفريقيا، وكانت الكنيسة تغدق عليه الأموال حتى أصبح غنيًّا وله مكانته المرموقة بين القساوسة.

يروي سيلي قصته فيقول: كنت قسيسًا نشطًا للغاية، أخدم الكنيسة بكل جدّ واجتهاد ولا أكتفي بذلك بل كنت من كبار المنصّرين في جنوب أفريقيا، ولنشاطي الكبير اختارتني الفاتيكان

لكي أقوم بالتنصير بدعم منها فأخذت الأموال تصلني من الفاتيكان لهذا الغرض، وكنت أستخدم كل الوسائل لكي أصل إلى هدفي. فكنت أقوم بزيارات متوالية ومتعددة للمعاهد والمدارس والمستشفيات والقرى والغابات، وكنت أدفع من تلك الأموال للناس في صور مساعدات أو هبات أو صدقات وهدايا، لكي أصل إلى مبتغاي وأدخل الناس في دين النصرانية.. فكانت الكنيسة تغدق عليّ فأصبحت غنيًّا فلي منزل وسيارة وراتب جيد، ومكانة مرموقة بين القساوسة. وفي يوم من الأيام ذهبت لأشتري بعض الهدايا من المركز التجاري ببلدتي وهناك كانت المفاجأة!!

ففي السوق قابلت تاجرًا يبيع الهدايا، وكنت ألبس ملابس القسيسين الطويلة ذات الياقة البيضاء التي نتميّز بها عن غيرنا، وبدأت في التفاوض مع التاجر على قيمة الهدايا، وعرفت أنه مسلم -ونحن نطلق على دين الإسلام في جنوب أفريقيا: دين الهنود، ولا نقول دين الإسلام- وبعد أن اشتريت ما أريد من هدايا، بل قل من فخاخ نوقع بها السذج من الناس، وكذلك أصحاب الخواء الديني والروحي كما كنا نستغل حالات الفقر عند كثير من المسلمين، والجنوب أفريقيين لنخدعهم بالدّين المسيحي وننصّرهم، فإذا بالتاجر المسلم يسألني:

أنت قسيس.. أليس كذلك؟

فقلت له: نعم.

فسألني من هو إلهك؟

فقلت له: المسيح هو الإله!

فقال لي: إنني أتحداك أن تأتيني بآية واحدة في الإنجيل تقول على لسان المسيح -عليه السلام- شخصيًّا إنه قال: (أنا الله، أو أنا ابن الله) فاعبدوني!

فإذا بكلمات الرجل المسلم تسقط على رأسي كالصاعقة، ولم أستطع أن أجيبه وحاولت أن أعود بذاكرتي الجيدة وأغوص بها في كتب الأناجيل وكتب النصرانية لأجد جوابًا شافيًا للرجل فلم أجد!! فلم تكن هناك آية واحدة تتحدّث على لسان المسيح وتقول إنه هو الله أو إنه ابن الله. وأسقط في يدي وأحرجني الرجل، وأصابني الغمّ وضاق صدري. كيف غابت عني مثل هذه التساؤلات؟

تركت الرجل وهمت على وجهي، فما علمت بنفسي إلا وأنا أسير طويلًا من دون اتجاه معيّن.. ثم صمّمت على البحث عن مثل هذه الآيات مهما كلّفني الأمر، ولكنني عجزت وهزمت، فذهبت إلى المجلس الكنسي وطلبت أن أجتمع بأعضائه، فوافقوا.. وفي الاجتماع أخبرتهم بما سمعت فإذا بالجميع يهاجمونني ويقولون لي: خدعك الهندي.. إنه يريد أن يضلك بدين الهنود. فقلت لهم: إذًا

أجيبوني أنتم!! وردّوا على تساؤله! فلم يُجب أحد!

وجاء يوم الأحد الذي ألقي فيه خطبتي ودرسي في الكنيسة، ووقفت أمام الناس لأتحدّث، فلم أستطع وتعجّب الناس لوقوفي أمامهم دون أن أتكلم. فانسحبت إلى داخل الكنيسة وطلبت من صديق لي أن يحلّ محلّي، وأخبرته بأنني منهك.. وفي الحقيقة كنت منهارًا، ومحطمًا نفسيًّا.

وذهبت إلى منزلي وأنا في حالة ذهول وهمّ كبير، ثم توجّهت إلى مكان صغير في منزلي وجلست أنتحب فيه، ثم رفعت بصري إلى السماء، وأخذت أدعو، ولكن أدعو من؟ لقد توجّهت إلى من اعتقدت أنه هو الله الخالق.. وقلت في دعائي: (ربي.. خالقي.. لقد أُقفلت الأبواب في وجهي غير بابك، فلا تحرمني من معرفة الحق، أين الحق وأين الحقيقة؟ يا رب! يا رب لا تتركني في حيرتي، وألهمني الصواب ودلّني على الحقيقة)، ثم غفوت، وإذا بي أرى في المنام قاعة كبيرة جدًّا، ليس فيها أحد غيري.. وفي صدر القاعة ظهر رجل، لم أتبيّن ملامحه من النور الذي كان يشعّ منه وحوله، فظننت أن ذلك هو الله الذي خاطبته بأن يدلني على الحق.. ولكني أيقنت بأنه رجل منير.. فأخذ الرجل يشير إليّ وينادي: يا إبراهيم! فنظرت حولي، لأشاهد من هو إبراهيم؟ فلم أجد أحدًا معي في القاعة.. فقال لي الرجل: أنت إبراهيم.. اسمك إبراهيم.. ألم تطلب من الله معرفة الحقيقة.. قلت: نعم.. قال: انظر إلى يمينك.. فنظرت إلى يميني، فإذا مجموعة من الرجال تسير حاملة على أكتافها أمتعتها، وتلبس ثيابًا بيضاء، وعمائم بيضاء. وتابع الرجل قوله: اتبع هؤلاء لتعرف الحقيقة!! واستيقظت من النوم، وشعرت بسعادة كبيرة تنتابني، ولكنني لم أكن مرتاحًا عندما أخذت أتساءل.. أين سأجد هذه الجماعة التي رأيت في منامي؟

وصمّمت على مواصلة المشوار، مشوار البحث عن الحقيقة، كما وصفها لي من جاء ليدلّني عليها في منامي. وأيقنت أن هذا كلّه بتدبير من الله سبحانه وتعالى.. فأخذت إجازة من عملي، ثم بدأت رحلة بحث طويلة، أجبرتني على الطواف في مدن عدّة أبحث وأسأل عن رجال يلبسون ثيابًا بيضاء، ويتعمّمون عمائم بيضاء أيضًا.. وطال بحثي وتجوالي، وكل من كنت أشاهدهم مسلمين يلبسون البنطال ويضعون على رؤوسهم الكوفيات فقط.

وصل بي تجوالي إلى مدينة جوهانسبرغ وأتيت إلى مكتب استقبال لجنة مسلمي أفريقيا، وفي هذا المكتب سألت موظف الاستقبال عن هذه الجماعة، فظن أنني شحاذ، ومدّ يده ببعض النقود فقلت له: ليس هذا أسألك! أليس لكم مكان للعبادة قريب من هنا؟ فدلّني الموظف على مسجد قريب.. فتوجّهت نحوه.. فإذا بمفاجأة كبرى كانت في انتظاري!!

لقد كان على باب المسجد رجل يلبس ثيابًا بيضاء ويضع على رأسه عمامة! ففرحت، فهو من نفس النوعية التي رأيتها في منامي! فتوجهت إليه رأسًا وأنا سعيد بما أرى! فإذا بالرجل يبادرني

قائلًا، وقبل أن أتكلم بكلمة واحدة: مرحبًا يا إبراهيم!!! فتعجبت وصعقت بما سمعت!! فالرجل يعرف اسمي قبل أن أعرّفه بنفسي! فتابع الرجل قائلًا: لقد رأيتك في منامي بأنك تبحث عنا، وتريد أن تعرف الحقيقة.. والحقيقة هي في الدّين الذي ارتضاه الله لعباده الإسلام. فقلت له: نعم، أنا أبحث عن الحقيقة ولقد أرشدني الرجل المنير الذي رأيته في منامي لأن أتبع جماعة تلبس مثل ما تلبس أنت.. فهل يمكنك أن تقول لي، من ذلك الذي رأيت في منامي؟ فقال الرجل: ذاك نبينا مُحمَّد نبي الإسلام الدين الحق، رسول الله -صلى الله عليه وسلّم-!!

لم أصدق ما حدث لي، ولكنني انطلقت نحو الرجل أعانقه، وأقول له: أحقًّا كان ذلك رسولكم ونبيّكم، أتاني ليدلّني على دين الحق؟ قال الرجل: أجل. ثم أخذ الرجل يرحّب بي، ويهنئني بأن هداني الله لمعرفة الحقيقة.. ثم جاء وقت صلاة الظهر. فأجلسني الرجل في آخر المسجد، وذهب ليصلي مع بقية الناس، وشاهدت المسلمين -وكان كثير منهم يلبس مثل الرجل- شاهدتهم وهم يركعون ويسجدون لله، فقلت في نفسي: (والله إنه الدّين الحق، فقد قرأت في الكتب أن الأنبياء والرسل كانوا يضعون جباههم على الأرض سجّدًا لله)!

وبعد الصلاة ارتاحت نفسي واطمأنت لما رأيت وسمعت، وقلت في نفسي: (والله لقد دلّني الله سبحانه وتعالى على الدين الحق).. وناداني الرجل المسلم لأعلن إسلامي، ونطقت بالشهادتين، وأخذت أبكي بكاءً عظيمًا فرحًا بما منَّ الله عليَّ من هداية.

ثم بقيت معهم أتعلم الإسلام، ثم خرجت معهم في رحلة دعوية استمرت طويلًا، فقد كانوا يجوبون البلاد طولًا وعرضًا، يدعون الناس إلى الإسلام، وفرحت بصحبتي لهم، وتعلمت منهم الصلاة والصيام وقيام الليل والدعاء والصدق والأمانة، وتعلمت منهم بأن المسلمين أمّة كلّفها الله مسؤولية تبليغ دينه، وتعلمت كيف أدعو إلى الله، وتعلمت منهم الحكمة في الدعوة إلى الله، وتعلمت منهم الصبر والحلم والتضحية والبساطة.

وبعد شهور عدّة عدت إلى مدينتي، فإذا بأهلي وأصدقائي يبحثون عني، وعندما شاهدوني أعود إليهم باللباس الإسلامي، أنكروا عليَّ ذلك، وطلب مني المجلس الكنسي أن أعقد معهم لقاءً عاجلًا، وفي ذلك اللقاء أخذوا يؤنّبونني لتركي دين آبائي وعشيرتي، وقالوا لي: لقد خدعك الهنود بدينهم وأضلّوك!! فقلت لهم: لم يخدعني ولم يضلني أحد.. فقد جاءني رسول الله مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم- في منامي ليدلّني على الحقيقة، وعلى الدين الحق. إنَّه الإسلام، وليس دين الهنود كما تدعونه.. وإنني أدعوكم إلى الحق وإلى الإسلام، فبهتوا!!

ثم جاؤوني من باب آخر، مستخدمين أساليب الإغراء بالمال والسلطة والمنصب، فقالوا لي إن الفاتيكان طلبتني لأقيم فيها ستة أشهر، في انتداب مدفوع القيمة مقدمًا، مع شراء منزل

جديد وسيارة جديدة لي، ومبلغ من المال لتحسين معيشتي، وترقيتي لمنصب أعلى في الكنيسة! فرفضت كل ذلك، وقلت لهم: أبعد أن هداني الله تريدون أن تضلوني.. والله لن أفعل ذلك، ولو قطعت إربًا!!

ثم قمت بنصحهم ودعوتهم مرة ثانية للإسلام، فأسلم اثنان من القساوسة، والحمد لله... فلما رأوا إصراري، سحبوا كل رتبي ومناصبي، ففرحت بذلك، بل كنت أريد أن أبتدرهم بذلك، ثم قمت وأرجعت لهم ما لديّ من أموال وعهدة، وتركتهم..

وهكذا تبدّلت حال إبراهيم سيلي، القسّ النصراني السابق، الذي أغدق عليه النصارى المال ليجعلوا منه بوقًا تنصيريًّا يضلل الناس عن نور الحق ويدفع بهم إلى ظلمات الكفر، ففاجأهم بأن ترك عرضهم الزائل جانبًا وأقبل على ما عند الله الذي لا ينفد حتى ترسّخ في قلبه الإيمان فتحوّل معه من آلة تنصيرية مدمّرة تنشر الفكر السقيم إلى شعلة من النشاط همّه الأوّل والأخير الدعوة إلى الله في مختلف أنحاء جنوب أفريقيا، ليكون سببًا في إخراج الكثيرين من ظلمات الشرك والكفر إلى نور التوحيد والإسلام..

نعم.. من عرف الحق.. يعز عليه مصير المكذبين..

يتمنى الوصول للتائهين.. كما وصل..

صدق الإيمان.. يحرك الجبال..

فماذا تنتظر أيها التائه في وهم الحياة.. في زخرف الدنيا الزائل؟!!

العد التنازلي لعمرك مستمر.. وأنت في التيه مستمر..

الباب مفتوح الآن.. ولكن ما من ضمان لاستمراره مفتوحًا..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (17) - (50)

قبض الريح

عامرة هي قصص إيمان المسلمين الجدد بعجائب النفس البشرية..

عجائب آيات الله في تقليب القلوب.. في هداية ألد أعداء الهداية!!

لا يحتاج غير المؤمنين أكثر من هذه القصص لتكون سببًا في هدايتهم!!

تأملوها جيِّدا وشاهدوا عظمة الهادي.. وحنان الخالق الرحيم..

إليكم قصة واقعية.. ولكنها أغرب من الخيال!

سوف أبدأ معكم هذه القصة بمشهدين متناقضين تمامًا..

المشهد الأوّل: في شهر آذار من عام 2008 ارتجّ العالم كله بتظاهرات عنيفة قُتل فيها سبعة متظاهرين في عدة دول منددة بالفيلم المسيء للنبي محمد -صلى الله عليه وسلّم- الذي أسهم بشكل فعال في إنتاجه السياسي الهولندي «أرنود فان دورن»، نائب رئيس حزب الحرية، أكثر الأحزاب اليمينية تطرفًا وتشددًا ضد الإسلام والمسلمين.

المشهد الثاني: في شهر نيسان من عام 2013 لفت أنظار زوار المسجد النبوي الشريف رجل في الأربعينيات من عمره ملامحه أوروبية يبكي وينتحب بشدّة أمام قبر النبي محمد -صلى الله عليه وسلّم-. فكان ذلك الرجل هو «أرنود فان دورن» نفسه منتج الفيلم المسيء!

الآن أطلقوا لخيالكم العنان وتأمّلوا.. بطل المشهد الأوّل هو نفسه بطل المشهد الثاني!

فماذا حدث لهذا الرجل حتى ينتقل من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين؟!

نعم.. إنها إرادة الله تعالى القادر على كل شيء!

في عام 1967م ولد أرنود فان دورن في مدينة لاهاي بهولندا.. رضع كراهية الإسلام والمسلمين من ثدي أمه التي ورثت هذه الكراهية بدورها عن أسلافها المتطرفين.. فنشأ نصرانيًّا متزمّتًا.. عشق السياسة منذ صغره فترقى سريعًا في مراتبها حتى تقلد منصب نائب رئيس الحزب الحاكم السابق «من أجل الحرية»، وهو أكثر الأحزاب الهولندية اليمينية تطرفًا وتشددًا ضد الإسلام والمسلمين.. كراهيته للدين الإسلامي جعلته يتخذ من العداء للإسلام والمسلمين فكرة رئيسية لكل دعاية انتخابية، سواء كان في انتخابات البرلمان، أو انتخابات مجالس البلديات، أو المقاطعات

الأوروبية.. ليس هذا فحسب، بل دفعته إلى أن ينفق من ماله الخاص ليموّل إنتاج فيلم «فتنة» الذي يسيء للنبي محمد -صلى الله عليه وسلّم-!

التظاهرات العنيفة التي اشتعلت كرد فعل على فيلم «فان دورن» المسيء جعلته يفكر في معرفة الدافع القوي الذي يقف وراء هبّة هؤلاء الغاضبين، بل ولّدت في نفسه الرغبة في ترك الحزب الذي دفعته أفكاره المتطرفة إلى فعل ما أثار هذه التظاهرات العارمة.. بالفعل ترك الحزب وبدأ في المقابل يتعمق في القراءة عن الإسلام.. منذ قراءاته الأولى توصل إلى حقيقة جليّة مفادها أن الإسلام دين إيجابي، وأصيل لا يدانيه في النقاء دين آخر.. هذه القراءات الأولى جعلته يتشوق لمعرفة المزيد عن الإسلام، فقرأ ترجمة معاني القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة.

ظل فان دورن ولمدة عام كامل يداوم على قراءة كل ما له علاقة بالإسلام.. كتب كثيرة أثرت فيه، لكن تأثره الأكبر جاءه من كتاب «محمد» الذي أهداه إياه أبو إسماعيل وهو إمام مسجد في لاهاي.. أكثر ما هزّ مشاعر بطل قصتنا في هذا الكتاب موقف النبي محمد -صلى الله عليه وسلّم- من أهل مكة الذين ناصبوه العداء وطردوه منها.. دخل محمد -صلى الله عليه وسلّم- مكة مع عشرة آلاف من أصحابه مطأطئًا رأسهُ متواضعًا خاشعًا لله، حارمًا نفسه رؤية النصرِ الذي أفنى في سبيله حياته، ثم يقول لأعدائه بعد أن تمكّن من رقابهم: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل بكم؟ قالوا: خيرًا، أخ كريم، وابن أخ كريم.. قال: اذهبوا فأنتم الطلقاء!

أكثر من عشرين عامًا قضاها مشركو مكة في معاداة مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم- وحربه وحرب دعوته.. وما تركوا من وسيلة ولا حيلة إلا جرّبوها، ولا طريقًا إلا سلكوه ليصدوا الناس عن دعوته.. وكم تفنّنوا في تعذيب أتباعه، والنيل منهم، والتضييق عليهم.. حتى أخرجوهم من ديارهم وأموالهم، ومع هذا كلّه يدخل مكة ومعه عشرة آلاف مقاتل رهن إشارته! وأعداؤه عديمو الشفقة وقساة القلوب الآن منطرحون عند قدميه وتحت رحمته تمامًا، وهو يقول لهم: «اذهبوا فأنتم الطلقاء»! فهل عرف التاريخ كلّه مثيلًا لهذا الموقف النبيل في العفو والصفح!

ومن المواقف التي يقول «فان دورن» إنها هزّت مشاعره موقف النبي محمد -صلى الله عليه وسلّم- من فضالة بن عمير.. فبعد فتح مكة وعفو النبي -صلى الله عليه وسلّم- عن أعدائه أراد أن يطوف حول الكعبة، فدنا منه رجل يدعى فضالة يخفي خنجرًا تحت ثيابه، فالتفت إليه وهو يهم بتنفيذ جريمته، وقال له بم تحدثك نفسك يا فضالة؟ فقال لا شيء إني أذكر الله، فقال له: استغفر الله، ثم وضع يده على صدر فضالة فسكن قلبه فكان فضالة يقول بعد ذلك: والله ما رفع يده عن صدري حتى ما من خلق الله أحب إلي منه، وكان هذا الموقف النبيل سببًا في إسلام فضالة.

هنا فقط أدرك «فان دورن» حجم الظلم الفادح الذي حمله فيلم «فتنة» المسيء لصاحب

هذه المواقف النبيلة محمد -صلى الله عليه وسلّم-! وكلما قرأ أكثر عن سيرته وخلقه أصبح يزداد ندمه على الجرم الكبير الذي اقترفه حزبه السابق بعدائه الصارخ للإسلام والمسلمين، ويشعر بالانجذاب أكثر وأكثر ناحية الدين الإسلامي، ما دفعه إلى أن يقرأ عن الإسلام بصورة موسعة ويقترب أكثر من المسلمين في هولندا.. وفي لحظة حاسمة من حياته توجه إلى مسجد «السنة» في مدينة لاهاي، حيث يقول في ذلك: «ذهبت مع ابن صديقي الخولاني وعمره تسعة أعوام للمسجد، وهناك أهدوا لي مجموعة من كتب السيرة النبوية وبعض التفاسير، وأخذت أقرؤها هي الأخرى وبعد نحو شهرين من زيارة المسجد أشهرت إسلامي وبالتحديد في 27 فبراير 2013م».

يصمت فان دورن للحظات ثم يستطرد في حديثه قائلًا: «في البداية وجدت صعوبة في دخول الإسلام، فأنا لم أنشأ في مجتمع مسلم يعلمني أكثر عن هذا الدين العظيم، لكن الحقيقة أني وجدت ما كنت أصبو إليه وأفتقده في حياتي السابقة، وأتصور أن كل عمري قبل إشهار إسلامي كان مثل «قبض الريح»، والآن أصبحت ذلك الشخص السعيد الذي تتملكه الطمأنينة والسكينة».

عقب إعلان إسلامه اتصلت على «فان دورن» مجموعة كبيرة من وسائل الإعلام والصحف البلجيكية والعالمية تطلب تسجيل حوارات معه لكي تتأكد من خبر إسلامه، بيد أنه اعتذر لهذه الوسائل، بعد أن نشر تغريدة على موقع التواصل الاجتماعي «تويتر» ضمنها شهادة الإسلام لكي يعلم الجميع أن خبر اعتناقه الإسلام خبر صحيح. وبعدها تلقى العديد من الهجمات الشديدة رفض التعليق عليها قائلًا: «هي مسألة شخصية»، مضيفًا: «بدا الأمر لهؤلاء أني أسلمت هكذا في يوم وليلة، ولكن الأمر لم يكن كذلك بالطبع، بل كانت عملية طويلة».

يقول فان دورن: «لم يدر في خلدي كعضو حزب الحرية اليميني الهولندي السابق أن أدخل الإسلام الحنيف، وأتوجه بعد ذلك لزيارة الحرمين الشريفين، خصوصًا أني أنتمي للحزب الذي أسهم في إنتاج الفيلم المسيء لمحمد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلّم- بل كنت منتج ذلك الفيلم الذي يعد نقطة سوداء في حياتي.. فقد كنت منتميًا لأشد الأحزاب تطرّفًا وعداءً للدين الحنيف»!

وفي شهر نيسان من عام 2013م زار «فان دورن» الحرمين الشريفين وأدى مناسك الحج في ذلك العام وهو يتحدث عن تلك الزيارة قائلًا: «إن دموعي لم تتوقف فمنذ وصولي مكة، وأنا أعيش أجمل اللحظات، وأدعو الله أن تمسح دموعي كل ذنوبي بعد توبتي».

وفي حوار أجرته صحيفة «عكاظ» السعودية معه بعد أدائه فريضة الحج، يقول فان دورن: «هنا وجدت ذاتي بين هذه القلوب المؤمنة، ودعواتي أن تمسح دموعي كل ذنوبي بعد توبتي،

وسأعمل على إنتاج عمل كبير يخدم الإسلام والمسلمين ويعكس خلق وأخلاق نبي الرحمة بعد عودتي من رحلة الحج»، معربًا عن أمنيته بأن يمضي أيام عمره كلها في المدينة المنورة بجوار قبر النبي محمد -صلى الله عليه وسلّم- لكي يشعر بالراحة والأمان.

وفي تشرين الأول 2013 جاء «فان دورن» للمرة الثانية للمدينة المنورة لزيارة قبر النبي محمد -صلى الله عليه وسلّم- وشرح مدى الطمأنينة والروحانيات التي شعر بها، حيث يقول في ذلك: «لم أجد راحتي الكاملة إلا بجوار قبر محمد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلّم-»! وقال أيضًا: «خجلي تضاعف أمام قبر النبي محمد -صلى الله عليه وسلّم- حيث جال بخاطري حجم الخطأ الكبير الذي وقعت فيه قبل أن يشرح الله صدري للإسلام، لقد قادتني عملية البحث لاكتشاف حجم الجرم الكبير الذي اقترفته»!

العجيب أن أرنود فان دورن الذي بدأ حياته السياسية مع حزب الحرية حتى وصل منصب نائب رئيس هذا الحزب الأكثر تطرفًا وتشددًا ضد الإسلام والمسلمين، فاز في منتصف عام 2017 برئاسة حزب «الوحدة»، وهو الحزب الذي أسسه المسلمون عام 2010، بل كان أرنود فان دورن هو المرشح الوحيد للمنصب، في اجتماع الأمانة العامة للحزب!

كم هو موقف مؤثر تهتز له الصخور الصلبة أن يبكي منتج الفيلم المسيء للرسول -صلى الله عليه وسلّم- عند قبره!! وكم هو باهر أن يعمل سفيرًا لعلاقات المشاهير في جمعية الدعوة الإسلامية الكندية في أوروبا..

وكم هو مذهل أن يترأس بجدارة الحزب الإسلامي في بلده!

فسبحان الله تعالى مغيّر الأحوال من حال إلى حال!. أساء إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم-.. ففوجئ برد فعل محبيه المذهلة.. فسعى إلى فهم السبب.. ففهم.. فآمن!!..

هل عرفتم أعظم من هذا الإله؟!

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (24) - (43) - (68)

الجسد والدم

العقل.. مناط التكليف في الإسلام..

هذا العقل هو شيء مهمل في غير الإسلام..

فماذا تختار لنفسك؟!.. العقل أم الجنون؟!!..

وإلا فأخبرني بربك.. أيّ عاقل يضع جسد إلهه في علبة ثم لا يكفر به؟!

وأيّ عاقل يأخذ جسد إلهه المتعفن ويرمي به في صندوق القمامة ثم لا يكفر به؟!

وأيّ ديانة تأمر أنصارها بأكل جسد الإله وشرب دمه فيظلون ينصرونها ويبشرون بتعاليمها؟!

قصتنا هذه المرة تصيب المرء بالدهشة مرتين: مرّة عندما ينتبه إلى مدى سذاجة الديانة النصرانية ومصادمتها لأبسط مسلّمات العقل والمنطق، والمرة الثانية عندما يتفاجأ المرء ذاته بأن أحد عتاة كهنة هذه الديانة ينتبه إلى خطورة اعتقاده في طقوسها، ويتحوّل إلى دين الإسلام فيشعر بأنه إنسان قوي يعبد إلهًا قويًّا، بعد أن كان يشعر بأنه إنسان ضعيف يعبد إلهًا ضعيفًا مهانًا.. إنه القس «بيشوي ملك» بطل هذه القصة الذي ندعوكم إلى الإبحار في تفاصيل رحلته من النصرانية إلى الإسلام.

ولد «بيشوي ملك» في عام 1961م.. وككل النصارى الأرثوذكس بدأ حياته يؤمن بيسوع، وبعقيدة الجسد والدم، وبكل المعتقدات النصرانية الأخرى.. واصل تعليمه حتى حصل على بكالوريوس الكلية الإكليركية بالعباسية في عام 1982م.. عقب تخرجه في الجامعة تم تعيينه في مجال الكهنوت.. شهد الجميع بتميزه بمن في ذلك البابا شنودة نفسه.. رضا الجميع عنه وعن كفاءته جعله يحصل على ترقيات سريعة وصلت به إلى سدّة كنيسة القديسة دميانة بالوايلي الكبير حيث أصبح كاهنًا وقسًّا لها لمدة تسعة عشر عامًا.

ارتباطه الوثيق بالكنيسة وتحمسه المتقد للديانة النصرانية، جعلاه نشيطًا في الترويج لمبادئها بكل السبل، فقام بإخراج شرائط أحدثت ردود أفعال كبيرة في المجتمع النصراني، من بينها شريط «أنت أبويا وأنا أبوك»، و«القداسات الثلاثة»، و«طقسيات مرئية».. قاده الشريط الأخير للتعمق في قضية «الجسد والدم» وهو تعمق دفعه إلى أن يكفر بالنصرانية كفرًا بواحًا ويعتنق الإسلام اعتناق مقتنع لا يملك أحد القدرة على ردّه عن الإسلام.

من هذه الخرافات العجيبة لدى النصارى خرافة الأفخارستيا أو القربان المقدّس، وهو أحد أهم أسرار العبادات والطقوس التي تُقام في الكنيستين الأرثوذكسية والكاثوليكية! يأتي القس بفطيرة خبز، خبزها رجل، ولا يحق للمرأة أن تخبزها، وكأس من الخمر المخفّف بالماء، ثم يضرب على الناقوس ليجتمع الناس في الكنيسة، ثم يقرأ على الفطيرة كلمات وطلاسم مبهمة، ثم يقول للبسطاء هكذا أصبحت الفطيرة جسد المسيح، ويقرأ على كأس الخمر طلاسم مبهمة ويقول لهم لقد أصبح الخمر دم المسيح، ثم يسجد للفطيرة أمامهم فيخرّ النصارى من خلفه ساجدين لهذه الفطيرة المصنوعة من دقيق القمح! ويمرّون على القس يتناولون منه؛ فيطعمهم ويسقيهم من لحم الرب ودمه! وعلى كل نصراني أن يؤمن بهذه الخرافة ويسلّم بها وإن كانت مخالفة للعقل والمنطق والواقع المحسوس، إذ إن الخبز لن يتغيّر طعمه، كما أن الخمر لن يتغيّر مذاقه!

ولكن كيف يتحول الخبز إلى جسد الرب؟! وكيف يتحول الخمر إلى دمه؟!

يقول لك القس هذا سر من الأسرار السبعة المقدّسة في الكنيسة فلا تسأل عنه! وما دمت نصرانيًّا عليك أن تؤمن أنه بأكلك لحم الرب وشرب دمه تصبح متّحدًا مع الرب فجسدك من جسد الرب ودمك من دم الرب! قالوا إن الإله اتحد مع جسد المسيح فأصبح ناسوت ولاهوت، والآن يقولون لك إن الرب اتحد معك أنت عن طريق أكل لحمه وشرب دمه! إذًا أصبحت أنت إلهًا باتحادك مع الإله وأصبح لك ناسوت ولاهوت!

يأكلون لحم الرب يسوع ويشربون دمه ويصرفونها في دورات المياه كفضلات فتختلط بالقاذورات! يجد غير النصارى صعوبة كبيرة في تصديق هذه المعتقدات والطقوس، ولكن الأمر مختلف بالنسبة إلى النصارى الذين وجدوا أقوامهم عليها وتشرّبوا بها وأصبحت جزءًا من تكوينهم النفسي والعقلي، وكل من يرفع رأسه منهم ويتأمّل في هذه المعتقدات ويجرّد نفسه من هذه الأوهام ويحرّر نفسه من هذه القيود هو فقط المؤهل لأن يبصر الحقيقة.

العجيب أن هذه الفطيرة التي سوف تتحوّل إلى جسد المسيح لا يحق للمرأة أن تخبزها، بل لا يحق للمرأة الحائض أن تأكلها لأن هذه المرأة المسكينة نجسة في نظرهم، فلا يحل لها أن تأكل لحم الرب أو تشرب دمه، لأنه لا يجوز أن يمتزج الرب بجسد المرأة ودمائها ويبقى فيها وهي حائض! ولكن كيف بدم الرب أن ينزل مع دم الحيض النجس! ألم ينزل الرب يسوع نفسه من مكان دم الحيض النجس؟! ألم ينزل الرب ملوثًا بدماء الحيض النجس؟! فكيف نحرم المرأة الحائض من لحم الرب ودمه؟! بل المرأة أولى بهذا اللحم والدم من الرجل! ولو قبلوا أن الإله يتجسد في رحم امرأة واحدة مرّة واحدة، فكيف يقبلون أنه يتجسّد آلاف وملايين ومليارات المرّات في الخبز بعدد الكنائس حول العالم وفي كل يوم وكل لحظة!!

وإذا كان لديك مناسبة سعيدة تريد أن تحتفل بها من خلال الكنيسة، فيمكنك أن تطلب منهم عمل قدّاس خاص بك، حيث يتم تحضير الإله وتقطيع جسده على المذبح من أجلك أنت! نعم.. من أجلك أنت فقط يتم استدعاء الروح القدس من السماء لمهمّة خاصة، فيترك كل شيء ويأتي ويلمس قرابينك كي تتحوّل إلى جسد المسيح!! الآن جسد الإله متمدد أمامك على المذبح فانهش منه كما تشاء واستمتع بوجبة لذيذة من لحم الإله! تخريف في تخريف!! أين ذهبت العقول؟!

العجيب أن فكرة الكأس والفطيرة كانت هاجسًا في العالم الوثني القديم، حيث كانوا يعتقدون أن كل من يأكل من جسد الإله الميت ويشرب من دمه يتحقق له الخلود. وقد كان قدماء المصريين يعبدون الإله (أوزيريس) ويصنعون له جسدًا من عجين القمح ثم يأكلونه مع الجعة المخمّرة من الشعير معتقدين أنهم يستمدون السطوة والقوة من جسد (أوزيريس) ودمه.. والآن النصارى يفعلون ذلك نفسه مع المسيح!

نعود ونتابع مع بطل قصتنا القس «بيشوي ملك»، حيث يقول في حوار أجراه معه موقع «قصة الإسلام»: إنه ذهب إلى البابا شنودة وناقشه في قضية «الجسد والدم»، العقيدة بالغة الأهمية في الأرثوذكسية النصرانية، وأول سؤال طرحه عليه هو: كم قداسًا في اليوم؟ فردّ عليه البابا بقوله: نحو عشرة آلاف قداس! فسأله ثانية: هل هذا يعني أن جسد المسيح يتم تقسيمه عشرة آلاف مرّة في اليوم الواحد؟ فقال له البابا: من قال لك إننا نتناول من ذبائح المسيح؟ أي إن العشرة آلاف قداس هم ذبيحة المسيح الواحدة! ولكن كيف؟! لا تسأل أبعد من ذلك!!

عندما يقف الكاهن أمام المائدة ويرفع يديه إلى السماء، يستدعي الروح القدس فيأتي ويلمس القرابين!! جبريل -عليه السلام- بجلالة قدره وهو الروح القدس قيد إشارة الكاهن الذي يستطيع أن يستدعيه في أي لحظة!!

ليس العجب في ذلك بل العجب كل العجب في أن كهنة جميع الكنائس لو وقفوا في لحظة واحدة ورفعوا أيديهم إلى السماء لاستدعاء الروح القدس، فكيف سيأتي الروح القدس إليهم جميعًا في وقت واحد ويلمس لهم قرابينهم كي تتحوّل إلى جسد المسيح!! هل سيتجزأ هذا الروح القدس إلى آلاف الأجزاء، أم سيكون هناك استنساخ للروح القدس بعدد الكهنة وبعدد الكنائس في جميع أرجاء الأرض؟! العجيب أنك عندما تسأل الكهنة هذا السؤال الذي يمكن أن يسأله أي طفل بريء لا تجد إجابة عنه، ويقولون لك إنه من أسرار الكنيسة! فلا تسأل عنه!

إذا افترضنا أن آلاف الكهنة حول العالم استدعوا الروح القدس في آن واحد، وكان حضور المسيح بلاهوته في أمكنة متعدّدة في آن واحد ممكنًا بحسب هذه الخرافة النصرانية، فكيف يكون ممكنًا باعتبار ناسوته؟! لأنه بهذا الاعتبار كان بشرًا مثلنا يجوع ويأكل وينام ويتألّم ويبكي

ويخاف من الأعداء ويفر من اليهود! فكيف يمكن تعدده بهذا الاعتبار بالجسد الواحد وفي الوقت الواحد في أمكنة متعددة؟ ولم يثبت عنه أنه وُجد قبل عروجه إلى السماء بهذا الاعتبار في مكانين في آن واحد، فضلًا عن تعدد الأمكنة! وكيف يأتي بعد ذلك من يصدّق هذه الخرافة المختلقة؟! أين ذهبت العقول؟! أفيقوا أيها النصارى من غفلتكم!!

إذا استحال الخبز مسيحًا كاملًا تحت يد الكاهن، كما يزعمون، وكسر هذا الكاهن هذا الخبز كسرات كثيرة أو أجزاء صغيرة، فإما أن يتقطّع جسد المسيح قطعة قطعة على عدد الكسرات أو الأجزاء، أو تتحوّل كل كسرة أو كل جزء مسيحًا كاملًا. فإذا ذهبنا إلى الخيار الأول فلن يكون آكل الخبز قد التهم مسيحًا كاملًا، وإذا ذهبنا إلى الخيار الثاني فنتساءل في عجب: من أين جاء كل هؤلاء المسحاء؟ لقد كانت الخبزة واحدة والكاهن لم يحضّر إلا جسدًا واحدًا للمسيح!

والأعجب من ذلك كلّه كيف يمكن للعقل البشري أن ينحط إلى درجة أن يضع الإله العظيم خالق كل هذا الكون في جسد إنسان، ثم يضع جسد هذا الإنسان الإله في قطعة خبز، ويسكب دمه في كأس خمر، ويلتهم الخبز ويشرب الخمر، ويتخلص منهما في المرحاض، فيختلط إلهه المزعوم مع القاذورات!

إن مثل هذه الخرافات النصرانية هي التي جعلت كثيرًا من النصارى أصحاب العقول المستنيرة يتحرّرون من سياسة تغييب العقول ويعيدون النظر في اعتقاداتهم الموروثة، بل ويسخرون منها ويستهزئون بها، ويهجرون ديانة آبائهم وأجدادهم إلى غير رجعة، ومنهم صاحب قصتنا هذه القس بيشوي ملك. هذه الخرافات غير العقلانية، وغيرها، هي التي أيقظت فكر هذا القس وغيره من النصارى وجعلتهم يتحوّلون إلى الإسلام، وهو الدين الوحيد الذي يبجّل المسيح عيسى -عليه السلام- ويضعه فوق كل هذه الخرافات، ويقول إنه رسول كريم، أدى رسالة ربّه على أكمل وجه، وعصمه الله عزّ وجلّ من كيد أعدائه، ورفعه إليه عزيزًا مكرّمًا!

موقف عجيب هو الذي دفع بطل قصتنا القس «بيشوي ملك» إلى الكفر بالعقيدة النصرانية، ولكن قبل ذكر هذا الموقف نشير إلى حقيقة أن قوانين الكنيسة تتيح لأي قس أو كاهن أن يأخذ معه قطعة من جسد المسيح (الإله) خارج الكنيسة إن كان لديه سبب وجيه.. بناءً على ذلك أخذ القس بيشوي معه ذات يوم قطعة من «جسد المسيح» من الكنيسة ووضعها في علبة بسيارته.. وفي لحظتها شعر بهيبة الموقف، إذ إن جزءًا من جسد الإله يقبع معه داخل سيارته! وانتابه شعور بهيبة الموقف وأن السيارة تكاد تنفجر من رهبة ما بداخلها.. بعد مرور يومين فتح العلبة بلهفة وشوق ليلقي نظرة على هذا الجزء العزيز من «جسد الإله» الذي بداخلها، ولكنه لاحظ أنه تصلّب نوعًا ما.. وفي اليوم الثالث فتح العلبة فإذا بجسد الإله يتعفّن وتتغيّر رائحته، فأخذه ورمى به في صندوق القمامة! هذه الحادثة أعادت إليه وعيه! كيف يتعفّن جسد الإله

ويُرمى به في المزبلة!

أثارت هذه الحادثة انتباهه بل جعلته يشعر بمدى خطورة اعتقاده في النصرانية وطقوسها التي لا تتسق مع المنطق!.. تساءل في حيرة : هل يعقل أن يتعفّن جسد الإله ويُرمى به في القمامة؟! توصل بعدها إلى قناعة تامة مفادها أن القداس لا علاقة له بالعقيدة النصرانية.. عندما شعر البابا شنودة أن القس بيشوي بدأ يفقد إيمانه بالعقيدة الأرثوذكسية، عقد له مجلس تأديب نتج من ذلك المجلس صدور قرار يقضي بوقفه عن العمل.. حصل بطل قصتنا على شهادة من البطريركية القبطية الأرثوذكسية بالقاهرة تفيد بتركه الكهنوت ورجوعه إلى اسمه الحقيقي بشهادة الميلاد وهو «منير ملك داوود».

شعر البابا شنودة بأن هذا القس المتمرّد ينوي الانسلاخ كلية من عباءة النصرانية فقرر أن يهدّئ الأمر حتى لا تفقد الكنيسة أحد رجالها المؤهلين.. دخل البابا مع القس بيشوي في حوار ساخن استمر ذلك لست سنوات (من عام 2003 حتى عام 2008) لكن الحوار انتهى إلى فشل ذريع في إقناعه بالعدول عن رأيه.. وكان بيشوي طوال فترة الحوار يمارس شعائر الإسلام في السر، حيث اجتهد في تعليم نفسه بنفسه مستعينًا في ذلك بالمصحف المعلم.. وفي عام 2008 أشهر بطل قصتنا إسلامه رسميًّا، واختار لنفسه اسم «مؤمن إبراهيم داوود سليمان».

هنا نتوقف لنشير إلى دراسات سريّة في غاية الأهمية تسرّبت من الكنيسة المصرية عام 2009 تؤكد أن هناك العديد من الشباب النصارى من الجنسين، خاصة طلبة الجامعات المصرية، يتحولون إلى الإسلام يوميًّا، ولكنهم يكتمون أمر إسلامهم، ويؤدون شعائر دينهم الجديد سرًّا في الخفاء، خوفًا من بطش الأهل وجبروت الكنيسة. والإسلام لا يلزم الداخلين فيه بضرورة إشهار إسلامهم أمام أحد، ولا في المحاكم أو المؤسسات الدينية، ولا تغيير أسمائهم أو إثبات حقيقة إسلامهم في الأوراق الثبوتية.

في حوار أجراه معه موقع «قصة الإسلام»، وجه الشيخ مؤمن إبراهيم نصيحة للنصارى حيث طلب من كل نصراني أن يقرأ الإنجيل حتى يصل من خلاله إلى القرآن؛ إذ سيجد فيه العديد من المتناقضات التي ستهدم له العقيدة النصرانية أولًا، ثم عليه أن يبدأ في ترسيخ وبناء العقيدة الصحيحة ألا وهي عقيدة الإسلام.. ويقول الشيخ مؤمن إن السيِّد المسيح -عليه السلام- لم ينسب لنفسه صفة الألوهية ألبتة، بل نفاها عن نفسه تمامًا.. الواقع أن الكنيسة تسلب النصراني حق التفكير واستخدام العقل.. على سبيل المثال عندما يَسأل أيّ شخص عن كيفية ولادة المسيح وكيف يعيش في رحم امرأة وهو الله؟ يتم الرد عليه من قبل الكنيسة بأن هذه إيمانيات يجب عليه عدم التفكير فيها، وهذا أمر يؤدي إلى طمس الحقيقة عن أي شخص مستنير.

ويستمر الشيخ مؤمن إبراهيم في نصحه للنصارى بأن يقرؤوا الأناجيل التي هي كفيلة بأن تصل بهم إلى القرآن.. كما نصحهم بأن ينتبهوا أثناء قراءتهم الأناجيل إلى أقوال المسيح وما قيل عن المسيح.. إذ إن كل ما قاله المسيح عن نفسه ينفي أنه إله.. وعليه فإن كل الذين قالوا إن المسيح إله أهانوه، وكل الذين قالوا إنه رسول أكرموه.. ويشير الشيخ مؤمن إلى مقارنة باهرة بين الإسلام والنصرانية في نهاية السيد المسيح حيث يقول: إن الإسلام كرّم المسيح بأن جعله رسولًا وجعل له خاتمة مشرّفة لم يبلغها أحد غيره من البشر، وهي صعوده إلى السماء، بينما النصارى الذين صنعوا منه إلهًا جعلوه يموت على الصليب ذليلًا مهانًا.

ويقول الشيخ مؤمن إبراهيم إن الجميع يتهمونه بأنه باع المسيح على الرغم من أنه من أكثر الناس الذين اشتروه؛ لأن من يبيع المسيح هو من يضعه في غير موضعه الحقيقي، أي يضعه على كرسي الألوهية بدلًا من كرسي الرسل الذي وضعه فيه الإسلام.

على امتداد التاريخ، ما من نصراني يفكّر في استخدام عقله والانعتاق من ضلالات النصرانية، إلا ويدفع الثمن.. قد يكون هذا الثمن ماديًّا أو أدبيًّا أو كليهما، وقد يزيد أو ينقص ولكن لا بدّ من ثمن.. بالنسبة إلى بطل قصتنا فقد كان الثمن باهظًا لأنه فقد كل شيء! فقد مصدر رزقه وراتبه المغري الذي كانت تغدق به الكنيسة عليه، وفقد أهله وأولاده، وقبل ذلك فقد زوجته التي رفعت عليه قضية خلع فخلعته وتزوجت من نصراني وأخذت معها أولادها. وفي تعليقه على ذلك يقول الشيخ مؤمن إبراهيم: «أنا الآن أشعر بأنه لا ينقصني شيء، على الرغم من أنه ينقصني كل شيء»!

هجر الشيخ مؤمن النصرانية ومعتقداتها الفاسدة، ولكنه أصبح وحيدًا لا يدري ماذا يفعل! ولم يطل به التفكير كثيرًا حتى قيّض الله له أحد رجال الدين الإسلامي من مدينة الإسكندرية فلفت نظره إلى ملاحظة جوهرية دقيقة فقال له: «إن أي نصراني يعلن إسلامه يظل في وظيفته كما هي»!! عجيب! كيف يستقيم ذلك! المهندس يظل مهندسًا، والطبيب يظل طبيبًا، والكاهن أو القسيس يظل شيخًا وداعية في الإسلام؛ ومنذ تلك اللحظة سلك الشيخ مؤمن إبراهيم طريق الدعوة إلى الله وإلى دين الإسلام، فأسلم على يديه كثير من النصارى.

العجيب في قصة الداعية الإسلامي الشيخ مؤمن إبراهيم أنه يتبع في دعوته نهج الهدم لا البناء! وهذا النهج الدعوي فعّال جدًّا ولا يجيده إلا من كان متبحّرًا في العقيدة النصرانية ومارس طقوسها.. وبذلك وجّه دعوته نحو هدم العقيدة النصرانية من أركانها لأنه الخبير المتمرّس الملمّ بأسرارها ومداخلها ومخارجها، فضلًا عن إتقانه لأسلوب الهدم.. لقد استفاد كثيرًا من علاقاته الجيدة التي لا تزال تربطه بالعديد من الأقباط، حيث أصبح يحدثهم عن العقيدة النصرانية ويفند لهم بطلانها.

وللشيخ مؤمن إبراهيم العديد من المعاول التي يستخدمها في هدم العقيدة النصرانية الباطلة، وتعد صفحته الرسمية على الفيسبوك الصفحة الأكثر نشاطًا في تفنيد مبادئ العقيدة النصرانية، وبها حقائق نادرة وتجارب عملية في غاية الأهمية مثلت مصدرًا غنيًّا لكل من يريد أن يعرف حقيقة النصرانية، حيث يثبت لهم أن كتبة الأناجيل الأربعة، وهي أصح كتب الديانة النصرانية، مجهولون لا يعرفهم أحد، ويفضح تحريفات الكتاب المقدس بالأدلة الملموسة والبراهين الساطعة، وكيف أصبح هذا الكتاب عجينة في أيدي رجال الكنيسة يحوّرونه ويفسّرونه بما يلبي رغباتهم، وهذا ما تؤكده الموسوعة الكاثوليكية التي تعترف بتحريف الكتاب المقدس فتقول: «لم تصلنا نسخة أصلية من الكتاب المقدس وكل ما وصل إلينا محرّف، وأن الله لم يشأ أن يعتني بهذا الكتاب.. ويوجد أكثر من 150,000 اختلاف بين المخطوطات القديمة للعهد الجديد، ما يثبت أن الكتاب المقدس ليس الوسيلة الوحيدة أو الأساسية للوحي». هذا هو كلام الموسوعة الكاثوليكية من دون أي تصرّف! ولا تعليق عليه!!

من خلال صفحته الرسمية على الفيسبوك يفند الشيخ مؤمن إبراهيم ضلالات النصارى، ويشير إلى ورطة النصارى بقولهم إن المسيح هو الله وله ناسوت ولاهوت! فإذا قلت لهم لماذا مات المسيح يقولون لك مات الناسوت وبقي اللاهوت ولم يمت! وهذا فصل واضح للناسوت عن اللاهوت بعد التجسد المكذوب! فلو كان متّحدًا اللاهوت بالناسوت لأصبح يشاركه في أي صفة وأي فعل لأنه لا يمكن أن ينفصل عنه في الذات ولا في الصفات فلماذا انفصلت الصفات هنا؟ فصار هذا يموت وهذا لا يموت؟! كيف تبرّر الكنيسة هذا الانفصال في الأعمال حيث لا يمكن أن تنفصل أعمال شيئين متحدين وصفاتهما إلا إذا انفصلت ذواتهما انفصالًا حقيقيًّا؟! انظر كيف يتناقضون مع اعتقادهم أن اللاهوت لا ينفصل عن الناسوت أبدًا. ثم إذا كان اللاهوت يدير الكون والناسوت لا يديره أثناء الموت فهذا إثبات أن المسيح ليس إلهًا لأنه ناقص وفيه جزء إلهي وجزء إنساني عاجز عن أفعال الألوهية وعاجز عن إدارة الكون في وقت ما وهذا يعني أنه لا يصلح أن يسمّى إلهًا. وهكذا فإن الديانة النصرانية التي حرفتها الكنيسة تحمل عوامل هدمها داخلها فقط يحتاج الأمر إلى النصراني المستنير الذي يحسن إعمال العقل واستخدام القلب.

يعود الشيخ مؤمن إبراهيم بذاكرته فيقول: عندما كنت كاهنًا بالكنيسة القبطية الأرثوذكسية، وجدت أنه لا يوجد كاهن من زملائي القساوسة وإلا ولديه شك في أن المسيح هو الله، وعندما كنا نجلس سويًّا في جلسة مودّة نخرج فيها من الطقوس وننسى الكهنوت كزملاء دراسة كنت أقول لهم مازحًا (لو طلع المسيح مش إله!!) فما كنت أرى منهم إلا الضحك والانبساط، لكنني أشعر من دواخلي أنهم متأكدون من عدم ألوهية المسيح، وكثيرًا ما كنت أسمع بهذه الشكوك من اعترافات الشباب والشابات، ولكني كنت أخفي ذلك عن الناس.

من أقوال الشيخ مؤمن إبراهيم: مشكلة النصارى أنهم لا يقرؤون كتابهم المقدّس! وكل من

يقرأ هذا الكتاب بحياد وتجرّد ورغبة في معرفة الحق سوف يعرف أن دين النصرانية باطل.. عجبت لمن يعبد مخلوقًا مثله خرج من أنثى مخلوقة، ثم يجادل بالباطل في الإسلام دين التوحيد ويرميه بالشبهات! عجبت لمن يقولون إن إلههم مات ثم يبشرون بموته ولا يخجلون! وعجبت لمن يقولون إن اليهود صلبوه ولا يخجلون من أنفسهم أنهم عبدوه فإذا كان إلهًا فكيف يُصلب؟! عجبت لمن يرفض إمكانية دخول الفيل داخل زجاجة ويسخر من ذلك، ولكنه في المقابل يؤمن بدخول الله العظيم في رحم امرأة ضعيفة! وتلد هذه المرأة إنسانًا يجعلونه إلهًا ويعبدونه مع الله! وكم كنت أستغرب حينما عدت إلى الذكريات حينما كنا نحتفل بميلاد يسوع فلماذا لم أفكر حينها أننا نحتفل بميلاد إله وليس إنسانًا؟!

نختتم هذه القصة بتصريحات للشيخ مؤمن إبراهيم يقول فيها: اخترت الإسلام لأنه الدين الوحيد الذي يجعلك تعبد الله وحده، وعقيدته واضحة، وتوحيد الله في الإسلام يعني أن الله واحد لا شريك له ومن دون أي تفسيرات ملتوية، على عكس النصرانية وابتداعها عقيدة الثالوث المنافية للتوحيد.. ويؤكد أن الإنجيل هو سبب إسلامه، لأنه لا يوجد في أي من الأناجيل أو الكتاب المقدس أي نص يقول فيه المسيح أنا إله أو أنا الله أو أنا اللاهوت! ولم ترد كلمة ثالوث على لسان المسيح أبدًا، فكيف يهمل هذا الثالوث إن كان له أصل في العقيدة النصرانية؟! الكنيسة فقط هي التي تقول ذلك! وبعد أن أسلمت أصبحت أشعر كأني كنت في سجن فشرح الله صدري وأخرجني من الضيق ونلت خلاصي وحريتي وسعادتي الحقيقية، وأصبحت إنساناً قويًّا يعبد إلهًا قويًّا، بعد أن كنت أشعر بأني إنسان ضعيف يعبد إلهًا ضعيفًا مهانًا...

فسبحان من بيده الهدى والإيمان..

جعل الإنجيل سببًا في دخول الإسلام!!..

إنها آيات ربانية.. للإله الحق.. لا من يؤكل جسده ويُشرَب دمه!!

فهل تنتظر أبلغ من هذه الآيات لتؤمن بهذا الإله العظيم؟!

احفظ نفسك وعقلك وروحك.. آمن بمن خلقك وسوّاك فعدلك..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (112) - (113)

القدوة الحسنة

عندما تنتمي إلى قوي.. لا يضيرك ضعفك الشخصي.. سيحميك الانتماء..

هكذا المسلم الحق دائمًا.. قوته مستمدة من قوة الله.. لا من ذاته الضعيفة!!

المتباهون بقوتهم الدنيوية الزائفة من غير المسلمين يرونه ضئيلًا سهلًا..

المفاجأة.. «ما هذا لقد هزمنا!!» إنه لسان حالهم..

وما أسعدها من هزيمة.. هزيمة هي النصر المبين بعينه..

هزيمة تُدخلهم إلى السعادة الخالدة من أوسع أبوابها..

تُدخلهم الإسلام.. تنير قلوبهم.. تسقي أرواحهم فتحيا.. كما الماء للزرع المشرف على الموت عطشًا..

هذا ما كان مع بطل قصتنا.. ولد لعائلة شديدة الالتزام بالنصرانية.. بنى آباؤه وأجداده الكنائس والمدارس ووهبوا أنفسهم لخدمة النصرانية.. درس دين قومه حتى صار قسيسًا وداعية له.. أرضعه قومه منذ طفولته الكره للإسلام والمسلمين.. حاول مع أربعة من علماء ودعاة النصارى إدخال مسلم بسيط في النصرانية.. لم يشفع لهم علمهم الغزير إذ انتصر عليهم الأخير وهو من عامة الناس وأدخلهم الإسلام.. نعم اعتنق بطل قصتنا الإسلام بعد أن أقنعه به مسلم بسيط وهو النصراني الحاصل على شهادة الدكتوراه في العلوم اللاهوتية النصرانية.. إنه القس الأمريكي والمبشر والواعظ والمنصر السابق الدكتور جوزيف إدوارد إستس.

ولد في الولايات المتحدة ونشأ في أسرة مسيحية بروتستانتية وأصبح واعظًا.. حصل على شهادة الماجستير في الفنون، وشهادة الدكتوراه في علم اللاهوت.. كان مجتهدًا في البحث في الديانة المسيحية، كما درس الهندوسية واليهودية والبوذية.

يحدثنا يوسف عن قصة إسلامه فيقول: ولدت في الغرب الأوسط لأمريكا.. حظيت بعائلة متدينة شديدة الالتزام بالنصرانية وهب أسلافها أنفسهم لخدمة دينهم بالغالي والنفيس.. اكتشافي لجهلي بديني دفعني إلى الالتحاق بالدراسة اللاهوتية.. أمطرت من حولي بسيل من التساؤلات الملحاحة بيد أنني لم أحظ بالأجوبة الشافية لهذه التساؤلات.. درست النصرانية حتى صرت قسيسًا وداعيًا من دعاتها كما هو حال والدي.. إلى جانب خدمتنا المباشرة للكنيسة كنا نوظف عملنا بالتجارة في الأنظمة الموسيقية لذات الغرض.. إذ كنا نعمل على بيعها للكنائس.. كنت

أكره الإسلام والمسلمين حيث ملأ قومي رأسي منذ نعومة أظفاري بأن المسلمين أناس وثنيون لا يؤمنون بالله ويعبدون صندوقًا أسود في الصحراء كما وصفوهم لي بأنهم همجيون وإرهابيون يقتلون كل من يخالف معتقدهم.

كانت لدينا الكثير من المشاريع التجارية الناجحة التي درّت علينا أرباحًا بلغت ملايين الدولارات.. ولكن برغم الحياة الرغدة التي كنت أعيشها لم أجد راحة البال؛ لأنها هدف يستحيل تحقيقه إلا بمعرفة الحقيقة وإيجاد الطريق الصحيح للخلاص، وهي غاية في سبيل الوصول إليها درست الهندوسية واليهودية والبوذية بيد أنني فشلت في تحقيقها.

كنت عدوًّا لدودًا للإسلام، أعمل على تنفير الناس منه بقدر حرصي على نشر النصرانية. وفي عام 1991 طلب مني والدي مقابلة رجل أعمال مصري بدأ معه عملًا تجاريًّا.. لكن عندما علمت من والدي أن الرجل مسلم رفضت في البدء مقابلته بدعوى الهمجية التي سمعناها عن المسلمين.. أخيرًا وافقت على لقائه عندما طمأنني والدي بأنه شخص مسالم لطيف.

وأنا في طريقي للقاء المسلم المصري لبست قبعة عليها صليب ولبست عقدًا فيه صليب وعلّقت صليبًا كبيرًا في حزامي، وأمسكت بنسخة من الإنجيل.. على الرغم من تدرُّعي بالصلبان والإنجيل شعرت بالارتباك حينما رأيته!! لقد وجدت شكله على عكس تصوري له.. كنت أتوقع أن أجده رجلًا كبيرًا معقود الحواجب يلبس عباءة ويعتمر عمامة كبيرة على رأسه.. رحّب بنا وصافحنا في بشر وإن لم تفلح مقابلته الطيبة لنا في إزالة صورة المسلمين السلبية التي ظلت تعشعش في ذهني.. في بداية اللقاء بدأت أنتقد له الإسلام والمسلمين كما أعرفهم من خلال الصورة الذهنية التي كنت أمتلكها، لكنه هزمني بأن امتص حماسي واندفاعي بهدوئه الشديد.

بادرته بالسؤال: هل تؤمن بالله؟

قال: نعم.. ثم قلت هل تؤمن بإبراهيم وبالكيفية التي ضحى بها بابنه لله؟

قال: نعم..

طمأنت نفسي بأن الأمر سيكون أسهل مما توقعت.. وعقب ذلك ذهبنا لتناول الشاي في محل صغير، تحدثنا لساعات عن المعتقدات.. وكنت أمسك بدفة الحديث طوال الوقت.. وجدته في غاية اللطافة والحياء.. كان يستمع لي بانتباه دون أن يقاطعني فاحترمت فيه ذلك.

في أحد الأيام قدّر لصديقنا محمد عبد الرحمن المصري أن يترك المنزل الذي يعيش فيه.. هيأ نفسه للعيش في المسجد بصورة مؤقتة حتى تحل مشكلته.. تحدثت مع أبي عن إمكانية أن يسكن معنا محمد في بيتنا الكبير.. استجاب والدي لاقتراحي ودعاه للإقامة عندنا في المنزل.. كنا نعيش بالمنزل أنا وزوجتي ووالدي.. وإلى جانب المصري استضفنا كذلك قسيسًا آخر فصرنا خمسة:

أربعة من علماء ودعاة النصارى مع اختلاف مذاهبهم -ما بين مذهب كاثوليكي وآخر بروتستانتي وثالث متعصب له جانب من الصهيونية تتبعه زوجتي- مقابل مسلم مصري عامي.. واستضفنا لاحقًا قسيسًا من المنصرين في ولاية تكساس.

إستس ووالده من المذهب البروتستانتي النصراني ومعهم قسيس كاثوليكي المذهب وزوجة إستس التي كانت من مذهب متعصب له جانب من الصهيونية.. والد إستس قرأ الإنجيل منذ صغره وصار داعيًا ذا منصب معترف به في الكنيسة، والقسيس الكاثوليكي له خبرة 12 عامًا في دعوته في القارتين الأمريكيتين، وزوجة إستس كانت تتبع مذهب الإنجيليين الجدد الذي له ميول صهيونية، وإستس نفسه درس الإنجيل والمذاهب النصرانية واختار بعضًا منها وانتهى من حصوله على شهادة الدكتوراه في العلوم اللاهوتية.. كل هؤلاء يقابلهم مسلم واحد فقط من عامة الناس ليس له حظ وافر لا في التعليم الديني ولا الدنيوي.

يقول يوسف إستس: كنا بعد العشاء نتجمع حول المائدة في كل ليلة لمناقشة الديانة، وكان بيد كل منا نسخة إنجيل تختلف عن تلك التي يمتلكها الآخر.. كان صديقنا محمد يتعجب من اختلاف أناجيلنا بينما كنا نحن نقضي معظم الوقت في تحديد النسخة الأكثر صحة من هذه الأناجيل المختلفة، هذا بالطبع مع تركيز جهودنا لتنصير صديقنا المصري.

كان مع والد إستس نسخة الملك جيمس من الكتاب المقدّس، وكانت معه هو نسخة الريفازد إيديشن التي تقول: إن في نسخة الملك جيمس الكثير من الأغلاط!! حيث إن النصارى لما رؤوا كثرة الأخطاء في نسخة الملك جيمس اضطروا إلى كتابته من جديد وتصحيح ما رأوه من أغلاط كبيرة! أما النسخة الثالثة من الإنجيل فقد كانت مع زوجة إستس وهي نسخة القسيس المعاصر جيمي سواقرت! والعجيب أن جيمي سواقرت عندما ناظره الشيخ أحمد ديدات أمام الناس قال: أنا لست عالمًا بالإنجيل!! فكيف إذًا يكتب إنجيلًا كاملًا بنفسه وهو ليس عالمًا بالإنجيل ويدّعي أنه من عند الله!! أما القسيس الكاثوليكي فكان معه نسخة أخرى لمذهبه فيها 73 سفرًا، أما الإنجيل في المذهب البروتستانتي ففيه 66 سفرًا، وكل الأناجيل مختلفة وفي داخلها اختلافات وتناقضات أكثر!

فمع أنه كان يدعو إلى النصرانية ومذهبه 12 سنة، لم يكن القسيس الكاثوليكي يعتقد جازمًا أنه يدعو إلى العقيدة الصحيحة، أما والد إستس فقد كان يعتقد أن الكتاب المقدس كتبه الناس وليس وحيًا من عند الله، ولكنهم كتبوه وظنوه وحيًا، بينما تعتقد زوجة إستس أن في إنجيلها أخطاء كثيرة، لكنها كانت ترى أن الأصل فيه أنه من عند الإله، أما بالنسبة إلى بطل هذه القصة فقد كانت هناك أمور كثيرة في الكتاب المقدس لم يصدقها لأنه كان يرى التناقضات الكثيرة والواضحة فيه، منها مسألة التثليث التي لم يستطع إستس الاقتناع بها.

يقول يوسف إستس: كنا جميعنا -أنا وأبي وزوجتي والقسيسين الآخرين- ننتقد بحدة التناقضات الكثيرة التي تزخر بها أناجيلنا المختلفة.. أما أنا عن نفسي فقد كانت لدي الكثير من الأمور غير المقنعة في الإنجيل، من تلك الأمور التي كنت أسأل عنها نفسي وغيري: كيف يمكن للرب أن يكون واحدًا وثلاثة في الوقت ذاته؟! سألت ذات السؤال لقساوسة مشهورين على مستوى العالم بيد أنهم أجابوني بأجوبة سخيفة وساذجة لا يصدقها عاقل.. قلت لهم في استنكار: كيف يمكنني أن أكون داعية للنصرانية وأعلّم الناس أمورًا وأنا لست مقتنعًا بها؟

يقول يوسف إستس: في هذا الجانب سألت محمد المصري كم نسخة مختلفة من القرآن عندكم؟ فقال: ليس لدينا إلا نسخة واحدة فقط، والقرآن موجود كما أنزل بلغته العربية منذ أكثر من 1400 سنة لم يتغير أبدًا. فكان هذا الجواب كالصاعقة!! ثم قال لي: لو بحثت على مدى قرون لوجدت أن الملايين من المسلمين قد حفظوا القرآن تمامًا وعلّموه لمن جاء بعدهم من الأبناء والأحفاد. وما أثار إعجابي بمحمد المصري حقيقة أنه لم يتعرض لنا بالتجريح أو التهجم ولم يفعل ذلك بمعتقداتنا أو أناجيلنا ما جعل الجميع يشعرون بالراحة لحديثه.

عندما تطرقنا لمسألة التثليث.. سألنا صديقنا المصري: ما هو اعتقادكم في الرب كمسلمين.. أجابنا بقوله: (**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ؛ اللَّهُ الصَّمَدُ؛ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ؛ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ**)، تلا هذه الآيات ثم ترجم لنا معانيها.. أثرت فينا كلماتها بقوة وحسمت لنا أمر التناقضات التي كانت تزخر بها أناجيلنا المحرّفة.. خمس عشرة كلمة فقط ولكنها تنسف العقيدة النصرانية كلها!!

عندما أردت دعوته للنصرانية قال لي بكل هدوء: لو أثبتَّ لي أن النصرانية أحقُّ من الإسلام بالاتباع لاتبعتها.. قلت له اتفقنا.. حينذاك التفت إليّ وسألني: أين الأدلة التي تثبت أفضلية دينكم وأحقيته.. أجبته بأننا لا نؤمن بالأدلة، وإنما نعتمد في تديّننا على الإحساس والمشاعر.. ردّ عليّ بأن ذلك ليس كافيًا ثم أضاف قائلًا: إن الإسلام يزخر بالأدلة والأحاسيس والمعجزات التي تثبت أنه الدين الحق.. ومن أول هذه الأدلة القرآن الكريم الذي لم يطرأ عليه أي تغيير أو تحريف منذ نزوله قبل عشرات القرون، والذي يحفظه ملايين المسلمين.

عقب ذلك النقاش ولمدة ثلاثة أشهر مستمرة ظللت أبحث عن الأدلة التي تثبت لي أن الإسلام هو الدين الصحيح.. لقد وجدت الكثير من الأدلة التي ظللت أبحث عنها والتي من بينها حقيقة أن الأديان السماوية كلها لم تختلف حول ذات الله سبحانه وتعالى، إذ تدعو جميعها إلى العقيدة الثابتة بأنه لا إله إلا الله بما فيها الدين المسيحي قبل أن يتم تحريفه، كما وجدت أن الإسلام هو خاتم الرسالات السماوية، فضلًا عن أن الله سبحانه وتعالى تحدّى الكفار بالقرآن الكريم أن يأتوا بمثله أو بآية من مثله فعجزوا عن ذلك.. أيضًا من المعجزات التي رأيتها والتي تثبت أن الدين عند الله الإسلام التنبؤات المستقبلية الكثيرة التي تنبأ بها القرآن الكريم فحدثت مثل انتصار

الروم على الفرس.. أيضًا من المعجزات التي تركت في نفسي أثرًا عظيمًا مراحل تكوين الجنين، التي ذكرها الله في القرآن الكريم والتي لم يصل لها علماء الأجنة إلا في العصر الحديث.

وأضاف يوسف وهو يتحدث عن صديقه محمد في إعجاب قائلًا: إن مثل هذا الرجل ينقصه جناحان حتى يصبح من الملائكة، وذلك لحسن أخلاقه.. وفي أحد الأيام طلب صديقي القسيس من محمد أن نذهب معه إلى المسجد، لنتعرّف أكثر إلى عبادة المسلمين وصلاتهم.. وعندما ذهبنا إلى المسجد رأينا المصلين يأتون إلى المسجد يصلون ثم يغادرون.. سألته قائلًا: غادروا؟ دون أي خطب أو غناء؟ قال: نعم.

وبعد مرور عدة أيام طلب القسيس من محمد أن يرافقه إلى المسجد مرة ثانية.. تأخر الاثنان.. وعندما حلّ الظلام شعرنا بالقلق.. أخيرًا رنّ جرس الباب وعندما فتحته عرفت محمدًا على الفور.. سألته من هذا الذي يلبس ثوبًا أبيض وقلنسوة؟ اندهشت عندما علمت أنه صاحبي القسيس!! قلت له: هل اعتنقت الإسلام؟ أجابني قائلًا: نعم.. ذهلت وتساءلت في نفسي: كيف سبقني هذا إلى الإسلام؟ ذهبت إلى أعلى.. فكرت قليلًا وتحدثت مع زوجتي عن موضوع إسلام القس.. قالت لي: لا أظن أن علاقتي معك ستستمر طويلًا.

قلت لها : لماذا؟ هل تظنين أنني سأعتنق الإسلام؟

قالت لي: لا.. بل لأنني أنا التي سوف تسلم!

قلت لها: وأنا أيضًا في الحقيقة أريد أن أسلم!

قال يوسف: خرجت من باب البيت.. استقبلت القبلة ثم خررت على الأرض ساجدًا وقلت: يا رب.. اهدني.. وشعرت مباشرة بانشراح صدري للإسلام.. ثم دخلت البيت.. وأعلنت إسلامي.

إن إسلامنا جميعًا كان بفضل الله عزّ وجلّ ثم بالقدوة الحسنة في ذلك المسلم الذي كان حسن الدعوة وكان قبل ذلك حسن التعامل، وكما يقال عندنا: لا تقل لي.. ولكن أرني.

ذهبت إلى أسفل.. أيقظت محمدًا، وطلبت منه أن يأتي ليناقش الأمر معي.. تحدثنا في الأمر حتى حان وقت صلاة الفجر.. وحينما أذن الفجر استلقيت على لوح خشبي ووضعت رأسي على الأرض، وسألت الله تعالى أن يرشدني إلى طريق الحق. وفي الحادية عشرة ظهرًا وقفت بين شاهدين: القسيس السابق ومحمد المصري، لأنطق بالشهادتين.. بعد لحظات قلائل أعلنت زوجتي إسلامها.. أما أبي فقد تطلّب الأمر معه شهورًا حتى نطق بالشهادتين..

دخل بطل قصتنا الإسلام ودخل معه الإسلام دفعة واحدة ثلاثة زعماء دينيين من ثلاث

طوائف مختلفة بفضل الله تعالى ثم بالقدوة الحسنة المتمثلة في ذلك المصري البسيط الذي دعا إلى سبيل ربه بالموعظة الحسنة وجادل بالتي هي أحسن ومن قبل ذلك بالفطرة السليمة لأربعتهم والتي أظهرها الله تعالى على حقيقتها بعد أن سخَّر لها من أزال عنها دنس المادِّيات وأرجاسها.

كان إسلام الشيخ يوسف إستس وأسرته عام 1991، وبعدها كان يحرص على إحضار أبيه الطاعن في السن المُقعد على الكرسي المتحرك إلى الصلاة في المسجد بنفسه ويضعه في الصف ليحضر صلاة الجماعة (مشهد مؤثر جدًّا مع كونهما داعيين للنصرانية سابقًا).

هذا هو يوسف إستس الداعية الإسلامي المعروف والمحبوب أيضًا، الذي يمضي أغلب وقته في عرض الصورة النقية المضيئة لأسرع الديانات انتشارًا في العالم، والدعوة إلى الله وتعليم الناس وإرشادهم إلى دين الحق، وتقديم المحاضرات في الجامعات والهيئات والمؤتمرات العامة لجميع الملل، مستخدمًا في ذلك أسلوبًا شائقًا يجمع بين الجدية والمرح عند إجاباته عن كثير من الهجمات الحادة على الإسلام والمسلمين، حيث تعد محاضرته «اعتناق القساوسة للإسلام» التي يحكي فيها قصته من أجمل محاضراته فعند سماعها يضحك المرء ويبكي في آن واحد.. ولا يكاد يمر أسبوع إلا ويسلم على يديه عشرات الأشخاص، وقد أسلم على يديه حتى الآن الآلاف من الناس، حتى أنه لم يعد يتذكر عددهم لكثرتهم.. وفي إحدى محاضراته في ألمانيا أسلم مرّة واحدة جميع من في القاعة وعددهم ألف ومئتان وخمسون شخصًا، وتم تلقينهم شهادة الإسلام جماعيًّا.

سبحان الله!! أتدرون في أي ميزان حسنات يصب إسلام هذه الآلاف؟! إنه ميزان حسنات الرجل المصري البسيط.. ولا ينقص من ميزان إستس شيئًا!! الرجل البسيط الذي هزم القساوسة.. لا بقدرته.. ولكن بفضل الله.. انتمى إلى القوي.. فحماه ونصره برغم ضعفه!

كونوا معه سبحانه تفوزون بالدنيا والآخرة..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (32) - (67) - (77) - (78) - (90) - (121)

القرآن يقرؤني

آسر هو القرآن الكريم..

يملك القلوب.. يأخذ بتلابيب النفوس.

لا تملك معه سوى الاستسلام..

يوقفك بمفردك أمام خالقك..

يخاطب تساؤلاتك.. ويجيب عنها ببساطة فتنفذ إلى قلبك..

تمسك بالمصحف لتقرأ القرآن الكريم.. فإذا به يسبقك ويقرؤك!!

هكذا هم من دعاهم الله إلى الهدى..

يرسل إليهم الإشارات.. أصغر الإشارات..

العبرة بالقلب المستقبل لهذه الإشارات.. ولو كانت رؤيا منامية..

كما حدث مع بطل قصتنا.. لقد رأى نفسه في غرفة تخلو من الأثاث باستثناء سجادة حمراء مفروشة على أرضها.. جدرانها رمادية اللون تفتقر إلى أي نوع من الزينة.. الضوء يتسلل إليها عبر نافذة صغيرة.. كان يقف هو في الصف الثالث مع آخرين غريبين عنه ضمّته معهم صفوف متراصّة في انتظام بديع.. كان السكون يخيّم على المكان بصورة هادئة أكسبته هالة من الجلال.. رأى الجميع -وهو معهم- ينحنون في انتظام حتى تلامس جباههم الأرض.. أرسل بصره إلى ما بعد الصف الأوّل تحديدًا في الاتجاه الذي تشع منه النافذة بالضياء.. رأى رجلًا يرتدي الأبيض من الثياب يؤمّ الجميع! استيقظ من نومه في وجل تظلّله الرهبة ويحفّه الغموض!

ما سبق ذكره هو حلم عجيب رآه أستاذ علم الرياضيات الأمريكي، البروفيسور جفري لانج! بل رؤيا ظلت تتكرّر عليه لمرات عدّة خلال السنوات العشر التي سبقت إسلامه، وكان يستيقظ على إثرها منشرح الصدر ومرتاح البال. ظلّت أحداث هذه الرؤيا تتحوّل إلى واقع حقيقي يعيشه بطل هذه القصّة وهو لا يشعر بذلك حتى اكتملت حلقاتها تمامًا فرآها دفعة واحدة عيانًا بيانًا ماثلة أمام ناظريه.. أما كيف تجمّعت حلقات هذه الرؤيا، وكيف رآها فهذا ما سنعرفه من خلال هذه القصة الباهرة المؤثرة.

ما بين لحظات روحانية غامرة وأفكار فلسفية عميقة، يروي لنا البروفيسور جفري لانج،

كيفية اعتناقه للدين الإسلامي، وذلك في كتاب صدر له مؤخرًا بعنوان «حتى الملائكة تسأل»، ومن قبله كتاب آخر بعنوان «الصراع من أجل الإيمان».

يحدثنا البروفيسور لانج عن اللحظات الحرجة التي سبقت إسلامه: في جامعة سان فرانسيسكو تعرّفت إلى طالب عربي كنت أُدرِّسُهُ، فتوثقت علاقتي به، وأهداني نسخة من كتاب لمعاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية، فلما قرأته لأوّل مرة شعرت كأن القرآن هو الذي «يقرؤني»!.

لقد أسرني القرآن بقوة، وتملّك قلبي، وجعلني أستسلم لله.. والقرآن يدفع قارئه إلى اللحظة القصوى، حيث يتبدّى للقارئ أنه يقف بمفرده أمام خالقه.. وإذا ما اتخذت القرآن بجديّة فإنه لا يمكنك قراءته ببساطة، فهو يجادلك، وينتقدك ويُخجلك ويتحداك! لقد بدا لي واضحًا أن مُنزل القرآن كان يعرفني أكثر مما أعرف نفسي! لقد كان القرآن يسبقني دومًا في تفكيري، وكان يخاطب تساؤلاتي.. لقد قابلت نفسي وجهًا لوجه في صفحات القرآن!

وفي يوم عزمت على زيارة ذلك الطالب في مسجد الجامعة، فهبطت الدرج ووقفت أمام باب المسجد متهيبًا الدخول، فصعدت وأخذت نفسًا طويلًا، وهبطت ثانية! ولم تكن رجلاي قادرتين على حملي! مددت يدي إلى قبضة الباب فبدأت ترتجف، ثم هرعت إلى أعلى الدرج ثانية!

لقد شعرت بالهزيمة، وفكرت بالعودة إلى مكتبي! مرّت ثوانٍ عدّة كانت عصيبة اضطرتني إلى أن أنظر خلالها إلى السماء! لقد مرّت عليّ عشر سنوات وأنا أقاوم الدعاء والنظر إلى السماء! أما الآن فقد انهارت المقاومة وارتفع الدعاء: «اللهم إن كنت تريد لي دخول المسجد فامنحني القوة».

نزلت الدرج.. دفعت باب المسجد، وكان في الداخل شابان يتحادثان.. ردّا التحية، وسألني أحدهما: هل تريد أن تعرف شيئًا عن الإسلام؟ أجبت: نعم، نعم!! وبعد حوار طويل أبديت رغبتي في اعتناق الإسلام فقال لي الإمام: قل أشهد، قلت: أشهد، قال: أن لا إله، قلت: أن لا إله، قال: إلا الله، ردّدتها، قال: وأشهد أن محمدًا رسول الله، نطقتها بعده.

لقد كانت هذه الكلمات كقطرات الماء الصافي تنحدر في الحلق المحترق لرجل قارب الموت من الظمأ.. لن أنسى أبدًا اللحظة التي نطقت بها بالشهادة لأول مرة، لقد كانت بالنسبة إليّ اللحظة الأصعب في حياتي كلها، ولكنها الأكثر قوة وتحررًا.

يقول البروفيسور جفري لانج: في اليوم الذي اعتنقت فيه الإسلام، قدم إليّ إمام المسجد كتيبًا يشرح كيفية أداء الصلاة. وفي تلك الليلة، أمضيت وقتًا طويلًا جالسًا على الأريكة في غرفتي الصغيرة بإضاءتها الخافتة، حيث كنت أدرس حركات الصلاة وأكررها، وكذلك الآيات القرآنية التي سأتلوها، والأدعية الواجب قراءتها في الصلاة. وبما أن معظم ما كنت سأتلوه كان باللغة

العربية، فقد لزمني حفظ النصوص بلفظها العربي، وبمعانيها باللغة الإنجليزية.

وتفحصت الكتيب ساعات عدة، قبل أن أجد في نفسي الثقة الكافية لتجربة الصلاة الأولى. وكان الوقت قد قارب منتصف الليل، لذلك قررت أن أصلي صلاة العشاء. ودخلت الحمام ووضعت الكتيب على طرف المغسلة مفتوحًا على الصفحة التي تشرح الوضوء. وتتبّعت التعليمات الواردة فيه خطوة خطوة، بتأنٍ ودقة، مثل طاهٍ يجرب وصفة لأوّل مرة في المطبخ. وعندما انتهيت من الوضوء، أغلقت الصنبور وعدت إلى الغرفة والماء يقطر من أطرافي. إذ تقول تعليمات الكتيب إنه من المستحب ألا يجفف المتوضئ نفسه بعد الوضوء.

ووقفت في منتصف الغرفة، متوجهًا إلى ما كنت أحسبه اتجاه القبلة. نظرت إلى الخلف لأتأكد من أنني أغلقت باب شقتي، ثم توجهت إلى الأمام، واعتدلت في وقفتي، وأخذت نفسًا عميقًا، ثم رفعت يدي، وبراحتين مفتوحتين ملامسًا شحمتي الأذنين بإبهامي.. ثم بعد ذلك قلت بصوت خافت (الله أكبر).. كنت آمل ألا يسمعني أحد.. فقد كنت أشعر بشيء من الانفعال. إذ لم أستطع التخلص من قلقي من كون أحد يتجسس عليّ! وفجأة أدركت أنني تركت الستائر مفتوحة! وتساءلت: ماذا لو رآني أحد الجيران؟!

تركت ما كنت فيه، وتوجهت إلى النافذة، ثم جلت بنظري في الخارج لأتأكد من عدم وجود أحد. وعندما رأيت الباحة الخلفية خالية، أحسست بالارتياح. فأغلقت الستائر، وعدت إلى منتصف الغرفة ومرة أخرى، توجهت إلى القبلة، واعتدلت في وقفتي، ورفعت يدي إلى أن لامس الإبهامان شحمتي أذني، ثم همست (الله أكبر).. وبصوت خافت لا يكاد يسمع، قرأت فاتحة الكتاب ببطء وتلعثم، ثم اتبعتها بسورة قصيرة باللغة العربية، وإن كنت أظن أن أي عربي لم يكن ليفهم شيئًا لو سمع تلاوتي تلك الليلة. ثم بعد ذلك تلفظت بالتكبير مرة أخرى بصوت خافت وانحنيت راكعًا حتى صار ظهري متعامدًا مع ساقي واضعًا كفي على ركبتي وشعرت بالإحراج، إذ لم أنحن لأحد في حياتي. ولذلك فقد سررت لأنني وحدي في الغرفة. وبينما كنت ما أزال راكعًا، كررت عبارة (سبحان ربي العظيم) مرات عدّة. ثم اعتدلت واقفًا وأنا أقول (سمع الله لمن حمده) ثم (ربنا ولك الحمد).. أحسست بقلبي يخفق بشدة، وتزايد انفعالي عندما كبّرت مرة أخرى بخضوع فقد حان وقت السجود.. وتجمدت في مكاني، بينما كنت أحدق في البقعة التي أمامي، حيث كان عليّ أن أهوي إليها على أطرافي الأربعة وأضع وجهي على الأرض!

لم أستطع أن أفعل ذلك! لم أستطع أن أنزل بنفسي إلى الأرض! لا أستطيع أن أذلّ نفسي بوضع أنفي على الأرض، شأن العبد الذي يتذلل أمام سيده! لقد خيّل لي أن ساقي مقيدتان لا تقدران على الانثناء! لقد أحسست بكثير من العار والخزي. وتخيلت ضحكات أصدقائي ومعارفي وقهقهاتهم، وهم يراقبونني وأنا أجعل من نفسي مغفلًا أمامهم، وتخيّلت كم سأكون مثيرًا للشفقة والسخرية

بينهم، وكدت أسمعهم يقولون (مسكين جفري لقد أصابه العرب بمسّ في سان فرانسيسكو، أليس كذلك؟).

وأخذت أدعو (أرجوك، أرجوك، أعنّي على هذا). أخذت نفسًا عميقًا، وأرغمت نفسي على النزول.. الآن صرت على أربعتي، ثم ترددت لحظات قليلة، وبعد ذلك ضغط وجهي على السجادة.. أفرغت ذهني من كل الأفكار، وتلفظت ثلاث مرات بعبارة (سبحان ربي الأعلى)، (الله أكبر) قلتها ورفعت من السجود جالسًا على عقبي وأبقيت ذهني فارغًا رافضًا السماح لأي شيء أن يصرف انتباهي.. (الله أكبر) ووضعت وجهي على الأرض مرة أخرى. وبينما كان أنفي يلامس الأرض، رحت أكرر عبارة (سبحان ربي الأعلى) بصورة آلية.. فقد كنت مصممًا على إنهاء هذا الأمر مهما كلّفني ذلك.. (الله أكبر) وانتصبت واقفًا، فيما قلت لنفسي: لا تزال هناك ثلاث جولات أمامي. وصارعت عواطفي وكبريائي في ما تبقى لي من الصلاة. ولكن الأمر صار أهون في كل ركعة. حتى أنني كنت في سكينة شبه كاملة في آخر سجدة. ثم قرأت التشهد في الجلوس الأخير، وأخيرًا سلّمت عن يميني وشمالي.

وبينما بلغ بي الإعياء مبلغه، بقيت جالسًا على الأرض، وأخذت أراجع المعركة التي مررت بها، لقد أحسست بالإحراج لأنني عاركت نفسي كل ذلك العراك في سبيل أداء الصلاة إلى آخرها. ودعوت برأس منخفض خجلًا: (اغفر لي تكبّري وغبائي، فقد أتيت من مكان بعيد ولا يزال أمامي سبيل طويل لأقطعه).

وفي تلك اللحظة، شعرت بشيء لم أجربه من قبل، ولذلك يصعب عليّ وصفه بالكلمات.. فقد اجتاحتني موجة لا أستطيع أن أصفها إلا بأنها كالبرودة، وبدا لي أنها تشع من نقطة ما في صدري. وكانت موجة عارمة فوجئت بها في البداية حتى أنني أذكر أنني كنت أرتعش. غير أنها كانت أكثر من مجرد شعور جسدي، فقد أثّرت في عواطفي بطريقة غريبة أيضًا.

لقد بدا كأن الرحمة قد تجسدت في صورة محسوسة وأخذت تغلفني وتتغلغل في جسدي... ثم بدأت بالبكاء من غير أن أعرف السبب، فقد أخذت الدموع تنهمر على وجهي، ووجدت نفسي أنتحب بشدة... وكلما زاد بكائي، ازداد إحساسي بأن قوة خارقة من اللطف والرحمة تحتضنني. ولم أكن أبكي بدافع من الشعور بالذنب، برغم أنه يجدر بي ذلك، ولا بدافع من الخزي أو السرور. لقد بدا كأن سدًّا قد انفتح مطلقًا عنان مخزون عظيم من الخوف والغضب بداخلي.

ظللت لبعض الوقت جالسًا على ركبتي، منحنيًا إلى الأرض، منتحبًا ورأسي بين كفي. وعندما توقفت عن البكاء أخيرًا، كنت قد بلغت الغاية في الإرهاق. فقد كانت تلك التجربة جارفة وغير مألوفة إلى حد لم يسمح لي حينها بأن أبحث عن تفسيرات عقلانية لها. وقد رأيت أن هذه التجربة

أغرب من أن أستطيع إخبار أحد بها.

أما أهم ما أدركته في ذلك الوقت فهو أنني في حاجة ماسّة إلى الله وإلى الصلاة، وقبل أن أقوم من مكاني، دعوت بهذا الدعاء الأخير: «اللهم إذا تجرأت على الكفر بك مرة أخرى، فاقبض روحي قبل ذلك، وخلصني من هذه الحياة.. ومن الصعب جدًّا أن أحيا بكل ما عندي من النواقص والعيوب لكنني لا أستطيع أن أعيش يومًا واحدًا آخر وأنا أنكر وجودك».

سبحان الله! ما أعظم الإسلام وما أحلى الإيمان إذا لامست بشاشته القلوب.. إن للإيمان حلاوة لا يتذوق طعمها الحقيقي إلا من أسلم وجهه إلى ربه وهو ناضج بعد سنوات طوال قضاها تائهًا وسط ظلمات الكفر والإلحاد، وهو ما ينطبق على كل من دخل الإسلام لتوِّه حتى لو كان أميًّا أو محدود التعليم، فما بالك بعالم كبير في مقام بطل هذه القصّة.

يتابع البروفيسور الأمريكي جفري لانج حديثه فيقول: بعد يومين من اعتناقي الإسلام صليت أوّل صلاة جمعة، وكنا في الركعة الثانية، والإمام يتلو القرآن، ونحن خلفه في صفوف متراصّة، الكتف يلامس الكتف، وكنا جميعًا نتحرك بانتظام وكأننا جسد واحد، وكنت أنا في الصف الثالث! وجباهنا على السجادة الحمراء المفروشة على الأرض، وكان الجو هادئًا والسكون مخيّمًا على المكان!! والإمام يرتدي عباءة بيضاء ويقف تحت النافذة الصغيرة التي يتسلل منها النور!! فصرخت في نفسي: إنه الحلم! إنه الحلم ذاته!

وتساءلت: هل أنا الآن في حلم حقًّا؟! فاضت عيناي بالدموع.. السلام عليكم ورحمة الله، انتهيت من الصلاة، ورحت أتأمل الجدران الرمادية! تملّكني الخوف والرهبة عندما شعرت لأوّل مرة بالحب، الذي لا يُنال إلا بالعودة إلى الله.. لأول مرة أعرف معنى الحب الذي يشعرك بالرهبة.. رهبة من عظمة ما أنت بصدده.. أنت أمام الله!!

يا الله!! كيف يستطيع غير المؤمنين تحمل البعد عن الله؟!

نعم.. لو ذاقوا لعرفوا.. وما ابتعدوا..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (2) - (29) - (33) - (34) - (58) - (117)

أريني الدليل

المهتدون الجدد..

يشعرون بالحسرة على ما أضاعوه من سنوات عمرهم في الضلال!!..

تزداد الحسرة عند المتعصبين منهم!!..

يشعرون بالخديعة.. بالضياع.. بالندم..

يا حسرتنا.. لقد كنا نتعصب للضلال ونحارب من أجل الباطل!!..

لقد أضعنا وخسرنا الكثير في سبيل الشيطان!!..

وحدها رحمة الله هي التي تهدئ من روعهم..

وحده الأمل في الغفران هو ما يعوض عليهم وينسيهم آلامهم..

فإلى كل متعصب لما هو عليه من ضلال..

لا تتمادَ واحتسب ليوم الهدى.. أو يوم الهلاك..

أحدهما أو كلاهما قادم بإذن الله.. لا تزِد من شعور الحسرة وقتذاك!!..

ثق بكلامي.. بل ثق بوعد الله..

قصتنا هذه ستعينك على الثقة.. تأمل قصة بطلتنا العنيدة المتعصبة..

منذ طفولتها شبت مبشرة متعصبة عنيدة.. توعدت كل من وقف في طريقها من المسلمين بالويل والثبور.. أين ما تذهب تقيم الدنيا ولا تقعدها بصخبها وضجيجها.. كان في اعتقادها أنها الوحيدة على حق وأن غيرها على باطل.. أخيرًا تداركها الله بلطفه وهداها إلى الإسلام إنها السيدة رُوبى قعوار بطلة هذه القصة.

رحل جدها مجيد وأخوه نجيب قعوار إلى الضفة الغربية ليعيشا مع عائلتيهما قرب بحيرة طبريا، بيد أنهم طُردوا من ديارهم عقب مقدم الإسرائيليين عام 1948 حيث اضطروا إلى الانتقال إلى الأردن، فاستقر والدها مجيد في مدينة الزرقاء، بينما فضّل عمّها نجيب الإقامة في العاصمة الأردنية عمّان.

قرّر والد رُوبى في شبابه ترك الأردن فسافر إلى الدنمارك، حيث تيسرت له سبل النجاح فامتلك مطعمًا يدرّ عليه ربحًا وفيرًا، الأمر الذي دفعه للتفكير في الزواج.. عاد إلى الأردن مرّة أخرى بحثًا عن شريكة حياته، فاختارت له أمه بنت عمه نجيب، فتزوجها وعاد بها إلى الدنمارك.

في عام 1981 أنجبا ابنة أطلقا عليها اسم رُوبى، وبعدها بأربع سنوات عادت الأسرة إلى الأردن مرّة أخرى، واستقر بها المقام في مدينة الزرقاء بالقرب من الكنيسة التي يعود تأسيسها لوالدهم مجيد.. تفرغ والد ربى آنذاك للعمل في خدمة الدين المسيحي، فأعاد فتح الكنيسة التي أغلقت أبوابها بعد وفاة والده مجيد، ثم أسس ثلاث كنائس أخرى في الأردن، كما توسع في نشاطه الديني، وأصبح قسيسًا لأربع كنائس في مدن أردنية مختلفة.

أما كلثوم قعوار والدة الطفلة رُوبى، فقد كانت من أكبر القائدات المسيحيات في منطقة الشرق الأوسط، حيث أسست مؤتمرًا سنويًّا يحضره نحو 500 من النساء المسيحيات في المنطقة، لمناقشة العديد من الموضوعات الدينية والاجتماعية والسياسية التي تهمّ المرأة.

وهكذا نشأت الطفلة رُوبى وترعرعت في كنف هذه الأسرة النصرانية التي كرّست كل وقتها ومالها لخدمة الدين المسيحي، الأمر الذي جعلها ترتبط بالكنيسة ارتباطًا وثيقًا.. وقد درست رُوبى اللاهوت المسيحي وبدأت في خدمة الكنيسة برغم أنها لم تتجاوز الثانية عشرة من عمرها.. ليس هذا فحسب، بل أصبحت قائدة ومرشدة في المجتمع المسيحي ومدربة لمعلمات الأطفال في الكنيسة، حيث ابتكرت لهم برنامجًا تعليميًّا متكاملًا لتدريس الكتاب المقدس.

أسرة رُوبى أرضعتها كراهية الإسلام منذ نعومة أظفارها وجعلتها تحارب كل من له علاقة بالدين الإسلامي.. فعلى سبيل المثال وهي في المدرسة الإعدادية رأت طالبة مسلمة تؤدي صلاتها في خشوع فركلتها بقدمها ودفعتها وهي ساجدة على الأرض.. كانت كثيرة الشجار مع الطالبات المسلمات وكانت تسعى بشتى السبل إلى أن تثبت لهنّ أنها الوحيدة المثقفة بينهن وأنهن متخلفات لا يفقهن شيئًا.. لذلك اعتاد الجميع على رؤيتها وهي تحمل الكتاب المقدس على مدار الساعة، وتقرأ منه بصوت مرتفع، وفي مرات أخرى تختار أحد النصوص من الكتاب المقدس وتكتبه على لوح الفصل.. بل ما أن يحل شهر رمضان حتى تستمتع بتعمدها الأكل والشرب أمام الطالبات المسلمات وهن صائمات.

في السنة الأخيرة من المدرسة الثانوية حضرت رُوبى أحد دروس الثقافة الإسلامية بغرض الاستماع لما يقوله المسلمون عن الدين المسيحي.. غضبت يومها بشدة عندما سمعت إحدى الطالبات تقول إن الإنجيل محرف.. حاولت أن تثبت لهنّ أن الأناجيل الأربعة كتب إعجازية لأنها كتبت من أشخاص مختلفين (متى، مرقس، لوقا ويوحنا) في أماكن مختلفة وفي نفس الوقت،

فقالت لها إحدى الطالبات المسلمات: «إذا كان الأمر كذلك فإنك تقولين إن الجن هم من كتب هذه الكتب الأربعة»! ازداد غضبها حينذاك وخرجت من الفصل مغتاظة لا تلوي على شيء.

أثارت تلك الحادثة فضول الطالبات فأصبحن يتحلقن حولها ويطرحن عليها العديد من الأسئلة عن دينها وحياتها.. كانت تجيب عن أسئلتهن في منتهى الحماس وكانت تحاول إقناعهن بالدين المسيحي عبر إبرازها الأدلة من الكتاب المقدس الذي لم يكن يفارقها لحظة.. عندما تكرّر الأمر بصورة لافتة للأنظار، استدعتها معلمة اللغة العربية بالمدرسة وطلبت منها التوقف عن التحدث مع الطالبات عن الدين المسيحي لأن القانون لا يسمح بذلك.. وعندما حاولت رُوبى إنكار اتهام المعلمة لها، ردت عليها المعلمة بأن لديها شريطًا مسجلًا بصوتها وهي تتحدث مع البنات عن الدين المسيحي.. أحدثت كلمات المعلمة صدمة عنيفة لرُوبى، وجعلتها تزداد كرهًا وحقدًا على الإسلام والمسلمين.. وبرغم تحذير إدارة المدرسة لها زادت رُوبى من نشاطها التبشيري بين الطالبات المسلمات، بل دعت بعضهن للحضور إلى الكنيسة لإقناعهن بالدين المسيحي.

على الرغم من شغبها ومشاكساتها ونشاطها التبشيري فقد كانت رُوبى متميزة ومجتهدة في دراستها، إلى جانب امتلاكها مواهب متعددة، ويكفي دليلًا على ذلك أنها حصلت في عام 1999 على عدد من جوائز الشرف على مستوى المملكة الأردنية الهاشمية في مجالات الرسم وعزف الموسيقى على البيانو والفلوت وعزف الموسيقى الشرقية.

عقب تخرجها في المدرسة الثانوية، التحقت المبشرة العنيدة رُوبى بجامعة مؤتة الأردنية لدراسة الكيمياء.. ولسوء الحظ أو لحسنه كانت جامعة مؤتة آنذاك تحتضن أقوى الحركات الإسلامية على مستوى الجامعات الأردنية فوجدت المبشرة الطموحة أمامها أعتى التحديات.. مرت السنة الأولى بسلام دون حدوث أي صدامات دينية كانت متوقعة بين الطرفين.. أما في السنة الثانية فكان الأمر مختلفًا تمامًا حيث وجدت رُوبى نفسها في مأزق لا تحسد عليه بعدما تحتم عليها أن تسجل في صف الثقافة الإسلامية كمادة إجبارية، وكان الصف يضم 150 طالبًا جميعهم مسلمون باستثناء طالبة مسيحية واحدة هي رُوبى بطلة هذه القصة!

حاولت هذه الطالبة المسيحية الاستفادة من هذا الوضع الاستثنائي فأخذت تعتز بنفسها وتفتخر بتميزها عن الجميع.. لفتت رُوبى الأنظار إليها بمناقشاتها الحادة مع أستاذ المادة الدكتور محمد الرواشدة إذ لم يكن يطرح موضوعًا حول الثقافة الإسلامية إلا وكانت تحرص على التعليق عليه والمشاركة في مناقشته بصورة فجّة تخلو من الاحترام لأستاذها مع استعراض أدلتها من الكتاب المقدس الذي كان لا يفارقها لحظة.

طلب أستاذ المادة منها زيارته في مكتبه، حيث أخذ يناقشها بموضوعية في حوار ديني هادئ

بعيدًا عن فضول الطلاب ومداخلاتهم.. أخبرها بأنه يعلم من الدين المسيحي ما لا تعلمه هي، وأخذ يدعوها إلى الإسلام فأجابته في تعالٍ قائلة بحدّة: «اسمع يا دكتور، أنا ولدت مسيحية، وأبي قسيس لأربع كنائس، وأمي شخصية مهمة في المجتمع المسيحي، لذلك لا مجال لي أبدًا أن أغيّر ديني بأي حال». تأسف الدكتور وتنهد في يأس قائلًا لها: «الله يهديك» ولم يزد على ذلك.

عقب مقابلتها الدكتور محمد الرواشدة في مكتبه ازدادت جرأة وشراسة وبدأت تهاجمه دونما أدنى قدر من الاحترام والتقدير بل كانت تتهمه صراحة بأنه على خطأ وكذلك الحال مع الإسلام بينما هي على صواب.. أصيب الطلاب بالدهشة من جرأة زميلتهم المسيحية خاصة عندما تطور الأمر معها وأصبحت الطالبة المسيحية رُوبى تجلس في الأماكن العامة لتناقش الجميع بكل جرأة وتدعوهم إلى اعتناق الدين المسيحي.. تسبب نشاط الطالبة رُوبى في إحداث فتنة في الكلية، فتقرر فصلها من الجامعة قبل إكمال دراستها.

ولحسن حظها كان لديها في ذلك الوقت فرصة للهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية، فلم تتردد في انتهازها، وبالفعل هاجرت مع عائلتها إلى ولاية تكساس الأمريكية عام 2002، وكان يجب عليها أن تبدأ حياتها من الصفر.. ولم ينقض عام حتى توفي والدها مصابًا بمرض السرطان.. وبرغم المتغيرات الأخيرة الكثيرة التي حدثت في حياتها واصلت رُوبى دراستها الجامعية وإن غيرت مسارها وتخصصت في التصميم الفني والرسوم المتحركة.. تحقق لبطلة قصتنا النجاح في مجالها الجديد حيث حظيت بالتفوق الأكاديمي لثلاثة أعوام متتالية، بل حصلت في عام 2005 على جوائز الشرف للرسم وعمل الرسوم المتحركة على مستوى الكلية.

الآن رُوبى تعيش في بيئة أخرى مختلفة تمامًا في ثقافتها ولغتها عن موطنها الأصلي الأردن، فهل يدفعها ذلك إلى التنازل عن نشاطها في التبشير بالمسيحية؟! الأمر ليس بهذه السهولة بالنسبة إلى فتاة مسيحية متعصبة! بمجرد ما حطت رُوبى رحالها في موطنها الجديد في ولاية تكساس الأمريكية واظبت على الذهاب إلى كنيسة دالاس المعمدانية العربية، حيث كان عمها هو قسيس هذه الكنيسة.. فزاد نشاطها الديني التبشيري وأصبحت تعد بعض البرامج والمناهج الجديدة وترسلها إلى الكنيسة في الأردن للمساعدة في تدريس الإنجيل للأطفال.. بل كان أحد أهم أهدافها الوصول إلى العرب المسلمين في ولاية تكساس ودعوتهم إلى المسيحية، وكان يحفزها على ذلك الهامش الكبير للحرية والتعبير الذي وجدته في المجتمع الأمريكي المسيحي.

وهكذا أصبحت رُوبى تلتقي مجموعة من الشباب المسلمين العرب، وتحاول في استماتة إقناعهم بالارتداد عن الإسلام من خلال مناقشات ساخنة كانت تستخدم فيها الأدلة والبراهين لتعزيز حجتها.. عندما شعر هؤلاء الشباب بعجزهم عن منازلتها، أحضروا لها شابًا مغربيًّا اسمه «مصطفى بالحور»، لينوب عنهم في النقاش.. كانت المبشرة رُوبى تنظر للأمر كسباق محموم لا

بدّ من أن يكون فيه غالب ومغلوب، وهي لا ترضى بالخيار الثاني.. لكن فاجأها الشاب المغربي بمعرفته الواسعة في القرآن والسنّة، فسدّ أمامها كل الطرق للطعن في الإسلام، وبالتالي شعرت بأنه يمثل حجر عثرة وعقبة كبرى أمام مشروعها التبشيري الذي تودّ من خلاله تنصير الشباب المسلمين الذين وضعتهم كأهم تحدٍّ في حياتها.. استمرت جلسات النقاش الساخنة بين رُوبى ومصطفى لفترة طويلة دون أن يرفع أحدهما الراية البيضاء ويستسلم أمام خصمه، وهو أمر يعزى إلى حقيقة أن أحد طرفي هذا الحوار الفتاة المسيحية رُوبى التي تصف نفسها: بأنها «عنيدة جدًّا» في الأمور الدينية.

بمرور الوقت بدأت المبشرة المسيحية تشعر بالملل والضيق من كثرة النقاش والجدال العقيم غير المجدي.. وفي أغسطس من عام 2005 كانت أمها قادمة من الأردن، فانتهزت رُوبى هذه الفرصة ورأت أنها حجة معقولة للانسحاب وتجنب النقاش مع مصطفى بدلًا من الإهانة التي سوف تشعر بها إن هي خسرت النقاش.. لذلك استأذنت للانصراف وبدأت أولى خطواتها لمغادرة المكان.. وفي تلك اللحظة الحاسمة ناداها مصطفى باسمها وقال لها في حزم: «أريد دليلًا»! استدارت وسألته عمّا يتحدث، قال لها: «اذهبي فتشي الأناجيل كلها، لن تجدي آية واحدة يقول فيها المسيح عن نفسه إنه الله، لم يقل أبدًا: أنا الله»! ردّت عليه بسخرية: «ما الذي تقوله، إنه من المؤكد أن هناك آيات كثيرة تقول إن المسيح هو الله»! قال لها مصطفى: «أريني الدليل»!

عادت رُوبى إلى منزلها وسؤال مصطفى يقرع على مسامعها دونما توقف: «أريني الدليل»!! أصابتها حال هستيرية وأخذت تتصفح الأناجيل في جنون بحثًا عن الدليل الذي طلبه مصطفى.. أحبطت حينما لم تجد نصًّا في أي إنجيل من الأناجيل يقول فيه المسيح إنه الله!.. وبرغم توصلها في تصفح الأناجيل إلى طريق مسدود لم يعرف اليأس إلى نفسها طريقًا فبدأت رحلة من البحث في شبكة الإنترنت، ولكن خاب ظنها مرة أخرى، فلجأت إلى كتب النصارى كملاذ أخير تتصفحها بحثًا عن الدليل، ولكن هذه الكتب لم تكن أحسن حالًا من الأناجيل والإنترنت.

برغم ذلك كله لم تيأس، لأنها كانت متيقنة من أنه لا بدّ من وجود دليل وإلا فإن العقيدة المسيحية تنهار من أساسها.. وكما الغريق الذي يحاول أن يتشبث بقشة، لجأت رُوبى إلى أمها، باعتبارها عالمة مسيحية متبحرة.. لكن جاء رد الأم كصفعة مؤلمة على قلب ابنتها: «لا يوجد هناك آية حقيقية تصرح بأن المسيح قال عن نفسه إنه هو الله، ولكنه قال: من رآني فقد رأى الآب»! ردت الفتاة على أمها بإحباط ومرارة: «ولكن الآب والابن ليسا متشابهين؟»! فأجابت الأم: «ولكنك تعلمين أن لهما نفس المستوى في القوى، وهما واحد في الثالوث الأقدس (الآب والابن والروح القدس)»! هنا تيقنت الفتاة المسيحية المتعصبة أن القضية الأولى فاشلة، وبالفعل لا يوجد الدليل الذي سأل عنه مصطفى، ولذلك كان عليها أن تتشبث بالقضية الثانية وهي الاعتقاد أن المسيح هو الابن (ابن الله)! أدارت دفة البحث ولكن في اتجاه مختلف هذه المرّة،

ففتحت الإصحاح الأول من إنجيل يوحنا حيث تنص الفقرة الأولى على الآتي: «**في البدء كان الكلمة، والكلمة كان عند الله، وكان الكلمة الله**». (إنجيل يوحنا 1: 1).

الكلمة هي المسيح الذي خلق من بدء الخليقة وهو كان عند الله!! ولكن النص نفسه يقول: «وكان الكلمة الله»! تعجبت رُوبى من هذا النص الذي يناقض نفسه والذي بدا لها شديد الغرابة وكأنها تقرؤه للمرّة الأولى! تساءلت في حيرة: كيف يكون الله هو المسيح ومع المسيح في الوقت نفسه! إن هذا أمر لا يقبله عقل ولا يتسق مع المنطق!! هل يعاني المسيح انفصامًا في الشخصية حتى يكون الأمر كذلك؟!

أشاحت رُوبى بوجهها عن إنجيل يوحنا وأغلقته بعد ما صدمتها الفقرة الأولى منه، وانتقلت إلى رسالة يوحنا الأولى، وفي الإصحاح الخامس منها توقفت عند هذا النص: «**فإن الذين يشهدون في السماء هم ثلاثة: الآب، والكلمة، والروح القدس. وهؤلاء الثلاثة هم واحد**». (رسالة يوحنا الأولى 5: 7). تهلل وجهها من الفرح عند اطلاعها على هذا النص وشعرت بنشوة النصر، لأنها اعتقدت أنها وجدت الحل؛ الآب = الابن = الروح القدس (هم الثلاثة واحد)! لم تدم فرحتها طويلًا لأن الفقرة التالية لهذه الفقرة مباشرة سوف تقلب عليها الطاولة رأسًا على عقب: «**والذين يشهدون في الأرض هم ثلاثة: الروح، والماء، والدم. والثلاثة هم في الواحد**». (رسالة يوحنا الأولى 5: 8). الروح = الروح القدس، الماء = الآب، والدم = الابن؛ فكيف يمكن أن يكون الثلاثة (هم) واحد والثلاثة (في) واحد في الوقت نفسه، هناك فرق بين المعنيين!

هنا بدأت الفتاة المسيحية تفكّر بصوت مرتفع: إذا اعتقدنا أن الله ثلاثة، فلِمَ لدينا خليقة واحدة وليست ثلاثة؟ فعلى سبيل المثال لو أحضرنا ثلاثة رسامين ليرسموا لنا شجرة معينة، كل واحد منهم سوف يرسمها بأسلوبه الخاص تبعًا لطريقة تفكيره، وحتى إذا كانوا الثلاثة في الواحد يخلقون الخليقة، فإن كل واحد منهم سوف يخلقها بطريقة مختلفة عن الآخر، حتى لو كانت بنفس الهدف! أنا أعلم أن المسيح قال عن نفسه إنه ابن الله ولكني أعلم أيضًا أن جميع اليهود يطلقون على أنفسهم أولاد الله وهم أناس بشر مثلنا، فهذا التعبير (ابن الله) كان دارجًا في ذلك الوقت وليس خاصًّا بالمسيح وحده. إذًا فإن المسيح ليس هو «ابن الله» بالمعنى الحرفي لهذه العبارة! وهكذا بدأت رُوبى ترى بنفسها التناقض الصريح في الكتاب المقدس الذي طالما قدّسته؟ بل انتقلت شكوكها إلى أركان العقيدة النصرانية وبدأت تفكر في صلاة المسيح! فلمن كان يصلي؟ نصوص كثيرة في الأناجيل تقول إن المسيح كان يصلي ويدعو الله! هل كان يصلي لنفسه؟

اللوحة الجميلة التي رسمتها رُوبى في ذهنها عن الديانة المسيحية وظلت تدافع عنها منذ نعومة أظفارها وتضحّي من أجلها بالغالي والنفيس، بدأت تتمزق أمام ناظريها وبين يديها الآن، وفي تلك اللحظة لمعت في ذهنها ذكريات قديمة حينما كانت تدرس اللاهوت وكان يدرّسهم تاريخ الكتاب

المقدس عالم بريطاني كبير حيث قال لهم حرفيًّا: «لقد ذهبت إلى بريطانيا لأرى نصوص الإنجيل الأصلية المكتشفة، ولم أجد غير أوراق محروقة، وممزقة وضائعة»! تذكرت الفتاة المسيحية هذه الكلمات التي ظلت محفورة في ذهنها، ثم نظرت إلى الكتاب المقدس الذي بين يديها، وتساءلت: ما هذا الكتاب؟؟ من أين جاءت كلمات هذا الكتاب؟ إذا كنت أعبد إلهًا كاملًا ليس فيه عيب واحد، فكيف يمكنني الإيمان بكتاب غير كامل أو غير محفوظ؟ ثم كيف يعجز الإله عن حفظ كتابه إن كان إلهًا حقيقيًّا؟!

عندما وصلت بطلة قصتنا رُوبى إلى هذا الحد عقدت مقارنة عجيبة تقول فيها: لو أننا أحرقنا كل الكتب المقدسة التي في أيدي النصارى اليوم ولم نترك منها واحدًا، ثم سألنا النصارى في جميع أنحاء الأرض أن يحضروا لنا كتابًا مطابقًا للكتب الأولى التي أحرقت، فلن نجد نصرانيًّا واحدًا يمكنه أن يحضر لنا كتابًا مطابقًا.. في المقابل لو فعلنا ذلك بالقرآن فسوف نجد مليون مسلم على الأقل يحفظون القرآن عن ظهر قلب! لماذا؟ لأن المسيحيين لديهم العديد من النسخ التي لا يتطابق بعضها مع بعض، بل ما زالوا يكتشفون نصوصًا إنجيلية جديدة من حين لآخر، أما القرآن فهو كتاب واحد لم يتغير منه حرف واحد منذ أن نزل وإلى الآن بل وإلى أن تقوم الساعة!

عندما وصلت رُوبى إلى هذا الحد فقدت الثقة بكتابها المقدس.. ليس هذا فحسب بل بدأت تشك في لاهوت صلب المسيح، وهل مات المسيح حقًّا؟ سؤال خطير طرحته على نفسها في هذه المرحلة الحرجة من حياتها، والإجابة عنه سوف تحدد مستقبلها كله بخيره وشره! ولكن أين تجد الإجابة عن هذا السؤال وقد فقدت الأمل في الكتاب المقدس! لجأت إلى القرآن الكريم وأفضى بها البحث إلى هاتين الآيتين من سورة النساء:

وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (157) **بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا** (158) النساء

بشكل واضح لا لبس فيه وضعها القرآن وجهًا لوجه أمام حقيقة المسيح، ليس هو الله، ولا حتى ابن الله، بل هو رسول الله، ولم يقتلوه ولم يصلبوه، بل رفعه الله إليه! كلام واضح وصريح ومقنع! انتابها الأسى والألم وهي تقرأ هاتين الآيتين، وتتأسف على 24 سنة من عمرها ضاعت سدى! طوال هذه الفترة وهي تدرس نظريات وأكاذيب وأباطيل! طوال هذه الفترة وهي تدافع عن كذبة كبرى اسمها المسيحية! طوال هذه الفترة وهي تعبد الإله الخطأ! إحباط ما بعده إحباط!

لكي تخرج من المأزق المعقد الذي وجدت نفسها بين مخالبه فكرت في الانتحار! تصف الفتاة رُوبى هذه اللحظات فتقول: «أردت الانتحار.. شعرت أن الأرض تهتز من تحت قدمي.. انتابني

الرعب.. أردت أن أرجع إلى بداية المطاف وأبحث من جديد لأثبت العكس، ولكني لا أعرف ما الذي سيحدث بعد ذلك.. شعرت أنني أدمر حياتي».

في هذه المرحلة المفصلية الحاسمة من حياتها، تحول تفكيرها في الاتجاه الصحيح، فتقبلت فكرة أن المسيح إنسان ورسول من عند الله سبحانه وتعالى، وأصبحت تؤمن بجميع الأنبياء الذين قبله، وتبقى لديها مشكلة تمنعها من الإيمان بمحمد -صلى الله عليه وسلّم-! فما هي هذه المشكلة؟ مشكلتها أنها لا تعلم من سيرته إلا تلك الصورة السلبية التي غرستها في ذهنها التعاليم النصرانية المضللة منذ أن كانت طفلة. ولكنها تداركت نفسها بنفسها وتساءلت: كيف يمكن أن تكون هذه مشكلة والقرآن الكريم أتى من الله من خلال النبي محمد -صلى الله عليه وسلم-؟ ثم تذكرت أن هناك إنجيلًا خامسًا لا تعترف به الكنيسة اسمه (برنابا) وفي هذا الإنجيل يبشر المسيح صراحة بخاتم المرسلين، كما أن هذا الإنجيل يتفق مع القرآن الكريم في أمور كثيرة منها أن المسيح -عليه السلام- لم يُصلب بل رفعه الله إليه!

احتشدت كل هذه القناعات في عقل الفتاة المسيحية دفعة واحدة، فتركت غرفتها واتصلت بالشباب المسلمين الذين لم ترهم منذ أكثر من شهرين، قضتهما في البحث عن الحقيقة عن «الدليل». والآن سوف تذهب لرؤيتهم ولكن بأي وجه؟ خرجت رُوبى من بيتها باكية وفي الطريق كانت ترجو الله وتدعوه بهذه الكلمات: «إذا كان هذا هو الطريق الصحيح فغير حياتي، وإذا لم يكن فاجعلني أموت في حادث سيارة قبل أن أصل أصدقائي، فكل ما أريده هو الحقيقة ومرضاتك يا رب، وكل ما أبتغيه هو الجنة».

وصلت رُوبى إلى الشباب وقد هيؤوا أنفسهم لجولة جديدة من الجدال العقيم، وعندما رأوها والدموع تسيل بغزارة من عينيها اعتقدوا أن مكروهًا أصابها.. وقفوا ينظرون إليها في حيرة وينتظرون منها ولو كلمة واحدة تخبرهم بحقيقة أمرها، ففاجأتهم بكلمات لم يتوقعوها ولو في عالم الخيال: «أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله»!

صمت مهيب عمّ الجميع، والجميع فاغر فاه ينظر إليها في ذهول ويرمقها باندهاش! كسر مصطفى حاجز الصمت وقال لها: «اسكتي.. لا تكذبي»! فردّت عليه وهي تبكي: «أنا لا أكذب»! ولكن لم يصدقها أحد والكل ينظر إليها متعجبًا! قالت له: «أنا لا أكذب، غدًا سيكون أول يوم في شهر رمضان، والآن سوف تعلمني كيف أتوضأ وكيف أصلي وكل شيء»! عندما سمعها مصطفى تقول ذلك ورأى الإصرار في عينيها، انفجر باكيًا من الفرحة، وقال لها: «مرحبًا بك في الإسلام».

وبالفعل تعلمت الصلاة وكل تعاليم الإسلام الأساسية في ليلة واحدة فقط، واشترت حجابًا وبدأت تمارس عقيدتها الجديدة، وظلت تخفي أمر إسلامها عن عائلتها لمدة أسبوعين، وكانت

تصلي الساعة الثانية أو الثالثة بعد منتصف الليل حتى لا يراها أحد وينكشف أمرها. وفي يوم من الأيام وبينما كانت ذاهبة من البيت إلى الكلية وكانت معها حقيبتها التي تحتوي على القرآن والحجاب، وقع الحجاب على الأرض ورأته أختها، ولكنها لم تعر الأمر أهمية، حتى جاء الليل واستيقظت أختها فجأة فرأتها تصلي، والتفتت إلى سريرها وإذا بالمصحف الشريف موضوع عليه، ومنذ تلك اللحظة علم بقية أعضاء العائلة بخبر إسلامها، وبدأ مشوارها مع الابتلاءات.

في البدء نعتوها بأقبح العبارات، وانهالوا عليها ضربًا مبرحًا حتى رأت شبح الموت أمامها عيانًا بيانًا، ثم هددوها بالقتل إن لم تترك الإسلام وتعد إلى دين الآباء والأجداد.. لم تستطع الوقوف على قدميها من شدة الضرب فزحفت على الأرض حتى دخلت الحمام وأغلقته عليها من الداخل.. أسندت ظهرها إلى الباب واستغرقت في البكاء فاختلطت دموعها مع الدماء السائلة من وجهها.. ثم قامت لتغسل وجهها فإذا بهاتف أختها المحمول وقد تركته في الحمام.. تناولته على الفور واتصلت بالشرطة.. وبعد لحظات يعمّ الهدوء ويسكن الضجيج خارج الحمام، وإذا برجل شرطة يقرع عليها الباب ويقول لها: يمكنك أن تخرجي الآن.

خرجت رُوبى وهجرت بيت أسرتها وتوجهت إلى بيت صديقتها المسلمة حيث أقامت معها شهرين كاملين.. خلال هذه الفترة تلقت المسلمة الجديدة مئات المكالمات الهاتفية والرسائل الإلكترونية من مختلف أنحاء العالم، يهددونها بالقتل ويتوعدونها بالانتقام.. ولكن على الرغم من كل هذه الابتلاءات لم تتزعزع عزيمتها إذ ظلت صامدة فخورة بدينها حتى يسّر لها الله تعالى الزواج من الشاب مصطفى نفسه الذي كان سببًا في إسلامها!..

تحولت رُوبى من مبشرة نصرانية متعصبة إلى معلمة للقرآن الكريم وداعية إلى الله ودينه الحق، وقد أسلم على يديها الكثير من النصارى.

إنها قصة بألف قصة!!.. قصة تكفي لإيمان وإسلام غير المسلمين كلهم أجمعين..

فمعظم غير المسلمين ليسوا على هذا القدر من العناد والتعصب الذي كان عند رُوبى!!

هم غير مسلمين فقط بالنسب والبيئة والمناخ المحيط الذي ولدوا فيه!!..

فإذا كان هذا حال ومآل المتعصبين المعاندين.. فكيف سيكون حال عامة غير المسلمين؟!!

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (1) - (83)

بائع القهوة

السعادة.. سرّ من أسرار الحياة..

يبحث عنها الناس أجمعون..

وضعوا لها النظريات الفلسفية.. شكلوا مراكز قوى لاقتناصها ولو غصبًا..

باعوا الغالي والرخيص للوصول إلى المناصب المؤهلة لها..

جمعوا الأموال للشراء والتملّك..

فعلوا كل شيء للحصول على مفتاح السعادة.. وباب مدينة السعادة بلا مفتاح!!

الكل مدعو للولوج من الباب.. باب الله..

بطل قصتنا.. بحث كثيرًا عن مفتاح السعادة.. حتى وصل إليها..

إنه نجم عالمي يمتلك كل ما يخطر على قلب بشر من متاع الدنيا المادي الزائل وملذاتها الزائفة.. لكنه كان يبحث عن السعادة الحقيقية نتيجة لمعاناته من الخواء الروحي.. نصيحة من شاب مسلم دفعته إلى التواصل معه ومن ثم زيارة المسجد الذي ذهب إليه مدججًا بالسلاح وبصحبة نحو الثلاثين من الحرس تحسبًا لأي أمر طارئ، لكنه تفاجأ حينما وجد الأمر داخل المسجد على عكس ما كان يتصوره.. اعتنق الإسلام فعثر على ضالته المنشودة من السعادة وأسلم معه كل أعضاء فرقته.. عقب إسلامه ابتعد عن المحرمات وأنفق كل ثروته في وجوه الخير فتحول الملياردير الشاب من أشهر مغني الراب في العالم إلى بائع قهوة في السعودية فربح البيع.. إنه موتا واسين شاباز بيلي بطل هذه القصة ندعوكم للتعرّف إلى قصة إسلامه.

ولد موتا بيلي لأسرة مسيحية في شهر أكتوبر من عام 1977 في مدينة نيوجيرسي بولاية نيويورك.. اسمه الحقيقي هو «موتا واسين شاباز بيلي»، واسمه الحركي الذي اشتهر به هو «نابليون».. بينما «مطاع» هو الاسم الذي أطلقه عليه والداه.

شهد «مطاع بيل» في طفولته اغتيال والديه أمامه ولم يتجاوز عمره الثلاث سنوات.. وبعد اغتيالهما ظل مع شقيقه الأصغر بجوار جثتي والديهما لمدة 24 ساعة.. ويقول مطاع هنا وهو يسترجع شريط ذكريات تلك الحادثة الأليمة: «لأني كنت مجرد طفل لا أعرف معنى الموت، فقد كنت أعض أمي محاولًا إيقاظها»..

عاش «مطاع بيل» حياة قاسية بعد مقتل والديه فانتقل إلى العيش مع جدته، وذلك ما دفعه إلى الاعتماد على نفسه منذ الصغر. وكانت أمنية «مطاع بيل» في طفولته أن يكون مغني «راب»، ولذلك أتقن غناء «الراب» بشكل لافت للأنظار فاحترف هذا النوع من الغناء وبرع فيه، ومارسه في الفترة بين 1994 و2005.. حقق مطاع نجاحات مذهلة في هذا المجال الأمر الذي جعله يكتسب شهرة لامعة على مستوى العالم وأموالًا ضخمة بلغت ملايين الدولارات، إذ وصلت مبيعات تسجيلات فرقته إلى أكثر من 4 ملايين نسخة.

لو رجعنا إلى بداياته الأولى مع الغناء نجد أن مطاع التحق في البدء بفرقة محلية تسمى «دراما سيدال» فلمع نجمه سريعًا، الأمر الذي أهّله للالتحاق بفرقة «توباك» الشهيرة وعمره لم يتجاوز 15 عامًا.. كان مطاع في ذلك العمر الباكر يكتب الشعر ويغني.. وفي شهر سبتمبر من عام 1996 اغتيل قائد فرقة توباك فتسلّم «مطاع بيل» قيادة الفرقة من بعده، فحقق لها نجاحًا كبيرًا حتى أنها باعت أكثر من 60 مليون ألبوم غنائي حول العالم.

وصلت فرقة توباك بقيادة «مطاع بيل» إلى قمة الشهرة، وأصبح قائدها من الأثرياء الذين يمتلكون أموالًا طائلة وأرصدة كبيرة في البنوك، وسيارات فخمة، وقصورًا فارهة، ومجوهرات ثمينة، وطائرات خاصة وما إلى ذلك من متاع مادي يستعصي على العدّ.. لكن برغم هذا الترف والنعيم الذي يعيشه «مطاع بيل»، فإنه كان يفتقر إلى السعادة بقدر ما تعنيه هذه الكلمة من معنى.. ويقول عن ذلك: «في هذه المرحلة من حياتي كنت مكتئبًا مع أنني كنت ناجحًا ولديّ 3 منازل وبعت ملايين التسجيلات، لكن من الداخل كنت أنتظر شيئًا ليسعدني»..

كان مطاع يعاني خواءً روحيًا رهيبًا كما كان يشعر بأن ثمة شيئًا مهمًا ينقصه برغم حياة الترف التي كان يعيشها.. وحتى يخرج من واقعه المرير جرّب كل أنواع الكحول والمخدرات، الأمر الذي جعله فاقدَ الوعي معظم الوقت، وكثير الشجار مع الجميع.

في إحدى الليالي وبينما هو خارج من الأستديو بعد فراغه من تسجيل إحدى أغانيه نشب شجار حاد بينه وبين أخيه الأصغر وأمسك به يضربه بعنف، إلى درجة أنه شجّ رأسه وأوشك على قتله.. في تلك اللحظة مرّ بهما شاب مسلم فرّق بينهما، ثم انفرد بمطاع يهدّئ من غضبه وينصحه بأن يكون سمحًا في تعامله مع الناس.. وقال له: تخيّل كيف سيكون شعورك إن صحوت في صبيحة اليوم التالي بعد زوال تأثير الكحول ووجدت أنك قد قتلت أخاك الليلة الماضية؟ شعر مطاع بيل بارتياح لهذا الشاب المسلم وتبادل معه رقم الهاتف ثم تفرّقا ومضى كل منهما في سبيله.

عقب مرور وقت قصير من تلك الحادثة اتصل به الشاب المسلم يدعوه لزيارة المسجد.. تردّد مطاع في الاستجابة لهذا المطلب.. عندما تكرّر طلب الشاب المسلم لعدة مرات قرّر «مطاع بيل»

أن يستجيب للطلب ويزور المسجد لأول مرّة في حياته.. ذهب مطاع إلى المسجد مسلحًا ومعه نحو 30 شخصًا، تحسبًا لأي أمر طارئ.. لكن ما أن دخل المسجد حتى انبهر بما رأى وسمع وهو يقول عن ذلك: «لقد رأيت شيئًا لم أره من قبل»!

فور استماعه إلى القرآن أحس برغبة ملحة في التعرف إلى الإسلام.. لاحظ الشاب المسلم انبهار مطاع بيل بالقرآن الكريم فجلب له ترجمة إنجليزية لمعانيه فقرأها بشغف وتأكد من أن القرآن الكريم هو ما يحتاج إليه حتى ينقذ نفسه من العذاب الداخلي الذي يعيش فيه، ويقول عن ذلك: «جلب لي صديقي المسلم القرآن وعندما قرأت كلماته، عرفت أنه يستحيل أن تكون كلمات بشر، وعلمت أن القرآن هو ما أحتاج إليه في حياتي.. لذلك قرّرت أن أسلم».

أسلم نجم العالم وعملاق الراب الأمريكي «مطاع بيل» وهو في قمة نجاحه وشهرته، بعد أن وصل إلى قناعة تامة مفادها أن الإسلام هو طريقه الوحيد لتحقيق السعادة التي ظل يبحث عنها منذ وقت طويل.. أسلم مطاع وأسلم على يديه كل أعضاء فرقته!!

وهنا يقول مطاع بيل: «بعد دخولي للإسلام تغيّرت حياتي للأجمل، فبرغم امتلاكي ثروة طائلة، ويحيط بي أصدقاء كثر، وحياتي مملوءة بالأحداث والشهرة، فإنني كنت دائمًا مكتئبًا وأشعر بضيق، ولم أشعر بالسعادة الحقيقية إلا بعد أن نطقت شهادة الإسلام».

عندما قرّر مطاع اعتناق الدين الإسلامي قام بسداد كل الغرامات المترتبة على إنهائه العقود مع الشركات كما ابتعد تمامًا عن تناول الخمور وتعاطي المخدرات بل قرّر التخلص من ماضيه فباع كل ما يملك وأنفق ثروته في وجوه الخير.

في بداية إسلامه جلس مطاع يومًا في أحد المقاهي وهو يرتدي سلسلة مكتوب عليها لفظ الجلالة (الله).. اقتربت منه فتاة عربية الملامح أمريكية الجنسية وسألته: هل أنت مسلم؟ فقال لها: نعم؟ فقالت له إن المسلمين لا يجوز لهم استخدام مثل هذه السلاسل.. أعجب مطاع بيل بتلك الفتاة وبأسلوبها في الحوار، فطلب منها رقم هاتف والدها، فتواصل معه.. لم يمر على ذلك الموقف سوى ثلاثة أشهر حتى تزوج مطاع بيل من تلك الفتاة العربية، فأنجب منها أربعة أولاد وبنت يتحدث كل منهم العربية بطلاقة.

عقب خروجه من مجال الغناء وتخلّصه من كل عوائده المادية بدأ بيل يبحث عن مصدر جديد للرزق الحلال.. غادر مطاع نيوجيرسي مع زوجته ذات الأصول اليمنية وأطفاله الخمسة وتوجّه إلى السعودية ليعمل ويستقر هناك.. فكر في الاستثمار في القهوة، لأن جدّه لأمّه كان من كوبا، وكان يجلب لهم في كل زيارة له إلى نيوجرسي كمية كبيرة من القهوة، الأمر الذي حبّب له القهوة.. سافر إلى دولة الإمارات العربية المتحدة وفتح مقهى في مدينة رأس الخيمة، ثم سافر

إلى الكويت ليفتتح مقهى آخر، ثم انتقل إلى مدينة الرياض العاصمة السعودية وفعل فيها الشيء ذاته، وهو يخطط مع مجموعة من الشباب السعوديين لابتكار عربة متنقلة في شوارع الرياض تختص ببيع القهوة.

إلى جانب استثماراته في المقاهي يعمل مطاع بيل في مكتب الدعوة والإرشاد في السعودية بقسم اللغة الإنجليزية، حيث يقوم بالدعوة إلى الإسلام، ويلقي محاضرات للتعريف به وبأخلاقه السمحة.

انتقل مطاع بيل من ميكروفون الغناء إلى منبر الدعوة للإسلام.. وهو يعكف حاليًّا على تعلم اللغة العربية، ويقرأ في كتب الشريعة، دون أن يتوقف عن حفظ القرآن، كما أنه يسافر إلى عدد من الدول بغرض نشر نور الإسلام في نفوس خاوية ومجتمعات مظلمة.

سبحان الله !!.. من كان يصدق أن عملاق «الراب» الأمريكي مطاع بيل سيتحول من أشهر مغني الراب في العالم إلى بائع قهوة في دول الخليج العربية، من شخص بائس تعيس برغم امتلاكه ثروة مادية ضخمة إلى شخص سعيد تخلص من العذاب الداخلي عقب اعتناقه الإسلام، كما تخلص من الغناء الذي أوصله إلى قمة الشهرة والثراء فأصبح يقول عن نفسه: «لم أعد أطيق سماع الموسيقى»!

أرأيتم كم هو بسيط أمر السعادة؟!!

بساطة نطق الشهادتين.. أشهد ألا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله..

لا تبحثوا عنها في غير الشهادتين..

غيركم وغيركم بحثوا في غيرها فلم يجدوا السعادة إلا فيها!!

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (86) - (87) - (110)

نور الإسلام

نوع من البشر مثير للانتباه..

يعيش المرء العمر كلّه على غير الإسلام..

ثم يكتب الله له مسك الختام.. يختم حياته مسلمًا موحدًا..

تُرى.. هل عاش العمر مسلمًا دون أن يدري؟!

هل كان قلبه ينبض بالإيمان الفطري..

ولم يكن ينقصه سوى شريعة الإسلام؟!

هل يمكن للقلب أن يعلم.. بينما العقل يجهل؟!

ثم يُثمر صدق القلب علمًا للعقل؟!

فينطق الشهادتين ويدخل في الدين ويطبق الشريعة فيكتمل الإنسان.. قلبًا وعقلًا؟!

يكافئ الله قلبه الطاهر الذي عاش يهفو إلى الله.. فيختم له بختام المسك؟!

أسئلة عجيبة.. وحده الله من يعلم إجابتها..

ما نعلمه حقًّا.. أنهم موجودون بيننا..

منهم بطلة قصتنا.. كانت تتربع على قمة الثراء.. تزوجت من فقير معدم ولكنه ذو خلق فخسرت أهلها وحرمت من حياة الرفاه.. أنجبت بنتها الوحيدة وهي في الثامنة عشرة من عمرها.. عملت مربية لأبناء اليهود كما عاشرت المسلمين.. شاهدت الفرق بين الإسلام واليهودية فانبهرت بالإسلام وأعجبت بمعاملة المسلمين لأبنائهم مقارنة بنظرائهم من اليهود والنصارى، كما أعجبت بالعلاقات التي تربط بينهم.

توفي زوجها وتزوجت ابنتها الوحيدة وعاشت هي بعيدة عنها.. عندما دخلت في العقد التاسع من عمرها بدا عليها الوهن.. عندما شكت حالها لابنتها الوحيدة طلبت منها الأخيرة أن تدخلها دارًا للعجزة والمسنين فرفضت الفكرة.

طلبت منها جارتها المغربية المسلمة أن تستضيفها في بيتها.. وافقت على مضض.. انبهرت بالمعاملة

الطيبة التي تلقتها من الأسرة المغربية برغم أنها ليست مسلمة.. سافرت مرّة مع مضيفتها إلى المغرب العربي. انبهرت باحترام الأبناء للآباء والأجداد الذي أمرهم به دينهم الإسلامي.. تذكرت طلب ابنتها بإدخالها دارًا للعجزة والمسنين، اغرورقت عيناها بالدموع حبًّا في الإسلام ثم اعتنقته عن قناعة لا تتزعزع.. إنها البلجيكية جوسيت ماري ندعوكم للتعرف على قصة إسلامها.

ولدت المعمرة جوسيت ماري في عام 1918 لعائلة فرنسية برجوازية مسيحية.. ورثت الثراء أبًا عن جد لكنها فقدته عندما قررت الزواج بشاب بلجيكي بهرها بأخلاقه الطيبة وخصاله الكريمة.. رفضت أسرتها الزوج المقترح بسبب فقره.. تحدت جوسيت أسرتها وتزوجت الشاب البلجيكي ثم سافرت معه إلى العاصمة بروكسل لترسم مشهد الخاتمة لآخر عهدها بالحياة الرغدة إذ عاشت بعدها حياة صعبة يغلب عليها طابع الشقاء.. أنجبت ابنتها الوحيدة ولم يتجاوز عمرها 18 عامًا.. مقدم الحفيدة الصغيرة لم يشفع لها أمام أهلها الذين قطعوا عنها المال والوصال.

اجتهدت جوسيت بجد كي تربي ابنتها تربية كريمة.. عملت مربية ومعلمة لأبناء اليهود، تعلمهم اللغة الفرنسية.. كما تعاملت مع الكثير من المسلمين الأمر الذي أتاح لها أن تقارن بين الإسلام واليهودية؛ فمن خلال ملاحظاتها لحياة كل من المسلمين واليهود توصلت إلى البون الشاسع الذي يوجد بين الدينين الإسلامي واليهودي إذ وجدت في الأول ثباتًا لا يعرف التبدُّل بعكس الثاني الذي كل يوم هو في حالة من التغيُّر.

من جهة ثانية انبهرت بالتعامل الراقي للمسلمين مع أبنائهم وقارنته بتعامل نظرائهم من أصحاب الديانات الأخرى، وهو أمر لاحظت أنه ينطبق على التعامل مع الجيران فتوصلت إلى حقيقة جلية مفادها أن الإسلام دين عظيم وإن احتفظت بهذا الرأي في داخلها لعدة عقود.

ظلت جوسيت ماري تقدّر الدين الإسلامي وتتفاعل معه لدرجة أنها كانت تشتري اللحم والدجاج من محلات المسلمين لأنه مذبوح على الطريقة الإسلامية وبالتالي تخلو أنسجته من الدم، وهي تفعل ذلك لتأكدها من أن لحوم الحيوانات المذبوحة على الطريقة الإسلامية هي الأنظف والأطهر والأكثر محافظة على صحة الإنسان.. وتقول جوسيت إنها لم تفكر يومًا في اعتناق الإسلام برغم تعاملها مع المسلمين منذ سنوات طويلة.. وتضيف بأنها ظلت تتعامل معهم بكل احترام وتقدير بل تقدر بشدة طقوسهم الدينية، لدرجة أنها كانت تتجنب زيارتهم في شهر رمضان لأنها تعلم أن أخلاقهم الإسلامية تحتّم عليهم أن يقدموا لها واجب الضيافة بينما هي لا تحب أن تخدش فرائضهم الدينية وهم صائمون.

وتعبر جوسيت عن إعجابها بالتعامل الراقي للمسلمين مع الآخرين ولو كانوا ينتمون لديانات أخرى؛ فهم كما تقول كانوا يلقون عليها التحية والسلام كلما رأوها وكانوا يعينونها في شؤون

حياتها برغم أنها كانت نصرانية آنذاك.

بمرور السنين يحدث انقلاب في حياة جوسيت إذ توفي زوجها وتزوجت ابنتها فوجدت نفسها وحيدة إلا من جيرانها المسلمين.. موقف مخزٍ من ابنتها زاد من إعجابها بالمسلمين.. لقد طلبت منها أن تنتقل إلى دار العجزة والمسنين لتقضي ما تبقى من عمرها هناك.. تساءلت بمرارة: «لماذا لا يودع أبناء المسلمين آباءهم وأمهاتهم في دار العجزة والمسنين؟ لماذا يقيمون معهم ويعتنون بهم كما اعتنوا هم بهم صغارًا؟».

بمرور السنين والعقود تقدمت جوسيت في العمر وازدادت في دواخلها مرارة الوحدة القاتلة فابنتها الوحيدة بالكاد تسأل عنها، بينما مقاطعة أهلها الأثرياء لها لم تتوقف برغم رحيل زوجها البلجيكي إلى الدار الآخرة.. إلى جانب الوحدة المميتة بدأت جوسيت تدفع ضريبة تقدم العمر إذ لم تعد قادرة على خدمة نفسها إلا بشق الأنفس.. في أحد الأيام لاحظت جارتها المغربية المسلمة فاطمة تدهور حالتها فاستشارت زوجها كي يستضيفاها معهما بمنزلهما، فرحب الزوج بذلك.. وهنا تقول جوسيت بصوت خفيض هامس: «أدهشني كثيرًا عرض استضافتي من قبل جارتي المغربية المسلمة، وقبلت وأنا في حرج وتوجس، ولكني وجدت أخلاق المسلمين التي كنت ألاحظها من الخارج تعم هذا البيت، ففي منزل هذه العائلة شعرت بالاهتمام بي كإنسانة أدت دورها في الحياة.. ظلت السيدة المغربية ترعاني هي وزوجها وأبناؤها الأربعة دون أي مقابل مادي.. فقط من باب المحبة والشفقة لسني ورحمة الصغير بالكبير، وهذا ما حببني أكثر في الإسلام».

وقدّر لجوسيت أن ذهبت في زيارة للمغرب مع مضيفتها فاطمة المغربية وذكرت أن مشهدًا مؤثرًا أبكاها بشدة.. لقد رأت عائلة ممتدة تتكون من الجد والجدة والأب والأبناء والأحفاد يعيش أفرادها في ألفة وانسجام.. حيث الاحترام والتوقير للكبير يصل درجة تقبيل الرأس واليدين.. قالت بطلة قصتنا إن هذا المشهد أبكاها لأنه عكس لها مدى جمال الإسلام فاعتنقته من دون تردد.. نطقت بالشهادتين في عام 2010 برغم أن عمرها تجاوز التسعين بعامين، وأطلقت على نفسها اسم «نور الإسلام».. حينها فقط راودها إحساس صادق بأنها ولدت من جديد.. لكن ما أقضّ مضجعها من ناحية وجعلها تشعر بمدى عظمة الإسلام من الناحية الأخرى موقف ابنتها الوحيدة التي تبلغ 74 عامًا من عمرها عندما علمت باعتناقها الإسلام.. فقد تبرأت منها، بل ادعت أن أمها أصيبت بالخرف وهنا ردت جوسيت على وصف ابنتها لها بالخرف بقولها: «كلامها هذا خالٍ من الصحة، فأنا أتذكر أحداثًا حدثت منذ عام 1930 وأستطيع أن أسردها، لكن أسامحها وأدعو الله أن يلهمها الهداية لاعتناق الإسلام مثلما ألهمني وأنا في هذا العمر الكبير».

نختتم هذه القصة المؤثرة بالإشارة إلى أن «نور الإسلام» أدت فريضة الحج ورفضت أن تستعين بالكرسي المتحرك، فقد أصرت على الطواف والسعي بين الصفا والمروى مشيًا على

قدميها، فهي تفضل أداء مناسك الحج كلها كما كان يفعلها رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- وهي ترى أن ولادتها الحقيقية كانت في عام 2010، أي حينما اعتنقت الإسلام بعد عمر تجاوز التسعين ندمت على أنها لم تعشه كله في حمى الإسلام والمسلمين..

المهم.. أنها ولدت من جديد ولا يهم عمرها المديد..

حصلت على شهادة الميلاد.. شهادة الإسلام.. نطقت الشهادتين..

وهنيئًا لها.. فالإسلام يجُبّ ما قبله.. يمحوه.. يبدل الله سيئاتهم حسنات..

«**فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا**»..

فما أكرمك يا الله..

تسعون عامًا عاشتها في الضلال..

وفي الرمق الأخير من حياتها هديتها إليك..

هديتها إلى الإسلام فولدت من جديد..

ثم دعوتها إلى بيتك الحرام لأداء فريضة الحج فرجعت كيوم ولدتها أمها..

إنه ميلاد بعد ميلاد.. الميلاد بالإسلام.. والميلاد بالحج..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (22)

طوق النجاة

يعيش المشاهير من فناني الغرب حياة مادية مترفة يتمناها الكثيرون.. من يتأمل حياتهم من الخارج يصل إلى نتيجة زائفة مفادها أنهم أسعد خلق الله في أرضه.. وإن كانت الحقيقة عكس ذلك، لأنه لو تيسر لك تأمل حياتهم من الداخل ستجدهم أكثر الناس افتقارًا للسعادة.. أنت تراهم يتوسدون جبالًا من زخرف المادة، لكنهم في الحقيقة يعيشون في الدرك الأسفل من الخواء الروحي.. يبتسمون في فرح أمام الآخرين بينما تخفي الأقنعة التي على وجوههم تأوهات لا تحصى ولا تعد.. من هؤلاء قلة محظوظون هداهم الله إلى نور الإسلام فعثروا على السعادة الحقيقية وركلوا وراءهم زخرف المادة ليرتقوا بأرواحهم إلى فلك السكينة والطمأنينة، ومن هؤلاء بطلة قصتنا المصورة الأمريكية نيكول كوين ندعوكم للتعرّف إلى قصة إسلامها..

ولدت نيكول من أبوين مسيحيين في ولاية تكساس في شهر مايو من عام 1981م.. قضت معظم طفولتها مع شقيقها الأكبر جوي في هيوستن وأورانج بتكساس.. عندما بلغت الثامنة من عمرها انتقلت مع شقيقها جوي إلى بلدة صغيرة جنوب دالاس، وبقيت هناك حتى تخرجها في المدرسة الثانوية.. وعندما بلغ عمرها 17 سنة استأجرت شقة خاصة بها لتبدأ حياتها المستقلة.

امتهنت نيكول التصوير الفوتوغرافي مستفيدة من دراستها في أثناء وجودها في المدرسة الثانوية.. قضت فترة من حياتها المهنية تجوب مختلف أنحاء الولايات المتحدة متنقلة من أستوديو إلى آخر ثم استقرت قليلًا في نيويورك قبل أن تعود إلى جذورها الجنوبية، في تكساس لبدء مشروعها في أستوديو التصوير الخاص بها.

كانت نيكول تركز في جلّ عملها التصويري على الحفلات الليلية وسرعان ما اشتهرت كمصورة فاتنة متميزة في دالاس، كما حصلت على ثقة عدد كبير من مشاهير الحياة المرفهة، بل ظهرت في وسائل الإعلام جنبًا إلى جنب مع أسماء كبيرة مثل جوستين تيمبرليك، وكيت هدسون، وتومي لي، وعدد لا يحصى من الرياضيين والممثلين والموسيقيين الآخرين..

وهنا تتحدث نيكول عن حياتها السابقة: «أتذكر تلك الحياة بأسى حيث شرب الخمر عادة طبيعية والمرور على ناديين أو ثلاثة في كل ليلة قبل العودة لبيتي في الثالثة صباحًا ثم النوم حتى الظهيرة وفعل الشيء نفسه مرة أخرى في الليلة التالية».

برغم حياتها المترفة بدأت نيكول تشعر بأنها تفتقر إلى الروح حيث تعيش حياة بائسة تخلو

من أي هدف وهنا تساءلت عن معنى وجودها في الحياة قائلة: «قلت في نفسي الحياة المادية تحيط بي من كل جانب، والجشع هو سيد الموقف في كل مكان، عليّ أن أقوم برحلة للبحث عن روحي».

تواصلها مع بعض المسلمين جعل بصيصًا من الضوء يتسرب إلى داخل نفسها.. بدأت تقرأ عن الإسلام في محاولة منها لاستكشاف هذا الدين الجديد الذي بهرها أصحابه بحديثهم عنه في جلساتهم معها.. أخذت تتوسع في قراءتها شيئًا فشيئًا حتى صارت تسهر الليل في القراءة حتى شروق الشمس.. إلى جانب الكتب بدأت تبحث في شبكة الإنترنت.. استوقفتها كثيرًا قصص المهتدين إلى الإسلام على قناة «يوتيوب»، فوجدت نفسها في قصصهم جنبًا إلى جنب مع الطمأنينة والصدق لا لشيء إلا لأنهم قاموا قبلها بنفس الرحلة رحلة البحث عن الحق وجوهر الحياة.

وخلال فترة بحثها وقراءتها عن الإسلام تعرفت نيكول إلى شاب مسلم من الأردن زوّدها بنسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم بالإنجليزية.. ما أن بدأت نيكول تقرأ ترجمة معاني القرآن الكريم حتى شعرت بالطمأنينة والسكينة تسري في أوصالها وأحست بجمال الحياة.. لاحظت فرقًا شاسعًا بين حياتيها الأولى والثانية.. بل بدأت تتغير شيئًا فشيئًا حتى لاحظ أصدقاؤها تغييرات جذرية في كل من سلوكها ومظهرها الشخصي إذ لم تعد ترتدي تلك الملابس الكاشفة التي كانت ترتديها من قبل، بل توقفت عن حضور الحفلات الليلية وأصبحت تمارس مهنتها في التصوير نهارًا وتعود بسرعة إلى بيتها لتعاود القراءة عن الإسلام وتاريخه وحضارته، فضلًا عن مداومة الاطلاع في معاني القرآن الكريم..

فكرت بعدها في الذهاب إلى المسجد لكي تتعرف إلى حياة المسلمين عن قرب فاحتارت في ما تلبسه للقاء المسلمات هناك.. وهنا تقول: «أدركت أنني كنت أرتدي ملابس فتاة رخيصة، ولا شيء لدي يصلح كي أذهب به إلى المسجد للتعرف إلى المسلمات والالتقاء ببعضهن.. توجهت إلى خزانة ملابسي الضخمة.. لم أجد غير فساتين ضيقة فاتنة.. قلت والدموع تنهمر على خدي: لا.. لا أريد هذا بعد الآن! وأخذت أمزق كل الملابس غير المحتشمة وألقي بها في كومة ورائي. كما بدأت أشتري الملابس والتنانير الطوال وأحسست براحة لأنني بدأت أحمي جسدي من النظرات. وبعد فترة قال لي بعضهم لقد أصبحت أجمل منذ بدأت تأكلين أكلًا صحيًّا وتنامين بالليل وترتدين هذه الملابس فقلت في نفسي: الإسلام هو السبب، إنه الدين الحق، يطهر الروح ويحافظ على الجسد».

انهمكت نيكول في دراسة الإسلام لمدة ستة أشهر وطبقت كل ما تعلمته عنه فشهدت تحسينات في حياتها، وقررت أن تعلن للآخرين، ما شعرت به في قلبها.. نعم قررت أن تسلم لله رب العالمين.. وفي شهر مايو عام 2007 دخلت مع عدد قليل من الصديقات المسلمات إلى مكتب نظيف صغير لإمام مسجد تركي.. وهنا تقول نيكول واصفة في فرح طفولي بريء لحظات اعتناقها الإسلام: «وصل الإمام بعد دقائق كان رجلًا كبيرًا، متواضعًا نبرة صوته رحيمة وشعرت أني سألتقط

طوق النجاة أخيرًا.. نظرت إلى أسفل واحمر وجهي خجلًا، مع ابتسامة كبيرة، وأوضح الإمام الهادئ ما سأقوم به فرددت وراءه الشهادتين بسهولة وشعرت أنها أكثر الكلمات جمالًا التي نطقتها شفتاي في حياتي.. أحسست أنني ولدت من جديد».

فور إسلامها وجدت نيكول كوين وظيفة جديدة نهارية في شركة كبيرة وسط مدينة دالاس.. نمت علاقتها مع الله داخل قلبها، وفي الوقت ذاته طوّرت معرفتها بالشاب الأردني الذي أهداها نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم بالإنجليزية.. دعاها الشاب بعد ذلك لزيارة عائلته في الأردن وفي نوفمبر من عام 2008 توجت علاقتهما بالزواج.. أحست حينذاك نيكول بالسعادة حيث شعرت بأن حياتها أصبحت ذات معنى لكونها أصبحت فردًا في عائلة مسلمة.

تجدر الإشارة إلى أن نيكول نشرت قصتها مع الإسلام في فيديو على قناة اليوتيوب نفسها التي داومت على مشاهدتها من قبل وتعرّفت من خلالها إلى حياة المهتدين.. وقد حققت قصة إسلامها نسبة مشاهدة عالية وبالملايين لمشاهدين ينتمون إلى جميع دول العالم.

سبحان الله!.. كان همها الوحيد التقاط صور المشاهير في اللحظات التي يفضلونها.. وكان عالمها الجميل عالم الليل حيث السهر والموسيقى والخمر والاختلاط المذموم.. أصبحت الأولى في عملها على مستوى حفلات دالاس بولاية تكساس الأمريكية.. ربحت المال الوفير وارتدت أغلى الثياب وتعرّفت إلى أبرز الشخصيات، ومع ذلك شعرت بأنها ضائعة وأن كل ما تفعله بلا هدف ولا معنى.. بدأت رحلة بحثها عن الحقيقة مستعينة بأصدقاء لها كانت تراهم واثقين بخطواتهم مطمئنين في حياتهم يمشون على الأرض ملوكًا وملكات لباسهم التقوى وعلى رؤوسهم تيجان الحياء.. وصلت عبرهم إلى منصة التتويج حيث أصبحت مسلمة تنعم بالطمأنينة والسكينة ذاتهما اللتين كانوا ينعمون بهما وحيث حصلت على السعادة الحقيقية التي لم تشعر بها من قبل برغم حياة الترف التي كانت تغمرها من شعر رأسها حتى أخمص قدميها.

فالترف الحقيقي هو نعيم الإيمان.. أن يحيا قلب الإنسان بالإيمان..

أن يحفظ المرء كإنسان تكريم الله له.. وقمة تكريم الإنسان هو التكريم بالإيمان..

فلا يشعر بالتكريم من عاش في الضلال ولو كان ملكًا من ملوك الدنيا..

ملوك وملكات الآخرة هم المؤمنون بالله..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (23) - (88)

كلهم في النار!

عجيب أمر النصارى!!

يخرج من ملتهم يوميًّا أفواج وأفواج..

ولا يزال كثير منهم على هذه الملّة!!

لا يفكرون.. لا يتدبّرون.. لا يُعملون عقولهم في ما لديهم من نصوص الأناجيل!!

لبيئتهم وثقافتهم الدينية يستسلمون.. ثم يستسلمون.. ثم يهوون في الضلال!!

لو فكر أحدهم في أي خرافة من خرافات واضعي الإنجيل ومحرفيه لانصرف عنها إلى الحق..

بطل قصتنا ممن فكر.. وأعمل عقله فهداه الله..

بطل قصتنا نصراني حتى النخاع.. حظي أبواه ومعظم أفراد عائلته الكبيرة بمناصب مميزة داخل الكنيسة.. لكل هذا نشأ نشأة نصرانية بحتة لا مجال فيها للاختلاط بالمسلمين إلا في الخفاء.. نقاشه مع أحد المسلمين لفت نظره إلى تناقضات النصرانية وسماحة الإسلام.. سأل القسيس علّه يجد منه إجابات تريحه من الشكوك التي أثارها حديث المسلم داخل نفسه.. لكنه وجده فارغًا كفؤاد أم موسى، وبالطبع فإن فاقد الشيء لا يعطيه.. في إحدى ليالي شهر رمضان سمع القرآن ينبعث من مكبر صوت داخل مسجد لا يبعد كثيرًا عن منزل أسرته.. تأثر به وأحبه كثيرًا، ومن ثم أقبل على قراءته وعلى دراسة الكتب الإسلامية.. اكتشف من خلالها أن المسيح وأمه مريم مكرمان في القرآن وأن الإسلام هو دين الحق فأسلم وجهه لله رب العالمين.. إنه المصري سيف الإسلام التهامي ندعوكم للتعرّف إلى قصة إسلامه.

ولد سيف الإسلام في القاهرة في 30 من شهر يونيو عام 1980.. والده كاثوليكي، وأمه إنجيلية، وابنة عم والده راهبة في مدرسة راهبات الأرمن، بينما خاله قسيس في إحدى الكنائس الإنجيلية!! ومنذ نعومة أظفاره عرف طريقه إلى الكنيسة بل أحبها لدرجة الوله.

التحق بمدرسة نوباريان الأرمنية وهي مدرسة عنصرية لا تقبل إلا النصارى الأرمن حتى أن عدد طلابها في جميع مراحل التعليم (من الحضانة إلى المرحلة الثانوية) كانوا لا يتجاوزون (125) طالبًا فقط.. كانت المدرسة بيئة نصرانية مكتملة الأركان فقد كانت تشتمل على كنيسة كما كان السواد الأعظم من المدرسين بها من النصارى.. بالتالي لم يكن متاحًا أمام بطل قصتنا الاختلاط

بالمسلمين باستثناء قلة من أصدقائه في الحي أو الجيران.. وحتى هؤلاء لم يكن يختلط بهم كثيرًا، إذ إن معظم أوقاته كان يقضيها في الكنيسة التي كان يخدم فيها كشماس مخلص.

في المرحلة الثانوية، ازداد ارتباطه بالكنيسة والقساوسة وأصبح يقوم بمعظم شعائر القداس بدءًا بقراءة الإنجيل وانتهاءً بتحضير القربان والخمر للقداس.

في أحد الأيام وبينما كان يجلس مع أحد الشباب المسلمين، سأله قائلًا: ألن تسلم؟

فردّ عليه في غيظ: ولمَ أسلم؟ ولمَ لا تتنصر أنت؟

فقال له المسلم عبارة كان لها وقعها الأليم عليه: «أنتم كلكم في النار»!

أزعجه حديث المسلم أيما إزعاج وتساءل: لماذا يدخل النار وهو يعمل كل ما في وسعه بإخلاص ليتقرب إلى ربه حتى يدخل الجنة؟!

عندما هدأ من انفعاله سأل المسلم: لماذا يدخل النصارى النار ويدخل المسلمون الجنة؟

ردّ عليه: لأنكم تفترون على المسيح بقولكم ثالث ثلاثة وأنه ابن الله وإلى غير ذلك من الافتراءات!

فسأله في فضول: وكيف عرفت كل هذه الأشياء.. هل قرأت الإنجيل؟

ردّ عليه: لا بل قرأتها في القرآن الكريم.

تساءل بطل قصتنا في حيرة عن الكيفية التي عرف بها القرآن ما هو في دينهم؟ وعن كيفية إقراره بأن كل الأشياء التي يقولها النصارى عن المسيح هي مقولات خطأ وستؤدي بهم إلى النار؟

للإجابة عن تساؤلاته بدأ يقرأ الإنجيل بتمعن وبالفعل وجد اختلافات وتناقضات في ذكر نسب المسيح! كما لاحظ التناقض في وصفه بادعاء ألوهيته تارة ونبوته تارة أخرى!

فأخذ يتساءل في حيرة: من هو المسيح إذن؟

أهو نبي أم ابن الله أم هو الله؟

صاغ مجموعة من الأسئلة وذهب بها إلى القسيس، علّه يجد عنده الإجابات الشافية التي تقلل من قلقه وشكوكه في النصرانية.. أصيب بخيبة أمل عندما لم يجد عند القسيس ما يثلج صدره!

بل يتذكر أنه سأل القسيس ذات مرة قائلًا: يقول الكتاب المقدس إن المسيح جالس على جبل الزيتون وهو يدعو الله؟ ألا يتناقض هذا مع كونه إلهًا؟

وإن كان هو الله حقًّا فمن يدعو؟ ولمن كان يسجد؟

ردّ عليه القسيس بإجابات مبهمة لم يفهم منها شيئًا.

أخذت بعدها أسئلة كثيرة تتولد وتدور داخل نفسه دون أن يجد لها إجابة.. فتغيرت العديد من قناعاته ومعتقداته، ومن بينها عدم الاعتراف للقسيس لأنه بشر مثله، كما آمن بنبوءة المسيح -عليه السلام- باعتباره بشرًا وباعتبار أن للإله صفات كمال خاصة تتنافى مع صفات البشر.

منذ ذلك الحين بدأ بطل قصتنا يقرأ الإنجيل من دون أن يقول (ربنا يسوع المسيح) بحسب ورودها في نص الإنجيل.. بل كان يكتفي بقوله يسوع المسيح، وبرغم ذلك لم يشعر بالراحة التي ينشدها.

في إحدى ليالي رمضان بينما هو يستذكر دروسه في غرفته داخل منزل أسرته المجاور لأحد المساجد وصلته تلاوة القرآن في صلاة التراويح عبر مكبرات الصوت.. فأعجبه القرآن وتذوق له حلاوة مست شغاف قلبه وإن لم يكن يعلم آنذاك أن تلك هي تلاوة القرآن.

في يوم أحد لا ينساه وأثناء أداء القداس داخل الكنيسة وقف عند كلمة: (ربنا يسوع المسيح).. فأبى لسانه أن ينطق بها، ولم يشعر بنفسه إلا وهو يتجاوز كلمة (ربنا) خلال قراءته.. تعجب القسيس وأشار له بالجلوس فتوقف عن القراءة ثم جلس ومن ثم أكملوا الصلاة بشكل طبيعي.. عقب إكمال الصلاة سأله القسيس في غرفة خاصة بالقسيسين: لماذا لم تقرأ الإنجيل كما هو؟ لم يجبه بل طلب منه أن يذهب إلى بيته ليحصل على قسط من الراحة.

ومنذ ذلك اليوم، ظل ينام قبل قراءة الإنجيل كما كان حاله من قبل بل أصبح زاهدًا في الذهاب إلى الكنيسة..

بعدها.. بدأ يقرأ عن الإسلام قراءة جادة فعرف من هو المسيح في الإسلام، كما عرف أن النبي محمدًا -صلى الله عليه وسلّم- ذكر في العهدين القديم والجديد.

بل اكتشف أن المسيح وأمه مريم -عليهما السلام- مكرمان غاية التكريم في القرآن، وأن المسيح (نبيّ)، قال الله له كن فكان:

إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) آل عمران

فتأكد تمامًا من أن الأناجيل التي بين يديّه محرفة، ويكثر فيها اللغط.

كما توصل إلى حقيقة أن الإسلام هو دين الحق..

ذهب بعدها إلى إحدى المكتبات واشترى مصحفًا كي يقرأ فيه..

وعندما قرأ القرآن أحس براحة غريبة داخل صدره!!

فاعتنق الإسلام عن اقتناع بالعقل وحب بالقلب..

وعندما أخبر أخواته بالإسلام فوجئ بأنهن قد سبقنه إليه!!

سبحان الله.. كم من نصراني يسلم وجهه لله ولا يعلن ذلك..

ثم يفاجأ بأنه آخر من أسلم من أهله!!

إنها الفطرة السليمة..

إنه العقل الباحث عن الحق..

إنها الأنفس الطاهرة..

لا تستسلموا لقوى الضلال..

لا تيأسوا من رحمة الله..

أروا الله خطوة واحدة في الطريق إليه..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (30) - (31) - (32) - (58)

حب العبادة

يسوقك القدر إلى ما تحسبه للوهلة الأولى أمرًا عاديًّا..

فإذا به أهم أمر في دنياك وآخرتك!!

كن مستعدًّا.. اغتنم الفرصة.. تشبث بتلابيب النور.. اقترب أكثر..

هنيئًا لك.. إنه الإيمان.. إنه الإسلام.. إنها النجاة..

ممثل سينمائي.. يقوده القدر إلى دور في فيلم..

فإذا به يصبح دوره في الحياة.. في الواقع..

لقد أتى عليه الدور في قائمة المؤمنين..

ولعل قصة بطلنا تأتي عكس عبارة ترويجية شهيرة في إحدى القنوات الفضائية العربية تقول: «عيشها بس ما تعيش الدور».. على عكس ذلك تمامًا، عاش بطل قصتنا هذا الدور في الفيلم ثم عاشه في الواقع! إنه الممثل الألباني الشهير ميروش قاباشي الذي مثّل في الفيلم الروائي «حب العبادة» دور شخصية مسلمة فتحول إلى مسلم في واقع الحياة.

بدأت قصة بطلنا باختياره للعب دور البطل في فيلم «حب العبادة».. لكي يتقمّص الشخصية بالصورة المثلى، اجتهد قاباشي في دراسة شخصية ونفسية بطل الفيلم المسلم، ما أدى إلى تحول كبير في مجرى حياته فتحول من مسلم في الفيلم إلى مسلم في الواقع! قصة الفيلم التي تسببت في إسلام الممثل الكبير «ميروش قاباشي»، مستوحاة من قصة حقيقية لشاب ألباني مسلم أنهى الدراسة الثانوية الشرعية، وتم تعيينه بوظيفة مؤذن بأحد مساجد مدينة بيرات بجنوب ألبانيا.. لكن بعد فترة قصيرة من تعيينه أصدر النظام الشيوعي الألباني عام 1967 أمرًا بتجريم الأديان، وحظر كافة المظاهر الدينية؛ الأمر الذي ترتب عليه تدمير وهدم معظم المساجد.

وكغيره من الأئمة الذين أصرّوا على الاستمساك بدينهم عقب هذا القرار، وضع هذا الشاب حديث التخرج في السجن لمدة 8 سنوات.. تمسكه بأداء فريضة الصلاة، والمداومة على العبادة داخل السجن أدى إلى اتخاذ قرار من الحزب الشيوعي الحاكم في ألبانيا يقضي بتمديد فترة سجنه لمدة 8 سنوات أخرى.

وبالعودة إلى بطل هذه القصة يقول مراسل «إسلام أون لاين» لشؤون البلقان: إن وسائل

الإعلام الألبانية اهتمت كثيرًا بالتحول الذي طرأ على حياة الممثل الشهير قاباشي، الذي تربّى وترعرع في حضن الشيوعية، نتيجة لما قرأه عن الإسلام استعدادًا لأداء الدور الذي كلف به، وما يجدر ذكره أن بطلنا فيما مضى من حياته وكغيره من الألبان لم يكن متاحًا له ألبتة فرصة التعرف إلى الدين الإسلامي.

دفع الفضول قاباشي إلى الحرص على فهم شخصية ونفسية الشاب الألباني المسلم الذي فضل البقاء في السجن 8 سنوات أخرى عن التوقف عن صلاته وعبادته لله، ما دفعه إلى قراءة الكتب الإسلامية، هذا بالطبع إلى جانب حرصه على تجويده لأدائه في الفيلم.

قبيل البدء في أدائه لدوره أخذ «قاباشي» يقرأ في الكتب الإسلامية جنبًا إلى جنب مع التدرب على أداء الأذان من خلال شرائه شرائط كاسيت تم تسجيلها بأصوات مختلفة لمؤذنين متعدّدين؛ فقد رفض اقتراحًا من مخرج الفيلم مفاده استعانته بأذان مسجل في شريط كاسيت، وعليه فقد أصر على أن يكون الأذان بصوته هو شخصيًّا، وهذا دفعه إلى الشروع في دراسة معاني كلمات الأذان، وعدم الاكتفاء بحفظها أو التدرب على إلقائها.

تحدثت آنذاك صحف ألبانية متعدّدة عن أن نور الإيمان بدأ يتسرّب إلى قلب الممثل الألباني الشهير عقب ذهابه إلى مسجد «طباق» بالعاصمة تيرانا؛ للحصول على المزيد من المعلومات عن الإسلام وعن الكيفية التي يقضي بها المسلم يومه، وكل ذلك حرصًا منه على تقمّص الشخصية بصورة تقنع جمهور المشاهدين.. وبالفعل تعلّم الكثير عن الإسلام من أهل المسجد -وعلى رأسهم الإمام- الذين لم يبخلوا عليه بأي معلومة طلبها.

ظل «قاباشي» يتردّد على المسجد من وقت إلى آخر، للاستماع إلى الدروس وخطب الجمعة.. لقد انبهر بشدة مما سمعه عن الدين الإسلامي، الشيء الذي بدأ يترك آثارًا إيجابية في نفسيته، وهي آثار ظلت تتزايد مع الوقت حتى وصلت به حدًّا جعله يقرر الالتزام بتعاليم الإسلام، ومنذ ذلك الوقت ظل محافظًا على أداء الصلوات الخمس في جماعة بالمسجد.

في أوائل أكتوبر من عام 2004 أنهى الممثل ميروش قاباشي تدريباته مع إمام مسجد طباق على إلقاء الأذان بصوته في الفضاء الخارجي بمنطقة البحيرة.. أكسبته التدريبات مهارة باهرة في إلقاء الأذان بل وصل درجة من الإتقان لم يكن يتوقعها منه إمام المسجد نفسه.. وما أن دخل شهر رمضان لعام 1425 هجرية حتى بدأ قاباشي الصوم لأوّل مرة في حياته.

وتحدث «قاباشي» عن حزنه الأليم للصورة الذهنية المشوهة التي ظلت وسائل الإعلام العالمية تروج لها وسط أهل الغرب وغيرهم من غير المسلمين، ففي رأيه إن أراد أي شخص معرفة الإسلام على حقيقته الطاهرة النقية لن يكلفه الأمر أكثر من الاطلاع السريع على بعض

الكتب الإسلامية، أو مقابلة بعض المسلمين.. يدلّل قاباشي على ذلك بقوله: «يكفي دليلًا على ما أقوله حقيقة أن التسامح الديني الذي تعيشه ألبانيا منذ قرون بين أبناء الإسلام والكاثوليكية والأرثوذكسية يعود الفضل فيه إلى سماحة الدين الإسلامي حيث يشكل المسلمون أكثر من 70% من الشعب الألباني».

ويضيف الممثل الألباني الشهير قاباشي بنبرات الواثق بنفسه وهو يتحدث عن حاجة العالم المعاصر للإسلام لكي يسهم في معالجة قضاياه الشائكة: «لا أدعي المعرفة الجيدة بالإسلام، ولكنني أستطيع التأكيد أن عصرنا الحالي يحتاج إلى الإسلام كما تحتاج الصحراء إلى الماء».

ويتابع بطل قصتنا حديثه قائلًا: «الآن فقط فهمت الإسلام.. يعود الفضل في ذلك إلى فيلم «حب العبادة» الذي أعتبره السبب الرئيسي في إلمامي بالإسلام ومعرفتي لحقيقته من الجذور، فمن خلال هذا الفيلم اطلعت على الكتب الإسلامية كما تسنت لي فرصة معايشة واقع المسلمين بنفسي.. الآن أيقنت تمام اليقين أهمية الإسلام للإنسان والمجتمع».

سبحان الله!!.. الممثل الألباني الشهير «ميروش قاباشي» الذي حصل على جائزة أفضل ممثل من مهرجان القاهرة الدولي للمسرح التجريبي عام 1997، والذي حصل كذلك على العديد من الميداليات والجوائز العالمية الأخرى، قدّر له الله تعالى أن يمثل دور شاب مسلم في فيلم «حب العبادة» فأجاد البطولة في الفيلم وأجادها في الواقع، حيث انتهى به الأمر إلى أن يصبح بطلًا إسلاميًّا حقيقيًّا بدخوله الإسلام.

إنها إرادة الله لهداية من يبحث عن الله..

جاءته الفرصة.. اجتهد في اغتنامها.. فكانت المكافأة من الله..

أهون الأسباب تقود إلى أعظم النتائج في دنياك.. وآخرتك..

فقط أخلص النيّة.. واسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (26) - (29)

كنت.. وأصبحت!

البدايات لا تشير دائمًا إلى النهايات..

بل هي آيات تدل على قدرة خالق الأرض والسماوات..

آيات تفتح نوافذ الأمل للضالين عن طريق الإيمان..

آيات تملأ القلب حبًا لله الذي يأخذ بأيدينا إليه.. مهما عصيناه!!

وحده من يعلم فطرة قلوب البشر الباحثين عنه.. مهما طال البحث..

البشر.. كل البشر.. في حاجة إليه..

بطل قصتنا مثال على كل ما تقدم.. بطلنا من فيتنام.. الدولة الآسيوية الواقعة في أقصى شرق شبه جزيرة الهند الصينية، ولا يذكر اسمها إلا وتتبادر إلى الأذهان تلك الصورة المأساوية التي جعلت منها مسرحًا دمويًا لاستعراض القوتين الشيوعية والرأسمالية، انتهت بهزيمة أمريكا وانسحابها من أرض المعركة في عام 1973. ومع تباشير هذا النصر الممزوج بدماء أكثر من مليون قتيل وثلاثة ملايين جريح دفعهم الفيتناميون ثمنًا باهظًا لهذا النصر، رأى النور طفل وديع لأبوين فيتناميين أطلقا عليه اسم هونج Hoang.

نشأ هذا الطفل وترعرع في مدينة هانوي عاصمة فيتنام، وأكمل دراسته حتى نال شهادة البكالوريوس في العلوم، وفي عام 1998م قدّر له أن يذهب إلى بلجيكا للحصول على درجة الماجستير. وفي هذا الوسط الجديد وجد نفسه أمام رفاق دراسة ينتمون إلى ديانات مختلفة وإن كان السواد الأعظم منهم ينقسمون إلى فئتين من الطلاب: فئة مسيحية وأخرى مسلمة.. كانوا كثيرًا ما يتحدثون معه حول الرب، بيد أنه كان يسفّه حديثهم ولا يهتم به، بل كان يسأل نفسه في استنكار: «كيف لأشخاص على مثل هذه الدرجة العالية من الثقافة يؤمنون بموضوعات ساذجة كتلك؟».

يحدثنا هونج عن قصته في الفقرات التالية فيقول: لا أنسى أبدًا تلك اللحظة التي رأيت فيها للمرة الأولى صديقًا مسلمًا ساجدًا في صلاته، فاعتقدت آنذاك أنه يبحث عن شيء سقط منه على الأرض! وعندما علمت لاحقًا أن ذلك هو سجود لدى المسلمين خجلت بشدة من نقص معرفتي بمثل تلك الأمور وأنا طالب ناضج أدرس بمرحلة الدراسات العليا!

وحتى تلك اللحظة كان موقفي من الإسلام يتلخص في كلمتين: اللامبالاة المطلقة.. لكن ما أن عرفت أن عدد المسلمين في العالم يبلغ نحو مليار وثلاثمئة مليون مسلم، أي أن هنالك مسلمًا بين كل خمسة أشخاص في العالم، حتى تحول موقفي من اللامبالاة المطلقة إلى حب الاستطلاع الملحاح.. فبدأت أجمع معلومات أولية عن الإسلام.. وعندما علمت أن القرآن الكريم يفسر بوضوح عددًا من الظواهر العلمية ازداد فضولي بدرجة كبيرة لمعرفة المزيد عن الإسلام.. بل ازداد بدرجة أكبر عندما علمت بوجود عدد من الجماعات المسلمة في بلدي -فيتنام- فتوصلت إلى أن لهذا الدين أتباعًا كثيرين يؤمنون به ويمتثلون لأوامره في منهج حياة نقي وجدير بالاحترام.. فكّرت آنذاك وقلت في نفسي: لا بد من وجود معجزات ما تجعل الفرد المسلم يحمل مثل هذا القدر الباهر من الإيمان الراسخ.

وفي أيلول من عام 1999م بدأت أتقصّى حول الدين الإسلامي وأجمع عنه المزيد من المعلومات.. في الحقيقة كنت كلما تعلمت أكثر عن الإسلام ازددت به إعجابًا، وتأكدت أن المسلمين يعيشون حياة تنضح بالصدق ويتمتعون بصفات تجعلهم جديرين بالاحترام حتى من ألد أعدائهم ومعارضيهم.. وأضيف إلى ما ذكرته أنني كلما اتسعت وتوطدت علاقاتي مع المسلمين تعمقت وتوثقت أكثر مشاعري القوية تجاه الإسلام.

وفي أوقات كثيرة كنت أسأل نفسي في حيرة: إن كان الله موجودًا بحق فكيف نؤمن به ونحن ليس بإمكاننا رؤيته على الرغم من التطور التكنولوجي الباهر ووفرة التجهيزات الحديثة؟ لاحقًا، اكتشفت أن بإمكان المرء أن يدرك وجود الله بقلبه على الرغم من عدم إمكانية رؤيته بأم عينه، تمامًا مثلما يشعر المرء بأفكار الرسام وهو يشاهد إحدى لوحاته برغم أن تلك الأفكار ليست مكتوبة عليها بصورة مباشرة.. من ناحية ثانية، إن استطاع المرء أن يرى الرب ويتعرف إليه في صورة مجسدة، فهل يعقل أن يشبه الرب مخلوقاته التي خلقها؟

بكل تأكيد لا.. إن الله تعالى منزه عن مثل هذه الصفات.. وهذا هو جوهر الإسلام الذي يميزه عن بقية الديانات الوثنية أو السماوية في شكلها المحرف، فتعالى الله علوًّا كبيرًا على تمثيله على شكل تماثيل خرساء وصماء يصنعها الناس بأيديهم ثم يعبدونها في حمق وبلاهة.

وبينما أنا أستفسر عن الإسلام، وجدت تشجيعًا كبيرًا ومساعدة مخلصة ونصحًا صادقًا من مسلمين عديدين ينتمون إلى مناطق مختلفة من العالم، خاصة أولئك الذين يتكلمون الفيتنامية.. وفضلًا عن هذا التشجيع أنعم الله تعالى عليَّ بنعمة عظيمة تتمثل في حصولي على ترجمة فيتنامية لمعاني القرآن الكريم.

وما أن قرأت القرآن الكريم حتى آمنت إيمانًا كاملًا بالله تعالى خالقًا للكون وربًّا له كما توصلت

إلى قناعة تامة مفادها أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي أوحى به إلى نبيه ورسوله محمد -صلى الله عليه وسلّم-.. كما آمنت أن الإسلام هو دين الحقيقة الخالدة شديد الصلة بالحياة، فقررت أن أعتنقه في أسرع وقت.. وبالفعل أسلمت ونطقت بشهادة الإسلام: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله» من أعماق قلبي أمام حشد غمرت فرحته أجواء أحد المساجد البلجيكية في التاسع من مايو عام 2000م.. وهذا اليوم أعتبره أهم أيام حياتي إذ منذه أصبحت أشعر بسلام وطمأنينة لم أشعر بهما من قبل وأنا الآن أفخر حقًّا وأتشرف كثيرًا بحقيقة أنني أصبحت مسلمًا.. إنه تاريخ ميلادي الجديد الذي حفر في ذاكرتي ووجداني بمداد من نور، وهو الذي يصادف السادس والعشرين من تاريخ ميلادي القديم.. نعم أسلمت عقب مرور 26 سنة من عمري قضيتها وسط محيط من الظلمات الحالكة.

في الحقيقة تغيرت تمامًا منذ أن اعتنقت الإسلام؛ فبينما كنت في الماضي أشرب الخمر وانتهك كل أنواع المحرمات دون حياء، وأخاف كثيرًا من أن يداهمني الموت، تحولت إلى شخص مختلف تمام الاختلاف؛ فقد أصبحت تقيًّا وصالحًا وذلك لإحساسي الصادق بأن الله تعالى إلى جانبي دائمًا يرى ويسمع ويعلم كل ما أفكر به..

وعلى الرغم من أن الألم ينتابني بشدة على ما ارتكبته من أخطاء في حياتي السابقة لإسلامي، فإنني أشعر بالطمأنينة التامة وذلك لثقتي الكاملة برحمة الله تعالى ومغفرته وفي كرمه المطلق الممدود الذي لا تحده حدود..

فمن غير الله يستطيع أن يهدي إليه ويحول البشر كل هذا التحول؟!!

من يعدل بوصلة القلوب من أقصى اليسار إلى أقصى اليمين؟!!

لا خيارات للإجابة.. إنه الله.. وحده..

لذا اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (10)

إشارات المرور

الإنسان في حياته كقائد السيارة في الطريق..

حياة واحدة.. لا نعبرها إلا مرة واحدة..

اللوحات الإرشادية وإشارات المرور «تهدينا» للوصول إلى وجهتنا الصحيحة..

عندما يريد الله بالإنسان خيرًا.. يضع في طريقه ما أو من يلعب دور اللوحة والإشارة!!

وحده قائد السيارة من يتبعها فيهتدي.. أو يخالفها فيضلّ..

بطلة قصتنا بحثت عن اللوحة الإرشادية.. اتبعت إشارة المرور.. فوصلت..

ولدت لعائلة كاثوليكية متدينة.. اعتادت الذهاب إلى الكنيسة منذ صغرها.. وعندما بلغت الرابعة عشرة من عمرها بدأت تراودها تساؤلات عقدية كثيرة.. امتلأ قلبها بالشك في مدى صدقية الكنيسة.. قاطعت الأخيرة ثم بدأت رحلتها في البحث عن الأجوبة الشافية.. وجدت ضالتها المنشودة عند زميلها الجامعي المسلم.. اعتنقت الإسلام على يديه وتزوجت به.. فازت بالحسنيين.

إنها العالمة الكندية المعروفة صوفي بوافير (سلمى بوافير) بطلة هذه القصة..

تحدثنا العالمة سلمى بوافير عن قصة إسلامها فتقول في فخر واعتزاز: «ولدت في مونتريال بكندا عام 1971م.. درجت على ارتياد الكنيسة بانتظام بسبب انتمائي لعائلة كاثوليكية متدينة.. وعندما بلغت الرابعة عشرة من عمري بدأت تراودني تساؤلات كثيرة وكبيرة حول الخالق والأديان.. لم تكن تساؤلاتي صعبة أو بعيدة عن المنطق بيد أن بني طائفتي كانوا عاجزين عن الإجابة عنها.. ومن الأسئلة التي أقضّت مضجعي وأصابتني بالحيرة: إن كان الله تعالى هو الذي بيده الضرر والنفع، وهو الذي يملك العطاء والمنع، فلماذا لا نسأله مباشرة؟! ولماذا نتخذ من الكهنة وسطاء بيننا وبين خالقنا؟! أليس الله تعالى هو القادر على كل شيء؟! وإن كان ذلك أليس هو الأولى بالسؤال؟

أسئلة كثيرة محيّرة ظلت تحاصرني بإلحاح.. وعندما لم أجد لها إجابات مقنعة قررت التوقف عن ارتياد الكنيسة.. لم أعد أستمع إلى قصص الرهبان الساذجة ولم أعد أهتم بمضامينها الخاوية.. إيماني بالله تعالى دفعني إلى دراسة أديان أخرى بيد أنني لم أجد فيها إجابات شافية عن تساؤلاتي الكبيرة.. ظللت أعيش في حيرة فكرية حتى بدأت دراستي الجامعية.. تعرّفت في الجامعة

إلى زميل مسلم عرّفني بالإسلام.. اندهشت بشدة عندما وجدت في الإسلام الأجوبة المقنعة الشافية عن تساؤلاتي الكبرى التي أصابتني بالحيرة لفترة طويلة!

عندما تعرفت إلى الإسلام توصلت إلى حقيقة جليّة مفادها أن الدين الإسلامي جاء ليجيب عن أسئلة ثلاثة احتارت في الإجابة عنها عقول بني البشر في مختلف الأزمنة والأمكنة، ألا وهي: من أنا؟؟ ولماذا خُلقت؟؟ وما هو مصيري؟؟

استغرقت مني دراسة الإسلام هذا الدين العظيم سنة بأكملها.. رويدًا رويدًا استولى حب الإسلام على قلبي، ومن الأشياء التي جذبتني إليه منظر المسلمين وهم خاشعون في صلاتهم بين يدي الله.. حقيقة كانت تبهرني كثيرًا تلك الحركات التي شعرت بمدى تعبيرها عن السكينة والأدب وكمال العبودية لله عزّ وجلّ.. دفعني ذلك إلى البدء بارتياد المسجد.. بينما شجعني هذا الأمر الأخير على المضي قدمًا في الطريق إلى الإسلام.. ارتديت الحجاب أولًا بغرض اختبار إرادتي.. بعد مرور أسبوعين هلّت لحظة الانعطاف الكبير في حياتي حيث نطقت الشهادتين (أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله)، تأشيرة دخولي إلى الإسلام.

تنهدت صوفي بوافير بعمق ثم اختتمت قصتها بقولها: «إن الإسلام الذي جمعني مع زميلي المسلم بالجامعة، هو نفسه الذي جمعنا من بعد لنكون زوجين مسلمين في الحياة.. نعم شاء الله تعالى أن يكون رفيقي في كلٍّ من رحلة الإيمان ورحلة الحياة».

إلهي ما أعظم شأنك الذي لا يدانيه شأن وما أجلّ رحمتك التي وسعت كل شيء..

نعم.. العبد في التفكير والرّب في التدبير..

انشغل فكر بطلة قصتنا بالبحث عن الحق فهداها الله تعالى إلى طريقه..

أرسل الله لها زميلًا فزوجًا كان بمنزلة الإشارة إلى الطريق..

اتبعت الإشارة.. قادت حياتها إلى الوجهة السليمة.. إلى الله..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (11) - (29) - (30) - (31)

الاعتراف المتأخر

عندما يهتدي الإنسان إلى الحق يعرف لذة الإيمان بالله..

يمتلئ القلب سعادة.. تفيض الروح بالصفاء..

هنا يشعر بالمسؤولية.. «هل سأتذوق لذة الإيمان وحدي وأترك أحبابي؟!»..

من كمال الإيمان أن تشعر برغبة ملحّة في أن يؤمن الناس أجمعون..

فإن لم يكن فليؤمن أحبابك.. هذا ما كان من بطل قصتنا..

عندما أسلم دعا الجميع إلى الإسلام.. وبدأ بزوجته وأبنائه..

فآمنوا جميعًا.. وتذوقوا جميعًا لذّة الإيمان والقرب من الله..

يوسف خطاب.. أمريكي ليس ككل الأمريكيين، ويهودي ليس ككل اليهود!! في البدء كان ينتمي إلى تيار «ساطمر» اليهودي المتزمّت.. ترك ذلك التيار لينضم إلى حركة «شاس» اليهودية المتدينة التي كان شديد الإعجاب بزعيمها يوسف عوفاديا، قبل أن يفاجئ الجميع بخبر إسلامه المدوّي.. إنه يوسف كوهين الذي غيّر اسمه إلى «يوسف خطاب» عقب إسلامه، فما هي حكايته؟!

بدأ يوسف كوهين أولى خطواته في حي بروكلين حيث انضم إلى تيار «ساطمر» اليهودي المتزمت وتعرف إلى زوجته لونا كوهين التي أنجب منها أربعة أبناء.. في عام 1998م غادر كوهين مسقط رأسه إلى إسرائيل وأصبح واحدًا من مجموعة الأشكيناز، أي اليهود القادمين من الغرب، حيث كان يحلم -كغيره من اليهود الذين يعيشون خارج إسرائيل- بالعيش في ظل دولة الديمقراطية والقانون، كما كان يروّج لها حكّام إسرائيل.. وإلى جانب السبب السابق تجدر الإشارة إلى أن إعجاب كوهين بالحاخام عوفاديا (الزعيم الروحي لشاس) كان من الأسباب التي دفعته إلى الانتقال إلى إسرائيل، فقد كان يكنّ له قدرًا من التقدير دفعه إلى أن يسمّي أحد أبنائه على اسمه.

فور وصوله إلى إسرائيل سكن كوهين في قطاع غزة، وتحديدًا في مستوطنة «غادير» بـ«غوش قطيب».. وبعد فترة ليست بالطويلة انتقل إلى «نتيفوت» الواقعة في جنوب إسرائيل، وأطلق على ابنه الأصغر اسم «عوفاديا» إعجابًا بالحاخام المتطرف عوفاديا يوسف زعيم حركة شاس اليهودية المتطرفة.. ألحق كوهين أبناءه بشبكة التعليم التوراتي، بينما التحق هو بالعمل في إدارة تابعة للقطاع الديني اليهودي.

عقب فترة قصيرة من العيش في إسرائيل تفاجأ كوهين بالمجازر التي ترتكبها إسرائيل ضد الشعب الفلسطيني، وصُدم بواقع وجده يناقض الواقع النرجسي الذي كان يروّج له الإعلام الغربي واليهودي عن إسرائيل؛ فبدأت كراهيته لليهود والإسرائيليين وهي كراهية دفعته إلى البحث عن الحقيقة بشكل محايد.

في ليلة صيفية عصية على النسيان، دخل الوالد يوسف كوهين في دردشة إسفيرية، مع رجل يطلق على نفسه اسم «زهدي».. وظل الاثنان ولساعات طوال يتبادلان وجهات النظر الفلسفية والدينية.. عقب مرور وقت ليس بالطويل انتبه كوهين إلى أنه صار يدمن قراءة رسائل صديقه الإسفيري الغامض، بل وجد نفسه ينتظرها على أحر من الجمر.

النقاش الذي دار بين كوهين و«زهدي» جعل الأول يتعلق بالثاني، كما زاد من رغبته في معرفة المزيد عن الإسلام.. لقد أصبح كوهين أكثر ميلًا نحو الإسلام بعد مقارنته بالعقيدة اليهودية.. وعندما توطدت العلاقة بين الاثنين كشف «زهدي» عن نفسه لكوهين وأخبره بأنه إمام مسجد سعودي يدعى مُحمَّد.. رويدًا رويدًا بدأ كوهين يقتنع بحجج محاوره، بل حصل منه على نسخة من القرآن الكريم أخفاها عن عيني زوجته.. وما أن شرع في قراءة القرآن الكريم حتى لاحت أمام ناظريه عنصرية الدين اليهودي في شكلها السافر، فأخذ يتطلع إلى الإسلام.

استمرت العلاقة بين الاثنين تزداد قربًا، بينما زاد تعمّق كوهين في فهم الدين الإسلامي.. عندما وصل كوهين إلى هذه المرحلة، وفي بداية عام 2001 أقنع محمد محاوره يوسف كوهين بالذهاب إلى القدس الشرقية لمقابلة بعض رجال الدين المسلمين.. بالطبع كانت تلك مهمة تتسم بالخطر! إذ كيف يمكن ليهودي أن يذهب إلى هناك.. لحل هذه المعضلة كان كوهين يتذرع بأنه يريد الذهاب إلى الكنيسة، فكان يلتقي برجال الدين المسلمين قبل ذهابه إلى مقصده.

وعندما صعب عليه الاستمرار في التحايل أخبر زوجته بأنه على وشك التحول من اليهودية إلى الإسلام، وأوضح لها عظمته ومزاياه، ثم ترك لها حرية الاختيار وإن كان يتمنى لها من داخل قلبه أن تسلم.. طلبت منه زوجته أن يمنحها فترة من الوقت حتى تتعرف بدورها إلى الإسلام.. وبالفعل بدأت زوجته دراسة الدين الإسلامي حتى اقتنعت فأسلمت.. عقب ذلك أخذ يوسف زوجته وأبناءه الأربعة إلى المحكمة الشرعية بالقدس الشرقية ليعلنوا فيها تحولهم رسميًّا إلى الإسلام، كما تحولوا كذلك للسكن بالمنطقة الإسلامية في فلسطين.

تحول اسم كوهين البالغ من العمر 36 عامًا إلى «يوسف الخطاب» وتحول اسم زوجته لونا (34 عامًا) إلى قمر، بينما غيرا الأسماء العبرية لأولادهما إلى أسماء إسلامية.. وهنا تجدر الإشارة إلى أن اليهوديات اللائي يتزوجن بمسلمين يعتنقن الإسلام في بعض الأحيان.. بيد أن المدهش في

هذه الحالة أن عائلة يهودية بأكملها قد تحولت من اليهودية إلى الإسلام!

الأمر الأكثر إثارة للدهشة يتمثل في حقيقة أن بطل قصتنا الذي كان يدعم حزب «شاس» اليهودي المتطرف أصبح نصيرًا لحركة «حماس» الإسلامية، بل وصل به الحال في دعم حركة «حماس» حدًّا جعله يقول في حماسة: «يجب أن تمتد فلسطين من البحر المتوسط إلى نهر الأردن، وعلى اليهود أن يخرجوا».. من جاء ليحتل أصبح مجاهدًا لإخراج المحتل!! من كان معاديًا للإسلام أصبح داعيًا إليه!! فسبحان مغيّر الأحوال ومقلّب القلوب!!

تصدّر خبر اعتناق أسرة خطاب جميعها الإسلام الصفحات الأولى في العديد من الصحف الإسرائيلية والغربية، وأحدث ضجة كبرى في المحافل الدينية اليهودية، خاصة في أوساط حركة شاس التي كان ينتمي إليها ربّ الأسرة. واعتبر أحد الإسرائيليين من حركة شاس الدينية أن ما قام به يوسف ضرب من الجنون ويجب معالجته بوضعه في مستشفى الأمراض العقلية.

انتقلت أسرة خطاب بعد إعلان إسلامها للسكن في قرية الطور العربية الواقعة في القدس الشرقية.. وأصبح خطاب يرتدي الزي العربي التقليدي، كما أصبح هو وأولاده يحرصون على أداء الصلوات وسائر العبادات الإسلامية، ومثلهم فعلت زوجته التي ارتدت الحجاب.

التحق خطاب بالعمل في جمعية إسلامية خيرية في المدينة، بينما أدخل أولاده إحدى المدارس الإسلامية حيث أصبحوا يتحدثون اللغة العربية بطلاقة.. وتجدر الإشارة هنا إلى أن معظم أفراد أسرة خطاب قد غيّروا أسماءهم، حيث تغيّر اسم الأب من يوسف كوهين إلى يوسف خطاب، وتغيّر اسم الابن الأكبر من عزرا إلى عبدالعزيز، وتغيّر اسم الابن الأوسط من رحمايم إلى عبدالمجيد، بينما تغيّر اسم الابن الأصغر من عوفاديا إلى عبدالله، أما الابنة الوحيدة حسيبة فقد احتفظت بذات الاسم.. لقد تفاجأ الجميع بالحدث غير العادي؛ إذ إنها المرة الأولى التي تعتنق فيها أسرة يهودية بأكملها الدين الإسلامي، ويتحول ولاؤها لليهود إلى كره.. وبمرور الأيام تطورت كراهية خطاب لليهود وتحولت إلى تصريحات مدوية يعبر فيها على العلن عن هذه الكراهية ويستنكر كل ما يلحق بالفلسطينيين من ظلم واضطهاد على يدهم، بل صار يؤيد العمليات الفدائية التي يقوم بها الفلسطينيون ويبررها بأنها تأتي كردّ فعل لممارسات إسرائيل الوحشية ضدهم.

عقب إسلامه واجه خطاب مجموعة من المشكلات من بينها رفض الإسرائيليين الاعتراف الرسمي بإسلامه على الرغم من أن القانون الإسرائيلي يسمح بحريّة الأديان ويعطي للمواطن حق اعتناق الدين الذي يرغب فيه، وهو رفض يعزى إلى الخوف من اعتناق إسرائيليين آخرين للدين الإسلامي.. لكن وبعد معاناة طويلة وصعبة دامت زهاء العامين ونصف العام تمكنت المحامية دينا شبلي من أن تنتزع له ولأسرته هذا الحق بعد وصولها للمسؤولين في وزارتي

الداخلية والأديان، حيث تمكّن يوسف وكل أفراد أسرته من تغيير ديانتهم وتسجيلها رسميًّا في بطاقات هويتهم ومن ثم تغيير أسمائهم العبرية إلى عربية.. وطوال تلك المدة حرم يوسف وأفراد عائلته من دخول دور العبادة الإسلامية لأنهم كانوا لا يزالون يعتبرون رسميًّا يهوديين.

وفي خاتمة هذه القصة نشير إلى أن الاعتراف المتأخر من قبل السلطات الرسمية بإسلام يوسف وأسرته لم يكن يعني نهاية المطاف، إذ واجهته مشكلات عديدة من بينها الخوف الكبير الذي ظل ينتابه من أن المجتمع الإسلامي الفلسطيني لن يرحب به، وذلك لانتقاله من بيئة يهودية إلى أخرى إسلامية، وتحوله من يهودي متطرف إلى إسلامي فلسطيني..

هذا إضافة إلى المضايقات الكثيرة التي كان يقوم بها بنو دينه، فضلًا عن الشرطة الإسرائيلية التي كانت تقوم بإزعاجه في بيته الجديد.. ولكنه ثمن بخس يدفعه بطل قصتنا مقابل إسلام عظيم يضمن له خيري الدنيا والآخرة..

نعم.. اجتمع الكل ضده.. احتشد الجميع ضده..

مجتمعه القديم.. «كيف تتركنا وتعادينا اليوم»؟!!

مجتمعه الجديد.. «كيف ننسى ما فعلته ضدنا بالأمس»؟!!

الشرطة.. «كيف نتركك تنعم.. سنفتعل المداهمات ونقوم بكل ما يزعجك»!!

«الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ فَانقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ..».

وهل هناك أعظم من فضل الله؟!!

وهل هناك فضل أعظم من الهداية؟!

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (10) - (29) - (30) - (58) - (115)

عظمة القرآن

الحقيقة ضالة صاحب الحق أيًّا كانت ديانته ومذهبه، أنى وجدها فهو صاحبها وهي قائدته..

وللحقيقة وجه واحد لا يتبدل وصورة واحدة لا تتغير.. تأبى أن تبقى خفية غامضة..

كل من بحث عنها بصدق أبصر نورها حتى لو كان فاقد البصر..

هذا اليهودي الأمريكي، بطل هذه القصة، بحث عن الحقيقة بصدق وإخلاص فوجدها مشرقة خلف تلال من الكذب المزيف.. ما هي هذه الحقيقة وكيف وجدها.. هذا ما يرويه لنا اليهودي الأمريكي ميليتش ياكوف في الفقرات التالية:

ولدت في أحد أحياء مدينة نيويورك التي ما زلت أعيش فيها حتى الآن لعائلة يهودية.. أطلق علي والداي اسمًا عبرانيًّا هو «ميليتش ياكوف».. على الرغم من انتمائنا إلى اليهودية الشاسية المعروفة بتزمتها المتطرف فإننا لم نكن نلتزم بجميع شعائرها الصارمة التي يفرضها علينا المحفل الشاسي، الذي كنا نذهب للصلاة فيه كل يوم سبت.. اختلافنا في المظهر والسلوك عن بقية أفراد الطائفة الشاسية خير دليل على أننا عائلة شبه متدينة.. فبينما كان أفراد طائفتنا يرتدون البدلات السوداء والقبعات، ويطلقون اللحى وتتدلى سبلتان طويلتان على خد الواحد منهم، كان أفراد عائلتي يختلفون عنهم في ارتدائهم الملابس العادية.. كما أنهم كانوا يطبخون ويستخدمون الكهرباء في يوم السبت على عكس بقية أفراد الطائفة.. هذا عن أفراد عائلتي، أما أنا فقد كنت أكثرهم بعدًا عن الدين؛ فعلى سبيل المثال لم أكن أضع «الكيبا» فوق رأسي كما أنني ترعرعت في وسط دنيوي غير متدين، وكان يحيط بي كثيرون من زملاء الدراسة من غير اليهود.

وعلى الرغم من أنني لم أكن متدينًا ظللت أشعر بعقدة الذنب لعدد من السنين نتيجة لعدم التزامي بتعاليم طائفتي الدينية مثل قيادتي السيارة يوم السبت وتناولي طعامًا لا تبيحه الشريعة اليهودية.. وقد يعزى شعوري بالذنب إلى إحساسي القوي بأن تلك الأوامر الدينية ما هي إلا علامات في طريق يريدني الله أن أعيشه.. بالتالي كنت في كل مرة لا ألتزم فيها تلك الأوامر أشعر بأنني أرتكب خطيئة في نظر الله.. لكل لذلك يمكنني أن أقول إن اعتناقي للإسلام اتخذ له طريقًا لولبيًّا حلزونيًّا غير مستقيم.

أتذكر أن أمي كانت تروي لي في طفولتي قصص مشاهير الحاخامات كما كانت تقرأ لي القصص الأسطورية من «الهغادة» والتوراة.. وهنا أشير إلى أن تلك القصص تحمل نفس الرسالة الأخلاقية

التي عززت انتمائي إلى الجماعة اليهودية وإسرائيل.. لقد كانت قصصًا تتحدث عن الاضطهاد الذي تعرض له اليهود على مرّ التاريخ، كما كانت تتحدث عن وقوف الله إلى جانبهم كشعبه المختار حتى النهاية.. وتركز تلك القصص -التي تربينا عليها كيهود- على المعجزات التي تسعف اليهود على الدوام حينما يكونون في أشد حالات الضيق، كما تصور بقاءهم على مر التاريخ -وسط النزاعات والمحن- على أنه معجزة من الله لحفظ شعبه المختار.

الحقيقة، بالرغم من إحساسي القوي بهويتي كيهودي، فإنني كنت أشعر بالملل تجاه صلاة السبت التي كنت أذهب إليها مع أبي، بل كنت أنظر في استياء إلى منظر المصلين بقبعاتهم السوداء ولحاهم الطويلة وأستمع في تبرّم وضيق إلى صلاتهم التي يؤدونها بلغة غريبة تشعرني بأنني وسط عالم غريب.. عالم يختلف كل الاختلاف عن عالم أصدقائي ومعارفي الذين كنت أشعر بالبهجة وسطهم.. لكل هذا لم نكن أنا ووالدي ملتزمين بأسلوب الحياة الشاسية مثل بقية أفراد العائلة، لذلك كنا نذهب إلى المحفل بصورة غير منتظمة حتى كان ذلك اليوم!

في أحد الأيام وكنت حينذاك في الثالثة عشرة من عمري شهدت مشاجرة حدثت لأبي مع بعض أعضاء المحفل اليهودي.. قطعت تلك المشاجرة شعرة معاوية التي كانت تربطنا -أنا وأبي- بالمحفل؛ إذ توقفنا عن زيارته تمامًا.. عقب ذلك حدث أمر آخر أحدث انقلابًا في حياة أبي؛ إذ أقنعه أحد الأصدقاء بحب يسوع.. هذا التحول الذي حدث في حياة أبي عزز من مسألة اعتقادي الخاص، فبدأت أطرح العديد من الأسئلة التي من بينها على سبيل المثال: من هو اليهودي بالتحديد؟ وهل اليهودية ثقافة أم قومية أم دين؟ وإن كانت اليهودية قومية فكيف لليهودي أن يكون مواطنًا في قوميتين؟! وشيئًا فشيئًا، أخذت أبتعد عن اليهودية التي لم يكن تديني بها تدينًا نابعًا عن إيمان حقيقي صادق.

في فترة لاحقة -ليست بالبعيدة عن طلاقي لليهودية- تبنينا أنا ورفاقي الكثير من النزعات السياسية، وجربنا كل شيء سياسي وفكري يمكن أن يخطر ببال بشر.. بدءًا بالدعوة إلى الجمهورية وانتهاءً بالدعوة إلى الشيوعية.. وفي إطار بحثي عن الحقيقة قرأت كل أعمال ماركس، ولينين، وستالين، وماو، وتروتسكي.. في البدء وجدت في الماركسية ما كنت أنشده وأبحث عنه منذ صغري.. وشكلنا أنا ورفاقي ناديًا اشتراكيًّا أسهمنا عبره في الكثير من النشاطات المتنوعة، كالاحتجاجات الداخلية والتضامن مع الإضرابات العمالية، فضلًا عن الترتيب لإحداث ثورة في البلاد.. لكن سرعان ما كرهنا اليسار السياسي الأمريكي، وشعرنا بالاشمئزاز من الطريقة التي يعمل بها، بل ورفضناها تمامًا؛ فقد توصلنا إلى استحالة إحداث ثورة ناجحة بوساطة هذا النموذج العابث من الناس.

وعلى الرغم من كراهيتي لليسار وتوقفي عن النضال لأجل الثورة، فقد أصبحت مناصرًا

نشطًا للفلسطينيين؛ لأن قضيتهم هي القضية الوحيدة التي وجدت نفسي أتحمّس لها بشدة.. ما أعطاني الشعور بالكبرياء مهاجمتي للاتجاه السائد الداعم لإسرائيل في عدوانها على الشعب الفلسطيني.. أردت من هذا الموقف أن يعلم العالم حقيقة أنه ليس كل اليهود سيئين.

من ناحية ثانية لم أكن في الحقيقة ملحدًا على الرغم من أنني هجرت اليهودية وأصبح هدفي الأسمى والأوحد هو خدمة الإنسانية.. نعم لم أكن ملحدًا ومع ذلك كنت أكره الأديان كلها؛ إذ توصلت إلى قناعة مفادها أن الدين هو أداة يستخدمها المسؤولون للتحكم في بقية أفراد المجتمع. ما أوصلني إلى هذه القناعة المفاهيم التي يتبناها «المسيحيون المتطرفون» في أمريكا.. لقد كنت أستنكر عليهم العديد من الأشياء مثل إنكارهم للعلم ودعمهم للقيم القديمة للرجل الأبيض، أضف إلى ذلك الطريقة التي يتبعها اليهود في تعاملهم مع الفلسطينيين.. برغم ذلك ظللت أؤمن بالله إيمانًا سطحيًّا.. بيد أن هذا الضعف الديني الذي كنت أعيشه أحدث في داخلي فراغًا كبيرًا.. حتى أنني أصبحت أتمنى في بعض الأحيان لو أنني كنت رجلًا متدينًا، إذ كنت أشعر بأن المتدينين يعيشون حياة أكثر سعادة منا نحن غير المتدينين.

عندما وقعت أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001م، أخذت وسائل الإعلام الغربية تعمل على التكريس بشدة للصورة السلبية التي سبق أن رسمتها للإسلام في أذهان الغربيين.. كنت من البداية أعرف أن وسائل إعلامنا تمارس الكذب والتضليل على الرأي العام وذلك لعلمي أن هذه الوسائل تحمي فقط مصالح أولئك الذين يسيطرون عليها..

وعندما لاحظت أن معظم من يشنون الهجوم على الإسلام هم من المسيحيين المتطرفين بدأت أنظر إلى الإسلام من منظور آخر؛ إذ أخذ يبدو لي دينًا باهرًا وساحرًا يختلف عن بقية الأديان التي عرفتها.. الحقيقة شكرت الله كثيرًا على ما تعلمته من خلال تجربتي السياسية السابقة إذ تعرفت عبرها إلى كل من المجتمع ووسائل الإعلام، الأمر الذي جعلني غير مصدق لكل الأكاذيب التي سمعتها عن الإسلام من خلال محطات التلفزة الغربية.

وفي أحد الأيام سمعت شخصًا يتحدث عن الحقائق العلمية التي يحويها الكتاب المقدس.. تساءلت يومذاك: هل يحوي القرآن حقائق علمية بين جوانحه؟

للإجابة عن هذا السؤال دخلت الشبكة العنكبوتية وشرعت في البحث عن هذا الموضوع.. لقد وجدت أمامي مفاجأة غير متوقعة تشيب لها الرؤوس!! حقيقة انبهرت بقدر ما تعنيه هذه الكلمة من معنى.. لقد وجدت الكثير من الأشياء المذهلة التي أعجز عن وصفها بالكلمات!! يا للروعة!! أدهشني بشدة ما يتمتع به القرآن من تناغم منطقي متفرد.. أدركت مدى عظمة القرآن وتفرده عندما قارنت رسائله الأخلاقية مع تلك التي تعلمتها في الكتاب المقدس!! يا لعظمة القرآن!! كما

وجدت نفسي أستمتع بقراءته، مقارنة بالكتاب المقدس الذي كانت قراءته تبعث الملل في نفسي.

قضيت وقتًا طويلًا وأنا ألتهم في نهم المقالات الكثيرة التي تتحدث عن الإسلام والتي عثرت عليها في شبكة الإنترنت.. وبعد مرور خمسة أشهر من الدراسة المكثفة وجدت نفسي أنطق شهادة الإسلام في فرح طفولي لأنني أصبحت مسلمًا على نحو رسمي.

ويختتم ياكوف قصته بقوله: عقب دخولي الإسلام بصورة رسمية وجدته أفضل من ديني القديم الذي كنت أدين به، بل ولكي أكون أكثر دقة أقول إنه لا مجال للمقارنة بين الاثنين.. لقد وجدت كل شيء في الإسلام منطقيًّا ومعقولًا.. كل عباداته ميسّرة وسهلة للفهم.. في البدء كنت أخاله مثل اليهودية في التشدد بيد أنني وجدته على العكس من ذلك دين تسامح ويسر.. أخيرًا ألخص حديثي لكم في قولي: إن من أهم ما تعلمته من الإسلام حقيقة أن الأديان كلها ذات جوهر واحد لأن الإله المعبود واحد وهو الله، لكن الإنسان هو الذي حرّف هذه الأديان على مر الزمان، ويبقى الإسلام وحده هو الدين الحق..

حقًّا.. «**إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**»..

«**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**»..

هكذا قال الله.. هكذا أعلنها القرآن قبل أكثر من 1400 عام..

فاستمعوا وأنصتوا واتبعوا الدين الذي لن يقبل الله منكم سواه!!

أسلموا تسلموا في دنياكم وأخراكم..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (10) - (104)

عازفة الفلوت

عندما يتساءل الإنسان.. فلا يجد مجيبًا.. يدبّ الشك في إيمانه..

حتى العلماء المتخصصون.. لا يجيبون.. ينهرون ويصرفون السائل!!

إنه الطريق الأسرع للوصول إلى خطأ المعتقد.. بل خطيئة العقيدة!!

حقًّا لا إجابات!!.. هم لا يرفضون الإجابة.. بل ليس هناك إجابة!!

بطلة قصتنا.. تتساءل.. ولا مجيب..

ولدت ونشأت في فرجينيا الغربية.. تربت وسط أفراد عائلة مسيحية، وإن كان والدها يهوديًّا.. وقع الطلاق بين والديها وعمر الطفلة لم يتجاوز العام، لا لشيء إلا لأن أمها لم تلد مولودًا ذكرًا كما أراد لها والدها.. أمها أخصائية اجتماعية تهتم بذوي الاحتياجات الخاصة من الأطفال.. هجرت الكنيسة عندما عجز قساوستها عن الإجابة عن أسئلتها ذات الصلة بتشكيكها في النصرانية.. بدأت البحث في بقية الديانات.. التقت بسيدة مسلمة أحبت عبرها الإسلام واعتنقته.. إنها الأمريكية آن سبولدينغ التي ندعوكم للإبحار في قصة إسلامها.

بدأت آن العزف على آلة الفلوت وهي في الخامسة من عمرها، وأصبحت عازفة فلوت محترفة عندما بلغت الثانية عشرة من العمر، كما أنها احترفت العزف على الكثير من الآلات الموسيقية الأخرى.. حصلت على أموال وافرة لقاء عزفها في فرق وأوركسترات الجاز.. كانت عائلتها مشغولة عن رعايتها ومع ذلك فقد ظلت بعيدة عن الأمور السيئة التي تمارسها الفتيات الأمريكيات اللائي في سنها وظروفها.

التحقت بسلاح البحرية الأمريكية عندما كانت في الثامنة عشرة من عمرها، بيد أنها غادرته بعد فترة وجيزة لتعاود العزف على المزمار والفلوت في «أوركسترا السيمفونية».. تزوجت لعدة مرات وتطلقت بسبب سوء معاملة الزوج لها.

أصيبت بعدة ابتلاءات كالعمى الذي لازمها لعامين، وانكسار الكاحل الخطير الذي أقعدها لفترة طويلة.. وظفت فترة العمى في البحث عن الله من خلال دراسة شتى العقائد ومختلف سبل الحياة.

بدأت الذهاب إلى الكنيسة «المعمدانية» الرئيسية المستقلة.. أزعجت القسيس بالأسئلة

الكثيرة الحرجة التي تفضح تناقضات النصرانية، بيد أنها لم تجد في جعبته الإجابات الشافية بالرغم من حصوله على درجة الدكتوراه في فلسفة اللاهوت! أخبرته برغبتها في دراسة الأديان الأخرى ففاجأها بقوله إن ذلك ليس أمرًا مستحسنًا، وإن الشيطان يحاول أن يصرفها برغبتها تلك بعيدًا عن الكنيسة.. تفاجأت أكثر لاستخدامه لكلمة «كنيسة» بدلًا عن كلمة «الله».

بدأت في البحث عن الكتب المتعلقة بالدين وكان لبعض تلك الكتب تسجيلات صوتية استمعت إليها لأن نظرها لم يكن ليمكنها من القراءة بما فيه الكفاية.

في ذلك الوقت التقت بسيدة مسلمة انتقلت للعيش في المدينة ذاتها التي تعيش فيها.. أهدتها تلك السيدة كتيبات عن الإسلام.. لم تحولها تلك السيدة إلى الإسلام ولكنها حببته إلى نفسها إذ فتحت لها باب دارها ما مكّنها من رؤية حياة المسلم من الداخل فأعجبت بممارستها لدينها وتطبيقها للإسلام في حياتها.

كانت ابنتها في الجامعة قد التقت حينها ببعض الأصدقاء المسلمين من السودان وباكستان ودولة الإمارات العربية المتحدة، فشرعت عبرهم في دراسة الإسلام.. أما هي فقد أخذت تدرس الإسلام بتمعن أكثر حتى تحققت من أن الإسلام هو الدين الأصح فقررت اعتناقه.. كانت تخفي الأمر عن الجميع بمن في ذلك ابنتها.

تفاجأت ذات يوم بابنتها وهي تسألها في وجل إن كان بوسعها أن تعتنق الإسلام.. كانت ابنتها خائفة لعلمها بأن أمها امرأة «معمدانية» متشددة.

عندما سألتها لماذا تطلب منها ذلك؟ أخبرتها بأن السيدة التي كانت تتكلم إليهم عن الإسلام طلبت منها أن تأخذ الإذن من أمها قبل أن تعتنق الإسلام، لما نص عليه القرآن من أهمية شأن الأم.. كانت البنت تنتظر ردّ والدتها وهي خائفة ففاجأتها الأخيرة بأن أخبرتها بأنها درست الإسلام بدورها وتنوي اعتناقه.. وبالفعل، بعد أسابيع قليلة وفي يوليو من عام 2001م نطقت الأم وابنتها الشهادة معًا أمام اثنتي عشرة سيدة في منزل إحدى الصديقات.

بعد مرور أقل من شهرين على اعتناق آن الإسلام، وفي 14 سبتمبر من عام 2001، هجم شاب على مخزن بقالة ودفع عربة التسوق نحوها دفعة قوية جعلتها تصطدم برف من العلب المعدنية، ما أدى إلى سقوط الرف بأكمله فوقها، فأصيبت بجروح في رأسها ويدها فضلًا عن جروح في ظهرها، وكاحلها وساقها.

استطاع رجال الأمن أن يقبضوا سريعًا على الشاب الذي صورته كاميرا المخزن الأمنية.. وقف الشاب إلى جانبها وقد بدا مذهولًا مما اقترفه من ذنب.. وفوجئ عندما رآها تتكلم لغة إنجليزية

سليمة وهي ترتدي الحجاب.. اعتذر لها بقوله إنه ظنها سيدة عربية.. قال هذه الجملة وكأن ذلك كان مبررًا مقبولًا وسببًا كافيًا لإيذاء شخص ما أيًّا كانت جنسيته وأيًّا كانت ديانته!!

كان ما حدث سببًا في إسلام ذلك الشاب الذي واظب على حضور محاضرات دينية تعرّف عبرها إلى الإسلام فنطق الشهادة بعد نحو ستة أشهر.. فرحت آن عندما تلقت خبر إسلامه منه عبر البريد الإلكتروني، إذ كانت قد انتقلت من المنطقة التي كان يسكن فيها إلى منطقة أخرى.. وانضم الشاب عقب إسلامه إلى «رابطة الطلاب المسلمين» المحلية وانخرط في أعمال «الدعوة» الإسلامية!

ونختتم هذه القصة بالإشارة إلى ما صرحت به آن عندما قالت: إنها تنظر في كل صباح إلى آثار الجروح التي تلقتها من هجوم ذلك الشاب فتشعر بالسعادة حينما تتذكر من أين جاءت ومن ثم تحمد الله على حدوثها طالما كانت سببًا في هداية ذلك الشاب.

الهداية.. يهون في سبيلها أي شيء..

كيف لا وهي طريق الخير في الدنيا والآخرة.. طريق الإيمان..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (10)

قصة عجيبة

ما أعظم تدبير الله!!

يسوق الإنسان إلى خير يوم طلعت عليه الشمس وهو لا يدري..

يغري الإنسان بما يحب من عرض الحياة الزائل.. ليبلغ به النعيم الدائم!!

رحمة ما بعدها رحمة..

أهذا إله نبحث عن سواه لنعبده؟!!

تأمل تدبير المدبر العظيم في هذه القصة.. إنها قصة أغرب من الخيال!!

موسيقار أوروبي شهير حاول الحصول على شهادة صورية تدّعي أنه مسلم حتى يتزوج من راقصة عربية انبهر بجمالها.. رفضت المحكمة طلبه بحجة أن إسلامه من أجل كسب دنيوي.. ولتحقيق مبتغاه بأي ثمن قرأ عن الإسلام فوجده على غير ما صوّره له بنو جنسه فأسلم عن قناعة.. وعندما رجع للراقصة ليتزوج منها اشترط عليها أن تترك الرقص فرفضت.. انصرف عنها وتمسّك بإسلامه.. إنه الموسيقار الإيطالي الشهير بالا سلفاتوري بطل هذه القصة.

زار الموسيقار بالا سلفاتوري إحدى دول الخليج العربي ليحيي حفلات في بعض فنادقها الراقية.. وفي إحدى الحفلات تعرف إلى راقصة عربية مسلمة الديانة انبهر بجمالها وأعجبه رقصها.. طلب منها الزواج، فوافقت على الفور وفي بالها ما ينتظرها من شهرة واسعة ومال وفير.. ولكن تذكرت أن القوانين لا تسمح بزواجه منها باعتباره غير مسلم.. لحل المشكلة طلبت منه الذهاب إلى دائرة الأوقاف ليحصل على شهادة صورية تثبت أنه مسلم بعد أن ينطق بالشهادتين أمامهم: «أشهد ألا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله».

وافق الموسيقار الإيطالي على طلب الراقصة، طالما أن ذلك سيوصله إلى بغيته المنشودة.. دخل دائرة الأوقاف وأخبرهم أنه جاء بغرض النطق بالشهادتين لكي يتسلم شهادة رسمية تؤهله للزواج من امرأة مسلمة أحبها لدرجة الوله.

شعر أحد المسؤولين بدائرة الأوقاف بأن الرجل يريد الشهادة فقط لغرض دنيوي، فرفض منحها له باعتبارها شهادة نفاق صورية لا تتفق مع أصول الإسلام.. اعترت الموسيقار الإيطالي ثورة من الغضب وقال في حرقة: «إن المسيحية تقبل من يريد الدخول فيها لأي سبب كان».

رد عليه المسؤول في هدوء وموضوعية: «إن الإسلام دين الحق الذي نزل من عند الله ليصلح دنيا الناس وآخرتهم في إطار منهج قويم لا عوج فيه ولا التواء».

حدق المسؤول في وجهه للحظات ثم قال بلهجة استنكارية حادة: «أما تستحي يا رجل من هذا الادعاء لتحقق شهوة حيوانية مع امرأة قد أعجبتك مفاتنها؟!».

ثم تنهد بعمق قبل أن ينصحه قائلًا: «إن تكاليف الشهادة التي تقصدها ثقيلة، ولن تستطيع أن تتحمل أماناتها ما دمت غير مقتنع بها».

نصح المسؤول بطل قصتنا بأن يقرأ كثيرًا عن الإسلام حتى يتعرف إلى مبادئه وتعاليمه وآدابه، عسى أن يكون ذلك سببًا في إسلامه عن حب واقتناع فيفوز بالحسنيين.. ولمساعدته في ذلك أهدى له بعض الكتب الإسلامية المترجمة عساها تعينه في بحثه ودراسته..

ظل الموسيقار ولعدة شهور يقرأ في الكتب التي أهداها له المسؤول بالإضافة إلى كتب أخرى حصل عليها بنفسه حتى يتعرف أكثر إلى الإسلام.

من خلال قراءاته المتأنية للكتب توصل الموسيقار «بالا سلفاتوري» إلى أن كل أفكاره ومعتقداته السابقة عن الإسلام والتي تلقاها من بيئته غير المنصفة كانت باطلة ظالمة وتتعارض تمامًا مع سماحة الإسلام وعظمته.. فمن خلال اطلاعه على الكتب الإسلامية وجد الموسيقار الإيطالي أن الإسلام هو دين قويم يدعو إلى مكارم الأخلاق وإلى الإخلاص في العبادة لله وحده الذي لا شريك له؛ فتوصل إلى قرار حاسم مفاده أن عليه أن يعلن إسلامه بصدق وإخلاص بعيدًا عن الأغراض الشخصية الدنيوية الرخيصة فأسلم وغير اسمه إلى محمد عبدالله الهادي.

وفي سعادة المسلم المعتز بدينه الغيور عليه، يقول الموسيقار «بالا سلفاتوري»: «يا أيها المسلمون.. أفيقوا من غيبتكم، وعودوا إلى رشدكم ودينكم.. العالم ينتظركم.. واصدقوا الله تملكوا العالم كله».

الفترة التي قضاها الموسيقار المسيحي في البحث والتقصي عن الإسلام حتى أسلم قضتها الراقصة في قلق وهي تنتظر الشهادة الصورية لإسلامه حتى تتزوجه وتحصل على ما تنشده من شهرة واسعة ومال وفير.. تأخر فارس أحلامها لعدة شهور أصابها القلق، فذهبت لكي تعرف أسباب ذلك التأخر.. فاجأها بأنه أسلم عن قناعة تامة لأن الإسلام هو الدين الحق الذي يجب أن يتبعه كل من ينشد الطمأنينة والسكينة.. عقب ذلك أخذ يحدثها عن محاسن الإسلام وفضائله التي لا توجد في غيره من الأديان كما أخبرها بأنه يحقق السعادة الحقيقية لكل من يلتزم به ويتحلى بتعاليمه وآدابه.

كانت الراقصة تستمتع إلى الموسيقار في دهشة من رأى الشمس تشرق من المغرب.. وهي دهشة تضاعفت حينما أخذ ينصحها بأن تترك حياتها الخبيثة وأن تقلع عن الرقص حالًا وتحتشم وتلتزم بتعاليم الإسلام.. واختتم حديثه معها بقنبلة مدوية مفادها أن ما قاله سابقًا هو شرطه لقبول الزواج منها.. بكت الراقصة وانطلقت إلى حال سبيلها بعد أن رفضت طلبه بينما التفت هو إلى حياته الجديدة تغمره سعادة لم يحلم بمثلها في حياته السابقة.

فسبحان الله!! من يسكن في النور.. بصيرته عمياء!!

ومن كان في الظلام.. قادته بصيرته إلى النور.. فأبصر!!

والأعجب.. أن من كان في الظلام ثم أبصر.. يدعو من يسكن في النور وهو أعمى..

فيرفض الأعمى دعوته!!

إنها آيات الله في كونه.. فهل نبصرها نحن؟!!

اسأل الله نور البصيرة.. لتسعد في الدارين.. الدنيا والآخرة..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (26) - (97)

النجم الزاهد

سبحان من بيده القلوب.. يقلّب ويثبّت منها ما يشاء!!

سبحان من يغيّر ولا يتغيّر..

إنسان واحد.. باسمين ودينين وتاريخين وفريقين من المعجبين..

كات ستيفنز اسم موسيقي ساحر لا يكاد ينطق في الثلث الأخير من القرن العشرين حتى تتوقف أنفاس مئات الآلاف من الشباب.. إنه إمبراطور جيله!!

يوسف إسلام اسم وضيء لا يكاد ينطق الآن حتى تغمر السعادة نفوس مئات الملايين من المسلمين!!

بين الاسمين بون شاسع من المعجبين وبين التاريخين قصة باهرة تستحق أن تروى!!

هذا الأسطورة.. بطل قصتنا.. ولد لأسرة تدين بالمسيحية.. نشأ في بيئة مترفة مرفهة تغمرها أضواء العمل الفني.. تعلم من الكنيسة حقيقة وجود الله لكن مع استحالة الوصول إليه دون وسيط.. لم يكن مقتنعًا بالتعاليم المسيحية لكنه صمت احترامًا لمعتقدات والده الدينية.. انخرط في عالم الموسيقى والغناء فأصبح مشهورًا واسع الثراء.. حققت مبيعات ألبوماته ما يقارب 60 مليون نسخة.. أصبح المال همّه الأوحد.. رغبته في الوصول إلى فائق القدرات دفعته إلى الانغماس في عالم الخمور والمخدرات.. دخل المستشفى لإصابته بالسل.. شعر بمدى ضعفه.. تذكر الموت فبدأ يكتسب عادات روحانية.. بدأ رحلة البحث عن الحقيقة.. اعتنق البوذية فهجرها هربًا من الرهبانية.. حاول أن يجد ضالته في علم الأبراج وفي كثير من المعتقدات بيد أنه لم يجدها.. وأخيرًا وجد ضالته المنشودة في الإسلام.. من هو: إنه المغني الإنجليزي المعروف ستيفنز الذي غيّر اسمه إلى يوسف إسلام أما كيف وجد ضالته؟ فهذا هو ما سوف نعرفه من خلال قصة إسلامه.

ولد ستيفن ديمتري جورجيو في 21 يوليو 1947 بلندن لأم سويدية وأب من القبارصة اليونانيين وتربى في حي ويست إند بلندن في شقة تقع فوق المطعم الذي يملكه والداه. كان يعتنق مذهب الأرثوذكس ومع ذلك تلقى تعليمه في مدرسة كاثوليكية.. تعلّم من أسرته ومن الكنيسة أن الله موجود مع استحالة التواصل معه مباشرة دونما وسيط، كما تعلّم أن عيسى هو الباب الوحيد للوصول إلى الله.. وعلى الرغم من اقتناعه الجزئي بهذه الفكرة فإن عقله لم يتقبلها تمامًا.. ليس هذا فحسب بل كانت تساوره الشكوك في الكثير من التعاليم والطقوس المسيحية؛ فتماثيل النبي عيسى كان ينظر إليها كحجارة جامدة لا نفع فيها ولا حياة، أما فكرة التثليث فقد

كانت تقلقه وتؤرق مضجعه، ولكن على الرغم من ذلك لم يكن يناقش أو يجادل أحدًا في كل ما ورد ذكره من أمور برًّا بوالده واحترامًا لمعتقداته الدينية.

شيئًا فشيئًا بدأ ستيفنز يبتعد عن معتقدات الدين المسيحي.. وفي المقابل انخرط في مجال الموسيقى والغناء رغبة منه في أن يصبح مغنيًا مشهورًا.. وتدرّج في هذا المجال حتى تحقق له حلمه المنشود من الشهرة، بل حصل على 8 ألبومات ذهبية متتالية، كما حازت أغانيه شهرة واسعة في كل من بريطانيا والولايات المتحدة.. خلبت لبّه حياته البراقة الجديدة فأصبحت إلهه كما يقول.. أما الثراء المطلق فقد تحول إلى هدف أساسي في حياته، متأسيًا في ذلك بأحد أخواله الذي كان واسع الثراء، هذا إلى جانب تأثره بأفراد مجتمعه الذين اتخذوا من الدنيا إلهًا يعبدونه.. وهنا تجدر الإشارة إلى أن ستيفنز اتخذ في تلك المرحلة من كبار مطربي البوب العالميين قدوة له ومثالًا أعلى.

انغمس بطل قصتنا في مباهج الحياة بكل طاقته.. وقبل أن يكمل العقدين من عمره الفني صنعت منه أجهزة الإعلام أسطورة يشار إليها ببنان الخيال.. وحتى يتجاوز حدود الزمن ويصل سريعًا إلى فائق القدرات انغمس تمامًا في عالم الخمور والمخدرات.. لكن، على الرغم من حياته الصاخبة وأغانيه التي أوصلته إلى قمة الشهرة والغرور، كان مكتئبًا يبحث عن السعادة ومتنازعًا يشعر بنفسه يفتقر إلى الطمأنينة والسكينة التي عبّر عنها قائلًا: «عندما كنت في القمة، كنت أنظر إلى أسفل خوفًا من أن أسقط من القمة، وبدأ القلق ينتابني، وبدأت أشرب زجاجة خمر كل يوم لأستجمع الشجاعة كي أغني.. كنت أشعر أن الناس حولي يلبسون أقنعة، ولا أجد من يكشف عن وجهه القناع.. قناع الحقيقة.. كان لا بد من النفاق حتى تبيع وتكسب.. وحتى تعيش.. وشعرت أن هذا ضلال، وبدأت أكره حياتي، واعتزلت الناس، وأصابني المرض، ونقلت إلى المستشفى مريضًا بالسل.. وكانت فترة المستشفى خيرًا لي، حيث إنها قادتني إلى التفكير، حيث بدأت أفكر، إلى أن هداني الله».

لحكمة إلهية أصيب ستيفنز بداء السل فدخل المستشفى ما أدخله في استراحة إجبارية من اللهاث وراء الكسب الدنيوي الزائل الرخيص.. وأثناء وجوده بالمستشفى أخذ يفكر في حاله وينظر إلى حياته بمنظار مختلف.. ولأوّل مرة في حياته يفكّر في الموت ويدرك أن هناك مصيرًا حتميًّا وحياة أخرى في انتظاره.. بدأ يكتسب عادات روحانية إيجابية مثل التفكّر والتأمّل.. وبحثًا عن الصفاء الروحي أصبح نباتيًّا، كما أصبح يؤمن بقوة السلام النفسي ويتأمّل الزهور.. وأهم ما خرج به من المستشفى قبل صحة الجسد إدراكه حقيقة أنه ليس مجرد جسد، كما أدرك أنه إنسان ذو إرادة.. وعقب شفائه عاد إلى عالم الغناء والموسيقى من جديد، ولكنها عودة اكتست بطابع أفكاره الجديدة التي أدهشت الكثيرين؛ فمن ضمن أغنيات المرحلة الجديدة أغنية قال فيها: «ليتني أعلم من خلق الجنة والنار.. ترى هل سأعرف هذه الحقيقة وأنا في فراشي.. أم في

حجرة مترية.. بينما يكون الآخرون في حجرات الفنادق الفاخرة»!!. كما كتب كذلك أغنية أخرى تحمل اسم «الطريق إلى معرفة الله».

صراع نفسي رهيب دار بين قطبين متنافرين: شهرته المتزايدة وبحثه المتواصل عن الحقيقة.. بدأ رحلة بحثه عن ضالته المنشودة بتفكيره في اعتناق البوذية، بيد أن ما تتمتع به الأخيرة من رهبانية جعله يبتعد عنها، إذ لم يكن مستعدًا لترك المتاع الدنيوي ويتحول إلى راهب بوذي معزول عن العالم.. ترك البوذية برهبانيتها جانبًا وأخذ يبحث عن الحقيقة في الكثير من المعتقدات بما فيها علم الأبراج أو الأرقام بيد أنه فشل في بحثه.. في تلك الفترة، وتحديدًا في عام 1975، تعرّف إلى الإسلام عبر أخيه الذي سافر إلى القدس ثم عاد مبهورًا بالحركة المذهلة التي وجدها تعج بين جنبات المسجد الأقصى.. قارن أخوه تلك الحيوية بحال الكنائس والمعابد اليهودية التي اعتاد على رؤيتها أكثر خواء من فؤاد أم موسى فحسبها نقطة في مصلحة الإسلام.. لم يكتف أخوه بما حكاه له عن القدس بل أحضر له نسخة مترجمة من معاني القرآن الكريم عساه يجد فيها ضالته، إذ أعجبته على الرغم من كونه غير مسلم.

قرأ الكتاب الكريم فوجد فيه الهداية التي ظل يبحث عنها السنين الطوال؛ فقد أخبره عن حقيقة وجوده وعن الهدف من الحياة، وعندها أيقن أن الإسلام هو الدين الحق وأن حقيقته تختلف تمامًا عن فكرة الغرب عنه.. من ناحية ثانية انبهر ستيفنز بحقيقة أن الإسلام ديانة عملية وليست مجرّد معتقدات يستعملها المرء عندما يكبر في السن وتقل رغبته في الحياة، كما هو حال المعتقدات الأخرى.

أكثر من هذا توصل ستيفنز إلى أنه لا توجد علاقة بين التزام الدين والتطرّف، كما يرى أهل الغرب، كما أعجبته كثيرًا في الإسلام العلاقة التكاملية المثلى بين الروح والجسد، حيث لا انشغال تام بالمتاع الدنيوي كما هو حال بني جنسه، ولا رهبانية تعزل المرء عن العالم كتلك التي نفّرته من البوذية.. أيضًا عرف أن على المرء أن يخضع لإرادة الله إن كان ينشد السمو والرقي.. وهو رقي يمكن أن يرفعه -أي المرء- إلى مرتبة الملائكة.. وعندما وصل إلى تلك النقطة قويت رغبته في اعتناق الإسلام. وفي طور تعلمه للإسلام أصبح معلّمًا أيضًا فتستضيفه جامعات بريطانية عريقة مثل كامبرديج وأكسفورد للحوار عن حياته والدين الإسلامي.

وهنا يقول ستيفنز: «بدأت أتنازل عن تكبري لأنني عرفت خالقي وعرفت أيضًا السبب الحقيقي وراء وجودي وهو الاستسلام التام لتعاليم الله والانقياد له وهو ما يعرف بالإسلام.. وعندها فقط اكتشفت أنني مسلم في أعماقي.. وعند قراءتي للقرآن الكريم علمت أن الله أرسل الرسل كافة برسالة واحدة بيد أن اليهود لم يتقبلوا المسيح لأنهم غيّروا كلامه.. بل إن المسيحيين أنفسهم لم يفهموا رسالة المسيح ووصفوه بأنه ابن الله.. إن كل ما قرأته في القرآن الكريم من

الأسباب والمبررات بدا لي معقولًا ومنطقيًّا».

ويشير ستيفنز إلى آيات الله الكونية فيقول: «يكمن جمال القرآن الكريم في حقيقة أنه يدعوك إلى أن تتأمّل وأن تتفكّر، وأن لا تعبد الشمس أو القمر، بل تعبد الخالق الذي خلق كل شيء.. فالقرآن الكريم أمر الإنسان أن يتأمّل الشمس والقمر وأن يتأمّل مخلوقات الله جميعها.. فعندما صعد رواد الفضاء إلى أعلى ولاحظوا صغر حجم الأرض مقارنة بالفضاء الخارجي أصبحوا مؤمنين بالله لأنهم شاهدوا آيات قدرته».

ويضيف ستيفنز قائلًا: «بقراءتي للقرآن عرفت الكثير عن الصلاة والزكاة وحسن المعاملة فأدركت أن القرآن هو ضالتي المنشودة ولكني أبقيت ما بداخلي سرًّا لم أبح به إلى أحد.. وعندما قرأت أنه لا يحل للمؤمنين أن يتخذوا أولياء من الكفار تمنيت أن ألقى إخواني في الإيمان.. فكّرت آنذاك في زيارة القدس تأسّيًا بما فعله أخي، وهذا ما قمت به بالفعل.. وهناك وبينما أنا أجلس داخل المسجد سألني رجل: ماذا تريد؟ فأخبرته بأني مسلم.. سألني عن اسمي فقلت له: «ستيفنز».. تحير الرجل وبانت الحيرة على وجهه!! انضممت إلى صفوف المصلين.. حاولت تقليدهم في حركاتهم قدر المستطاع.. عقب عودتي إلى لندن وفي عام 1977 قابلت أختًا مسلمة تدعى نفيسة فأخبرتها برغبتي الملحّة في اعتناق الإسلام.. دلتني على مسجد «نيو ريجنت».. كان ذلك بعد عام ونصف العام تقريبًا من قراءتي للقرآن.. ذهبت إلى المسجد المعني.. وفي يوم الجمعة وعقب انتهاء الصلاة اقتربت من الإمام وأعلنت الشهادة بين يديه وغيّرت اسمي إلى يوسف إسلام».

ويختم يوسف إسلام حديثه قائلًا: «أدعو الله أن تكون في قصتي عبرة لمن يقرؤها.. وأشير هنا إلى أنني لم أقابل أي مسلم قبل اقتناعي بالإسلام ولم أتأثر بأي شخص.. فعقب قراءتي للقرآن الكريم توصّلت إلى أنه ليس هناك إنسان كامل، وتوصلت في الوقت ذاته إلى أن الإسلام هو دين كامل.. وتوصلت إلى قناعة مفادها أننا إن قمنا بتطبيق تعاليم الإسلام الواردة في القرآن الكريم وفي السنة النبوية فسوف ننجح في هذه الحياة».. وهو يرى أن على المسلمين أن يتواضعوا ويتركوا كل أنواع السلوك التي لا تشبه الإسلام، وأشار إلى أن الخطر على الإسلام يأتيه من قبل أولئك المسلمين الذين يعطون بسلوكهم مثالًا سيئًا يحسب عليه..

هناك نوعان من الفتنة على الإنسان الباحث عن الحق..

المسلم الذي لا يعبر عن قيم الإسلام!!.. فتنة..

وغير المسلم المتصف بصفات جميلة.. صفات الإسلام!!.. فتنة..

أنت.. يا من تبحث عن الحق.. اعرف الرجال بالحق.. ولا تعرف الحق بالرجال!!

الحق شاهد.. لا مشهود عليه.. اعرف الإسلام من الإسلام!!

فها هو مغني البوب البريطاني الشهير مالك الثروة والجاه، وحاصد الميداليات الذهبية يركل الشهرة والثراء في لحظة ويعتنق الإسلام حيث يجد السعادة الحقيقية التي كان ينشدها..

للباحثين عن المال.. ستيفن ديمتري بلغ من الثراء حدًّا مذهلًا.. فلم يجد السعادة!!

للباحثين عن الشهرة.. ستيفن ديمتري بلغ من الشهرة ما طبق الآفاق.. فلم يجد السعادة!!

للباحثين عن المتعة.. ستيفن ديمتري لم يترك مجالًا للاستمتاع مما عرفه البشر إلا وارتوى من بحره.. فلم يجد السعادة!!

وحده الإيمان بالله.. وحده الإسلام هو ما وجد فيه السعادة..

فعندما يجد الإنسان العادي غير المسلم، الساعي إلى السعادة، أن غيره من الذين وصلوا إلى ما يبحث عنه من أسباب السعادة.. ولكنهم لا يشعرون بالسعادة!!.. يتأكد له بالدليل العملي أن هذه الأسباب ليست الوسيلة المثلى للسعادة.. وفي هذا حكمة إلهية لهداية غير المسلمين..

حكمة تؤكد لهم أن السعادة في الإيمان بالله..

فما بالنا حين لا يشعر بالسعادة من أصبح أسطورة في عالم الشهرة والثراء؟!!

وما بالنا لو ترك هذا كلّه ليجد السعادة في الإسلام؟!

وما بالنا لو أصبح داعية إلى الإسلام؟!! بل أنشأ المدارس الإسلامية؟!

هل نحتاج بعد ذلك دليلًا على أن الإسلام هو الدين الحق؟

سؤال يجب أن يجيب عنه كل إنسان باحث عن الحقيقة..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (11) - (29) - (30) - (58) - (76)

حائط الصد

يظل غير المسلمين طوال حياتهم يحاربون صورة مشوهة..

معتقدين أنهم يحاربون الإسلام!!

يحاربون ما لا يعرفون!!

مساكين هم.. فرضوا عليهم الجهل بأهم أسباب سعادتهم في الدنيا والآخرة..

من شاء الله له الفكاك من الضلال..

من شاء الله له نور العلم بعد ظلام الجهل..

من أنعم الله عليه بنعمة التعرّف إلى الإسلام الصحيح عن قرب..

يفاجأ أيما مفاجأة!!..

فلا يملك حينها سوى الارتماء في أحضان نعمة الإسلام..

وسوى النهل من نهر الإيمان..

هذا ما حدث مع بطلة قصتنا..

ولدت في بيئة إباحية تحرم الحلال وتحلل الحرام، ونشأت في غابة حيوانية كبيرة يتمتع فيها المرء بحرية مطلقة تدك قلاع الفطرة السليمة حيث يتزوج الرجل بالرجل وتتزوج المرأة بالمرأة.. مجتمع فوضوي حتى النخاع لا سقف فيه للحرية.. بل مجتمع شهواني تتحول فيه المرأة من إنسانة مكرمة حباها الله تعالى بصفة الأمومة إلى آلة ميتة يستخدمها الرجل بغرض الحصول على المتعة الرخيصة وتلبية الرغبات الحيوانية، كما تحولت في ظل السعار المادي المحموم من أنثى تتمتع بصفات تميزها عن معشر الرجال إلى ماكينة خرساء تشارك الرجل في أعمال شاقة لا تتسق مع نوعها ولا تتناسب مع خصائصها الأنثوية.

وسط هذا الجو المتخم بالفوضى بل السجن الكبير المشبع بالفهم الخطأ للحرية ولدت «آن صوفي رولد» ابنة لأبوين نصرانيين تعشعش في ذهنهما نفس الصورة الذهنية السلبية التي تعشعش في أذهان بني قومهما عن الإسلام والمسلمين والناتجة بدورها من الحملات المسعورة ضد الإسلام والمسلمين والتي تقف وراءها الكنائس المتزمتة وتتقدمها الأقلام المغرضة.

عافت الصغيرة «آن» منذ نعومة أظفارها حياة بني قومها المترعة بمظاهر التفسخ والفجور والانحلال، بل كفرت بحريتهم المطلقة التي تسلب المرأة أعز ما تملك، فتوصلت إلى قناعة تامة مفادها تردي أوضاع المرأة في بلادها التي تتشدق بأنها أرض الحرية والعدل والتحضر والكرامة.

عندما كبرت ودخلت الجامعة اختارت آن صوفي رولد التخصص في دراسة الأديان، وهو اختيار تسبب لاحقًا في خروجها من ظلمات الكفر المدلهمة إلى نور الإسلام الشفيف؛ إذ مكنتها دراستها الجامعية من التعرّف إلى الوجه الحقيقي للإسلام شريعة وعقيدة وسلوكًا، الوجه الوضيء الذي لم يكن متاحًا لها رؤيته فيما مضى بسبب حملات التشويش والتشويه والكتابات المضللة المغرضة لأعداء المسلمين.

في عام 1981م بدأت آن صوفي رولد دراسة الأديان، والتي معها درست اللغة العربية حتى تصبح قادرة على أن تفهم الإسلام من مصادره الأصلية، بعيدًا عن زيف القسيسين وتضليل المستشرقين.. ساعدتها دراستها في أن تقارن بين الأفكار والتعاليم الموجودة في كل من شريعتي الإسلام والنصرانية.. وجدت صوفي نفسها تشعر بانجذاب عجيب إلى الإسلام؛ إذ لم يتسق الفكر النصراني مع طبيعة روحها الميالة إلى العدالة بالفطرة.

فهي لم تكن مقتنعة بفكر يفلت فيه المجرم من عقابه الأخروي بمجرد اعترافه للقسيس بما ارتكبه من إثم، في إطار ما يطلقون عليه «سر الاعتراف».. في المقابل انبهرت بعدالة الإسلام التي وجدتها تحاسب المخطئ حتى يكفّر عن ذنبه وتربط الغفران بالتوبة النصوح، الأمر الذي يردع المرء من الوقوع في الخطايا والجرائم، وذلك لإدراكه لما ينتظره من عقاب في دنياه وأخراه.

وهنا توصلت آن صوفي رولد إلى حقيقة جليّة مفادها أن التناقض الذي تتسم به تعاليم النصرانية وتراخيها الشديد في عقاب المخطئين يعتبر من أهم أسباب انتشار العنف في بلادها، بينما لاحظت أن هذا العنف ينعدم تمامًا في بلدان الشرق المسلمة التي يلتزم فيها المسلمون بالقانون الإلهي الذي يرفض الممارسات الخطأ ويعاقب عليها في غلظة وشدة.

رأت «آن» في الحدود الشرعية التي جاء بها الإسلام -والتي ينتقدها أعداؤه- حماية تامة لكل من المجتمع والفرد، إذ تحمي هذه الحدود المجتمع من تفشي الجريمة وانتشارها في أوصاله، وبالتالي تحقق الأمن والأمان اللذين يتيحان له أن يتابع مسيرة التنمية الشاملة المستدامة بما يخدم خططه واستراتيجياته فيحقق له الازدهار وعمارة الأرض، كما يحمي الفرد من السلبيات التي تتيحها له الحرية غير المحدودة بل الفوضى المطلقة التي يمارسها أقرانه في الغرب، لأن في ذلك نجاة له من مصير مظلم لا يرتضيه لنفسه شخص وفقه الله تعالى لإعمال عقله بصورة راشدة.

فكرت آن مليًّا في أمر آخر يستخدمه القسيسون وغيرهم لتشويه صورة الإسلام الوضيئة،

يتمثل هذا الأمر في إقرار الإسلام بمبدأ تعدد الزوجات.. عندما قارنت هذا الإقرار الإسلامي بما يمارسه الغربيون من جمع بين زوجة واحدة وخليلات كثر، رأت في التعدد رحمة من الله تعالى لعباده، كما توصلت إلى أن ما قد يحدث من خلل في التطبيق إنما يعود إلى الإنسان الذي قد يجافي العدل بين الزوجات وليس إلى النص الديني المنزه من كل نقص والذي يشترط توافر هذا العدل.

وأعجبها كثيرًا تكريم الإسلام للمرأة، أمًّا وأختًا وزوجة وابنة، وإقراره حقوقًا أصيلة تصبّ في مصلحتها لم تحصل عليها نظيرتها الأوروبية، كما انبهرت بسبق الإسلام في تحقيق العدالة الاجتماعية وتأملت بعمق حديث الرسول -صلى الله عليه وسلّم- الذي يقول فيه: «ليس منا من بات شبعان وجاره جائع»، فوجدته دستورًا وافيًا للتكافل الاجتماعي لم تبلغه أرقى التشريعات الغربية الحديثة.

عندما وصلت آن إلى هذا الحد لم تجد أمامها من خيار سوى إشهار إسلامها، إذ اقتنع عقلها الباحث عن الحقيقة بقيم الإسلام السمحة وأحكامه العادلة، وارتاح قلبها المفطور على حب الخير لروحانيته الشفيفة.. أعلنت آن إسلامها عام 1982م بعد أن اقتنعت بالإسلام قلبًا وقالبًا وركلت خلفها في تأفف ديانة محرفة فُرضت عليها بالوراثة دونما اقتناع.

أثار إعلان آن لإسلامها موجة عارمة من الجدل وسط أفراد مجتمعها، بل رسم غابة من علامات الاستفهام في عقول بني قومها.. تعجب الجميع من تلك السويدية التي نبذت -وفقًا لرأيهم المعتل- الحرية المطلقة لترضى بأن تكون أمة مسلمة حسب تصورهم المريض. ولكن كيف لهم أن يدركوا أن آن الجديدة النقية نالت حرية حقيقية بعد أن نبذت وراءها حرية مزيفة مكبلة بأغلال عبودية المادة.

وجدت آن السكينة والطمأنينة في رحاب الإسلام، وشعرت بمدى متعة العيش في ظل بيئة معافاة خالية من المنكرات.. وشعرت بالمزيد من السعادة والاستقرار حينما تزوجت من شاب مسلم، ونالت درجة الدكتوراه التي لم تكن مجرد شهادة أكاديمية إذ ساعدتها كثيرًا على تفهّم الإسلام بعمق أكثر، الأمر الذي جعلها تدرك مدى ضرورة العودة إلى الثقافة الإسلامية الأصيلة كحائط صد متين يقف في مواجهة الغزو الغربي بشقيه الفكري والثقافي.. ذلك البعبع المخيف الذي يستند إلى القوى اللينة لكي يتسلل في خبث إلى تلافيف العالم الإسلامي متسربلًا بمسوح دعوات مضللة كالعولمة وتلاقح الثقافات، وإلى غير ذلك من الدعوات المزيفة التي تبشر في ظاهرها بالرحمة وتضمر في باطنها العذاب.

حذرت آن صوفي من الغزو الفكري الذي يتعرض له العالم الإسلامي أثناء مشاركتها الفاعلة في المؤتمر الذي حمل اسم: «صراع حضارات أم حوار ثقافات» الذي قامت بتنظيمه في القاهرة

عام 1997م، منظمة تضامن الشعوب الأفروآسيوية.. طرح آن الذي كان يتسم بالعمق والجرأة في ذلك المؤتمر أثار جدلًا واسعًا بين المشاركين إذ وجدوا فيه قوة المنطق، وصدق الطرح، حيث لخصت الدكتورة آن موقفها من طرح الغرب في هذا الجانب بصورة حازمة في جملتين اثنتين لا ثالثة لهما إذ قالت: «أنا ضد فكرة الصراع، ومع فكرة الحوار على طول الخط» إذ ترى أن طرح الغرب لا يعدو كونه دعوة مشبوهة وفكرة سياسية صنعها الغرب في إطار بحثه عن عدو جديد يتخذه كبديل للنظام الشيوعي الذي أفل نجمه.

وهكذا تحولت آن الصغيرة النصرانية بالوراثة المسلمة بالفطرة التي ولدت في بيئة إباحية إلى الدكتورة آن الداعية المسلمة التي نذرت نفسها لخدمة الإسلام والمسلمين..

تُرى.. من يرفض النور بعد الظلام؟!

من يرفض الطهر والنقاء بعد الدنس والابتلاء؟!

غيرُ المسلمين وحدهم هم من يرفض ذلك!!

ومن يرفض الإسلام.. فقد رفض الخير كله..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (15) - (39) - (105)

الطفلة المعذّبة

واهم من يغلق الأبواب أمام الباحثين عن الحق.. معتقداً أنه نجح في منعهم!!

للحق أجنحة كالطير.. يطير بها ليستقر في عقول وقلوب من ينادي عليه..

هكذا هو الحق عامة.. فما بالنا بالحق في الإيمان بالله؟!! الحق المطلق..

عاشت طفولتها في عذاب..

طفلة بريئة متنازعة بين قوتين: قوة أسرة ملحدة متزمتة، وقوة فطرة نقية سليمة..

أسئلة كثيرة كانت تراود ذهنها الصغير بينما موانع حصينة كانت تكبل فمها بإحكام..

حرمانها من طرح الأسئلة وحرصها على إرواء ظمئها دفعاها إلى أن تلوذ بالكتب التي كانت تقرؤها سرًّا في جوف الليل بحثًا عن الله..

وعندما اشتد عودها بحثت عنه في كل الديانات وتواصلت مع معتنقيها فوجدت أخيرًا ما تبحث عنه في الإسلام فاعتنقته..

إنها فلّة الفرنسية التي فرحت كثيرًا بأن شرح الله صدرها للإسلام فأرادت أن تشاركنا فرحتها بإسلامها فروت لنا قصتها هذه:

ولدت وترعرعت في كنف أسرة ملحدة شديدة التزمت.. كان أفراد أسرتي يتجاذبون أطراف الحديث في كل شيء إلا الدين.. تعذبت كثيرًا في طفولتي ومراهقتي.. ففطرتي السليمة كانت تدفعني إلى ملاحظة ما حولي في ارتياب بينما أسرتي الملحدة كانت تمنعني من طرح أي سؤال، فعوضت عن ذلك بأن هرعت إلى الكتب التي ظللت أقرؤها ليلًا، وفي منتهى السرية حتى أجد إجابات شافية لأسئلة كثيرة كانت تقفز إلى ذهني، منها على سبيل المثال: «لمَ توجد اختلافات كثيرة بين الأديان؟ ولم يوجد أناس مؤمنون وآخرون غير مؤمنين؟».

كنت أصغي بانتباه شديد إلى كل مؤمن، وكنت أوجه أسئلة إلى زملاء دراستي الذين كانوا يتلقون التعليم المسيحي.. بل كنت أرغب من أعماق نفسي في أن أصبح مؤمنة مثلهم بيد أن خوفي من أفراد أسرتي جعل منها رغبة خفيّة أحتفظ بها لنفسي ولا أجرؤ على الجهر بها حتى لو كنت على انفراد.

رغبتي الملحّة في البحث عن الله بدأت تكبر معي وتزداد بمرور الأيام والأعوام.. كنت كثيرًا ما أتوجّه إلى الله تعالى أملًا في أن يصغي إلى حديثي.. ومع ذلك كانت الشكوك تساورني على الدوام.. رغبتي في الإيمان، وفي معرفة الله كانت قوية ومتزايدة وتتناسب تناسبًا طرديًا مع عمري.. بيد أنني كنت لا أملك الادعاء بأنني أحمل الإيمان بين جوانحي.

للخروج من دوامة التناقض التي كانت تتقاذفني بين دائرتي الشك واليقين، بدأت أبحث في كل الأديان مع إقصائي لبعضها سواء تلك التي لم أجد فيها وضوحًا، أو تلك التي لم تدفعني إلى طرح أسئلة أخرى أكثر حصافة.. بالتالي كان تركيزي على الأديان الثلاثة التي بحثت فيها علّني أجد إجابات شافية عن أسئلتي.. وبالفعل بدأت بحثي في اليهودية، ثم المسيحية، وأخيرًا الإسلام.. الحقيقة استغرقت مني عملية البحث في الأديان الثلاثة سنوات عديدة بينما ظلت رغبتي الشغوفة للمعرفة والإيمان تزداد أكثر وأكثر.

ولكي أصل إلى الحقيقة قررت بيني وبين نفسي تجاوز كل الآراء السخيفة والمبتذلة التي كانت تنظر إلى الإيمان باعتباره المعادل الموضوعي للضعف بينما كان بالنسبة إليّ هو القوة الحقيقية.

والحق يقال، فقد كنت آنذاك -برغم أنني لم أعرف الكثير عن الإسلام بعد- لا أصادف نساء مسلمات يرتدين الحجاب، حتى أشعر بقلبي يخفق بشدة ويستحوذ على احترام شديد غير متناهٍ لهن؛ فمن خلالهن فقط كنت أحس بنور الإيمان ينساب إلى داخل قلبي كما كنت لا أعير انتباهًا لتلك الانتقادات اللاذعة والساخرة التي كانت توجّه إليهن من أناس لا يفهمون المغزى الحقيقي للزي الذي كنّ يرتدينه.

حينما بدأت بحثي في الديانتين اليهودية والمسيحية، لم أجد إجابات واضحة، بل على العكس كانت تساؤلاتي تزداد على الدوام.. بينما رغبتي الملحّة في أن أصبح مؤمنة أخذت تشتد أكثر فأكثر.. عقب وصولي إلى طريق مسدود من خلال دراستي لليهودية والمسيحية، بدأت دراسة الدين الإسلامي.

برغم تزودي السابق بالقرآن فإنني رأيت عدم الجدوى أن أستعجل قراءته بحجة أنني لم أكن أعرف بعد أسس الإسلام.. ولحل هذه المشكلة بدأت أدرس الدين الإسلامي بصورة تدريجية وأحصل على المزيد من المعلومات عنه حتى أصبح مؤهلة لقراءة القرآن.

وكنت كلما ازدادت معرفتي بالإسلام، وجدت إجابات شافية للأسئلة الملحة التي كانت تراودني منذ طفولتي وبالتالي شعرت بوضوح أكبر حول الله والإيمان.

أخيرًا وبعد رحلة مضنية من البحث والتقصّي حصلت على الإجابات الشافية المرضية لكل

أسئلتي الملحة عن الإسلام.. وبالتالي اكتملت أمامي الأجزاء الناقصة من اللوحة البديعة.. لوحة الإيمان.. حينها فقط وبعد مرور ستة أشهر من شروعي في التعلم توصلت إلى أنني أصبحت أعرف عن الإسلام ما يؤهلني لقراءة القرآن.. وبالفعل فتحت الصفحات الأولى من القرآن، فانسابت الآيات الكريمة إلى شغاف قلبي وهي تحمل تشجيعًا عذبًا يدفعني بقوة وحب إلى قراءة المزيد.. حقيقة كنت أحمل القرآن بين يدي وينتابني إحساس من يحمل وليدًا بفعل رقة وحلاوة وطلاوة ووضاءة كلماته.. لكن وبرغم كل ذلك لم يستقر الإيمان في قلبي بعد.

وتضيف فلة وهي تتحدث بحماس عن تجربتها:

وفي ليلة الأول من تموز من عام 2001م، وقفت أمام نافذة غرفتي أتأمل السماء المزدانة بالنجوم.. خاطبت الله بكلمات تخرج من أعماقي وتساءلت: لماذا لم يستقر الإيمان في قلبي بعد على الرغم من طلبي له، والتماسي للعلم؟!

ناجيت الله بحرارة.. كنت أرتجف تأثرًا أثناء نطقي للكلمات التي كانت تخرج بصدق من داخل سويداء قلبي بينما تنهمر الدموع الساخنة على وجنتي في غزارة.. وظللت أبكي وأرتعش.. ثم فجأة أحسست بشعور عجيب توصلت معه إلى قناعة تامة مفادها أن نعمة الله عزّ وجلّ قد مستني وأن نور الإيمان قد غمر قلبي.. منذ تلك اللحظة الفارقة أصبحت مسلمة.. وحتى الآن لا يمر عليّ يوم دون أن أشكر الله عزّ وجلّ على ما وهبني من نعمة الإيمان.

لا تغلقوا الأبواب في وجوه الباحثين عن الله.. لا تحرموا أبناءكم من الإيمان بالحق..

بل لا تحرموا أنفسكم من النور الذي يملأ الكون ويمنحه قيمة الحياة..

سيصل الباحثون!! بكم.. بدونكم.. سيصلون.. فالله لا تحجبه الحجب..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (10)

الهادم النادم!

الندم.. يقوده إلى الإيمان..

عدو غاضب.. يهدم ويدمر.. فيندم.. فيؤمن!!

من القادر على ذلك غيره وحده.. الله؟!

سبع سنوات عجاف قليلة من عمر الكون، ولكنها كبيرة في سجل بطل هذه القصة..

لقد تغير خلالها تمامًا من هادم لبيت من بيوت الله إلى خادم لها يرجو العفو والمغفرة!

إنه شايف برازاد بطل هذه القصة، وهي قصة مثيرة للدهشة ندعوك للإبحار فيها..

في السادس من ديسمبر عام 1992م شهدت أيوديا بشمال الهند حدثًا مجلجلًا ومروّعًا.. مئات الآلاف من الهندوس احتشدوا لهدم مسجد «بابري».. ومن بين هذا العدد الكبير تسلقت مجموعة صغيرة هائجة مئذنة المسجد المهيبة، يتقدم هذه المجموعة شايف برازاد الذي تم تكليفه قيادة أربعة آلاف رجل وتدريبهم لهدم هذا المسجد.

وما أن هوت مئذنة المسجد إلى الأرض بفعل أيادٍ قذرة نجسة حتى صرخ قائد المجموعة المخرّبة شايف برازاد في سرور وأخذ يصيح بصوت عالٍ: «رام! رام!».

بعد مرور سبع سنوات تمامًا من حادثة مسجد بابري الذي كان لبطل هذه القصة وجميع أفراد عائلته اليد الطولى في هدمه، وتحديدًا في السادس من ديسمبر من عام 1999م كان شايف برازاد ساجدًا بخشوع في أحد مساجد مدينة أيوديا الهندية وهو يلتمس المغفرة من الله تعالى على عمله الفظيع الذي ارتكبه منذ سبع سنين..

لقد كان صائمًا، وكان يبكي ندمًا على فعلته المريعة كلما تذكرها ويلتمس الصفح من الله تعالى في صلواته.. نعم، اعتنق شايف برازاد الإسلام واختار لنفسه اسمًا آخر هو محمد مصطفى.. إنه اسم ذات الشخص الذي أرشده إلى الإسلام.. أما رحلته إلى الإسلام فنتحدث عنها فيما يلي:

عقب الانتهاء من عملية تدمير المسجد بدأ شايف برازاد يشعر بانقباض في صدره، بل لم يرتح له ضمير بعد ذلك؛ إذ كان يشعر بأنه اقترف إثمًا عظيمًا. وفي مستهل عام 1997 ذهب شايف إلى مدينة «الشارقة» بدولة الإمارات العربية المتحدة بهدف العثور على عمل فضلًا عن هربه من

عذاب الضمير.. وحصل على ما كان ينشده من عمل، بيد أنه لم يحصل على ما كان يبحث عنه من راحة ضمير.. فالقلق الذي ظن أنه تركه وراءه في الهند سبقه إلى الشارقة.

في الرابع من ديسمبر من عام 1998م، وبينما كان شايف برازاد يتجول في شوارع الشارقة، وصلت إلى أذنيه خطبة جمعة تنطلق من أحد المساجد وكانت باللغة الهندية.. عندما استمع «شايف» إلى الخطبة شعر أنها كانت تختلف عن كل ما سمعه من قبل فقرر أن يستمع إليها بأكملها.. ومنذ ذلك اليوم ظل شايف يواظب على الاستماع إلى خطب الجمعة في كل أسبوع حتى انتهى به الأمر إلى اعتناق الإسلام.

عقب اعتناقه الإسلام، اضطر شايف إلى الاختفاء تمامًا من أفراد عائلته لأنهم كانوا أعضاء ناشطين في حزب هندوسي متشدد.. وصرح شايف بتصريح خطير -لم يبح به منذ سنوات- مفاده أن السلطات الهندية تغاضت عنهم عندما هدموا مسجد بابري، بل وساعدتهم وشجعتهم على إنجاز مهمتهم المشينة، بينما كانت تصرّح في العلن وعبر وسائل الإعلام بعكس ذلك تمامًا.

ومنذ أن اعتنق الإسلام، ظل محمد مصطفى يتلقى باستمرار تهديدات من الحزب الهندوسي، ومن حزب (B.J.P)، كما تم تهديده بالقتل إن عاد إلى الهند.. بيد أنه ظل يقول في حزم: لن أتخلى عن إسلامي ولو كان الثمن فقداني لحياتي..

تعلم محمد مصطفى سبع عشرة سورة من القرآن الكريم، وهو يتلهف إلى تعلم القرآن بأكمله، كما يطمح إلى أن يصبح داعية إلى الإسلام حتى يزيل أستار الجهل عن بصائر الناس ليبصروا النور ويأمل أن تعمل يده التي هدمت مسجد بابري إلى إعادة بنائه من جديد.

فبيوت الله.. في حفظ الله..

قد يعتقد الظالمون المعتدون على بيوت الله أنهم فائزون..

فإذا بالهزيمة مسيطرة عليهم.. من أنفسهم!!..

ألا يدل ذلك على صاحب البيت.. على قوته؟!!

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (10) - (111)

الخلاصة العجيبة

التدبير.. سر من أسرار قدرة الله في الكون..

لو تفكر فيه غير المؤمنين لكفاهم سببًا للإيمان والهدى!!

عدو للإسلام يدخل إلى عالم القرآن لهدم الإسلام فلا يملك إلا الخضوع للقرآن والإيمان بأنه كلام الله!! فعندما ينقلب السحر على الساحر فماذا يفعل الساحر؟

لقد قرأ القرآن الكريم بحثًا عن أخطاء وتناقضات توقع أن يجدها بين آياته ليقدمها إلى رجال الكنيسة مهرًا لتعيينه قسيسًا، الحلم الذي طالما دغدغ مشاعره، ولكنه نفسه أصبح بين عشية وضحاها من أنشط الدعاة إلى دين الإسلام.. إنه جمال زكريا أرمانيوس الذي ندعوكم للتعرّف إلى قصة إسلامه.

ولد أرمانيوس في محافظة المنيا بصعيد مصر عام 1956، ترعرع ونشأ في كنف أسرة نصرانية أبًا عن جد، حيث كان جده أحد أشهر الكهنة بأرض الكنانة، وبذلك كان حلمه وكغيره من أبناء عائلته أن يصل إلى منزلة جدّه، ويصبح قسيسًا كبيرًا يشار إليه بالبنان.

منذ أن كان في الثامنة من عمره كان يحرص بشدة على دخول الكنيسة والتطوع فيها حتى يصبح قسيسًا مكان جدّه.. بدأ عمله داخل الكنيسة مساعد شماس، حيث يتمثل عمله في مساعدة الشماس الذي يخدم الكنيسة من خلال معاونة الكاهن في أداء الطقوس الدينية والصلوات الكنسية.

شبّ أرمانيوس صبيًّا واسع النشاط وصبورًا على البحث والدراسة بهمّة لا تعرف الكلل ولا الملل، لذلك تدرّج سريعًا في المناصب الكنسية إلى أن تمّ تتويجه شماسًا في كنيسة مريم العذراء بالقاهرة.. ولما كان طموحه أكبر من ذلك بكثير فقد كان حريصًا على بذل المزيد من الجهد حتى يصبح قسيسًا بأسرع ما يمكن.. ثم جاء اليوم المنتظر فأبلغوه بأن ضالته المنشودة قد أصبحت على مرمى حجر منه، وبالتالي يمكنه أن يحصل على منصب القسيس الذي طالما حلم به، ولكن اشترطوا عليه أن يقدم بحثًا يسلّط الضوء على ما جاء في القرآن الكريم من أخطاء وتناقضات!

أحسّ الشماس الطموح بأنه أصبح قاب قوسين أو أدنى من تحقيق حلمه الجميل، وأن المطلوب منه أمر في غاية البساطة واليسر، وما عليه إلا أن يقرأ القرآن بحثًا عن أخطاء وتناقضات! وبالفعل بدأ رحلته مع القرآن الكريم بكل همّة ونشاط، لدرجة أنه كان يقرؤه ثلاث

مرّات في الشهر الواحد.. بل أصبح يحمل كتاب الله الكريم معه أينما ذهب، حتى كان يقرؤه في المواصلات العامة بشغف يحسده عليه حتى المسلمون.

لم يكن جمال يكتفي فقط بالتركيز في قراءته للقرآن بل كان يحرص على تدبّر معانيه جيّدًا، الأمر الذي جعله يحفظ الكثير من آياته عن ظهر قلب، ولكنه لاحظ أمرًا غريبًا أصابه بالرهبة في البدء وبالراحة لاحقًا.. نعم لاحظ أنه لا يكاد يقرأ الآية حتى يشعر بها وقد دخلت إلى قلبه مباشرة تمامًا كسهم تم تصويبه بدقة متناهية.. وجد جمال شغفه لقراءة القرآن يزداد يومًا بعد يوم فقد كان يختمه كل عشرة أيام، ثم يعيد الكرة من جديد وبرغم تأثره بكل آيات القرآن الكريم، فإن الآية الثانية من سورة البقرة التي يقول فيها الله تعالى: **ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ** (2) كان لها عظيم الأثر في نفسه.. وهو يقول عنها كلما قرأت هذه الآية ينتابني إحساس وكأن القرآن يريد أن يخبرني بأنه لا جدوى من البحث وأن هذه الآية هي الرد الشافي لبحثي.

انبهر جمال بالثقة المطلقة التي وجدها في هذه الآية الكريمة والتي لا يمكن أن تتأتّى لأي أحد من البشر مهما بلغ من العلم!.. ففي العادة يعتذر المؤلفون للقرّاء في مقدمة مؤلفاتهم عن أي تقصير أو خطأ أو سهو وقعوا فيه أثناء تأليفهم لهذه المؤلفات، أما القرآن الكريم فهو الكتاب الوحيد الذي يعلن لك من الوهلة الأولى وبكل ثقة أنه كتاب (لا ريب فيه)، ولا خطأ ولا اختلاف فيه ولا خلل ولا تناقض يعتريه، وأنه الكتاب المشتمل على علم اليقين المزيل للشك والريب.

عندما جاء موعد تقديم جمال لبحثه «متناقضات القرآن الكريم وأخطاؤه» كان رجال الكنيسة المشرفون ينتظرون بشوق إطلاعهم على هذا البحث وما به من تناقضات يشتمل عليها القرآن حتى يقرّروا منح صاحبه الشماس درجة كاهن أو قسيس.

لكن اندهش رجال الكنيسة وأحبطوا عندما قام جمال بتسليمهم بحثه في ورقة واحدة ناصعة البياض إلا من ست كلمات: «لم أجد في القرآن أي تناقض»!! وأسفل هذه الكلمات هناك توقيع باسم «جمال زكريا» عوضًا عن «الشماس جمال زكريا أرمنيوس» الاسم والصفة اللذين كانوا يتوقعون تصدرهما البحث.

صدم الشماس رجال الكنيسة بالخلاصة العجيبة التي خرج بها من دراسته للقرآن الكريم على مدى شهور، حيث لم يجد فيه أي خطأ أو تناقض برغم قراءته له عشرات المرّات!

نتيجة لموقفه الشجاع، والصادق أيضًا، دفع جمال ثمنًا باهظًا يتمثل في فقدانه لآماله وطموحاته ومستقبله ومصدر رزقه.. لكنه كان يشعر في قرارة نفسه بأنه حقق الربح الحقيقي برغم الخسران الظاهري الذي يبدو لبني جنسه.

في حوار أجرته معه صحيفة «المدينة» السعودية، يقول القس السابق جمال زكريا إبراهيم كنت أختم القرآن الكريم ثلاث مرّات في الشهر لكي أجد أي خطأ أو تناقض يمكن أن نوظفه في محاربة الإسلام، ولكنني لم أجد ما كنت أبحث عنه، وفي المقابل كنت أقرأ الإنجيل وتعمقت في دراسته فاكتشفت فيه خمسة آلاف خطأ وتناقض!

لاحظ جمال أنه وفي كل مرّة يفتح فيها القرآن الكريم ولثلاث مرّات متتالية يجد نفسه وجهًا لوجه أمام هذه الآية من سورة الأنعام:

فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (125) الأنعام

كان ينتابه الإحساس بأن هذه الآية تخاطبه شخصيًّا فيتوقف في كل مرّة ويتفكّر طويلًا في معناها، هذا الأمر جعله يتخذ منحى آخر في تفكيره إذ شعر برغبة ملحة في قراءة القرآن الكريم بشكل مغاير ولغرض آخر يختلف عن ذاك الذي كلف به من قبل الكنيسة، فوجد نفسه في حاجة إلى الاستعانة ببعض كتب التفسير لتسهيل عملية الفهم.

بدأ جمال بعد ذلك يفكّر في دخول الإسلام، وحالما شعر رجال الكنيسة بذلك أخذوا يغلقون أمامه كل السبل والمنافذ، فحاربوه في بيته ووصموه بتهمة «الإرهاب»! وعندما فشل أسلوب العصا جربوا معه سياسة الجزرة، فتقدم منه الأسقف وقدم له عرضًا رآه شديد الإغراء يتمثل ذلك العرض في أن يتم تعيينه رسميًّا كقسيس استثنائي يمتلك الحق في أن يختار الدير الذي يريد العمل فيه! عرضوا عليه كذلك أموالاً طائلة! لكنه ضرب بالجزرة عرض الحائط ورفض كل الإغراءات التي يسيل لها لعاب كل بني جنسه.

وبعدها علمت الكنيسة أنه أشهر إسلامه رسميًّا في جامعة الأزهر لدى رئيس لجنة الفتوى بالجامعة فجرّدوه من كل شيء: بيته وسيارته وكل ممتلكاته، بل وصل بهم الأمر أن أخذوا ملابسه! ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل قاموا بتهريب زوجته المسيحية وأبنائه إلى أمريكا، وتعرض للقتل ثلاث مرات بتوجيهات من الكنيسة لأنهم خسروا أحد القسيسين المخلصين.

لكن ذلك كله لم يثنه عن قراره المصيري الشجاع والمضي قدمًا في طريق الحق حتى النهاية..

عندما أشاح جمال بوجهه عن الكنيسة والقائمين على أمرها بدأ يفكر في أهله وأصابته الحيرة في كيفية إخبارهم بإسلامه؟! فقرر أن يبدأ بأمه وهي أقرب الناس إليه وأحنهم عليه فقد كان يبرّها بشدة.. ذهب إليها بخطى متثاقلة ليخبرها أنه ينوي الدخول في الإسلام وهو قد دخله بالفعل!.. تساءل محتارًا: كيف يخبرها بهذا القرار الخطير؟ وكيف سيكون ردّ فعلها؟!

جلس جمال أمام أمه المريضة بأدب يشوبه الحياء.. حاول أن ينتقي كلماته بعناية، إذ إن للموضوع أهميته الكبيرة، كما أن لأمه مكانتها العظيمة في نفسه.. قال لها في شبه همس متوقعًا منها رد فعل عدائيًّا عنيفًا: «يا أمي الحبيبة لقد أسلمت لله رب العالمين، ولا أريد أن أغضبك بهذا ولكني عرفت الحق فلا تغضبي مني وأرجو أن تفهمي موقفي»!

تفاجأ جمال بأن ردّت عليه في منتهى الهدوء: «ياه يا جمال يا ابني أنت اتأخرت أوي..»!

انبهر جمال وكاد يطير من الفرح عندما علم أن أمه الحنون سبقته إلى الإسلام بفترة طويلة.

يا ابني أنت اتأخرت أوي!!.. كلمات سهلة المبنى عميقة المعنى ولكنها تنطوي على جملة من المعاني والمشاعر التي يتطلب شرحها مجلدات! هذه الكلمات التي نطقت بها الأم حلّقت بجمال في فلك نوراني شفيف.. منذ نعومة أظفاره سمع جمال من أمه العديد من الكلمات الجميلة بيد أن جملة «يا ابني أنت اتأخرت أوي» تعتبر الأجمل على الإطلاق رسمًا ومعنى..

فرح جمال بشدة حينما أخبرته أنها أسلمت منذ زمن بعيد، وأنها كانت تشعر بأنه سيصبح مسلمًا في يوم من الأيام، وأنه كلما ارتقى في مناصبه الكنسية كانت تعلم يقينًا أنه سيبحث ويجتهد في بحثه ومن ثم يصل إلى الحقيقة بنفسه.

إن حالة أم جمال التي أسلمت وأخفت أمر إسلامها حتى عن أقرب الناس إليها، ظاهرة عامة درستها الكنيسة المصرية بعناية، وتوصلت إلى نتائج وحقائق في غاية الأهمية.. في عام 2009 تسرب إلى العلن بعض هذه النتائج التي تؤكد أن هناك الآلاف من النصارى يتحولون إلى الإسلام سرًّا، ويكتمون أمر إسلامهم خوفًا من بطش الأهل وجبروت الكنيسة، ويؤدون شعائر دينهم الجديد في الخفاء.

وفي هذا الخصوص يؤكد الأنبا ماكسيموس رئيس المجمع المقدّس بكنائس الشرق لكنائس القديس إثناسيوس في مصر والشرق الأوسط، سابقًا، أن عدد النصارى الذين يشهرون إسلامهم سنويًّا في مصر يصل في المتوسط إلى 50 ألف نصراني.. وهذا الرقم تؤكده سجلات الأزهر الشريف التي تشير إلى أن عدد حالات التحول من النصرانية إلى الإسلام المسجلة رسميًّا بلغت مليونًا و150 ألف حالة خلال الفترة من 1995 إلى 2016، أي بمتوسط سنوي يزيد على 54 ألف حالة.

إن ظاهرة دخول النصارى في دين الإسلام بهذه المعدلات المتزايدة تقلق رجال الكنيسة المصرية كثيرًا، ولذلك فهم يسعون بشتى الطرق إلى تشكيك عوام المسلمين في دينهم، حيث يشكلون اللجان المتخصصة من أجل تحقيق هذه الغاية.. ويؤكد جمال زكريا أنه سبق وقد تم اختياره ضمن لجنة مهمتها محاربة الإسلام بالإسلام، وسلموا كل فرد من أعضاء هذه اللجنة

نسخة من القرآن الكريم بهدف قراءته والخروج بسور وآيات تحتمل أكثر من معنى، ويتم نزعها من سياقها وتفسيرها بشكل خطأ وتعليمها للأطفال والشباب المسيحي من خلال دروس الأحد، حتى إذا اكتشف المسيحي أي تناقضات في الكتاب المقدس مستقبلًا يكون قد سبق إلى علمه أن القرآن الكريم وهو كتاب المسلمين المقدس يحتوي تناقضات أيضًا حسب زعمهم.

غير جمال زكريا أرمانيوس اسمه ليصبح «جمال زكريا إبراهيم»، وظل على مدى سنتين عقب إسلامه يحمل وشم الصليب على يديه.. ولأنه كان يشعر بالحرج عند ذهابه إلى المسجد وعلى يديه علامة لا يحملها إلا النصارى المتعصبون أخذ يضع ضمادات على هذين الصليبين بغرض إخفائهما، حتى تمكن من أزالتهما نهائيًّا بعملية جراحية بعد أن صبر عليهما لسنتين.

ما أن دخل جمال الإسلام حتى حمل هم الدعوة الإسلامية وسط بني جنسه، فأسلم على يديه خلال فترة وجيزة 15 من المسيحيين.

نختتم هذا القصة بالإشارة إلى أن الداعية جمال زكريا إبراهيم أصدر كتابًا يحمل عنوان: «لماذا اخترت الإسلام؟» يروي فيه رحلة الإنسان في البحث عن الحقيقة، مع إشارته إلى صعوبة هذا البحث عندما يتعلق الأمر بالعقيدة، لأنه من الصعوبة بمكان على الإنسان أن يبدل دينه الذي نشأ وتربى في ظله إلا إذا كان هذا التغيير والتبديل نابعًا عن اقتناع تام وهذا هو عين ما حدث معه شخصيًّا إذ لم يكن مسيحيًّا عاديًّا بل كان من رجال الكنيسة المخلصين لذلك ما أن وصل للحقيقة حتى قرر ألا يحتفظ بها لنفسه، وإنما عليه أن ينشرها للآخرين عساها تسهم في هداية من أراد الله تعالى أن يهديه للإسلام.

حقًّا إن رحلة البحث عن الحقيقة هي أهم رحلة في حياة الإنسان..

الرحلة التي يتزود بها الإنسان في رحلته الأبدية..

المهم أن يصل الإنسان إلى محطة الوصول قبل نهاية الحياة الدنيا!!

هذا الوصول.. نعمة من الله.. فاسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (3) - (46) - (49)

انتهى الأمر

عندما تكون العقيدة صادقة..

وعندما يوافق فعل العبد عقيدته..

وعندما يتعامل المرء وكأنه في اختبار دائم..

فيكون حريصًا على النجاح كل لحظة في الاختبار..

يكون تأثير أفعاله للتعبير عن عقيدته والدعوة إليها عظيمًا ولا يقف أمامه أي شيء..

ففي فجر الإسلام الأوّل تمدد الإسلام وانتشر سريعًا في شتى أرجاء العالم، ليس فقط عبر الفتوحات والدعاة، وإنما عبر المبادئ السامية وفضائل الأخلاق التي كان يتعامل بها تجار المسلمين. فالمسلمون لم يذهبوا دعاة أو فاتحين إلى شرق آسيا وغرب أفريقيا والعديد من بقاع العالم الأخرى، وإنما ذهبوا إليها كتجار يحملون أخلاق الإسلام وتعاليمه السمحة.

فالتاجر العابد الصدوق الأمين الذي يسعى لربح الآخرة أكثر من بحثه عن الحظوظ الدنيوية الزائلة، يلعب دورًا مهمًّا وحاسمًا في نشر الإسلام، وهذا ما حدث بالفعل مع بطل قصتنا جاسون الذي هيأ له الله سبحانه وتعالى التعامل مع هذه الصفوة من التجار فكان سببًا في إسلامه.

جاسون أحد رجال الجيش الأمريكي الذين أرسلوا إلى شرق المملكة العربية السعودية أثناء حرب الخليج الثانية في بداية التسعينيات من القرن الماضي. وفي أحد الأيام كان جاسون يتسوق في مدينة الخبر السعودية، وبعد جولة طويلة مرّ خلالها على العديد من المحال التجارية، توقّف أمام محل تجاري وتناول إحدى السلع التي أعجبته.. لم يتفاوض كثيرًا على سعرها، بل مد يده إلى جيبه وأخرج حافظة نقوده لدفع ثمنها، وفي تلك اللحظة صدح صوت المؤذن من مسجد قريب ينادي للصلاة.. فالتفت التاجر إلى جاسون وقال له: «انتهى الأمر»! وهو يشير بقوله هذا إلى توقف عملية البيع والشراء عند النداء للصلاة!

قال التاجر هذه الجملة الحاسمة ثم خرج مسرعًا يقصد المسجد تاركًا جاسون ممسكًا بمحفظة نقوده غارقًا وسط أمواج من الدهشة ومحاطًا بغابة متشابكة من علامات التعجب!!

دار جاسون حول نفسه ثم هز رأسه وهو يتساءل: ما الذي حدث لهذا الرجل؟! ما الذي دفع هذا الرجل إلى رفض المال؟! ما هو هذا الدين الذي تتجاوز أولوياته الربح المادي في نظر معتنقيه؟!

لقد أحدث ذلك الموقف نقطة تحوّل فارقة في حياة جاسون، حيث بدأ بعدها رحلة البحث عن الإسلام. وقرّر بينه وبين نفسه أن يبذل الغالي والنفيس في سبيل تعميق معرفته بهذا الدين الذي يحبه معتنقوه أكثر من حبهم للربح المادي.

ازداد اهتمام هذا الرجل بهذا الدين، وبدأ يقرأ بشغف كل ما يقع بين يديه من كتب تتحدث عن الإسلام.. وشيئًا فشيئًا شرح الله صدره للإسلام، وفور عودته إلى مدينة نيويورك قرر اعتناق الإسلام، وسرعان ما تعلم الكثير عن هذا الدين وأصبح قادرًا على أداء عباداته وقراءة القرآن، كما أصبح حريصًا كل الحرص على تطبيق أوامر الإسلام والانتهاء عن نواهيه ومن قبل ذلك كله غير اسمه إلى «عبدالله».

عقب إشهار إسلامه انتقل عبد الله إلى مدينة ديترويت الأمريكية، وكان حريصًا على السكن على مقربة من مسجد «التوحيد»، وسرعان ما أتيحت له الفرصة ليصبح مؤذنًا في هذا المسجد، فكان عندما يحين وقت الصلاة يخرج إلى خارج المسجد ويؤذن في الشارع العام حتى يبلغ صوت الأذان أقصى مداه.

وهنا يقف هذا الرجل بين مشهدين، المشهد الأوّل في مدينة الخبر السعودية وجاسون النصراني مندهشًا لتصرّف التاجر المندفع صوب المسجد مستجيبًا لصوت الأذان وتاركًا كل شيء خلفه؛ والمشهد الآخر في مدينة ديترويت الأمريكية وعبدالله المسلم يصر على رفع الأذان في الشارع العام وليس من داخل المسجد.

ومن هذه القصة تبرز أهمية القدوة في الدعوة إلى الإسلام، فلا يكفي أن تبلّغ الناس عن الإسلام بلسانك، ولكن بلّغهم بأحوالك، باستقامتك وإخلاصك، بصدقك وأمانتك، بعفتك وتعففك، بحسن تعاملك، برحمتك ولطفك، بعفوك وصفحك. وإن تبليغ الناس بأحوالك أبلغ من تبليغهم بلسانك، لأن لغة العمل أبلغ من لغة القول، ولأن الناس يتعلَّمون بعيونهم ولا يتعلَّمون بآذانهم، وكما يقول المثل الأمريكي: «لا تقل لي ولكن أرني»..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (10) - (99)

الملاحظة الذكية

من أقصى اليسار.. إلى أقصى اليمين..

من الكراهية والتعصب.. إلى المحبة والتسامح..

من الكفر والتكذيب.. إلى الهدى والإيمان..

تحول رائع في حياة الإنسان عندما يستقبل نور الله..

عندما تتوضأ عيناه بآيات القرآن..

عندما يدخل في الإسلام..

قد يزرع بعضهم في نفسه أفكار المكذبين.. يكبر الزرع.. يثق المكذبون بقوة زرعهم.. في ثمار شجرتهم..

«كن فيكون».. هي كلمة السر.. كلمة تهدم الشجرة.. تنزعها من الجذور..

هذا ما حدث مع بطل قصتنا.. في بداية شبابه كان يكره الإسلام، بل كان يرغب في الانتماء إلى حزب قومي متطرّف حتى ينال من المسلمين.. في دراسته الجامعية التقى مسلمين آسيويين غير عرب.. سلوكهم القويم أجبره على تغيير رأيه في الإسلام فدرسه بعمق بدافع الفضول.. وجد نفسه وقد أصبح فرنسيًّا محظوظًا هداه الله للإسلام.. وحتى نصبح نحن محظوظين بمعرفة قصة إسلامه دعونا نقرأ ما قاله لنا عنها:

عندما كنت في السابعة عشرة من عمري فكرت بالانضمام إلى «الجبهة الوطنية» باعتبارها حزبًا قوميًّا متطرّفًا.. قد تتساءلون لماذا؟! حسنًا سأخبركم بذلك.. الحقيقة أسباب عديدة دفعتني إلى اتخاذ ذلك القرار وفي مقدمتها سببان:

يتمثل السبب الأول في عملية «غسل الدماغ» التي تعرضت لها من قبل عائلتي وأصدقائي؛ فقد كان لكلٍّ منهم خلفية عنصرية وقومية. أما السبب الثاني فيتمثل في مروري بتجربة شخصية قاسية، تعرضت خلالها للضرب الجسدي مرتين من قبل جزائريين مسلمين.

عندما بلغت الثامنة عشرة من عمري غادرت فرنسا للدراسة في المملكة المتحدة، وأنا مشبَّع بكراهيتي للإسلام! قد يتساءل أحدكم إذًا لمَ وكيف اكتشفت الإسلام الذي كنت تكرهه؟!

في الحقيقة ما أن وصلت إلى المملكة المتحدة حتى جمعتني المصادفة بآسيويين (معظمهم

من ماليزيا وإندونيسيا) ارتبطت معهم بصداقات مميزة وعميقة.. في البدء لم أكن أعرف أنهم مسلمون لأن الإسلام بالنسبة إليّ ارتبط فقط بالعرب لا غير.. لقد وجدتهم يطبقون الإسلام بصورته المثلى. من خلال أصدقائي الجدد توصلت إلى حقيقة مفادها أن الإسلام يختلف تمامًا عمّا كنت أعرفه عنه منذ نعومة أظفاري.. نعم تبيَّن لي أن الإسلام دين تسامح، وصدق وإخلاص.. كما اكتشفت أن المسلمين يهتمون ببعضهم بعضًا، وإن هزَّ مشاعري بقوة ذلك الإيمان العميق الذي لاحظته في نفوسهم.

ما تعلمته من أصدقائي الجدد كان فقط عن طريق «الملاحظة الذكية»؛ إذ حتى لم يعرفوا أنني كنت أراقبهم عن كثب.. في بادئ الأمر كنت حريصًا على أن أخفي عنهم فضولي للتعرّف إلى الإسلام.. لكن ما أن اكتشفت أن سلوكهم يخالف تمامًا فكرتي عن الإسلام، حتى تحولت كراهيتي الشديدة للإسلام إلى حب اطلاع يفوق الوصف.. في المقابل تأكدت من أن الأفعال أفصح حجة وأقوى تأثيرًا من الكلمات.

لقد تعلمت من أولئك المسلمين الآسيويين كيف هو سلوك المسلم الحقيقي.. ولم يمر عام عليَّ وسطهم حتى رغبت بشدة في تعلم المزيد عن الإسلام الذي بدا لي أروع ما في الوجود.

حينذاك بدأت سرًّا رحلة البحث عن نسخة من القرآن.. أصابتني الرهبة بالعجز من أن أطلبها من أقرب مسجد، كما أصابني الخوف من أن يطلع أيّ من أصدقائي على رغبتي في معرفة المزيد عن الإسلام.. ربما كان ذلك خشية أن يضغط عليَّ أحد، وربما لسبب لم أكن أدري ما هو.

وفي يوم لن أنساه ما حييت مررت بمعرض إسلامي.. حظيت حينذاك بفرصة الحصول على نسخة من ترجمة معاني القرآن من مسلمين لا يعرفونني! ما أن حصلت على النسخة العزيزة إلى نفسي حتى عدت إلى منزلي وشرعت في قراءة ما تتضمنه من سور كريمة وآيات طيبة.. حينها فقط استطعت أن أعرف ما هي حقيقة الإسلام دون أن يدفعني أحد إلى ذلك.

لم تمر أيام منذ حصولي على جائزتي الثمينة حتى بدأ شهر رمضان فقررت أن أصوم، وأن أفعل كل ما يفعله المسلمون.. في الوقت ذاته تابعت قراءة القرآن الكريم بصورة يومية، فشرح الله صدري للإسلام.

في ليلة النصف من رمضان، توصلت إلى روعة الإسلام، وجمال تعاليمه فضلًا عن وضوح تلك التعاليم وبساطته ومنطقيته. وما أثار دهشتي تمامًا حقيقة أنني ما عدت أخشى أن أصبح مسلمًا إذ رغبت في ذلك من داخل قلبي.

وفي 30 آذار 1997 نطقت الشهادة وحدي في غرفتي.. وحتى ذلك الوقت لم أكن أعرف جيّدًا

كيفية الصلاة، إذ كنت أعرف حركاتها ولكنني أجهل تلاوة سور القرآن، ومع ذلك بدأت أصلي فرائضي الخمس بأفضل ما أستطيع.. لاحقًا نطقت الشهادة بصورة رسمية داخل المسجد، وأنا اليوم أفخر وأعتز بأنني مسلم، والله أكبر على كل متجبر لا يؤمن بيوم الحساب.

وهكذا تحول بطل قصتنا الفرنسي عبدالحكيم من رجل متطرف شديد الكراهية للإسلام إلى مسلم متسامح يحب الإسلام من داخل قلبه ويحب المسلمين أكثر من حبه لأشقائه!

فهم أشقاؤه حقًّا.. وأكثر.. فأخوة الإسلام رباط إيماني مقدس غير قابل للانفصام..

وأنتم.. متى تدخلون في عائلة الإسلام؟!

متى تدركون صلة رحم الإيمان؟!

لا تعتزلوا إخوانكم.. لا تشردوا عن ركب الحق والهدى..

الإسلام هو دين الله الذي يرتضيه الله لعباده المكرمين.. ولا يرتضي غيره..

أسلموا.. أعلنوها لأنفسكم قبل الناس..

انطقوا الشهادتين بقلوبكم وألسنتكم..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (10) - (107)

❁ الثمار المرّة

لو قيل لك إن مسلمًا معدمًا فقيرًا ارتد عن الإسلام لشككت في صدق محدّثك، فكيف يكون ردّ فعلك لو قيل لك إن من ارتد عن الإسلام هو مفتٍ لأحد الديار الإسلامية؟! في المقابل كيف سيكون ردّ فعلك إذا قيل لك إن نصرانيًّا بدرجة الكاردينال -وهي تعادل درجة المفتي في الإسلام- قد دخل الإسلام؟! من المؤكد أنك ستصدق محدثك!! فمثلما أن من المنطقي استحالة ارتداد العالم المسلم عن دينه فيكون من المنطقي دخول العالم النصراني في دين الإسلام إن نزع عن قلبه وعقله عباءة الكبر قبل مسوح الرهبان.. لماذا؟ لأنه سيكون أدرى بما أصاب النصرانية من تحريف، مقارنة بالنصراني الذي يجهل حقيقة دينه وعقيدته..

هذه المقدّمة قدّمناها بين يدي قصّة إسلام العالم النصراني والكاردينال السابق أشوك كولن يانج، أمين عام مجلس الكنائس العالمي لوسط وشرق أفريقيا سابقًا، الذي يتحدث عن جوانب من رحلته من شفير النصرانية إلى حضن الإسلام في الحوار الذي أجرته مجلة «المجتمع» الصادرة عن جمعية الإصلاح الاجتماعي الكويتية.

وأهمية هذا الحوار أنه يكشف بوضوح أبعاد المخطط الكنسي العالمي لتنصير المسلمين، حيث أكد كولن من خلال هذا الحوار أن منظمات الدول الغربية الخيرية التي تعمل في أفريقيا والعالم العربي والإسلامي هي في حقيقة أمرها منظمات كنسية، هدفها تنصير المسلمين، وفي العديد من الدول الغربية يتم اقتطاع 5% من مرتب كل موظف لدعم جهود التنصير التي تقوم بها الكنيسة، وأن معظم المؤسسات الاستثمارية الغربية العاملة في أفريقيا وآسيا هي في حقيقة أمرها مؤسسات كنسية تذهب أرباحها لمصلحة الكنيسة..

كما أشار كولن إلى تقسيم الدول الإسلامية إلى دول أكثر فاعلية، ودول أكثر تطورًا، ودول أكثر حبًا للإسلام، وأن هذا التقسيم تم من خلال المؤتمر السري الذي عُقد في مركز الأبحاث الاستراتيجي بولاية تكساس الأمريكية عام 1981، والذي شارك فيه هو شخصيًّا، وكان شعار المؤتمر «كيف نواجه المدّ الإسلامي؟»، حيث درس المؤتمر الأسلوب الأمثل لتنصير شعوب الدول العربية والإسلامية، والبدائل التي يمكن استخدامها في حالة الفشل. وتركزت هذه البدائل التي طرحها المؤتمر في أن تعمل الكنيسة على خلق نزاعات أهلية وفتن طائفية في الدول التي يصعب تنصير شعوبها. كما أوصى المؤتمر بضرورة دعم العلمانيين واستخدامهم في ضرب الحركات الإسلامية، والضغط على الحكومات العربية للزج بأعضاء الحركات الإسلامية في السجون. وقد نجح الغرب مع الكنيسة في تنفيذ هذه المخططات في العالم العربي والإسلامي بشكل كبير

وخطير، حيث لا تزال العديد من الدول العربية تجني ثماره المرّة.

مهّد مقدّم الحوار لسؤاله الأول بإشارته إلى فرضية منطقية مفادها صعوبة تغيير الإنسان لعقيدته، خاصة إذا كان هذا الإنسان يتبوأ قمة الهرم الذي يدعو إلى هذه العقيدة.. ثم سأل ضيفه عن السبب الذي قاده إلى التغيير، ومن ثم اعتناق الإسلام من واقع دراسته للأناجيل؟

أجاب كولن بأن الإنسان ومهما علا شأنه إذا كان بحثه عن الحقيقة يتسم بالصدق والجديّة، فسوف يصل إلى هذه الحقيقة الحتمية طال الزمان أم قصر، ولكن عند وصوله لها سيجد نفسه في مفترق طرق: بمعنى إما أن تعزز هذه الحقيقة ما كان يؤمن به أصلًا، وإما أن تهديه إلى سبيل آخر.

وأشار كولن إلى أنه غيّر عقيدته من خلال أقوال المسيح التي وردت في الأناجيل غير المحرّفة والتي تؤكد أن المسيح -عليه السلام- هو إنسان كغيره من البشر اختاره الله تعالى وجعله نبيًّا ثم حمّله رسالة إلى قومه، فقد جاء في إنجيل يوحنا في الإصحاح الثامن فقرة 40 عندما همّ اليهود بقتله: «**ولكنكم الآن تطلبون أن تقتلوني وأنا إنسان قد كلمكم بالحق الذي سمعه من الله**».. إذًا وعلى لسانه هو نفسه، فإن المسيح -عليه السلام- إنسان اختاره الله وحمّله رسالة وجعله نبيًّا، ولذلك يقول -عليه السلام- كما جاء في الإصحاح الثامن فقرة 42: «**لو كان الله أباكم لكنتم تحبونني لأنني خرجت من قبل الله وأتيت، لأني لم آت من نفسي بل ذلك أرسلني، لماذا لا تفهمون كلامي؟**».

وذكَّر كولن بحقيقة أن بعض الأناجيل -غير المحرفة- صرحت بنبوة عيسى -عليه السلام- كما جاء في لوقا الإصحاح السابع فقرة 16: «**فأخذ الجميع خوف ومجّدوا الله قائلين: قد قام فينا نبي عظيم**»، وجاء في متى الإصحاح الحادي والعشرين الفقرات (9، 10، 11): «**ولما دخل أورشليم ارتجت المدينة كلها قائلة: من هذا؟ فقالت الجموع: هذا النبي الذي من ناصرة الجليل**».

ثم أشار كولن إلى أنه وجد هذه النصوص تتفق تمامًا مع قوله تعالى في القرآن الكريم: «**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**» (المائدة: 75).

وعندما سأله مقدّم الحوار إذا كان يرى أن النصوص التي اقتبسها من الأناجيل كفيلة بتغيير عقيدة قارئها من النصرانية إلى الإسلام أجابه قائلًا: «إيماننا برسالة سيدنا عيسى -عليه السلام- يعني تصديقنا بخبره واتباع قوله، وهنا تجدر الإشارة إلى أن المسيح -عليه السلام- جاءنا من الله لأمرين مهمّين: يتمثل الأول في تعليم الأمة التي بعث إليها كيف تعرف الله وتتقرّب إليه وتعبده.. ففي معرفة الله سبحانه وتعالى يقول المسيح -عليه السلام-: «**إن الله واحد لا شريك له ولا نظير له ولا شبيه له**»، فقد جاء في إنجيل مرقص في الإصحاح الثاني عشر فقرة 30 لما سأله الكتبة: **أي وصية هي أوّل الكل؟ فأجابه يسوع: «إن أوّل كل الوصايا هي: اسمع يا «إسرائيل» الرب إلهنا**

رب واحد، وتحب الرب إلهك من كل قلبك ومن كل نفسك ومن كل فكرك ومن كل قدرتك، هذه هي الوصية الأولى، وثانية مثلها هي أن تحب قريبك كنفسك، ليس وصية أخرى أعظم من هاتين، فقال له الكاتب: صحيح يا معلم حسب الحق تكلمت فإن الله واحد لا آخر سواه»، وتتأكد هذه الحقيقة عن ذات الله بما جاء في يوحنا في الإصحاح 20 فقرة 18 قال المسيح: «**إني أصعد إلى أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم**» وكلمة الأب «أبي وأبيكم» تعني في لغة الإنجيل الرب أي ربي وربكم.

وأردف كولن قائلًا وهو ينصح محبي المسيح من النصارى: ألم تتضمن وصايا المسيح -عليه السلام- تعريفًا واضحًا لذات الله العلي الكبير المتفرد، حيث يقول الله تعالى في القرآن الكريم: «**قُلْ هُو اللَّهُ أَحَدٌ** (1) **اللَّهُ الصَّمَدُ** (2) **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** (3) **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** (4)»، كما جاء في القرآن الكريم أيضًا: «**وَما أَرسَلنا مِن قَبلِكَ مِن رَسولٍ إِلّا نوحي إِلَيهِ أَنَّهُ لا إِلهَ إِلّا أَنا فَاعبُدونِ**» (الأنبياء: 25).

وتتمثل المهمة الثانية التي جاء بها سيدنا عيسى -عليه السلام- من الله تعالى في أن يهدي الأمة التي بعث إليها إلى عبادة الله، وهي فقط أمة بني إسرائيل، أما بقية الأمم فليسوا معنيين بشريعة عيسى -عليه السلام- وهذا عين ما تقرره الأناجيل المسيحية، ففي إنجيل متى الإصحاح 15 فقرة 5 يقول يسوع: «**لم أرسل إلا لخراف بني إسرائيل الضالة**»، وجاء في متى الإصحاح 10 فقرة 5: **هؤلاء الاثنا عشر أرسلهم يسوع وأوصاهم قائلًا: «إلى طرق أمم لا تمضوا، وإلى مدينة السامرين لا تدخلوا، بل اذهبوا إلى خراف بني إسرائيل الضالة»** (أعمال الرسل 11 الفقرة الأولى).

ثم أرسل كولن نداءً آخر إلى محبي المسيح من النصارى قال فيه: آمنوا بالله تعالى إلهًا واحدًا جنبًا إلى جنب مع إيمانكم بأن المسيح -عليه السلام- رسول الله تعالى وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وكذلك الإيمان بأن محمدًا عليه أفضل الصلاة والسلام هو عبد الله ورسوله وخاتم النبيين والمرسلين، كما أن عليكم اتباعه حق الاتباع.. إن قلتم لا إله إلا الله يؤتكم الله أجركم مرتين، فقد قال سبحانه في كتابه الكريم: «**الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ** (52) **وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ** (53) **أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** (54)» (القصص: 52-54).

وعندما طلب منه محاوره أن يصف له اللحظة الفاصلة التي قرر فيها اعتناق الإسلام وأن يخبره عمّا ترتب على إسلامه ردّ عليه قائلًا: حينما حددت ساعة الصفر لاعتناقي الإسلام تقدمت إلى الكنيسة بطلب إجازة لكي أقضيها مع أفراد أسرتي فطلبوا مني في الكنيسة الانتظار ليعتمدوا لي مبلغًا من المال (من 50 إلى 100 ألف دولار) لكي أنفقه على أولادي.. قلت لهم: لا أرغب في مالكم!! بل كانت بطرفي عهدة من الكنيسة عبارة عن عمارتين ومبالغ من المال مقدارها مليونان

و400 ألف دولار أمريكي، و320 مليون جنيه سوداني قمت بتسليمها إلى راعي ميزانية التنصير، فتفاجأت الكنيسة بشدة بما فعلته!!

عقب ذلك قضيت مع أسرتي يومين اثنين نفكّر في هذا الأمر ونعمل على مناقشته، وهنا تجدر الإشارة إلى أن أفراد أسرتي -زوجة وأربعة أبناء- كانوا يعلمون أنني كنت أفكر في اعتناق الإسلام.. وحينما أبلغتهم بأن ساعة الصفر قد حانت ردّوا عليّ بأنهم يثقون بما أعتقده وأقوله وأنهم سيقررون ما أقرره؛ فذهبنا جميعنا إلى مسجد في الجوار «مسجد النور» وأشهرنا إسلامنا.

صمت كولن عن الحديث للحظات ثم قال بعد أن تنهد بعمق: على الرغم من أنني خسرت الكثير من الأموال فإنني كسبت الإيمان وحظيت بالراحة النفسية بعد مضي 40 سنة قضيتها في الباطل.. وكان رد فعل الكنيسة أن اتهمتني بأنني مجنون وأعاني مرضًا نفسيًّا.

وسأل المحاور بطل قصتنا: هل أثبت للكنيسة حقيقة أنك في كامل قواك العقلية والنفسية وأن إسلامك حدث نتيجة لقناعة تامة ودراسة متأنية؟ أجاب كولن في ثقة: قدر الله تعالى لي أن أدرس مقارنة الأديان.. بل إلى جانب الأديان السماوية المعروفة درست الأديان غير السماوية كالبوذية والهندوسية وعبادة النار والشمس والشيطان والأصنام.. فعلت ذلك بهدف ممارسة التنصير عن علم ودراية، غير أن الله تعالى أراد لي غير ذلك..

فمن خلال دراساتي كانت تتكشف أمامي الحقائق عن الإسلام شيئًا فشيئًا، وبدأ تكويني الديني في التشكل بصورة مغايرة، بينما بدأت أفكاري تتغير وتتداخل.. وفي إحدى مراحل دراستي للأديان أيقنت تمامًا أن الإسلام هو الدين الوحيد الصحيح، فكنت حينما أسمع الأذان أتوقف عن إلقاء محاضرتي احترامًا للنداء الإلهي.. حينذاك انتابني الإحساس بأنني أصبحت شخصًا بوجهين، وجه مضيء يرى أن الإسلام هو الدين الحق وأن الله واحد لا شريك له، ووجه مظلم يغالط نفسه منخرط في أعمال الكنيسة ومتمتع بأموالها الطائلة.

وعندما سأله محاوره عن السر الكامن وراء احتفاظه باسمه على غير العادة مع كل من يعتنق الإسلام، رد عليه كولن قائلًا: أنا لم أغير اسمي لاعتبارين اثنين:

يتمثل الاعتبار الأول في أن الدين الإسلامي الذي يركز على الإيمان لا يرى حرجًا في أن يحتفظ معتنقه باسمه القديم. أما الاعتبار الثاني فيتمثل في حقيقة أنني أحببت الاحتفاظ باسمي القديم لأهداف دعوية إذ سأظل مقبولًا لدى غير المسلمين بذلك الاسم، ومن ثم أستطيع أن أبيّن لهم الحق الذي أنعم به تعالى عليَّ بعد أن شرح الله صدري للإسلام وأخرجني من ظلمات الكفر إلى نور الإسلام، ومن حال أهل النار إلى حال أهل القبلة.

وصلتم في الكنيسة إلى درجة كاردينال كما احتل والدكم من قبل المنصب ذاته.. ماذا يعني منصب كاردينال؟ وما وظيفته في الكنيسة؟ «تقلدت مناصب كبيرة في الكنيسة، ومن بينها منصب الكاردينال وهو منصب مرموق في الكنيسة الكاثوليكية يوازي وظيفة المفتي في ديار الإسلام».

صمت كولن للحظات ثم تجهّم وجهه وقال في نبرة استنكارية: يجب أن يعرف القس أنه ليس إلهًا مخولًا له غفران ذنوب الناس وآثامهم.. عجبي!! في يوم الأحد يأتي للقس قبل الصلاة من ارتكب خطأ ويقول له إنني أخطأت في كذا وكذا، فيقول له القس: اذهب فقد غفر لك!! فكيف يتجرأ مثل هذا القس على أن ينازع الله تعالى في سلطته؟! بل من الذي أعطاه هذه الصلاحية وهو ليس إلا واحدًا من بني البشر؟!

تنهد كولن بعمق ثم أردف في نبرة يخالطها التحدي: أتحدى أيًّا من كبار القساوسة في العالم -شرقيين وغربيين- أن يقارعني الحجة بالحجة، بل أنا على استعداد لإجراء مناظرة مع أي درجة عالية في الكنيسة لكي أثبت للجميع مدى صحة الإسلام وأحقيته بالاتباع.. أنا لست مسلمًا بالعاطفة، بل اعتنقت الإسلام بعد دراسة متعمّقة للأديان خلصت منها إلى أن الإسلام هو الدين الحق الذي ختم الله تعالى به الرسالات السماوية، وأن النبي محمد -عليه أفضل الصلاة والسلام- هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن عيسى -عليه السلام- هو نبي ورسول من بني البشر وليس أكثر من ذلك، فقد قال الله تعالى في كتابه الكريم: «**مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**» (المائدة: 75)، وأشير إلى أنني لست أوّل من يسلم من القساوسة، فقد سبقني إلى دين الإسلام عدد كبير من القساوسة والمبشرين، وعلى رأسهم الأمين العام لمجلس مؤتمر المطارنة في الكنيسة الكاثوليكية، ورئيس القساوسة في الولاية الشرقية.

تحوَّلتم من داعية نصراني إلى داعية إسلامي.. ما الفرق بين الاثنين؟ يتمثل الفرق بين الاثنين في الآتي: الداعية النصراني كل همّه تنصير المسلمين أو إبعادهم عن دينهم حتى لو فسدوا وارتكبوا كل ألوان الموبقات.. فالكنيسة لا تهتم ألبتة بدعوة النصارى إلى الالتزام بالقيم والأخلاق الفاضلة إذ يقتصر اهتمامها على أن يحمل الإنسان صفة مسيحي ولا تهتم مطلقًا بمدى تدينه والتزامه، أما المرء في الإسلام فهو محاسب على كل صغيرة وكبيرة يرتكبها، وعليه فإن كل من يعتنق الإسلام عليه أن يكون صاحب عقيدة سليمة وعبادة صحيحة وسلوك قويم.

لماذا هذه الازدواجية؟! ينتقد المسلمون أعمال التنصير وفي الوقت ذاته يمارسون الدعوة الإسلامية بين غير المسلمين!! هنا فرق شاسع بين الدعوة الإسلامية والتنصير، فدعاة الإسلام يوضحون مبادئه وتعاليمه، ولا يرغمون أحدًا على اعتناقه، لأن الإنسان إذا لم يعبد الله عن قناعة واعتقاد فلا قيمة لإسلامه، أما دعاة التنصير فللأسف الشديد ينتهزون حاجة الفقراء والمعوزين ويقدمون لهم الغذاء والدواء والكساء وفرص التعليم مقابل اعتناقهم النصرانية، إذ

إن هؤلاء المنصرين لا يقنعون أحدًا بعقيدة لأنه لا توجد أصلًا تعاليم نصرانية مقنعة وبالطبع فاقد الشيء لا يعطيه.. وبينما تقوم المنظمات النصرانية العاملة في الحقل الإنساني باستغلال حاجة الناس نجد أن نظيرتها من المنظمات الإسلامية تقيم الكثير من المشاريع التي يستفيد منها المسلم وغير المسلم، وهي لا تبتز صاحب الحاجة أو تساومه على أساس الغذاء مقابل اعتناق الإسلام كما هو الحال مع نظيرتها النصرانية.

ما دوركم الآن في مجال الدعوة الإسلامية؟ نضطلع الآن بمهمة رعاية عشرات الآلاف من الذين اعتنقوا الإسلام من خلال نشاطاتنا في «منظمة التضامن الإسلامي للتنمية والإعمار»، ومن بين هؤلاء المسلمين الجدد مثقفون وضباط ومسؤولون في قطاعات مختلفة، فنحن نقيم لهم المدارس والخلاوي القرآنية.. فهناك الآن أكثر من 12 ألفًا من المسلمين الجدد -نساء ورجال- ينتظمون في خلاوي تحفيظ القرآن الكريم، وتضم كل واحدة من هذه الخلاوي من 300 إلى 400 رجل وامرأة يحفظون القرآن ويدرسون السيرة النبوية والحديث الشريف والفقه الإسلامي.

ونحن نهتم كثيرًا بقيادات القبائل والسلاطين، إذ إن هؤلاء يتمتعون باحترام أتباعهم وأنصارهم فإذا أسلموا هم، أسلم من خلفهم أتباعهم، بل لاحظنا -للأسف الشديد- أن الكثير من النصارى في جنوب السودان ينحدرون من أسر مسلمة، وقد قام بتنصيرهم الإنجليز أثناء احتلالهم للسودان ونحن نعمل على إقناعهم للعودة إلى أصولهم الإسلامية.

سبحان الله!! كيف يحاول بعضهم إقناع نفسه بأن الإسلام ليس الدين الصحيح؟!!

كيف يغمي عينيه بيديه حتى لا يدخل النور قلبه؟!!

كيف يدفن رأسه في التراب حتى لا يرى الحقيقة؟!!

كيف لا يتوقف أمام إسلام الكرادلة أنفسهم؟!!

أهو أعلم بالنصرانية من أكبر علمائها؟!!

ألم أقل لكم اسألوا الله الهداية؟!! فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (29) - (30) - (32) - (37) - (54)

آيات شيطانية!

القرآن الكريم هو كتاب هداية ومنهج وعمل، كما أنه كتاب تأمّل وتدبّر وتفكّر، وهو الحُجَّة البالغة التي تخاطب العقل والوجدان والروح معًا في كل زمانٍ ومكانٍ بالبراهين والأدلَّة المادية الدامغة التي تذعن معها الفطر السليمة وتُسلّم بها، فتنقاد للحق وهي راضية مختارة.

وكلما اكتشف العلماء حقائق علمية جديدة وجدوا القرآن الكريم قد سبقهم بالإشارة إليها، فنحن في كتاب الله أمام معجزة مستمرة ومتجدّدة تأتي في كل عصر بإعجاز جديد يناسب اختصاص أهل ذلك العصر واهتمامهم.

لقد نزل هذا القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي، ومرّ على نزوله أكثر من أربعة عشر قرنًا، ولا يزال هذا الكتاب العجيب يكشف لنا يومًا بعد يوم وجيلًا بعد جيل مزيدًا من عجائبه، وفي كل الميادين.. في ذلك الزمان الغابر لم يكن أحد يعلم شيئًا عن تطوّر الأجنة في الأرحام، وتكوّر الليل والنهار، والرتق والفتق الكوني، وتوسع الكون، ومواقع النجوم، والبحر المسّجور، وتعدد مطالع الشمس ومغاربها، ورفع السماء بغير عمد، والظلام الكوني، والضغط الجوي ونقص الأوكسجين، والحاجز الكيميائي بين البحرين، والجبال ووظائفها، وحقيقة السحب والأمطار، وغير ذلك من الحقائق العلمية التي يكتشفها البشر تباعًا فيجدونها موصوفة في القرآن الكريم بشكل مدهش وبدقة متناهية.

ولا يمكن لعاقل أن يتصور مصدرًا لهذه الحقائق العلمية في القرآن الكريم غير الله الخالق الذي أنزله بعلمه، وأورد فيه مثل هذه الحقائق الكونية لتكون شاهدة على مر العصور والأجيال بأن هذا القرآن كلامه ووحيه إلى خاتم رسله وأنبيائه مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم-.

إن العديد من العلماء والباحثين اللامعين في الدول الغربية اعتنقوا الإسلام نتيجة لما وجدوه من إعجاز علمي للقرآن الكريم كل في مجال تخصصه، ومن بين هؤلاء العالم الجيولوجي ريتشارد فيرلي بطل هذه القصة.

درس ريتشارد فيرلي علم الجيولوجيا في جامعة أكستر جنوب غرب بريطانيا.. عقب تخرجه في عام 1982 عمل ضابطًا في الشرطة وتحديدًا في شعبة مكافحة الإرهاب.. في السادس والعشرين من شهر سبتمبر من عام 1988 نشر سلمان رشدي (وهو كاتب بريطاني من أصول هندية) روايته التي تحمل اسم «آيات شيطانية».. أثارت تلك الرواية غضب المسلمين بشدة.. وبحكم عمله كضابط

شرطة كان الأمر يتطلب من ريتشارد فيرلي أن يقرأ تلك الرواية بعناية لمعرفة الأمر الذي ضايق هؤلاء المسلمين، كما كان عليه أن يقرأ القرآن الكريم الذي طعنت تلك الرواية في قدسيته.. عند قراءته للقرآن توقف ريتشارد فيرلي عند ثلاث آيات ترتبط بمجال تخصصه كجيولوجي أثرت في عقله ووجدانه على السواء.. ولتقريب الصورة نذكر بأن الجيولوجيا هي علم دراسة الأرض من حيث تركيبها وكيفية تكوينها والحوادث التي وقعت عليها منذ نشأتها الأولى حتى تاريخنا المعاصر.

ومن هذه الآيات التي هزت ريتشارد فيرلي هي قول الله تعالى في سورة النبأ: **أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا** (6) **وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا** (7) النبأ.. تمعّن فيرلي جيّدًا في تفسير هاتين الآيتين وراجع ما درسه في مجال الجيولوجيا، ثم قرأ كثيرًا من المؤلفات التي كتبت في هذا المجال.. فحقيقة أن الجبال تزيد على ارتفاعها الظاهر بعدة مرات هو أمر لم يثبته العلم إلا في النصف الأخير من القرن التاسع عشر، بل أصبح من المعلوم أن للجبال جذورًا مغروسة في الأعماق تصل إلى ما يعادل 15 مرّة من ارتفاعاتها فوق سطح الأرض، كما أثبتت النظريات العلمية الدور الكبير الذي تلعبه هذه الجبال في إيقاف الحركة الأفقية الفجائية لصفائح طبقة الأرض الصخرية! وهنا تساءل فيرلي منبهرًا: من أين أتي رجل أمّي بهذه المعلومات قبل مئات السنين من اكتشافها إن لم يكن القرآن هو بالفعل كلام الله تعالى الذي أوحى به إلى رسوله محمَّد -صلى الله عليه وسلّم-؟!

آية أخرى من القرآن الكريم أصابت فيرلي بفيوض من الدهشة والانبهار وهي تلك التي يقول فيها الله تعالي: **وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ** (47) الذاريات.. فمن خلال قراءته التي استغرقت أشهرًا عديدة عرف بطل قصتنا أن عالم الفلك الأمريكي أدون هابل الذي كان يعمل في مرصد جبل ويلسون في كاليفورنيا، توصل في عام 1929 إلى واحد من أعظم الاكتشافات في تاريخ علم الفلك، حيث رصد ولأوّل مرّة ابتعاد المجرات عن بعضها بعضًا بشكل مستمر وبسرعات هائلة، وأن الكون المدرك لا يزال مستمرًّا في توسعه منذ نشأته حتى الآن، وهو عين ما تقوله هذه الآية الكريمة.

آية أخرى تعجّب منها فيرلي كثيرًا، وهي قوله سبحانه وتعالى: **أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ** (30) الأنبياء.. قرأ فيرلي تفسير هذه الآية الكريمة وعرف أنها تشير إلى كيفية نشأة الكون وبداية الخلق، حيث ظل علماء الفلك والفيزياء الفلكية يجاهدون لقرون من الزمن في تصور لحظة ميلاد هذا الكون ولم يتمكنوا من شيء من ذلك، وإنما توصلوا إلى نظرية الانفجار العظيم (Big Bang)، وهذه النظرية هي أكثر النظريات قبولًا في علم الكون الفيزيائي اليوم، نظرًا إلى استنادها إلى عدد من الحقائق المشاهدة. ففي نهاية عشرينيات القرن الماضي توصل العلم إلى أن الكون كان كتلة واحدة ثم انفجر وتباعدت أجزاؤه التي تشكلت منها المجرات والنجوم والكواكب والأجرام السماوية الأخرى.. وهذا هو نفسه حقيقة (الفتق الكوني) الذي تتحدث عنه هذه الآية، وهو أفضل تفسير توصل

إليه العلماء بشأن نشأة الكون حتى الآن!

وتتلخص فكرة هذه النظرية في أن الكون في بداية نشأته وقبل مليارات السنين كان جزءًا واحدًا وفي حالة حرارة شديدة الكثافة فانفجر وتمدد وبَرُد بسرعة فائقة، ومعظم الذرات التي نتجت من ذلك الانفجار العظيم كانت من الهيدروجين والهيليوم مع القليل من الليثيوم، ثم التأمت سحب عملاقة من تلك العناصر الأوّليّة بالجاذبية لتكوّن المجرات والنجوم التي نشاهدها اليوم.

تشير الحسابات الفيزيائية إلى أن حجم الكون قبل الانفجار العظيم كاد يقترب من الصفر، وكان في حالة غريبة من تكدس كل من المادة والطاقة، وتلاشي كل من المكان والزمان، وتتوقف عندها كل قوانين الفيزياء المعروفة، وهي ما أشار إليها القرآن بمرحلة (الرتق)، ثم انفجر هذا الجرم الابتدائي الأولي في ظاهرة كبرى تعرف بظاهرة الانفجار الكوني العظيم، وهو ما أشار إليه القرآن بمرحلة (الفتق) حيث تحول بهذا الانفجار إلى كرة من الإشعاع والجسيمات الأولية أخذت في التمدد والبرودة بسرعات فائقة حتى تحولت إلى غلالة من الدخان الذي خلقت منه السماوات والأرض.

هذه الآيات القرآنية التي تتحدث عن حقائق علمية لم تكتشف إلا حديثًا كانت كفيلة بأن تقنع فيرلي بأن هذا القرآن لا يمكن أن يكون من تأليف بشر مهما بلغ من العلم.. وبعد عامين من القراءة المتعمقة والمتواصلة والمكثفة في القرآن، وتردده على المركز الإسلامي في منطقة ريجنت بارك بوسط لندن، اعتنق فيرلي الإسلام في صباح 19 أغسطس عام 1993 وتذوق لأول مرة في حياته طعم الإيمان وصفاء النفس كما اكتشف مصدر السعادة الحقيقية.. ومن لطف الله عزّ وجلّ وتدبيره له أن جعل من رواية «آيات شيطانية» مدخلًا عجيبًا لهدايته.

عقب اعتناقه الإسلام فكر فيرلي في إنشاء رابطة للمسلمين في الشرطة الإنجليزية على الرغم من قلة عدد المسلمين العاملين في الشرطة الإنجليزية، إذ كان هناك فقط بعض الباكستانيين.. تعرّف فيرلي إلى رجل مسلم شجعه على إنشاء الرابطة وبالفعل تم إنشاؤها في عام 2000، وأصبح رئيسًا لها، كما أنشؤوا لها موقعًا إلكترونيًّا باسم «Association of Muslim Police».

أسهمت تلك الرابطة فور إنشائها في إيصال صوت الأفراد والضباط المسلمين في بريطانيا لأصحاب القرار في وزارة الداخلية والحكومة البريطانية، فسمح للشرطية المسلمة لأول مرة بارتداء الحجاب كما سمحت الحكومة البريطانية بتخصيص مصليات للنساء.

يختتم لنا فيرلي هذه القصة بقوله: «أما اللحظات التي أعجز عن التعبير عنها بعد إسلامي فهي لحظات جاءت بعد 17 عامًا كنت أوجه فيها وجهي من لندن شطر الكعبة المشرفة بمكة المكرمة

خمس مرات في اليوم، وأخيرًا وجدت نفسي فجأة وجهًا لوجه أمام هذا النور الذي يملأ جنبات الحرم المكي الشريف، كنت أؤدي العمرة، فوددت لو أنني قضيت بقية عمري في هذا المكان، ودعوت الله عزّ وجلّ في مقام إبراهيم وأثناء الطواف أن يكتب لي الركن الخامس وينعم عليّ بشعيرة الحج.. استجاب الله لي ولا أعرف ما أصابني أنا الضابط المتمرس المدرب جيدًا، فقد وجدت نفسي فجأة أبكي بشدة والدموع تنهمر من عيني، ولا أعرف حتى الآن سر هذا البكاء.. لكنني شعرت بأنني قريب للغاية من الله عزّ وجلّ، وشعرت بعلامات كثيرة على أن هذا الدين حق وكتابه منزل من السماء».

إنها شهادة حق على دين الحق وكتاب الحق من الإله الحق!!

الحق الأعظم.. الحق الذي عجزت أمامه «الآيات الشيطانية»..

بل حولها إلى مدخل وباب للإيمان دخل منه الكثيرون..

فتخيل كيف يحول هذا الدين الحق الشيطان إلى ناطور يقف على باب الإيمان..

يفتحه رغمًا عنه للمسلمين الجدد!!

هل ما زال المكذبون بهذا الدين في احتياج إلى دعوة للإيمان؟!!

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (16) - (47) - (106)

فرعون والملك

كم غافل عن الحق خادع نفسه بالظنون والأوهام..

وكم نفس بشرية تموت كل يوم على غير هُدى الإسلام..

حقيقة مؤلمة أن يموت في كل ساعة، آلاف البشر على غير دين الحق!

عشرات الملايين يرحلون من هذه الدنيا في كل عام وهم كافرون بدين الحق!

والمؤلم أكثر أننا مسؤولون عنهم يوم القيامة! لماذا لم ندلَّهم إلى الحق؟!

ولماذا لم نقدِّم لهم الإسلام كما يجب أن يُقدَّم؟!

إنها مسؤولية كل فرد مسلم سواء أكان ذكرًا أم أنثى..

الدعوة إلى دين الحق وهداية البشرية والسير بها إلى الله..

وإن رسالة الإسلام تتلخص بكلمة واحدة هي: الدعوة!

«قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَاْ وَمَنِ اتَّبَعَنِي»..

كل مسلم إما داعية إلى الإسلام.. وإما داعية ضد الإسلام..

فاختر لنفسك مع أي الفريقين أنت!! ليس أمامك خيار ثالث!

تمسكك بدينك.. تطبيقك لشعائرك.. حسن أخلاقك.. فخرك بشريعتك.. التزامك بالحلال.. ابتعادك عن الحرام.. حرصك على إعطاء كل ذي حق حقه.. تحرّي الصدق في القول والفعل.. هو أعظم دعوة إلى الإسلام..

الدعوة بالقدوة هي منهج السلف الصالح من التجار وأصحاب المهن المسلمين..

كم دولة من دول العالم الإسلامي اليوم لم يدخلها أي جيش إسلامي؟

بل لم تطأ أرضها قدم داعية.. فقط دخلها التجار المسلمون.. دخلوها للتجارة فقط..

إلا أن حياتهم العملية كانت سلوكًا ومنهجًا إسلاميًّا أبهر أهل هذه الدول..

فهل يمكن للمرء في عصرنا الحالي أن يصبح داعية مؤثرًا يُدخل الكثيرين إلى دين الإسلام دون

تقديمه أي محاضرات أو إعداده لكتب ومقالات؟

يمكنه أن يفعل ذلك إن طبّق تعاليم الإسلام وأصبح قدوة صالحة يتأسّى بها الآخرون..

بطل قصتنا اليوم أسلم في عام 1993 للسبب ذاته.. إنه العالم النصراني الأمريكي الدكتور جيرالد ديركس الحاصل على الدكتوراه في علم النفس السريري من جامعة دنفر، والماجستير في علم اللاهوت من جامعة هارفارد.. ندعوكم اليوم للتعرّف إلى تفاصيل قصة إسلامه.

ولد جيرالد في بلدة ريفية صغيرة في ولاية كانساس الأمريكية عام 1954م.. نشأ وترعرع في كنف النصرانية.. في طفولته كان يحرص على ارتياد الكنيسة كل يوم أحد.. وكان يحصد كل الجوائز التي تقدمها الكنيسة للأطفال لمن يتقن حفظ بعض النصوص من الإنجيل.

أصبح جيرالد واعظًا في سن باكرة، وعندما وصل المرحلة الإعدادية بدأ يقدم المواعظ في الكنائس والمنظمات التي لها علاقة بالكنيسة، وعمره لم يتجاوز 14 عامًا.. شيئًا فشيئًا أصبحت لمواعظ جيرالد جماهيرية كبيرة فحالما يبدأ إحدى مواعظه يحتشد الناس ويتزاحمون للاستماع إليه.. ما أكسبه نجومية متفردة وزاد من شعبيته الكبيرة حديثه السلس الذي يتسم بالثقة والهدوء والبساطة والوضوح، فقد كان يتناول أشد القضايا تعقيدًا فيجعل فهمها أشد سهولة من شرب الماء الزلال.. وعندما يتحدث عن العهدين القديم والجديد كان يوثق بالأسماء والمراجع والتواريخ فيعطي مستمعه الإحساس بأنه يعيش في تلك الحقبة.

تدرج جيرالد في مجال التبشير بسرعة باهرة، فعندما بلغ الخامسة عشرة من عمره أي في عام 1969 حصل على رخصة الخطابة من الكنيسة الميثودية المتحدة التي تنتمي إليها عائلته والتي تم تعيينه فيها شماسًا في عام 1972.. بعدها التحق وهو في السابعة عشرة من عمره بجامعة هارفارد لدراسة الفلسفة، ثم التحق عقب تخرجه فيها بكلية اللاهوت في الجامعة ذاتها حيث حصل على شهادة الماجستير في علم اللاهوت في عام 1974م.. عقب إكماله لدراسة اللاهوت مباشرة تم تعيينه قسيسًا في الكنائس المحلية في منطقته بولاية كنساس.. لكن وفي العام ذاته بدأ اعتقاده في الثالوث يتزعزع، فهجر الوعظ والعمل الديني وأصبح طبيبًا نفسانيًّا ممارسًا، كما بدأ يتخلى عن معتقدات النصرانية شيئًا فشيئًا دون أن يترك منصبه ككاهن في الكنيسة الميثودية المتحدة!

ويقول جيرالد في هذا الجانب إن التعليم الجيّد الذي تلقاه في كل من المدرسة والجامعة يمثل السبب الرئيسي الذي أدى إلى زعزعة ثقته بالديانة النصرانية، إذ أتاح له التعمق في دراسة الكتاب المقدس (من حيث إضافاته ومحذوفاته، وترجمته المضللة، وتناقضاته الداخليَّة، وعمليَّة الانتقاء منه.. إلخ) أن ينتقد أسس الديانة النصرانية المحرفة مثل الثالوث، والجمع بين ألوهية عيسى -عليه السلام- وبشريته وإلى غير ذلك من الأسس التي لا تتسق مع المنطق ولا يقبلها العقل.

بعد مرور سنوات عدة تعرَّف الدكتور جيرالد إلى بعض العائلات المسلمة في منطقة دنفر، وكولورادو؛ فانتبه إلى الفرق الأخلاقي الشاسع بين المجتمعين الأمريكي والمسلم! فبينما لاحظ أن الأول يعاني إفلاسًا أخلاقيًّا تامًّا لاحظ أن الثاني يتمتع بقيم وممارسات كريمة تمنّى من كل قلبه لو اتصف بها.. الحقيقة انبهر بالحياة الزوجية المستقرة في المجتمع المسلم حيث الاحترام المتبادل بين الزوجين والالتزام الأخلاقي، علاوة على الصدق والنزاهة والمسؤولية الذاتية والقيم الأسرية.. حاول هو وزوجته أن يعيشا حياتهما بذات الطريقة التي يعيشها المسلمون، ولكنهما شعرا بأنهما كانا يفعلان ذلك بصورة شكلية سطحية وفي سياق فراغ أخلاقي، فتوصل إلى حقيقة أن المجتمع المسلم مجتمع مميز شديد الاختلاف عن مجتمع بني جنسه ولهذا السبب قرر البدء في دراسة الإسلام.

في هذه المرحلة المهمة من مسيرة حياته بدأ بطل قصتنا التواصل مع المجتمع الإسلامي المحلي، وكان أول اتصال له ولزوجته مع أمريكي مسلم من أصول عربية يدعى جمال.. كان الأخير يساعدهما ببعض الترجمات التي يحتاجان إليها.. وفي أول زيارة له لمنزلهما وقبل مغادرته سألهما جمال إن كان بإمكانه أن يتوضأ في الحمام لكي يؤدي الصلاة، ثم طلب شيئًا طاهرًا يفرشه على الأرض ليصلي عليه.. ما جعل الزوجين يحترمان شخصية جمال عدم تبشيره بديانته أو حديثه عن معتقداته الدينية، كل ما فعله هو ممارسة شكل لطيف غير مباشر من أشكال الدعوة يتمثل في تقديمه لهما النموذج الأمثل عبر ممارسته لشعيرة الصلاة.

من خلال تواصله مع جمال تعلم الدكتور جيرالد أمورًا كثيرة عن الإسلام أكدت له عظمة هذا الدين التي تتجلى في تميز سلوك المسلم وخلقه، متمثلين في شخصية جمال: أولًا، أعجب جيرالد بمحافظة جمال على أداء صلواته في أوقاتها.. ثانيًا، انبهر بسلوكه الأخلاقي الراقي في ممارسة حياته اليومية، سواء في مجال أعماله أو في حياته الاجتماعية.. ثالثًا، أعجب الدكتور جيرالد كذلك بالتفاعل المميز لجمال مع طفليه.. وهنا يشير الدكتور جيرالد إلى أن كل الصفات الطيبة التي لاحظها في جمال وجدها تنطبق على زوجته أيضًا.

شيئًا فشيئًا بدأت تتسع دائرة علاقات الدكتور جيرالد وزوجته مع المسلمين بوساطة جمال الذي عرّفهم إلى العديد من العائلات العربية.. هذا الأمر عزز في دواخلهم حقيقة أن المسلمين يعيشون حياتهم على مستوى أخلاقي رفيع أعلى بكثير من بقية أفراد المجتمع الأمريكي الذين يعيشون معهم في البيئة الاجتماعية ذاتها.. ومن ضمن الأسر المسلمة التي تعرّف إليها الدكتور جيرالد وزوجته وتركت فيهما أثرًا عميقًا أسرة محمود وزوجته الأمريكية المسلمة إيمان.. من خلال العديد من المواقف التي تعرض لها مع هذه الأسرة ومع غيرها من الأسر المسلمة قرر الدكتور النطق بالشهادتين واعتنق الإسلام في عام 1993م.

وعن تجربته مع القرآن الكريم والتي ضمّنها بعض كتبه عن الإسلام يقول الدكتور جيرالد ما يلي: «ففي صفحات القرآن اكتشفت معرفة الكتاب المقدس والتاريخ النبوي والعرب الأميين في المنطقة العربية في القرن السابع، وهناك مثالان يمكن من خلالهما توضيح هذا: أوّلًا: يتضمن القرآن قصة غير موجودة في الكتاب المقدس عن إبراهيم -عليه السلام- واستخدامه لمنطق التوحيد عن طريق ملاحظة الظواهر الطبيعية، مثل الشمس والقمر والنجوم، وهذا أمر مهم لم يكتشف إلا في حفريات القرن العشرين من عصر أور، وهو وقت طفولة إبراهيم -عليه السلام- كما تم اكتشاف أن المعبد كان مقسمًا في أور القديمة إلى ثالوث نجمي يتألف من: الشمس، والقمر، والزهرة (وهي نجمة المساء والصباح).

ثانيًا: يشير القُرآن إلى الحاكم المصري في عهد يوسف -عليه السلام- كملك، في حين أن الكتاب المقدس يشير إلى هذا الحاكم كفرعون، وفي المقابل فإن كلًّا من القرآن والكتاب المقدس يشِيران إلى الحاكم المصري الذي كان يحكم في عهد موسى -عليه السلام- بلقب فرعون، وهذا أمر مهم، لأن ملوك مصر لم يعرفوا لقب فرعون إلا بعد عهد يوسف -عليه السلام- بفترة طويلة، وهذه حقيقة تاريخية لم تكن معروفة إلا بعد الاكتشافات الأثرية التي تمت بعد نزول القرآن بقرون.

فعندما تطالع قصة يوسف وموسى -عليهما السلام- في أسفار «العهد القديم» الذي يتضمن النسخة المحرّفة من (التوراة)، تجد أنه لا فرق بين لقب حاكم مصر في عهد موسى ولقبه في عهد يوسف -عليهما السلام-، حيث جاء في سفر التكوين: «وسمع فرعون بهذا الخبر فطلب أن يقتل موسى»، وفي موضع آخر في السفر نفسه: «فأرسل فرعون ودعا يوسف، فأسرعوا به من السجن». وفي الحالتين فإن حاكم مصر لقبه «فرعون»! أما في القرآن فالأمر يختلف، حيث ورد حاكم مصر 74 مرّة بلقب «فرعون»، وجاءت هذه المرّات جميعها في سياق قصة موسى -عليه السلام-، بينما ورد خمس مرّات بلقب «الملك»، وجاءت هذه المرّات جميعها في سورة يوسف وفي سياق قصة يوسف -عليه السلام-! فلماذا هذا التمييز إذًا بين لقب حاكم مصر في عهد موسى ولقبه في عهد يوسف -عليهما السلام-؟!

في نهاية عصر الدولة الوسطى في مصر التي امتدت خلال الفترة (2061 - 1785 ق. م) ضعفت السلطة الحاكمة في مصر ما أغرى جماعات الهكسوس فجاؤوا من فلسطين والشام وحكموا مصر لما يقرب من 150 عامًا. وفي هذه الحقبة التاريخية الضيِّقة عاش يوسف -عليه السلام- في مصر وجاء بأهله من فلسطين فاستقروا معه. وبما أن حكّام مصر خلال هذه الحقبة كانوا من الغزاة الأجانب فإن لقب «الفرعون» لم يكن يطلق على الحاكم بل كانوا يطلقون عليه لقب «الملك» مجرَّدًا. وبالفعل، فقد اتفقت العديد من المصادر التاريخية على أن الذي مكَّن يوسف -عليه السلام- من عرش مصر كان أحد ملوك الهكسوس من غير المصريين، كما دخل البلاد خلال هذه الحقبة كثيرٌ من الأجانب ونالوا فيها مناصب رفيعة.

أما بالنسبة إلى موسى -عليه السلام- فقد عاش في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وهو العصر الذي يوافق حقبة «المملكة الجديدة» التي امتدت بين (1550- 1069 ق. م)، حيث يشير (قاموس المتحف البريطاني لمصر القديمة) إلى أن لقب «فرعون» أصبح مستخدمًا في الإشارة إلى الملك نفسه ابتداءً من عهد هذه المملكة. ويؤيد ذلك (قاموس الكتاب المقدس) الذي يشير إلى أن «فرعون» في اللغة المصرية معناه (البيت العظيم)، وكان يستعمل لنعت قَصر المَلك، بينما أُطلق على الملك نفسه في نحو 1500 ق. م. وهكذا تؤكد مصادر التاريخ بشكل صريح أن «فرعون» كان هو اللَّقب لحاكم مصر خلال الفترة التي عاش فيها موسى -عليه السلام-، بينما كان «الملك» هو اللقب لحاكم مصر خلال الفترة التي عاش فيها يوسف -عليه السلام-!

السؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هنا: كيف عرف النبي مُحمَّد -عليه السلام- هذه الحقائق المهمَّة حول تاريخ ألقاب حكّام مصر، وبذلك سمّاه «الملك» في عهد يوسف و«فرعون» في عهد موسى -عليهما السلام-؟! هذه الحقائق التاريخية المهمة التي يؤكد الدكتور جيرالد أنها لم تكتشف إلا بعد ثلاثة عشر قرنًا من نزول القرآن الكريم!

من خلال دراسته المتعمقة في الديانتين الإسلامية والنصرانية، يختزل الدكتور جيرالد الاختلافات الرئيسية بين الإسلام والنصرانية الحديثة في أربع مسائل أساسية:

- رسالة عيسى -عليه السلام- عالمية وفقًا للنصرانية المعاصرة، بينما هي في الإسلام رسالة محدودةٌ لبني إسرائيل دون سواهم.
- ألوهية عيسى -عليه السلام- وفقًا للنصرانية المعاصرة، وبشريته وفقًا لتعاليم الإسلام.
- صلب المسيح -عليه السلام- حقيقة مؤكدة وفقًا لتعاليم النصرانية الحديثة، بينما هي وهم أو خيال وفقًا لتعاليم الإسلام.
- طبيعة الله هي الثالوث وفقًا للنصرانية الحديثة، والوحدانية وفقًا للإسلام.

ويشير الدكتور جيرالد إلى أن الاختلافات الأربعة المذكورة أعلاه توجد فقط بين الإسلام والنصرانية المعاصرة، بينما توجد نقاط اتفاق بين النصرانية القديمة والإسلام.

وأشار الدكتور جيرالد في كتابه «الصليب والهلال» إلى تفاصيل التناقض المريع بين بعض فروع النصرانية القديمة والنصرانية المعاصرة، كما أشار إلى أن الرجوع للنص الأصلي لكتب النصارى الأوائل ونصوص الكتاب المقدس يظهر بجلاء مدى اتفاق النصرانية القديمة مع الموقف الإسلامي في العديد من القضايا، الأمر الذي يدل على أن الاختلافات التي أتت بها النصرانية المعاصرة تدل على مدى التحريف الذي تعرض له الكتاب المقدس.

بعد إسلامه ألّف الدكتور جيرالد مجموعة من الكتب الدعوية المهمة؛ والتي منها: «إبراهيم خليل الله»، و«فهم الإسلام»، «الديانات الإبراهيمية»، و«الصليب والهلال»، و«رسائل إلى شيوخي عن الإسلام»، و«المسلمون في التاريخ الأمريكي».. وقد قادت تلك الكتب الكثيرين إلى اعتناق الإسلام. وبعد نحو عام من نشر كتاب «الصليب والهلال» كما يقول الدكتور جيرالد: «قال لي أخ يعمل في مجال الدعوة: إنه استخدم هذا الكتاب بنجاحٍ فجعل مئتي شخص ينطقون الشهادة السنة الماضية، وبالإضافة إلى ذلك، كنت على اتصال مباشر ببعض الإخوة والأخوات الذين قالوا لي: إن أحد كتبي كان مفيدًا لهم في اعتناق الإسلام».

في خاتمة هذه القصة نشير إلى أن الدكتور جيرالد ديركس قد تحول بعد إسلامه من مبشر متفرد، وأكثر علماء النصارى علمًا وفقهًا في الديانة النصرانية وتاريخها ومعتقداتها وأصولها، إلى داعية ملأ فراغًا لم يملأه أحد قبله، إذ بسبب علمه الغزير بالديانة النصرانية وإلمامه بالكتب الثلاثة التوراة والإنجيل والقرآن الكريم أسهم في هداية الكثير من الأمريكيين (رجالًا ونساء) وإقناعهم باعتناق الإسلام..

فما أعظم هذا الدين الذي يحبه معتنقوه الجدد حدّ التفاني في خدمته وتسخير أعمارهم وكل ما يملكون في سبيل الدعوة إليه!!

ما أعظم الدين الذي يشعر فيه من يدخله حديثًا بأن دخوله إليه وحده لا يكفي.. فيجتهدون في دعوة غيرهم إليه.. حبًّا في الإسلام.. وحبًّا في نفع الناس بالإسلام..

والكل رابح.. الداعية والمدعو..

تذوقوا لذة هذا الدين.. تذوقوا نعمة الإسلام..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (60) - (102)

الطفل الجميل

عندما يعتمد البناء على الوهم..

عندما يؤسس المرء عقيدته على الأباطيل والأوهام.. يكون الهدم سريعًا وسهلًا..

يهدمها أضعف جند الله.. يعصف بها من جذورها.. حيث لا جذور لها!!..

صبي صغير في السن.. صبي فقير.. لا مال له.. صبي جاهل لا علم لديه.. يعصف بعقيدة أحد أكبر رجال الدين.. فتخيّل مدى ضعف هذا الدين وهذه العقيدة وهوانهما وتهالكهما!!..

تخيل إذا قرأت بإحدى الصحف خبرًا مفاده: إسلام أحد قساوسة الفاتيكان على يدي ماسح أحذية لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره، فكيف سيكون ردّ فعلك؟

وأن هذا القسيس أصبح بعد إسلامه أستاذًا في الأزهر الشريف؟!

هل تشك في صدقية الصحيفة أم ترتاب في سلامة عقلك؟!

الإجابة الصحيحة لا هذا ولا ذاك لأن الأمر قد وقع بالفعل مع بطل هذه القصة ألا وهو قس الفاتيكان الأسبق البريطاني الجنسية الذي سمّى نفسه «إدريس توفيق» عقب إسلامه فدعونا نبحر معه في رحلته الباهرة من المسيحية الكاثوليكية إلى الإسلام.. ومن الفاتيكان إلى الأزهر الشريف..

ولد الكاتب والإذاعي والكاهن البريطاني إدريس توفيق في اليوم الأخير من الشهر الأخير في عام 1957، ونشأ وترعرع في كنف النصرانية، وترقى في المراتب الكنسية حتى وصل إلى درجة قسيس، وحصل على درجة في اللاهوت المقدس من الجامعة البابوية سانت توماس الاكويني في روما، كما حصل على شهادة في اللغة الإنجليزية والآداب من جامعة مانشستر.

خلال زيارته لمصر قابل في أحد شوارع القاهرة صبيًا يعمل ماسحًا للأحذية لم يتجاوز عمره الرابعة عشرة من عمره.. عندما رأى الطفل لون بشرته البيضاء تهلل وجهه بابتسامة كبيرة وحياه قائلًا: السلام عليكم.. كانت هذه التحية التي ألقاها ماسح الأحذية الصغير على القس الكاثوليكي السابق بالفاتيكان مدخله إلى معرفته الإسلام على حقيقته واعتناقه؛ ذلك أنه لم يكن يعرف عن الإسلام سوى أنه دين عنف وتعصب، وأن المسلمين أشخاص سيئون جدًا، يقطعون الأيدي، ويقتلون الأبرياء، وغير ذلك من الاتهامات التي تروج لها الكنيسة عن الإسلام.. ولكن

زيارته للقاهرة ومشاهدته للمسلمين على حقيقتهم نسفت كلَّ هذه الأباطيل!

يقول إدريس توفيق في ذلك: «وككل البريطانيين اقتصرت معرفتي عن الإسلام على ما كان الإعلام يبثه من قتل وتفجير وكل ما يعطي انطباعًا بهمجية الإسلام.. ولكن وصولي إلى القاهرة وما شاهدته هناك غيّر نظرتي لهذا الدين.. أناس بسطاء يبيعون بضاعتهم في الشارع يذرون بيعهم ليتوجهوا إلى الله ساعة سماعهم لنداء الصلاة، أدركت مدى عظمة إيمانهم بوجود الله فهم يصلون ويصومون ويساعدون المحتاج ويحجّون إلى مكة آملين برغد العيش في الآخرة».

وطوال فترة الأسبوع التي قضاها في القاهرة كان إدريس توفيق يمر على ذلك الصبي ماسح الأحذية ويجالسه ويمازحه، فتعلم منه بعض الكلمات العربية، وكان يحييه بقول «أزيك يا جميل» وكان الصبي يرد على تحيته بقوله الحمد لله.

غادر بطل قصتنا القاهرة عائدًا إلى لندن حيث يعمل بتدريس مختلف الديانات للأطفال في إحدى المدارس، وفي ذهنه صورة مختلفة تمامًا عن الإسلام والمسلمين.. وكان بين تلاميذه أطفال من اللاجئين العرب المسلمين، وعلى خلاف بقية المراهقين كان هؤلاء الطلبة المسلمون مثالًا يحتذى به في اللطف والأدب.. حتى ذلك الوقت لم يكن يعرف عن الإسلام إلا ما لقن له منذ صغره، ولذلك قرّر أن يحصل على معلومات صحيحة عن الإسلام يستعين بها في تدريس التلاميذ.

بدأ إدريس توفيق يقرأ كتبًا عن الإسلام وكان إعجابه بهذا الدين يزداد كلما قرأ عنه أكثر بل كانت الدموع تغمر عينيه عندما يأتي ذكر النبي -صلى الله عليه وسلّم-.. عندما جاء شهر رمضان لم يجد الأطفال المسلمين مكانًا للصلاة في المدرسة سوى الفصل المخصص لبطل قصتنا لأنه المكان الوحيد الذي يحتوي على سجادة.. سمح لهم ادريس بالصلاة في الفصل وكان يجلس في الخلف يراقب تصرفاتهم ليعرف ما يفعلونه أثناء الصلاة.. توجه بعدها للإنترنت ليحصل على معلومات حول كيفية صلاة المسلمين.

بنهاية شهر رمضان استطاع إدريس توفيق أن يتعلم من تلاميذه أصول صلاة المسلمين، بل فاجأهم بصيامه معهم شهر رمضان كاملًا مع أنه لم يكن مسلمًا.. عقب ذلك هداه الله سبحانه وتعالى إلى الإسلام فنطق بالشهادتين، حيث يقول في ذلك: «وفي أحد الأيام توجهت إلى أكبر مسجد في لندن لمعرفة المزيد عن هذا الدين وهناك قابلت أحد الأشخاص الذين اعتنقوا الإسلام يجلس في دائرة وقد تحلق حوله الناس يحدثهم عن الدين، وحين انتهى من حديثه سألته ماذا عليّ أن أفعل لأكون مسلمًا؟ أجابني أنه عليّ الإيمان بالله الواحد وصوم رمضان والصلاة خمس مرات في اليوم، فقاطعته قائلًا بأني أفعل كل هذه العبادات.. سألني حينها ماذا أنتظر إذن لإشهار إسلامي؟

رفضت آنذاك اعتناق الإسلام إذ لم تكن نيتي أن أترك ديني السابق وأشهر إسلامي، ولكن رفع الأذان واصطفّ المصلّون وبدأت أرقبهم ودموعي تنهمر على وجهي.. قررت أنني لن أخدع نفسي بعد اليوم وتوجهت عقب انتهاء الصلاة إلى ذلك الشخص نفسه وهو يوسف إسلام وطلبت منه أن يعلمني ما عليّ قوله لإشهار إسلامي، وبعد أن شرح لي معاني لا إله إلا الله محمد رسول الله رددت وراءه الشهادتين باللغة العربية ودموعي لا تكفّ عن الانهمار».

اعتنق إدريس توفيق الإسلام عقب مرور عام ونصف العام منذ مقابلته للصبي «الجميل» ماسح الأحذية في أحد شوارع القاهرة.. قضى توفيق الفترة الواقعة بين مقابلة الصبي واعتناق الإسلام في التفكير ومقابلة بعض علماء المسلمين إلى جانب القراءة المكثفة عن الإسلام.

وهنا يقول إدريس توفيق: «كلما قرأت أكثر عن الإسلام تعرّفت إلى مسلمين أكثر وخلال عام ونصف العام تعرّفت إلى العديد منهم وكنت سعيدًا بوجودي معهم واتضح لي أنهم ليسوا بالصورة التي رسمها الإعلام الغربي عنهم وهذا كان قبل أحداث 11 سبتمبر 2001 مباشرة».

عقب اعتناقه الإسلام ذهب إدريس إلى المدرسة فأخذ المدرسون يصفقون له لأنهم كانوا يحبونه.. دخل بعد ذلك مكتب مدير المدرسة وسأله إن كان يتوقع أن يقول له إنه دخل الإسلام فرد عليه المدير بقوله: «كلنا كنا نتوقع هذا».

وعن الطريقة الصحيحة للدعوة إلى الإسلام في الغرب ينصح توفيق بأن يتعلم الدعاة كيفية مخاطبة البسطاء باللغة السهلة البسيطة التي يفهمونها لا تلك المعقدة التي يقتصر فهمها على المستنيرين فقط.. كما أن على الدعاة إذا ذهبوا يدعون الناس في الغرب ألا يقولوا لهم أنتم على خطأ، إذ قد يكون كل تفكيرهم منصبًّا على كرة القدم أو السيارات أو المشتريات وبالتالي ربما لم يفكروا في الله على الإطلاق وعليه تكون الطريقة المثلى للتخاطب معهم عبر حياتهم العادية باعتبار أن الإسلام يمثل الديانة الطبيعية لكل المخلوقات منذ بدء الخليقة فهو يخاطب قلوب الجميع برسالته العالمية شديدة البساطة التي تتلخص في توحيد الإله الذي ليس بينه وبين عباده وسيط.

يتحدث توفيق عن علاقته بأصدقائه القدامى عقب إسلامه بأنه ابتعد عنهم بشكل محترم يشبه بالطلاق.. فهو كما يقول يحبهم من كل قلبه وبالتالي لا يستطيع أن يفعل شيئًا يسيء لهم أو للكنيسة.

ما أثلج صدر إدريس توفيق أن أسرته البريطانية التي عرفت بحبها له لم يؤثر اعتناقه الإسلام في علاقتها به بل وصل تقبّل أمه للأمر درجة جعلتها تذهب للكنيسة وتهدي مؤلفاته الإسلامية إلى أصدقائها والتي من بينها على سبيل المثال سلسلة Ask About Islam أو اسأل عن الإسلام.

في حوار أجرته معه شبكة الألوكة في شهر مايو عام 2013، يقول إدريس توفيق: «بعد أن أسلمت بدأت أعلم وأفهم الإسلام بصورة كبيرة، وعندما يتقبل الناس الإسلام يتقبلونه لبساطته؛ فالإسلام بسيط جدًّا، ولأنه دين عظيم ودين كبير خاطب جميعَ الثقافات، وجميع الخلق.. ولذلك فأنا أدرِّس للتلاميذ الثقافة الغربية، وأعلِّم المسلمين كيف يتحدثون عن الإسلام.. وأبلغ الناس جميعًا في جميع أنحاء العالم كيف يكونون مسلمين جيّدين، ولغير المسلمين ألا يخافوا من الإسلام، والشيء الخاص الذي يميّزني هو أنني أفهمُ الكنيسة، وأعرف قادة الكنائس، فأعرفهم كاسمي، فأنا أجول العالَم، وأتكلَّم مع قادة العالم المسيحي، وقادة الكنائس، وأتكلَّم معهم عن حقيقة الإسلام، وأنا أفهم ما يدور في عقولهم، وخصوصًا بعد ثورات الربيع العربي، فقد تضاعف خوف المسيحيين على مستقبلهم، وماذا سيحدث لهم؛ ولهذا سافرت لمعظم دول العالم، وشرحت لجميع قادة العالم المسيحي حقيقة الإسلام وأنه لا يمثل أي خطر عليهم».

ومواصلة لحديثه في الموضوع ذاته، يرى إدريس توفيق أن المسلم إن طبق الإسلام في حياته كما ينبغي يمكن أن يكون سببًا في إسلام الكثيرين حيث قال: «من يشاهدني لا يدرك أنه يستطيع التأثير في الآخرين من خلال المعاملة الحسنة ولو عبر ابتسامة وليس بالكلام.. لسنا بحاجة لأن نعطي الغير محاضرات، كل ما هو مطلوب منك أن تقول إنك مسلم ويجب أن تذهب للصلاة الآن.. لو كل فرد فينا عاش كمسلم جيد فالعالم سيرانا بشكل جيد وسيحبوننا.. أنا أعتقد أن السلوك الصحيح والأسلوبَ الجيد هو أسهل الطرق لتوصيل الصورة الصحيحة عن الإسلام.. وعلى المسلمين تطبيق ما يدعو له الإسلام حتى يحترمهم أهل الغرب حتى لو أضمروا لهم العداء».

وأشار توفيق إلى أن الناس في الغرب لا يعلمون شيئًا عن الإسلام، وهذا الأمر ليس خطأهم، لافتًا النظر إلى أننا لم نخبرهم بالإسلام على المنهج الصحيح، فهذا خطؤنا، وإخبارهم لا يكون بالكلمات فقط، فالكلمات أمر شديد السهولة، بل علينا إخبارهم بالمثال الجيد للمسلم، لأن بعض المسلمين في إنجلترا مثلًا يقدّمون صورة سيئة للإسلام.

ونختتم هذه القصة برسالة وجهها توفيق للصبي ماسح الأحذية الذي تسبب في فتح عينه وقلبه على حقيقة الإسلام بابتسامته البريئة وحديثه الطيب حيث قال في حقه: «هذا الصبي لا يعرف أني أسلمت ولكنه يوم القيامة سيفاجأ عندما تقرأ حسناته الملائكة بأنه فعل هذا وهذا.. ولكنه فعل الكثير خاصة وقام بأعمال أخرى بشكل غير مباشر مثل تسببه في اعتناق الكثير للإسلام من خلالي».

في السابع عشر من شهر فبراير من عام 2016 توفي بطل قصتنا إدريس توفيق بعد صراع طويل مع المرض، وقد ترك بعد وفاته رسالة مؤثرة ذكر فيها باختصار قصة اعتناقه «دين السلام» وقد اقتبسنا لكم منها بعض الفقرات..

لذا.. لا تستصغر أي مخلوق لله.. فقد يضع الله فيه سرًّا وقوة تبهر العالم أجمع..

العجيب أن هذا المخلوق الصغير قد لا يدرك هو نفسه ما قام به!!..

فهو لم يقم حقًّا.. إنه مجرد سبب.. أداة في قدرة الله..

كذلك.. لا تستبعد الهدى عن نفسك.. فالهدى قد ينساب إلى قلبك دون أن تدري..

إنها إرادة الله القادر على كل شيء..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (61) - (65) - (89) - (114)

عاصفة الصحراء

حاربوه.. فانتشر وانتصر بأسلحة الهجوم عليه!!

شوّهوه.. فرآه الناس أجمل ما يكون!!

أخافوا الجميع منه.. فارتموا في أحضانه وتعلقوا به كطوق نجاة!!

مساكين هم بلا شك.. لأنهم يحاولون حجب نور الشمس بالغربال!!

ومساكين لأنهم يحاربون ويعادون ما فيه خيرهم ونجاتهم!!

إنه الإسلام.. كيف طاوعتكم قلوبكم وعقولكم على محاربته؟!!

كيف تجرؤون؟!! تأمّلوا بطلة قصتنا..

لقد كانت في خضم عاصفة الهجوم على الإسلام..

في قلب حملات تشويهه.. فماذا كانت النتيجة؟!

فكرها الثاقب جعلها لا تقنع بالقبول الأعمى بالأمور.. موضوعيتها الفريدة جعلتها تشكك وترتاب في كل ما تعلّمته منذ طفولتها عن المسيحية، خاصة أنها توصلت إلى حقيقة جليّة مفادها أن ممارسات قساوسة الكنيسة والمتدينين من الطوائف المسيحية كافة في مجتمعها بعيدة كل البعد عن الفطرة السليمة بدرجة جعلتها تفتقر إلى السلام الداخلي مع نفسها وتبحث عنه لاهثة في كل اتجاه، وعانت كثيرًا في سبيل الوصول إلى الحقيقة، إلا أن السلام الداخلي مع النفس الذي حصلت عليه بعد إسلامها، واستمسكت به بكل ما أوتيت من قوّة، يعتبر مكافأة ثمينة تستحق ما بذلته من صبر طويل وما عانته من جهد.

سبع وثلاثون سنة وهي هائمة على وجهها وتائهة في ضباب الارتياب تبحث عن طريق الوصول إلى الله والطريقة الصحيحة لعبادته، حيث كانت نظرتها إلى العقائد المسيحية نظرة واقعية مجرّدة ومنصفة، برغم نشأتها كمسيحية ملتزمة تصلي في الكنيسة مرتين كل يوم أحد وفي العطلات، وتتلقى دروسًا مسيحية خاصة يوم الأحد، وتنتظم في المدارس الصيفية لدراسة الكتاب المقدس، والمعسكرات الدينية، والدروس العقائدية الكنسية ومجموعات الشباب المسيحية!

برغم ذلك كله، تقول بطلة هذه القصة، الكاتبة والباحثة الأمريكية بربارا براون: إني وجدت نفسي أواجه أسئلة عديدة، بخصوص أسس عقيدتي، لم يستطع أي شخص ولا أي طريقة

من التعليم الديني أن تجيب عنها. ولمدة سبع وثلاثين سنة، كنت تائهة في ضباب هذا الارتياب بخصوص الله والطريقة الصحيحة لعبادته حتى استطعت في عام 1991م أن اكتشف الإسلام.

وبهذا تكون بربارا براون قد توصلت إلى السلام الداخلي مع نفسها، وطوت صفحة من حياتها دامت ما يقرب من أربعة عقود كانت تائهة عن طريق الحق، حيث تروي لنا الكاتبة الأمريكية قصتها: «لقد كان نزاع (عاصفة الصحراء) في الشرق الأوسط على أشدّه.. وبجوار كتب استراتيجية الحروب والأسلحة في مكتبة محلية، كان هناك كتاب صغير بعنوان «فهم الإسلام».. فتصفحت ذلك الكتاب حول هذا الدين (الغامض) من الشرق الأوسط بنفس فضول بعضهم، ولكن سرعان ما تحول الفضول إلى اندهاش، عندما عرفت من خلال صفحات ذلك الكتاب أن الإسلام أعطاني الأجوبة لتلك الأسئلة التي كانت تراودني طوال سبع وثلاثين سنة -ولم أضيع كثيرًا من الوقت- لقد أصبحت مسلمة، وبذلك توصلت إلى ذلك الهدف الذي كنت أسعى إليه طوال حياتي، وهو أن أكون في سلام داخلي مع نفسي بخصوص علاقتي مع الله».

وفي عام 1993م صدر للكاتبة والباحثة الأمريكية بربارا براون كتاب بالإنجليزية تمت ترجمته إلى العربية بعنوان «نظرة عن قرب في المسيحية». وتقول براون في هذا الكتاب: إن الكثير منا يعيش حياته راضيًا بقبول الأشياء كما هي، فنتجاهل الأسئلة الصغيرة المنكدة والشكوك التي تتوارد على أذهاننا وخصوصًا في القضايا المتعلقة بالدّين.. نعم إننا نستطيع أن نمضي هكذا في رحلة الحياة، ولكننا لا نستطيع أبدًا أن نصل إلى تلك الحالة من السلام داخل نفوسنا.

وبهذه الثقة الكبيرة طرحت براون العديد من القضايا المهمّة والحسّاسة، على صعيد المعتقدات المسيحية. ففي البداية تطالعنا بعنوان «ميثاق يصيبه الانحراف» تسلط فيه الأضواء السريعة، ولكنها كاشفة، على مرحلة إرهاصات ظهور المسيح، مؤكدة: لأجل أن نفهم الرسالة الحقيقية للمسيح، يجب علينا أن نعود إلى التاريخ قبل ظهور المسيح لنجد لماذا أرسل المسيح أصلًا؟ لتخلص إلى أن اليهود قد انحرفوا، مرة أخرى عن التوحيد، ولكن انحرافهم عن التوحيد في هذه المرة قد تم تحت غطاء كثيف من الطقوس والشعائر المعقّدة. إن هذا كان هو الموقف السائد في العالم عندما تلقى عيسى -عليه السلام- دعوته من الله.

وعن «رسالة المسيح» السماوية، تبيّن كيف طرأ عليها التغيير أو التحريف فجأة عندما ظهر على المسرح الواعظ اليهودي «شاؤول» الذي ادّعى أنه يتكلم باسم المسيح، بعد سنوات قليلة فقط من (رحيل) المسيح. وبالرغم من أن الديانة المسيحية تأخذ اسمها من عيسى المسيح، فإن شاؤول الذي غيّر اسمه إلى (بولس) يجب أن يعتبر هو مؤسسها الحقيقي.. والمسيحيون لا ينكرون ذلك أيضًا.. ولكن هناك مشكلة كبيرة.. وهي أن تعاليم بولس -المؤسس الحقيقي للمسيحية- لا يمكن العثور عليها في أي مكان من تعاليم عيسى -عليه السلام- أو في تعاليم الأنبياء الذين سبقوه.

ليس هذا فحسب، بل إن بولس لم يكن له إلا اتصال ضعيف مع الحواريين الحقيقيين لعيسى -عليه السلام- الذين كان من الممكن أن يوجهوه إلى الطريق الصحيح. فهؤلاء لم يكونوا على وفاق مع تعاليم بولس المبتكرة وأخبروه بذلك كلما كان ذلك ممكنًا. وفي النهاية، على أي حال، فإن نوع المسيحية التي نادى بها بولس إنما أحرز فيها النجاح بفضل شخصيته الساحرة، إضافة إلى حقيقة أنه وأصحابه غلبوا الحواريين الحقيقيين لعيسى -عليه السلام- في أمور مهمة كالوجاهة الاجتماعية والثروة والتعليم، ولذلك حصل على أتباع كثيرين من بين السكان غير اليهود. فالمسيحية-اليهودية، أي عقيدة حواريي عيسى -عليه السلام- لم تكن لها أي فرصة للنهوض.

بعد ذلك، تمضي بربارا براون في إلقاء نظرة عن قرب على كل البدع التي أدخلها بولس في «ديانته» المسيحية كالتثليث والخطيئة وألوهية عيسى -عليه السلام- وموته والخلاص.. إلخ لتنتهي إلى أن الإسلام هو الدين الحق، فهو دين بسيط ليس مدفونًا تحت تعقيدات غامضة وغير منطقية من العقائد، وليس في الإسلام كهنوت ولا قديسون ولا مراتب دينية ولا قرابين مقدسة. إن اللاهوت لا مكان له في الإسلام، لأن الإسلام طريقة حياة وليس حفنة من الكلمات.

وهكذا يتضح أن الإسلام هو الحل الناجع الذي لا مناص للبشرية المعذبة أن تأوي إلى كنفه، طال الوقت أم قصر، لأنه دين الفطرة السليمة لبني البشر يلبّي حاجاتهم المادية الروحية، ويجعل كلًا من قناعاتهم الداخلية وسلوكهم الظاهري في وضع مستقيم يتسق مع المنزلة السامية التي وضع فيها الخالق العظيم سبحانه وتعالى الإنسان بأن كرّمه وميّزه بالعقل على بقية خلقه.

لذا هو الدين الأسرع انتشارًا في العالم..

برغم أنه أكثر الأديان التي تتعرض للتشويه والهجوم..

فالإنسان يدرك بفطرته السليمة أنه الدين الذي يرتضيه الله له..

فارتضوا لأنفسكم ما ارتضاه الله لكم..

أحبوا أنفسكم.. املؤوا قلوبكم بالإيمان..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (29)

الأسرار السبعة

ديانة يلفها الغموض وتستند إلى أسرار لا يحق الاطلاع عليها إلا لنفر من الناس..

ديانة يمسك بزمام أمرها نفر يدّعون أنهم يقفون وسطاء بين الله تعالى وعباده..

لا شكّ في أنها ديانة مشكوك في أمرها لا يؤمن بها إلا غافل أو متغافل عن الحق مغلوب على أمره.. أسرار النصرانية السبعة ضللت الكثيرين وتسببت في هداية آخرين من بينهم القس المصري فوزي صبحي سمعان ابن النصرانية وخادم الكنيسة، الذي استبدل التوحيد بالتثليث، والمسجد بالكنيسة، والدعوة بالتنصير، فضلًا عن تحوله من وسيط مزعوم بين الله وعباده ليخلصهم من خطاياهم إلى عابد مخلص يرجو الخلاص لنفسه.

منذ صغره أخذ أبواه يعملان على تأهيله لكي يصبح قسًّا يغسل ذنوب الناس ويخلّصهم من خطاياهم بسماعه لاعترافاتهم وفضائحهم وأسرارهم وخصوصياتهم، لذلك ومنذ نعومة أظفاره كان يقف خلف قسّ كنيسة «ماري جرجس» بمدينة الزقازيق ليتشبّع بالعلم الكنسي وليعمل خادمًا للكنيسة، حتى يشب نصرانيًّا مفيدًا لمجتمعه ودينه.

وبالفعل أصبح الفتى فوزي خادمًا مخلصًا للكنيسة وكانت السعادة تغمر والديه وهما يريانه يتبع القس كظله وهو يحمل كأس النبيذ الكبيرة، أو دم المسيح كما يدعون ليسقي رواد الكنيسة ولينال «بركات» القس التي يحلم بها كل بني جلدته.

في أحد الأيام وداخل «كنيسة ماري جرجس» في مدينة الزقازيق المصرية انتفض الفتى فوزي صبحي سمعان بشدة حينما استمع إلى صوت قسيس الكنيسة وهو يناجي المسيح: «يا ابن الله يا مخلصنا وإلهنا». تساءل في حيرة: كيف يمكن للمسيح أن يخلصنا إن كان عاجزًا عن تخليص نفسه من الصلب والتعذيب!؟

ظل الفتى يكبر ويكبر معه هذا السؤال الكبير المحير، بل تشعّب وتفرعت منه أسئلة محيرة أخرى حتى وجد عقله محاطًا بغابة من علامات الاستفهام!

دخل فوزي الكنيسة تظلله علامات الاستفهام وتتقدمه الحيرة الشديدة.. زادت حيرته عندما سمع القس يتحدث في ثقة مزيفة عن «أسرار الكنيسة السبعة».. تساءل في استنكار ثم بدأ يستعرض ما دفعه لهذا الاستنكار: عن أي أسرار سبعة يتحدثون؟

يتمثل السر الأول في «التعميد».. ذلك الطقس الذي يغمس فيه الطفل في الماء داخل الكنيسة فيصبح نصرانيًّا تابعًا ليسوع المسيح وتابعًا للكنيسة! وهنا يتساءل فوزي في استنكار: إن كان الطفل يولد فيجد أبويه نصرانيين فلماذا يحتاج إلى التعميد حتى يصبح نصرانيًّا؟!

يتمثل السر الثاني في «الاعتراف».. وفيه يجلس النصراني المذنب أمام نصراني أكبر منه رتبة ليفضح نفسه ويعترف أمامه بتفاصيل المعاصي التي ارتكبها، ويضع الأخير عصاه على رأسه، ويتمتم بكلمات لا يكاد يسمعها غيره ليمنحه صك الغفران.. وهنا يتحدث فوزي عن حوار شائق دار بينه وبين طبيب نصراني: إن كان القس يغفر لي فمن يغفر للقس؟ فردّ عليه الطبيب قائلًا: البابا.. فسأله ثانية: ومن يغفر للبابا؟ رد عليه قائلًا: الله! فسأله في استنكار: إذًا لماذا نحتاج إلى وسيط؟ لماذا لا نعترف لله مباشرة ليغفر لنا؟! لماذا ننشر خطايانا وعيوبنا أمام الناس وقد سترها الله علينا؟!

السر الثالث هو «الشرب من دم المسيح»!! حيث يأتي النصراني للقس بالنبيذ ليصلي عليه ومن ثم يتحول حسب زعمهم إلى دم مبارك هو دم المسيح، ليشربه النصراني في منتهى الخشوع!! وهنا يتساءل فوزي في استنكار: إن كان المسيح هو المخلص فلماذا نشرب دمه؟ إذ يفترض أن نشرب فقط من دماء الأعداء!

يتمثل السر الرابع في ما يطلقون عليه «أكل لحم المسيح»!! قرابين يتم تصنيعها من الدقيق يرتل عليها القس فتتحول إلى جزء من جسد المسيح ليأكلها النصارى!! عندما يقف الكاهن أمام المائدة ويرفع يديه إلى السماء، يستدعي الروح القدس فيأتي ويلمس القرابين فتتحول إلى جسد المسيح!! جبريل -عليه السلام- وهو الروح القدس قيد إشارة الكاهن الذي يستطيع أن يستدعيه في أي لحظة!!

وهنا يتساءل فوزي في استنكار: إن كان المسيح هو إلهنا فلماذا نأكل لحمه؟!

يقول رحمة الله الهندي في كتابه «إظهار الحق»، لو صحّ اعتقاد النصارى في أكل لحم المسيح وشرب دمه، لزم أن يكون النصارى أخبث من اليهود!

لأن اليهود آذوا المسيح وآلموه مرّة واحدة، ولم يأكلوا لحمه! أما النصارى فيؤلمون إلههم المسيح ويذبحونه ويأكلون لحمه ويشربون دمه كل يوم في شتى بقاع العالم! فإذا لم ينج من أيدي آكلي لحوم البشر هؤلاء إلههم الضعيف فمن ينج من بعده؟!

أما الأسرار الأخرى «الأب والابن والروح القدس» فهي خرافات لا يقبلها عقل سليم.

وبرغم صغر سنه كان يتعجب من فكرة الفداء ويتساءل في حيرة: كيف يمكن للسيد المسيح

أن يصلب افتداءً لخطايا البشرية؟! وكيف يعذب شخص لذنوب ارتكبها غيره؟! ثم إذا كان المسيح هو الله وابن الله فلماذا لم يغفر تلك الخطايا بنفسه بدلًا من أن يقبل بوضعه معلقًا على الصليب؟! بل كيف يمكن أن يكون المسيح هو الله وابن الله في الوقت ذاته كما يزعمون أليس في هذا مجافاة للمنطق؟! أسئلة كثيرة ملحاحة كانت تدور بذهنه بيد أن عقله الغض آنذاك لم يكن قد وصل بعد درجة من النضج تمكّنه من التشكيك في صحة حادثة الصلب المزعومة، وهي من الأركان الرئيسية في عقيدة النصارى التي تم تحريفها بالكامل لخدمة أغراض دنيوية.

من ناحية ثانية لم يكن عقله الصغير مؤهلًا للخوض في دراسة الأديان التي ستمكّنه من فهم الحقائق على نحو واضح.. مع كل ذلك لم يجد أمامه من خيار سوى أن يواصل مكرهًا رحلته مع النصرانية، وأن يتبع القس كظله مرددًا كالببغاء ما يلقنونه له من عبارات مبهمة لا يستسيغ نطقها ولا يفهم معناها.

مرت الشهور والسنون وتحقق حلم والدي فوزي إذ أصبح ابنهما قسًّا يمنح الجميع، كبارًا وصغارًا ونساء ورجلًا، بركاته المزعومة، حيث يجلس على كرسي الاعتراف ويستمع لأدق أسرار حياتهم وفضائحهم، ثم يجود عليهم بغفران الذنوب نيابة عن الرّب! بينما يعجز هو عن الاعتراف بما يجول داخل نفسه من تساؤلات في النصرانية لو علم بها دهاقنتها لمارسوا عليه ما هو أعظم من الصلب.

لقرابة العشرة أعوام ظل القس فوزي يعاني صراعًا نفسيًّا عنيفًا، إذ كانت التساؤلات الحائرة تحاصره من كل صوب وهي تساؤلات لم يجد لها إجابات مقنعة برغم دراسته لعلم اللاهوت وانخراطه في سلك الكهنوت.. حاول في استماتة أن يقنع نفسه بتلك الإجابات الجاهزة التي ابتدعها سلفه من الأحبار قبل قرون عديدة ولقنوها لرجال دين مرتزقة حتى يردّوا بها على استفسارات العامة، وإن كانت تجافي الحقيقة الساطعة وتتعارض مع المنطق السليم.

كثرت شكوكه في النصرانية وتراكمت، بيد أن حرصه على مورد رزقه بالكنيسة كان يمنعه من أن يجاهر بتلك الشكوك، بينما أداؤه لوظيفته كان يفرض عليه أن يقدّم للناس مواعظ دينية هو غير مقتنع بها في الأساس، لإحساسه بأنها تقوم على غير أساس، ولم يكن أمامه في ظل هذه الظروف العصيبة إلا أن يعمل سرًّا وفي حماسة على دراسة الأديان الأخرى علّه يجد ما يبحث عنه من إجابات.

وبالفعل بدأ يقرأ بنهم العديد من الكتب الإسلامية، فضلًا عن اطلاعه على القرآن الكريم.. انهمرت الدموع من عينيه عندما قرأ قوله تعالى:

وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ

سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (116) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (117) المائدة

عندما قرأ «فوزي» هاتين الآيتين أحس بجسده يرتعش بشدة إذ وجدهما تشتملان على إجابات صادقة ومقنعة للعديد من الأسئلة الملحاحة المحيرة التي لم يجد لها إجابات من قبل.. ثم توقف متأملًا قوله تعالى:

إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (59) آل عمران

انبهر بشدة عندما وجد أن القرآن الكريم يؤكد بشرية عيسى -عليه السلام-، ويبيّن أنه نبي مرسل لبني إسرائيل، ومكلف رسالة محددة كغيره من الرسل.. إيضاحات جليّة ومهمة ومقنعة لم يقرأها في الأناجيل المحرفة التي طالما قرأها وطالما قدم مضامينها كمواعظ لبني جنسه من العوام.

وقفة مع النفس أتاحتها له فترة تجنيده لأداء الخدمة العسكرية غيّرت مسار حياته تمامًا إذ قادته قدماه في أحد أيام تلك الفترة لدخول كنيسة في مدينة الإسماعيلية.. فما أن دخل الكنيسة حتى وجد نفسه ودون وعي منه يسجد سجود المسلمين.. بكى بحرقة حتى تذوق طعم الدمع في حلقه.. أخذ يناجي ربه ويدعوه بأن يلهمه السداد، ويهديه إلى الدين الحق.. عندما رفع رأسه من السجود كان قد قرر اعتناق الإسلام.

وقبل أن يغادر الكنيسة توقف أمام القس، ووجّه له بعض التساؤلات، وبدلًا من أن يجيب عن تساؤلاته سأله مستنكرًا: هل تقرأ القرآن؟ فأجابه فوزي قائلًا: نعم! صرخ القس في وجهه كمن أصابه مسّ من الجنون: نحن فقط يسمح لنا بقراءة القرآن أما أنت والعامة من الناس فلا يحق لكم ذلك! خرج فوزي من الكنيسة حانقًا وأخذ يبحث في شغف مقارنًا بين الإسلام والنصرانية، وبين الأناجيل المحرفة والقرآن الكريم، ولم يجد أمامه من بدّ سوى أن يشهر إسلامه بعد أن توصل إلى أنه هو دين الله الحنيف.

وخوفًا من بطش أهله أشهر إسلامه بعيدًا عن قريته وأطلق على نفسه اسم «فوزي صبحي عبدالرحمن المهدي».. لكن ما أن علمت أسرته بخبر اعتناقه الإسلام حتى عارضته بشدة وأضمرت له العداء الصارخ، وتكالب عليه إخوته الذين فجعوا في إسلامه واتخذوا قرارًا يقضي بقتله بحجة عصيانه الرب وإهانته الكنيسة.. ساندتهم في ذلك الكنيسة كما وقف معهم بقية الرعايا النصارى الذين تضايقوا من خبر إسلام القس الذي كان حتى وقت قريب يعترفون أمامه بخطاياهم.. لم يهتم فوزي بمعارضة الأهل والكنيسة بل أخذ يدعو ربه أن ينقذ والده وإخوته

ويهديهم إلى طريق الإسلام.. لقد تألم بشدة لموت والدته على دين النصرانية.. بيد أن العزاء جاءه بإسلام والده وشقيقته.

عندما علم فوزي بالتآمر عليه هرب من قريته فهيأ الله له فرصة للعمل مدرسًا للدين الإسلامي في مدارس منارات جدة بالمملكة العربية السعودية.. ووالده توفاه الله تعالى بعد عام ونصف العام من إسلامه، بينما تزوجت شقيقته من شاب نصراني هداه الله للإسلام، فاعتنقه وصار داعية له، وعمل إمامًا لأحد المساجد بمدينة الدوحة بدولة قطر..

سلسلة من دخول الأهل إلى الإسلام..

سلسلة من الهجرة بدين الله.. إلى الله.. في أرض الله..

حقًّا.. «أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا»؟!!..

هاجروا.. اهجروا أي شيء.. يحجبكم عن الهدى إلى الله..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (1) - (8) - (30) - (31)

الجنرال المؤذن

إذا قيل لأحدهم إن شيوعيًّا ملحدًا يصلي وحده في منزله لأصابته الدهشة!!

وإذا قيل له إنه يصلي في جماعة فستزداد دهشته!!

أما إذا قيل له إنه يؤذن للصلاة في مسجد أو يؤم المصلين فإن تقدير ردّ فعله متروك لك..

لكن عليك بتقديره قبل أن تبدأ قراءة حكاية إسلام أناتولي بطل هذه القصة..

ولد أناتولي في مدينة باكو بأذربيجان، ونشأ في صغره بين مطرقة أسرة نصرانية غير متدينة وسندان حكم شيوعي يرى أن الدين أفيون الشعوب. وبين هاتين المزدوجتين شبّ أناتولي ملحدًا ينكر وجود الله ويكفر بكل ما هو غيبي خارج حدود المادة، وتربطه بالنصرانية فقط هويته التي لم تجد لها طريقًا إلى قلبه برغم أنف قساوسة الكنيسة.

حينما التحق أناتولي بالمدرسة كان يشعر بالضيق من أحاديث زملائه من المسلمين حينما يتحدثون في أمور الدين.. أحس زملاؤه بتضايقه منهم ثم علموا أنه شيوعي قح متزمت فتجنبوه اتقاءً لبطشه.. في المقابل حقد عليهم حقدًا تنامت جذوره بصورة طردية مع نموه.

عقب إكماله دراسته التحق أناتولي بالجيش، وترقى في الرتب، حتى بلغ رتبة لواء (جنرال).. وطوال فترة خدمته بالجيش كان يضرب به المثل في الشيوعي المنضبط الذي يحفظ تعاليم ماركس ويطبقها ربما أكثر من صاحبها.. وبرغم كفره بكل الديانات فإن حقده على الإسلام كان أشد وأنكى، بل كم صرح عن رغبته في قتل كل مسلم تقع عليه عيناه.

فرح كثيرًا عندما سنحت له الفرصة في تحويل رغبته المتوحشة تلك إلى واقع ملموس!! فكلّف قيادة القوات الروسية في جبهة قندهار بأفغانستان لردع المجاهدين الأفغان الذين ثاروا على الحكم الشيوعي في بلادهم المسلمة.

وصل الجنرال أناتولي إلى أفغانستان لتنفيذ مهمته الخطيرة.. وبالطبع لم يكن في حاجة إلى توصية بضرورة سحق أولئك الذين رفضوا أفكار ماركس وتعاليم لينين، لأن حقده الدفين القديم على الإسلام كان يكفي لجعله يرتكب المجازر الدامية مستخدمًا الأسلحة الفتاكة ضد جماعات مسلحة بعدد قليل من البنادق وقدر عظيم من الإيمان.

عندما بدأ هذا الجنرال تنفيذ مهامه القتالية في أفغانستان كان يظنها ستكون سهلة وممتعة

كرحلة صيد في البرية.. لقد كان ينظر للمجاهدين الأفغان كجماعة متخلفة يتشبث أفرادها بأوهام غيبية عديمة المعنى، بل كعصابة بدائية يعاف أفرادها التحضر والمدنية كما يعاف الإنسان البرص والجذام.. ما عزز من ثقته بهزيمتهم حقيقة أنهم لا يملكون سوى أسلحة تقليدية بسيطة محدودة لا قدرة لها على الصمود في وجه أسلحته الفتاكة..

لكن!! ما أن بدأت المعارك حتى وجد أناتولي جيشه العرمرم ذا العدة والعتاد العظيمين يواجه رجالًا أشاوس يقاتلون بضراوة باهرة ويحرصون على الموت أكثر من حرصهم على الحياة.. ويملكون سلاحًا ذا قوة مطلقة لا تصمد في وجهه ترسانة الدمار السوفيتية الفتّاكة، إنه سلاح الإيمان وما أعظمه من سلاح!! بل إن الموت والشهادة في سبيل الله أسمى أمانيهم.

فجع الجنرال أناتولي بمرأى قواته وهي تنال الهزيمة تلو الأخرى من قبل فصائل المجاهدين قليلي العدد والعتاد.. وجد نفسه يعيش في حالة من الهلع والحيرة أمام النتائج غير المنطقية التي تلوح أمامه؛ فبالحسابات البسيطة -وهو الرجل المادي والخبير العسكري- ما كان يتوقع أن يصمد أمامه عدوه سوى لحظات قلائل..

ومما زاد من حيرته ثبات الأسرى الذين لم يزدهم التعذيب الوحشي الذي تلقوه من قبل جنوده -وبأمر منه- إلا ثباتًا على الحق وصلابة في مواجهة الباطل.

نتائج معاركه غير المنطقية هذه جعلت تفكيره ينحو منحى آخر غير مادي، إذ أحس بأن هناك قوى غيبية تحرس انتصار الأفغان وتقف وراء انتصارهم..

هزائمه الأخيرة التي تلقاها من المجاهدين الأفغان أيقظت فطرته السليمة فقرر مجالسة بعض الأسرى لعله يكتشف سرّهم الخطير المحيّر!

احتار الحاجب حينما طلب منه الجنرال أن يأتيه ببعض الأسرى وهو الشيوعي الملحد الذي كان يعاف المسلمين بشدة بل زادت حيرته -أي الحاجب- حينما طلب منه أن يقدم لهم الطعام والشاي!

تفاجأ الأسرى بالجنرال المتكبّر والطاغية المتوحش وهو يجالسهم ويتحدث معهم بلطف ومودة ويسألهم العديد من الأسئلة عن الدين الإسلامي الذي لم يأتِ من بلاده إلا ليحاربه.. في حضرة المشهد الباهر المحيّر نسي الأسرى معاناتهم فسألوا الله تعالى الهداية للجنرال جلّادهم السابق وجليسهم الحالي.. حدثوه عن الإسلام حديثًا يلين القلب ويقنع العقل..

تأثر كثيرًا بحديثهم وبدأ يشك في صدقية أفكار ماركس ولينين.. بل أصبح غير مقتنع بالحرب التي تخوضها بلاده ضد أناس أبرياء.. وبرغم ذلك استمر في تنفيذ ما يتلقاه من تعليمات وأوامر

منهم ولكن ليس بنفس حماسته السابقة.

شعر أناتولي براحة كبيرة عندما قررت حكومته الانسحاب من الحرب بعد الهزائم الفادحة التي منيت بها من قبل المجاهدين الأفغان.. عاد إلى باكو تتقدمه طلائع الهموم وتظلله سحب الحيرة بعد أن زلزل كيانه حتى المخيخ صراع نفسي رهيب.

عاد الجنرال إلى أسرته الصغيرة مستنجدًا بزوجته وابنته وابنه عساهم يساعدونه في التخلص من اضطراباته.. حاول جاهدًا البحث في باكو عن معين يرشده إلى الحقيقة بين دعاة المسلمين.. فشل في مساعيه لأن منصبه العسكري الرفيع جعل الجميع يعيشون وسط دوامة من الشك والخوف مردّها خشيتهم أن يكون مدسوسًا عليهم من قبل السلطات الشيوعية التي تطارد الدعاة أينما وجدوا وتهدم المساجد على رؤوس المصلين.

لكن فجأة وعلى غير توقع منه وجد ضالته المنشودة حينما تم نقله إلى «لما آتا».. لقد تعرف هناك إلى الداعية الإسلامي الشيخ محمد حسين الذي غمر روحه المتعطشة للحقيقة بالإجابات الشافية لكل تساؤلاته المحيّرة العنيدة حتى اقتنع بالدين القويم.. لكن برغم اقتناعه باعتناق الإسلام فإن الحظوظ الدنيوية جعلته يركن إلى التردد لعدة أسابيع؛ إذ كان خائفًا على فقدانه منصبه الكبير، فضلًا عن أن أصدقاءه نصحوه بتجنب ضربات الويل والثبور التي سوف يصليه بها قادة النظام الشيوعي.

وفي صبيحة يوم مشرق غير عادي استيقظ أناتولي من نومه وقد وصل إلى قناعة تامة في اتخاذه لقراره المصيري الصائب، فضرب بنصيحة زملائه عرض الحائط، وتوجه إلى الشيخ محمد حسين في الإدارة الدينية حيث نطق أمامه بالشهادتين واختار أن يتسمى باسم «علي»..

عقب إعلانه لإسلامه قفل عائدًا إلى أسرته تتقدمه طلائع الفرح بيد أن أسرته استقبلته بوجوم كاد يفسد بهجته.. نعم قلقت أسرته باعتناقه الإسلام، غير أن قلقها ازداد واختلط بالتعجب حينما رأته يتحول من جنرال كبير إلى مؤذن للمسجد.

بعدها اجتهد «علي» غاية الاجتهاد في سبيل إقناع زوجته وأولاده باعتناق الإسلام، وكان له ما أراد إذ شاء الله تعالى أن يعتنق أفراد أسرته الثلاثة الإسلام لتكتمل فرحة الأسرة الصغيرة بإيمانها العظيم.

للإلمام بتعاليم دينه أخذ «علي» يتلقى دراسات إسلامية متخصصة على أيدي عدد من المشايخ، ومن ثم أخذ يعلّم هذه التعاليم لزوجته وأولاده.

ونختتم هذه القصة بالإشارة إلى أن أسرة علي الصغيرة غمرتها السعادة مرتين: المرة الأولى

عندما اعتنق كل أفرادها الإسلام، والمرة الثانية عندما سقط النظام الشيوعي الملحد وعادت القيم الأصيلة إلى بلدهم الحبيب جمهورية أذربيجان الإسلامية.

نعم.. لقد انهزم الجنرال عسكريًّا في أفغانستان..

لكنه الفائز من الخسارة..

الفائز بالإيمان.. وما أعظمه من فوز..

فسبحان من يليّن قلوب العصاة الجبابرة!!..

ألان قلوبهم.. وما أنت بجبار مثلهم.. فلين قلبك أيسر وأقرب..

فقط توجه إليه.. افتح قلبك للنور..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (1) - (4) - (26) - (29)

الخطر الآمن!

مجرّد الاقتراب من الإسلام.. كافٍ..

مجرّد الاطلاع على حقيقته بموضوعية.. كفيل بالإيمان والوصول إلى الله..

مجرّد قراءة بعض آيات القرآن.. يحلّق بقلب الإنسان وروحه في سماء السعادة الحقيقية..

قد يدعمه وينشره من يخطط لتشويهه ومحاربته.. من حيث لا يحتسب.. ودون أن يدري..

إنه نور الحق.. نور الله..

يستوي في ذلك الفقير وأغنى الأغنياء.. الجاهل وأكبر العلماء.. المحكوم البسيط والسياسي المخضرم!!

إنه الإسلام وكفى.. الدين الحق..

تأمّلوا قصة سياسي ضليع وحقوقي أمريكي من العيار الثقيل.. يتقن ست لغات حيّة.. تابع وبأمر من حكومته ندوات ومؤتمرات عن الإسلام ضمّت كوكبة من قادة الفكر الإسلامي في العالم.. تأثر كثيرًا بما سمعه عن الإسلام الذي يدعو إلى مكارم الأخلاق.. تذكر أن الإحصاءات في بلاده تشير إلى أن قرابة ثلث أطفال أمريكا ينشؤون يتامى أو لقطاء نتيجة التفكك الأسري والتدهور الأخلاقي.. انشرح قلبه للإسلام فاعتنقه في عام 1980 وسمّى نفسه (فاروق عبدالحق) تيمنًا بالفاروق عمر بن الخطاب.. إنه الدكتور روبرت كرين، مستشار الرئيس الأمريكي نيكسون، ونائب مدير مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض سابقًا، ندعوكم لتعرّف قصة إسلامه ولكن قبل ذلك نعرّفكم به كشخصية أمريكية بارزة.

يعتبر الدكتور روبرت كرين أحد كبار الخبراء السياسيين في أمريكا، وهو حاصل على دكتوراه في القانون وأخرى في القانون الدولي المقارن.. عقب حصوله على شهادة الماجستير في الأنظمة القانونية المقارنة من جامعة هارفارد، أسس كرين صحيفة «هارفارد» للقانون الدولي ثم تم تعيينه كأول رئيس لجمعية هارفارد للقانون الدولي.. بعدها قام بتأسيس مركز الحضارة والتجديد في أمريكا، كما عمل لمدة عشر سنوات في المراكز الاستشارية لصناع السياسة في واشنطن.. يتقن ست لغات حية وقد نشر عشرة كتب وخمسين مقالة اختصاصية حول الأنظمة القانونية المقارنة والاستراتيجية العالمية وإدارة المعلومات.

في عام 1962م شارك الدكتور كرين في تأسيس مركز الدراسات الاستراتيجية الدولية..

وبعدها بعام كتب مقالة تتحدث عن كل من روسيا وأمريكا.. وعندما قرأ الرئيس الأمريكي نيكسون وهو في الطائرة الرئاسية مقال الدكتور كرين، استدعاه وكلّفه إعداد كتاب يتحدث عن السياسة الخارجية الأمريكية وعن الفكر الشيوعي الذي كان في أوج توهّجه.. بعد فترة ليست بالطويلة ونتيجة لكتابه الذي وجد هوى وسط صناع القرار الأمريكي وعلى رأسهم الرئيس ريتشارد نيكسون تم تعيين الدكتور كرين مستشارًا للشؤون الخارجية.

وعندما استلم هنري كيسنجر وزارة الخارجية في عام 1969 أنهى عمل الدكتور روبرت كرين بسبب ذات الكتاب العجيب الذي أدى إلى تعيينه في المنصب الذي عزل عنه! فقد تضمن الكتاب موضوعًا حول فلسطين، ومقترحًا لتشكيل دولتين يهودية وفلسطينية وكان كيسنجر ضد هذا المقترح.. حالما عُزل الدكتور كرين عن منصبه كمستشار للشؤون الخارجية عينه الرئيس نيكسون نائبًا لمدير مجلس الأمن القومي في البيت الأبيض.

في عام 1980 كلف نيكسون الدكتور كرين بمهمة تلخيص مجموعة من تقارير المخابرات الأمريكية الخاصة بالأصولية الإسلامية كان قد طلبها منهم.. استلم روبرت ملفًا كاملًا عن الإسلام إلى جانب عدد كبير من التقارير والبحوث السرية الدقيقة حول الموضوع ذاته.. وعلى الرغم من أن التقارير كتبت بأيدي المخابرات الأمريكية وليست بأيدي مسلمين فقد تركت أثرًا بالغًا في نفس روبرت وحركت في دواخله الكثير من الأحاسيس المتعلقة بالبحث عن الحق.. لقد كانت أحاسيس صادقة لكنها وإن بدت خامدة في ظاهرها إلا أنها كانت كالنار الخفية التي تستعر تحت الرماد.

في العام ذاته وفور انتصار الثورة الإسلامية في إيران، ازداد اهتمام الحكومات الغربية بالإسلام إذ شعروا بخطورة تهديده الخطير الآتي من الشرق.. شرع حينها مفكرو الغرب وساسته في عقد الندوات والمؤتمرات التي تتحدث عن الإسلام..

تابع الدكتور روبرت كرين، وبأمر من حكومته الندوات والمؤتمرات التي تحدث فيها عن الإسلام عدد من قادة الفكر الإسلامي، ومن بينهم المفكر السوداني الدكتور حسن الترابي الذي شرح الإسلام مرارًا في أحد هذه المؤتمرات.. تأثر روبرت كرين كثيرًا بما سمعه عن الإسلام وكان من قبلها قد تأثر بما كتبته عنه المخابرات الأمريكية.. وعندما رأى كرين الدكتور الترابي نفسه يسجد في إحدى صلواته اعتقد في البدء أن في ذلك إهانة له ولإنسانيته ولكنه أدرك لاحقًا أن الدكتور حسن الترابي كان ينحني لله ويسجد له على الرغم من علمه الغزير وثقافته الواسعة.. عندها فقط تيقن بطل قصتنا أن هذا هو ما يجب أن يكون عليه حال الإنسان مع الله، وأن على الإنسان أن يتنازل عن كبريائه ويخضع لله عزّ وجلّ.

في العاصمة السورية التقى الدكتور كرين الفيلسوف والكاتب الفرنسي الشهير البروفيسور روجيه غارودي، الذي اعتنق الإسلام هو الآخر في مطلع الثمانينيات، وكتب عدة مؤلفات تتحدث عن الإسلام.. أعجب الدكتور روبرت كرين بأفكار البروفيسور روجيه غارودي فوجد نفسه منجذبًا نحو الإسلام، كما وصل إلى قناعة تامة مفادها أن الإسلام فيه الحل الشافي والوحيد لكل مشكلات الأفراد والمجتمعات.

عقب حضوره تلك المؤتمرات والندوات التي تم تنظيمها للحديث عن الإسلام، بدأ الدكتور كرين يقرأ بشغف عن الإسلام.. تأكد له تمامًا أن الدين الإسلامي هو الرسالة الإلهية الخالدة التي تغمر الكون بالعدل وتكرم الإنسان وتعلمه وتهديه إلى جملة من الفضائل السامية التي توجب المحبة والتراحم والتسامح وكف الأذى عن الناس، وتحذّر من القتل والفجور، كما تناهض الظلم والاستبداد..

وما جعل الدكتور كرين يستوعب القيم الإسلامية على نحو أعمق متابعته للقضايا السياسية والاجتماعية الأمريكية داخل البيت الأبيض، إذ كانت الإحصاءات أمامه تشير إلى أن قرابة أطفال أمريكا ينشؤون يتامى أو لقطاء نتيجة التفكك الأسري والتدهور الأخلاقي، وقد كان يستشهد بقول الرئيس نيكسون: «بلدنا قد يكون غنيًّا بالثروة ولكننا فقراء في الروح، فالجرائم متزايدة والعنف متصاعد والانقسامات العرقية نامية والفقر وآفة المخدرات مستشريان».

كان الدكتور روبرت كرين كمحامٍ وسياسي ضليع يبحث عن العدل والعدالة التي افتقدها في القوانين الوضعية فانشرح قلبه بشدة عندما وجدها في الإسلام فاعتنق عقيدته ومفاهيمه وآمن بكل تعاليمه وأعلن إسلامه وأطلق على نفسه (فاروق عبدالحق) تيمنًا بالفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، وعمل بعد إسلامه مديرًا للقسم القانوني للمجلس الإسلامي الأمريكي، كما يعتبر الرئيس المؤسس لرابطة المحامين الأمريكيين المسلمين.

ما أن أعلن إسلامه حتى أخذ الدكتور فاروق عبدالحق (الدكتور روبرت كرين سابقًا)، يهتم بمستقبل الإسلام في أمريكا وقد قدّم في هذا الجانب أطروحات مهمة في المؤتمر الرابع والعشرين للاتحاد الإسلامي في أمريكا الشمالية (ISAN).. عقد ذلك المؤتمر في الفترة ما بين 8/29 و1986/9/1م بمدينة أنديانا بوليس، وقد خصص لمناقشة مستقبل الإسلام في أمريكا الشمالية. ونشير هنا إلى أن الدكتور فاروق عبدالحق عندما يتحدث عن نظرة الغرب المنحازة والقاصرة تجاه الإسلام فإنه لا يكتفي فقط بتوجيه النقد إلى الغرب، وإنما يوجه اللوم كذلك إلى بعض المسلمين سواء في الشرق أو الغرب ممن لا يفهمون التعاليم الإسلامية كما ينبغي ولا يطبقونها بصورها الصحيحة، وفي ذلك يقول: «من الصعب أن يفهم الغربيون حقيقة الإسلام ما دام الكثير من المسلمين الذين يعيشون في الغرب لا يمارسون الإسلام بالشكل الصحيح ولا يعيشون

حسب تعاليم الإسلام السامية».

ونختتم هذه القصة بالإشارة إلى أن بطلها الذي حصل على الدكتوراه في القانون من جامعة هارفارد عام 1959 التحق في عام 1995 بكلية الدعوة الإسلامية بجامع أبي النور التابع لمجمع الشيخ كفتارو بدمشق لدراسة الشريعة الإسلامية.. وهو أمر إن دلّ على شيء فإنما يدل على حرص تام من الدكتور فاروق على التعمق في دراسة العلوم الإسلامية كما يؤكد حقيقة أنه اكتسب من عظمة الإسلام تواضع العلماء.

حقًّا.. «**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**»..

اعتاد فاروق على طلب العلم.. البحث وتقصي الحقائق.. الانتباه إلى المفكرين وحضور المؤتمرات والندوات.. فسطع الحق في قلبه وعقله دون كثير عناء.. فالحق ساطع أكثر من سطوع الشمس في كبد السماء.. فكيف لا يراه أصحاب البصائر والفطر السليمة؟!!

اغتنموا فرصة وجودكم في الدنيا الآن..

اغتنموا فرصة الاختيار المتاحة أمامكم الآن..

قبل أن ينتهي الاختبار.. ويُرفع الاختيار.. ولا أفلح بعد ذلك من ندم!!

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (1) - (4) - (19) - (29) - (30)

السؤال العجيب!

أفريقيا.. تلك القارة الجميلة الحائرة..

لغات وقبائل وأعراق وديانات.. تتوق إلى الحرية.. إلى الإسلام!!

لو عرفوا الإسلام على حقيقته لآمنوا ودخلوا في دين الله أفواجًا..

فقط يحتاجون لمن يعرض عليهم الإسلام بلغتهم التي يفهمونها..

بطل قصتنا هذه أحد الأدلة الواضحة على ذلك..

ولد في أثيوبيا لأب يهودي وأم نصرانية.. درس في صباه الباكر التوراة والإنجيل، واختار أن يصير نصرانيًّا كأمه.. لم يكن اختياره نابعًا عن قناعة بالديانة النصرانية، ولكن للأفضلية التي يحظى بها أتباع هذه العقيدة في بلاده التي تعد أحد معاقل النصرانية في أفريقيا.. نال ثقة الكنيسة فيما يقوم به من نشاط في حركات التبشير والتنصير حتى وصل إلى أعلى المراتب الكنسية.. داخله الشك في النصرانية عندما وقع تحت يده كتاب يتضمن تفاسير قرآنية باللغة الأمهرية.. اعتنق الإسلام وتحول من مبشر يكنّ العداوة للإسلام إلى داعية إسلامي أخاف مجلس الكنائس العالمي.. دبرت له العديد من المؤامرات لقتله.. عندما خاب سعيهم أرسلوا له حسناء مصابة بمرض الإيدز فتزوجها فكانت سببًا في وفاته ودفن بمكة المكرمة وسبقته زوجته التي نقل لها المرض.. إنه القس الأثيوبي السابق ملقاه فقادو الداعية الإسلامي الشهيد محمد سعيد.

عندما شب ملقاه عن الطوق وجد نفسه يعيش في دوامة من الحيرة فيما تعلق بالديانة التي يعتنقها.. فهو لم يجد نفسه في التوراة ولا في الإنجيل، إذ رأى في الأولى مجموعة من الأقاصيص والأساطير التي عمد الكهان والأحبار إلى حشوها بكل ما هو غريب بعد أن حرفوا الكلم عن مواضعه، فلم يتقبل عقله ما تحويه التوراة المحرفة من خرافات وأباطيل، فتركها جانبًا وتحول إلى دراسة الإنجيل، ولم يكن أحسن حالًا من سابقه، حيث وجد الكثير من التناقضات الجلية الواضحة بين نصوص الأناجيل الأربعة، كما اتضح له أن النصرانية لا تقدم تفسيرًا للحياة والكون ولا تعمل على تنظيم علاقة راشدة واضحة لمعتنقيها في شؤون الدنيا والآخرة، الأمر الذي جعله يوقن بأن الأناجيل ليست الكتاب المنزل على عيسى -عليه السلام-. أما الإسلام فلم يحاول «ملقاه» ألبتة دراسته حتى هذه المرحلة، لأن الدعاية الكنسية القوية والمؤثرة صوّرته له على أنه دين أكثر شعوب الأرض تخلفًا، كما ظلت تنسب العديد من الافتراءات والأكاذيب إليه وإلى المسلمين، لذلك ظل «ملقاه» ومنذ صغره يبغض الإسلام بشدة.

عندما بلغ مبلغ الرجال بدأ بطل قصتنا يبحث له عن مهنة تليق بمستوى أسرته الاجتماعي ويوفر له دخلها حياة مرفهة تجعله يحيى في رغد من العيش.. بعد بحث طويل وتفكير عميق وجد ضالته المنشودة في السلك الكنسي، حيث الاحترام الوافر والمرتب الكبير والسيارة الفارهة.. ولم يمر وقت طويل حتى أصبح الشاب «ملقاه» قسيسًا لامعًا يشار إليه بالبنان فوجد نفسه يتمتع بمركز اجتماعي مميز كما وجد عامة الناس يبجلونه ويقبلون يديه فضلًا عن مناداتهم له بلقب «أبانا».

استمر عمل ملقاه في الكنيسة لمدة ست سنوات، اجتهد خلالها في الدعوة إلى النصرانية في حماسة منقطعة النظير، خاصة أنه كان يتمتع بمميزات عدة، حيث الراتب السخي والسكن الأنيق والسيارة الفاخرة في بلد يعاني معظم أهله وطأة الفقر المدقع، بل إن الكثيرين منهم يموتون جوعًا.. وطوال فترة عمله بالكنيسة ظل بطل قصتنا يعمل بجد وإخلاص حتى كسب ثقة الكنيسة بنشاطه التنصيري المخلص فرضيت عنه وأوصلته إلى أعلى مراتبها وأصبح أحد قادتها، بل استحوذ على ثقة كبار القساوسة ما دفعهم إلى تحميله المزيد من المسؤوليات الكبرى في مجال التنصير..

كان ملقاه يعشق القراءة والاطلاع، فما أن يقع بصره على كتاب يتحدث عن الإنجيل إلا وقرأه.. في إحدى جلساته للقراءة تفاجأ بكتب إنجيلية مترجمة تتحدث عن الدين الإسلامي وتطرح سؤالًا عجيبًا مفاده: هل الإسلام دين سماوي أم لا؟!

عندما وصل إلى هذه النقطة بدأ يعيد طرح السؤال على نفسه لعدة مرات!!

بعد مرور أيام قليلة واتته الفرصة ليطلع على كتاب للتفاسير القرآنية كتب باللغة الأمهرية! مثلت هذه الواقعة نقطة فارقة في حياته بل غيّرت مساره مئة وثمانين درجة.. في البدء بدأ يقارن بين ما وجده في الكتاب الأخير وما قرأه سابقًا في الترجمات الإنجيلية عن دين محمد..

أخذ الشك في الكنيسة يتغلغل داخل نفسه وبدأ يشعر بالتحريف الهائل الذي أحدثته الكتابات المغرضة ضد الدين الإسلامي.. لكن وعلى الرغم من الشكوك التي بدأت تساوره حول الكنيسة ظل بطل قصتنا يعمل بجد وإخلاص في خدمتها والدعوة لمعتقداتها حتى كانت تلك الليلة!

في ليلة لا تنسى رأى ملقاه في منامه رجلاً يقترب منه في المنام ويوقظه هاتفًا به أن يقرأ شهادتي: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، وسورة الإخلاص: **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** (1) **اللَّهُ الصَّمَدُ** (2) **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** (3) **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** (4).. فقام من نومه فزعًا وقد روعته تلك الرؤيا الغريبة التي لم يستوعبها، ففسرها بفهمه القاصر على أنها ضغث من أضغاث الشيطان..

تكررت الرؤيا لليلتين أخريين، بل رأى في الليلة الثالثة نوراً يضيء أمامه الطريق ورجلًا يقرئه الشهادتين وسورة الإخلاص، فأدرك على الفور أن هذه رؤيا حق وليست من عمل شيطان رجيم كما كان يتوهم، لأنه شعر بالنور الذي أضاء طريقه في الرؤيا قد تسرب في وجدانه وأنار بصيرته فتوصل إلى يقين تام مفاده أن الإسلام هو الدين الحق وما دونه باطل..

لم يطُل التفكير كثيرًا بملقاه لأنه وبحكم دراسته اللاهوتية كان مطلعًا على الإشارات العديدة التي بشرت برسالة محمد -صلى الله عليه وسلم-، الأمر الذي جعله يشهر إسلامه عن قناعة راسخة.. بل استطاع دون كبير عناء إدخال زوجته وأطفاله الثلاثة في الإسلام.. وكان أول ما فعله «ملقاه» عقب إشهاره لإسلامه تغيير اسمه إلى «محمد سعيد» معتبرًا ذلك اليوم يوم ميلاده الحقيقي شاكرًا الله تعالى على ما أنعم به عليه من نعمة الإسلام وما أعظمها من نعمة.

عقب إشهاره لإسلامه عكف محمد سعيد على إعداد دراسة تبين الأسباب التي دفعته إلى اعتناق الإسلام مسلطًا الضوء في تلك الدراسة على حقيقة المعلومات الخطأ حوله التي تشتمل عليها الكتب الإنجيلية، بعدها أورد الحقائق الثابتة التي تفضح زيف تلك الكتابات ومن ثم رفعها إلى المجلس الإسلامي الأعلى في أديس أبابا.

بالطبع كشرت الكنيسة عن أنيابها لذلك القس الذي فضحها بعد أن عاش بداخلها ردحًا من الزمن ليس بالقصير بحساب كشف المستور.. لم تكتفِ الكنيسة بحرمانه من الامتيازات التي كان ينعم بها من مسكن راقٍ وسيارة فاخرة وراتب ضخم وغير ذلك، بل اجتهدت بجد حتى أدخلته السجن ليلقى صنوفًا وألوانًا من التعذيب في محاولة لرده عن إيمانه وحتى يكون عبرة وعظة لكل من يفكر مجرد التفكير في ترك النصرانية والالتحاق بركب الإسلام.. نعم تحرك كبار القساوسة بسرعة وحركوا أذنابهم في السلطة الشيوعية إبَّان عهد «منجستو هايلي مريام» فسلطوا عليه أجهزة الأمن التي قامت باعتقاله، وحبسته داخل السجن لمدة ثلاثة أشهر بلا ذنب جناه سوى أنه اعتنق الإسلام وتخلى عن المسيحية.

عقب خروجه من السجن فكر محمد سعيد في الاستفادة من علاقاته الشخصية فنجح في إدخال قرابة ثلاثمئة شخص جديد لدين الإسلام.. وكرد فعل لنشاطه الدعوي المخيف الذي أقضّ مضاجع القساوسة وهزّ أركان الكنيسة قام الأسقف «كارلوبوس» رئيس القساوسة برشوة أجهزة القمع في نظام «منجستو» الديكتاتوري، ليجد محمد سعيد نفسه ثانية داخل السجن بل انتابه الإحساس بأنه لن يرى الشمس مرة أخرى، خاصة أن الكنسيين مستمرون في ملاحقته بشكل عنيد.. لكن وبفضل من الله تعالى حصل المسلم الجديد على إفراج لم يكن يتوقعه ولا حتى في عالم الأحلام!! حدث ذلك خلال زيارة قام بها الدكتور «عبدالله عمر نصيف» الأمين العام لرابطة العالم الإسلامي لأثيوبيا حيث التقى الرئيس الأثيوبي السابق «منجستو» وطلب

منه الإفراج عن محمد سعيد، فاستجاب لطلبه بحول الله وقوته.

دخل في هدنة مؤقتة مع الكنيسة عقب إفراجه الأخير إذ لم تلاحقه لفترة من الزمن فقد وجدت أن وسائل التعذيب لا تجدي معه نفعًا فرأت أن تغض الطرف عنه حتى لا يتحول إلى رمز من رموز الإسلام في أثيوبيا وقدوة تدفع الكثيرين من رعايا الكنيسة إلى ترك النصرانية واعتناق الإسلام.

خرج «محمد سعيد» من السجن أقوى إيمانًا وأشد تصميمًا على إيصال دعوة الحق إلى غيره، ولتأهيل نفسه كداعية إسلامي مؤثر ظل محمد سعيد يقضي معظم وقته في حفظ القرآن الكريم ودراسة العلوم الإسلامية، على الرغم من المشقة الكبيرة التي كانت تواجهه باعتباره من الناطقين بغير اللغة العربية، وهنا تجدر الإشارة إلى أن «محمد سعيد» استفاد من دراسته العميقة للتوراة والإنجيل في استكشاف الكثير من أوجه الإعجاز القرآني، وأنه بحكم عمله السابق كقس كان يدرك تمامًا الأساليب غير السوية التي تلجأ إليها جماعات التنصير من أجل جذب الفقراء والمحتاجين من المسلمين إلى الديانة النصرانية، إذ يستغلون حالة الفقر التي يعيشون فيها فيدعمونهم ماديًّا وصحيًّا وتعليميًّا ليكسبوا ودّهم ومن ثم يسيطرون على عقولهم ويقنعونهم بأن خلاصهم في الدنيا والآخرة في الديانة النصرانية.

فجأة ودونما سابق إنذار انتهت الهدنة بين الكنيسة ومحمد سعيد! فعندما شعرت الكنيسة بازدياد خطر الأخير عليها لعلمه بأساليبها غير السوية في مجال التنصير ولعلمهم بأساليبه الفعالة في دفع المسيحيين إلى اعتناق الإسلام بدؤوا التفكير مرة أخرى من التخلص منه إلى الأبد.. وما أن فطن بطل قصتنا إلى التآمر الجديد حتى أخطر مكتب رابطة العالم الإسلامي بأثيوبيا الذي قام وبالتنسيق مع الأمانة العامة للرابطة بمكة المكرمة بمنحه تأشيرة دخول إلى المملكة العربية السعودية لإبعاده عن مضايقات رجال الكنيسة من جهة ولتعليمه مبادئ الإسلام في مهبط الوحي من جهة أخرى.. ونظرًا إلى عدم إلمامه باللغة العربية تم إلحاقه بمعهد اللغة العربية التابع لجامعة أم القرى بمنحة من الرابطة، كما تم تأمين سكن مناسب له ولأسرته بمكة المكرمة، فضلًا عن تخصيص راتب شهري له يليق بمكانته.. ونظرًا إلى حدة ذكائه استطاع محمد سعيد أن يتعلم أساسيات اللغة العربية في وقت قياسي إلى جانب تعمقه في دراسة العلوم الإسلامية.

لكن برغم مغادرته الأراضي الأثيوبية وانتقاله إلى المملكة العربية السعودية لم يتركه أعداؤه من النصارى إذ أرسلوا له ابنة راعي الكنيسة قادمة من أثيوبيا وهي شابة حسناء، أتته باكية تستنجد به وتدّعي أن أفراد أسرتها وعلى رأسهم أبوها يريدون قتلها لعلمهم بأنها تنوي اعتناق الدين الإسلامي وهي قد جاءته لإنقاذها وطلبت منه أن يتزوجها ويعلمها الإسلام.. وبالفعل تزوجها وأسكنها في جدة بينما زوجته الأولى كانت تسكن معه في مكة المكرمة.. لم يكن يدري

محمد سعيد أن قصة الفتاة الشابة ما هي إلا امتداد لمؤامرات الكنيسة التي أرسلت له حسناء مصابة بمرض الإيدز فانتقلت إليه العدوى ونقلها بدوره -دون أن يدري- إلى زوجته الأولى.. ولما أدركت الحسناء الأثيوبية نجاح مهمتها عادت هربًا إلى أثيوبيا تاركة وراءها المرض الخطير يسري في جسد محمد سعيد وزوجته التي توفيت بعد عدة أشهر بينما هزل جسمه هو وضعفت قوته حتى توفي ودفن بمكة المكرمة.

كيد وحقد ودسائس ومؤامرات تصل إلى حد القتل بالإيدز!!

أي دين لله هذا الذي يأمر بذلك؟!

إن الله بريء من مثل هذه الأديان.. من مثل رجال الدين هؤلاء!!

تأمّل الفرق الشاسع بين هؤلاء المجرمين والدعاة المسلمين.. دعاة السلام والخير!!.

واختر لنفسك.. أي الفريقين تحب أن تنتسب إليه..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (1) - (26) - (30) - (31)

تساؤلات صليبية

الإنسان.. هو الإنسان..

في شرق الأرض.. في غربها.. هو الإنسان..

مخلوق لله.. مفطور على حب الله.. الانقياد والاحتياج إلى خالقه..

يبحث عنه دائمًا.. يقدّم الروح رخيصة في سبيل رضاه..

قلبه لا يقبل عقيدة فاسدة يشعر أنها لا تعبر عن ربه.. ينتظر العقل كي يؤيد القلب..

عندها لا تقف قوة في الأرض أمام إيمانه بالله..

هذا ما ينطبق على قصتنا.. بطلتها منذ صغرها وهي تؤمن بالله.. عندما كبرت ودرست الكتاب المقدس اعتراها قدر مهول من التشويش.. تفاجأت بأن صفات الله عزّ وجلّ الواردة في الكتاب المقدس لا تتسق ألبتة مع عظمته التي عرفتها بالفطرة.. بل وجدت أن تصورها للدين يتناقض تمامًا مع التعاليم الأساسية للكنيسة.. قدّر لها أن تتزوج برجل مسلم وأن تتواصل مع زوجات أصدقائه المسلمات؛ فشرح الله صدرها للإسلام.. إنها النرويجية شهيدة زنابي تحدثنا بنفسها في الفقرات التالية عن قصة اعتناقها الإسلام:

منذ أن كنت صغيرة، وأنا أؤمن بالله.. أذكر أن أمي كانت تصلي لأجلنا -نحن أطفالها- على مقربة من سريرنا كل ليلة.. ما كانت تفعله أمي معنا عزز في دواخلي حقيقة وجود الله، الأمر الذي جعلني أتساءل على الدوام: كيف يمكنني أن أفعل ما يريده الله حتى أحظى بالقبول في الجنة.

عندما بلغت الثانية عشرة من عمري، بدأت أدرس الكتاب المقدس وكلّي أمل في أن أجد الهداية، بيد أن أملي خاب لأن الكلمات المنسوبة إلى الله في ذلك الكتاب لم تشعرني بالقرب منه أبدًا.. في الحقيقة لم أستطع أن أقبل فكرة أن يدع إله «ابنه» يموت على الصليب بغرض إنقاذ البشر! وتساءلت في استنكار: إن كان الله هو الفعال لما يريد، أليس بوسعه أن يسامح البشر دون ترتيبات كتلك المذكورة في الكتاب المقدس؟! بحق كانت لديّ قناعة تامّة لا تتزعزع مفادها أن المسيح رجل حكيم وهبه الله العلم والرشد وليس إلهًا، لأن الله لا ينبغي له أن يتخذ شكل البشر.. من ناحية ثانية تساءلت: لم يولد كل البشر آثمين كما يزعم الكتاب المقدّس؟ ثم تساءلت: ما معنى التثليث؟ وكيف يمكن لأحد -مهما بلغ من العلم- أن يقول إن الإنجيل والتوراة يمثلان كلام الله، بينما كما هو واضح أنهما مجرد كتابة من صنع البشر لا أكثر ولا أقل؟

عندما بلغت السابعة عشرة من عمري، غادرت منزل أسرتي والتحقت بمدرسة مسيحية.. كنت أعتقد أنني لو قطنت مع مسيحيين سأفهم الدين على نحو أفضل. في الحقيقة وجدت فيهم الكثير من الأمور الإيجابية كالصحبة الجيدة، والحفلات الخالية من الكحول، فضلًا عن تسامحهم واهتمامهم ببعضهم بعضًا.. وعندما أخبرتهم عن شكوكي في النصرانية أجابوني بأن ذلك ما هو إلا جزء يسير من سر رائع عليّ قبوله.. وطلبوا مني أن أستمر في إيماني.. بل أخبروني بأن يسوع وهب حياته لأجلي وأنني سوف أنال الخلاص وهذا هو عين ما استنكرته من قبل!

في الحقيقة وجدت حديثهم بعيدًا من العدالة والمنطق، وتساءلت في تعجب: ما هو مصير أولئك المؤمنين الصالحين المنتشرين في مختلف بقاع العالم والذين لم يسمعوا قط بصلب يسوع، فهل سيضيع إيمانهم وعملهم هباءً؟! وبالنسبة إليّ أنا -على سبيل المثال- هل سيرفض الله إيماني وعملي، على الرغم من إيماني به من كل قلبي؟! وهل يمكن أن تكون تلك هي «الحقيقة»؟! أجبت على نفسي قائلة: من المؤكد لا..

وقدّر لي أن تزوجت رجلًا مسلمًا.. وبعد مضي عام من زواجي به، كانت حياتي من الناحية الدينية أكثر خواء من فؤاد أم موسى.. بيني وبين نفسي كنت أعرف أنني أؤمن بالله فقط، ولا أعرف شيئًا آخر.. بعض زوجات أصدقاء زوجي النرويجيات كنّ قد اعتنقن الإسلام.. لم أكن راضية عن ذلك فقد كان يغضبني أن تعتنق امرأة غربية الإسلام!

كنت أناقشهن في مسائل الدين حتى حلول الساعات الأولى من الفجر، ومع ذلك ظلت الشكوك تساورني حيال الإسلام.. فكرت قليلًا ثم قلت في نفسي متسائلة: لم لا أنضم إليهن في المسجد لأتعلم شيئًا من العربية حتى يسهل عليّ التحرّي عن الإسلام بصورة أفضل؟ لقد كانت لديّ رغبة ملحّة في تعلم اللغة العربية.. دخلت معهن المسجد لأول مرة في حياتي، وقد كانت تجربة عاطفية مذهلة ومؤثرة بدرجة تفوق الوصف والتصور.

أذكر جيّدًا أنني نظرت إلى نفسي في مرآة المسجد، وقد وضعت الحجاب.. لقد أعجبت به غاية الإعجاب! لقد كان مضبوطًا عليّ بصورة باهرة.. وعقب ذلك أخذت أراقب المسلمين وهم يؤدون صلاتهم.. فتمنيت من أعماق قلبي لو أنضم إليهم في سجودهم لله.. كان يغمرني شعور رائع بالخضوع لله.. بحق تمنيت أن أصلي مثلهم غير أنني لم أكن أعرف كيفية الصلاة؛ فبكيت بحرقة ومن داخل أعماقي لأنني لا أستطيع أن أصلي مثلهم.. لأعزي نفسي اشتريت ترجمة إنجليزية لمعاني كلمات القرآن الكريم.. وما أن شرعت في قراءتها حتى أحسست بكلمات الله، وقد طرقت شغاف قلبي في حنو.

كثيرون أولئك الذين حذروني من اعتناق الإسلام بسبب إعجابي به.. بالنسبة إليّ كنت أعرف

أن إعجابي بالإسلام أمر عاطفي جدًّا، وأن عليّ أن أقتنع بعقلي.. هذا الأمر جعلني أشعر بأنني أحتاج إلى معرفة المزيد عن الإسلام.. وكان نتيجة ذلك أنني أمضيت الأشهر السبعة التالية في القراءة عن الإسلام ودراسته بصورة أعمق.

وفي أيار من عام 1988م سافرت إلى اليونان لقضاء عطلتي.. لقد كانت عطلة مميزة ورائعة فيها كل ما تشتهيه الأنفس من مأكولات ومشروبات، فضلًا عن توافر مختلف وسائل اللهو والترفيه.. وفي الأسبوع الأول استمتعت بتلك العطلة كل الاستمتاع إلا أنني سرعان ما بدأت أشعر بالضيق من تلك الأشياء التي بدت لي فارغة وبلا معنى.. شعرت بأن أمرًا ما مفقودًا من حياة أولئك الناس.. وأنا داخل بركة السباحة اتخذت قرارًا جادًّا مفاده عودتي إلى بلدي فورًا لأعتنق الإسلام.

اعتنقت الإسلام.. وبدأت عبادتي بالصلاة التي كنت أتوق لها بشغف..

ومنذ ذلك اليوم لم أشعر بالندم في حياتي على الإطلاق..

كم أنا الآن سعيدة بالنعمة والرحمة العظيمتين اللتين أنعم الله تعالى بهما عليَّ..

فعندما يدخل الإسلام من اتحد قلبه وعقله في الاقتناع به.. تكون السعادة ويكون الإيمان الصادق..

هذا الاتحاد لا يأتي من فراغ.. يأتي بنور يبزغ في القلب ودراسة وبحث من العقل..

الأهم.. أنه يأتي برحمة من الله..

لذا اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (10)

جنود بريؤون

البراءة والعفوية والنقاء جند من جنود الله..

تفعل بقلب الباحث عن الحق الأفاعيل..

فقلبه مرهف رقيق يتلهف للنور.. فما أن يصادفه شخص مؤمن نقي حتى يفتح له كل أبواب الإيمان..

طفل بريء.. يعرف ربه.. تربى على الإيمان.. قد يهدي الله ببراءته من لا يستطيع هدايته أكبر العلماء..

لبطل قصتنا قصة مع العفوية والبراءة.. براءة أطفال المسلمين..

هو شاب غربي ثري يعيش في قصر منيف، وشقيقه نجم عالمي شهير يشار إليه بالبنان، أسهم في إسلامه مجموعة من الأطفال الأبرياء، فتحول اسمه إلى محمد عبدالعزيز!

إنه جيرمين جاكسون شقيق النجم العالمي المعروف مايكل جاكسون، الذي صنفته موسوعة جينيس للأرقام القياسية، كأنجح وأهم نجم في تاريخ الموسيقى على مر التاريخ.

كان جيرمين يعيش في أحد أترف قصور ضواحي لوس أنجلوس وأفخمها، وتحيط به الحدائق الغناء وينابيع المياه، حيث يشارك فيه جيرمين أخته في تأليف النوتات الموسيقية.. يحدثنا جيرمين في هذه القصة عن كيفية اعتناقه الإسلام في الفقرات التالية فيقول:

قمنا أنا وأختي في عام 1989 بجولة في عدد من دول الشرق الأوسط، حيث تم استقبالنا بحفاوة خاصة في مملكة البحرين، وهناك التقيت عددًا من الأطفال حيث أجريت معهم دردشة عفوية.. وجّهت لهم بعض الأسئلة.. وبدورهم طرحوا عليّ استفسارات بريئة تتسق مع أعمارهم الغضة.. فسألوني عن ديني فأجبتهم بأنني مسيحي.. بدوري سألتهم عن دينهم فردّوا عليّ بصوت حماسي واحد: «الإسلام».

في الحقيقة إجابة الأطفال شديدة الحماسة هزتني بشدة من داخل أعماقي! لم يكتف أولئك الأطفال بإجابتهم عن سؤالي وإنما أخذوا يحدثونني عن الإسلام حديثًا لا يتناسب مع أعمارهم الصغيرة، أما نبرة صوتهم المترعة بالاعتزاز فقد كشفت لي عن مدى افتخارهم بالإسلام!

في الحقيقة أولئك الأطفال الأبرياء، دفعوني إلى أن أخطو أولى خطواتي نحو الإسلام إذ قادني حديثهم القصير إلى إجراء محادثات طويلة وعميقة حول الإسلام مع عدد من العلماء المسلمين..

وما دفعني إلى ذلك أيضًا أمور كثيرة بالمسيحية كنت عاجزًا عن استيعابها والاقتناع بها.

نعم والحق يقال، لقد وجدت في الدين المسيحي الكثير من الأمور التي تثير الحيرة والدهشة.. فعلى سبيل المثال فإن أفراد عائلتي -وهم من أتباع طائفة مسيحية تعرف باسم «شهود يهوه»- يعتقدون أن 144 ألف شخص منهم فقط هم الذين يحق لهم في آخر المطاف دخول الجنة! ومما أدهشني في المسيحية معرفتي بحقيقة أن «الكتاب المقدس» ألفه عدد كبير من الأشخاص! وجهت إلى نفسي سؤالًا قلت فيه: كيف يمكن لرجل أن يضع كتابًا ثم ينسبه إلى الله، وفي الوقت ذاته لا يمتثل تمامًا للتوجيهات التي يتضمنها ذلك الكتاب بين دفتيه؟!

في فترة لاحقة ونتيجة لمقارنتي بين المسيحية (التي عشتها وأنا غير مقتنع بها) والإسلام (الذي تعرفت إلى تفاصيله من خلال تواصلي مع العلماء المسلمين)، شعرت بأن قلبي قد اعتنق الإسلام.. بحت بهذا السر لصديق عائلتي السيد «قنبر علي»، الذي قام بتدبير زيارة لي معه للرياض.. وبالفعل ذهبت معه ومن هناك انتقلت إلى مكة حيث أعلنت إسلامي ومن ثم قمت بأداء «العمرة».

لم أفتأ أعتنق الإسلام، حتى شعرت بنفسي وكأنني ولدت من جديد.. كيف لا وقد وجدت فيه وحده الأجوبة الشافية على الأسئلة الملحة التي لم أجد لواحد منها إجابة في الدين المسيحي.. على سبيل المثال لم أجد إجابة مرضية عن مسألة ولادة السيد المسيح إلا في الإسلام.

وخلال إقامتي في المملكة العربية السعودية أتيحت لي فرصة شراء «كاسيت» ألفه البريطاني الشهير مغني البوب السابق ستيفنس، الداعية الإسلامية الحالي يوسف إسلام.. بحق لقد تعلمت من ذلك الكاسيت الكثير المفيد.

وما أن عدت إلى الولايات المتحدة وأنا مسلم حتى أطلقت وسائل الإعلام الأمريكية دعايات شائنة ضد الإسلام والمسلمين، كما انهمرت -من كل حدب وصوب- الأقاويل والشائعات التي تتحدث عني بالسوء مسببة لي إزعاجًا في حياتي يصعب وصفه بالكلمات.. لقد تجلى نفاق المجتمع الأمريكي واضحًا أمامي وتساءلت في مرارة وحسرة: أين حرية التعبير وحرية الضمير التي يتشدق بها أفراد هذا المجتمع.

حقيقة عندما أتأمل ما تقوم به هوليوود من تشويه مغرض وكاذب لصورة المسلمين أتعجب بشدة.. فهنالك الكثير من الأمور المتفق عليها بين المسيحية والإسلام، كما أن القرآن يتحدث عن السيد المسيح في القرآن كنبي فاضل.. لقد كان ذلك يؤلمني ويدفعني إلى أن أبذل قصارى جهدي حتى أبدد الصورة الذهنية الخطأ التي تصورها وسائل الإعلام الأمريكية عن الإسلام والمسلمين.

والحق يقال جعلني الإسلام أشعر بأنني كائن بشري كامل بقدر ما يعني هذا التعبير من معنى،

فقد أحدث تحولات هائلة في داخلي وجعلني أطرح جانبًا كل شيء حرّمه.. بالطبع عانت عائلتي مرّ المعاناة من هذه التحولات التي ظهرت في حياتي، خاصة مع تدفق رسائل التهديد النارية التي كانت تصلني تباعًا وتصليني باتهاماتها الخطيرة.. لكن ما أود قوله هنا إن عائلة جاكسون عائلة متسامحة وينظر أفرادها إلى جميع الأديان نظرة احترام الأمر الذي جعل أفرادها يتمتعون بعلاقات صداقة مع أناس ينتمون إلى ديانات متعددة ومتباينة.. في الحقيقة قيمة التسامح واحدة من المبادئ الفاضلة التي تعلمناها من أبوينا ونشأنا عليها.

عند عودتي إلى أمريكا، جلبت معي كتبًا عديدة تتحدث عن الإسلام وتعرّف بعقيدته وتعاليمه.. شقيقي مايكل جاكسون نفسه طلب مني بعض تلك الكتب ليدرسها.. قبل قراءته لتلك الكتب كان مايكل متأثرًا بالدعاية المغرضة التي تنشرها وسائل الإعلام الأمريكية عن الإسلام والمسلمين، بيد أنه كان يقف منها موقف الحياد، فهو من جهة لم يكن معاديًا للإسلام ومن جهة ثانية لم يكن له موقف إيجابي من المسلمين.. لكن ما أن درس الكتب التي طلبها مني حتى أثرت فيه إلى حد كبير، بل جعلته يحول مسار مشاريعه الاستثمارية صوب رجال أعمال مسلمين كالملياردير السعودي الأمير الوليد بن طلال الذي دخل معه في شراكة كبيرة، إذ إن لديه الآن حصصًا متساوية معه في شركته المتعددة الجنسيات.

عندما وصل نبأ إسلامي إلى أمي -وهي أم متدينة ومتحضرة ومتسامحة- قابلته بردّ فعل هادئ.. لقد وجهت لي سؤالًا واحدًا حيث قالت لي: «هل اتخذت قرار اعتناقك الإسلام بصورة فجائية، أم أنه كان حصيلة تفكير طويل وعميق؟ فأجبتها بأنه كان حصيلة تفكير طويل بالإسلام».. لم تناقشني بعدها في الأمر؛ فنحن كما ذكرت عائلة متسامحة معروفة بتدينها، وقانعة بأن كل ما نملكه هو نعمة من الله تعالى، لذلك كنا شاكرين له عزّ وجلّ.. الشاهد على ذلك أننا نشارك بفعالية في المؤسسات والأعمال الخيرية، فقد أرسلنا أدوية إلى البلدان الأفريقية الفقيرة عبر طائرات خاصة كما التزمت طائرتنا تقديم المساعدات إلى المصابين أثناء حرب البوسنة.. ولمَ لا نفعل ذلك وقد شهدنا في الماضي فقرًا مدقعًا مذلًّا، وتعودنا آنذاك على العيش في منزل بالكاد تبلغ مساحته بضعة أمتار مربعة.

هذا ما كان من أمر أمي أما بالنسبة إلى أختي نجمة البوب «جانيت» فقد كان الأمر جدّ مختلف.. لقد تفاجأت تمامًا باعتناقي المفاجئ للإسلام.. في بادئ الأمر انتابها القلق.. كان أشد ما يزعجها في الإسلام ما سمعت عنه من تعدد الزوجات.. فأوضحت لها الحكمة من ذلك كما قارنت لها إيجابيات تعدد الزوجات في المجتمع الإسلامي بسلبيات واقع المجتمع الأمريكي الذي يعاني العلاقات الجنسية غير الشرعية والخيانة الزوجية شديدة الانتشار، كما أشرت لها إلى حقيقة أن الرجل الغربي المتزوج يمارس تعددًا في المعاشرة الجنسية شديد الضرر فهو يضاجع العديد من النساء خارج إطار العلاقة الزوجية، الأمر الذي يؤدي إلى دمار أخلاقي يتسبب في انهيار

المجتمع، في المقابل يصون الإسلام البنية الاجتماعية من هذا الضرر بإباحته لتعدد الزوجات وتحريمه للمعاشرة التي تتم خارج إطار الزوجية.. أكثر من هذا أخبرتها أن الإسلام وضع الكثير من الشروط للزواج بامرأة ثانية، من بينها العدل بين الزوجات ولا أظن أن مسلمًا عاديًّا بوسعه أن يتحمّل عبء تلك الشروط المالية المكلفة، بالتالي فإن نسبة المسلمين في العالم الإسلامي الذين لديهم أكثر من زوجة بالكاد تصل إلى واحد في المئة.

ونختتم هذه القصة بحديث محمد عبدالعزيز جاكسون عن أسرته الصغيرة والذي قال فيه: لديّ ابنتان وسبعة أبناء.. بحمد الله كلهم يشبهونني في التوجه الإسلامي، أما زوجتي فما زالت تدرس الإسلام، وهي تصر على أن تزور المملكة العربية السعودية.. أنا شديد الثقة بأنها ستعتنق الإسلام قريبًا بمشيئة الله.. أسأل الله القدير أن يثبتنا على دين الإسلام.. دين الحق.

وأنت يا من تبحث عن الحق.. ادرس الإسلام.. تأمله عن قرب..

تخلص من أي دعاية مغرضة.. هدفها التشويه..

كن موضوعيًّا.. فالمصلحة مصلحتك أنت.. والخير لك أنت..

كن ذكيًّا في بحثك عن الخير لك..

والذكي من يتعلم من تجارب الآخرين..

خاصة إذا كان الآخرون من أعلى الناس مرتبة وأشهرهم عند الناس..

هؤلاء لا يؤمنون إلا بعد دراسة وتأنٍ.. لأن لإسلامهم تأثيرًا غير محدود في كل شيء..

ولكن.. لن تؤمن بالدراسة.. لن تؤمن بالذكاء..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (1) - (9) - (10) - (30)

المحادثة الأولى

الأذان.. صوت الحق.. يصدح في أرجاء الروح قبل الأرض..

إنه دعوة إلى الاتصال بالله.. خمسة اتصالات يوميًا..

كلمات الدعوة إلى الاتصال تلخص الإيمان بالله.. التوحيد..

لذا.. كثيرون أولئك الذين دخلوا الإسلام متأثرين بصوت الأذان، في اليقظة أو في المنام.. ومن بين هؤلاء بطلة قصتنا الصينية «س. س. لاي» التي بدأت أولى خطوات العملية نحو الإسلام بعد صوت أذان مدوٍّ سمعته في منامها، فتحركت صوبه، فكانت استجابتها لذلك الصوت في منامها استجابة في يقظتها أيضًا، حيث أيقظ فيها الرغبة للبحث عن الإسلام.

تروي لنا لاي قصتها في الفقرات التالية فتقول:

أنا صينية الأصل أؤمن ككل أفراد عائلتي بعبادة الأوثان والموتى من الجدود.. وخلال فترة طفولتي تعلمت أن هنالك الكثير من الآلهة.. كنت أتحمس كثيرًا عندما أذهب بصحبة جدّي إلى المعبد لكي نعبد الآلهة.

في الحقيقة، الأمر الذي كان يجذبني إلى تلك الآلهة آنذاك -في فترة طفولتي- وجود الكثير من الأطعمة.. لقد كنت أحسب أن مذاق الطعام أطيب داخل المعبد لأنه قدم تعبدًا للآلهة أو الأصنام التي كانت تبدو أمام عيني الصغيرتين كائنات عظيمة وقوية.. بحق لقد كان يحيرني منظرها الشديد الغموض، فبعضها كان يشعرني بالخوف، وبعضها الآخر كان يبهرني بجماله، وإلى غير ذلك من المشاعر المتضاربة التي كانت تنتابني وأنا أنظر إليها.

في أحد الأيام حرقنا ورقة نقدية، وشرعنا في عبادة آلهتنا مستخدمين في ذلك بعض عيدان البخور جنبًا إلى جنب مع الصمت الذي كنا نلتزمه ونحن نراقب ما كنا نفعله من طقوس.

في الواقع كان لذلك الجو تأثير كبير في عقلي الغض الصغير، وكثيرًا ما كنت آمل أن أعرف كيفية نطق الكلمات التي كان يقولها جدّي لتلك الأوثان كما كنت أتمنى أن أعرف الأسرار والحيل التي كان يستخدمها مع تلك «الحجارة السحرية».

لقد جئت من بلد «مسلم» هو بروناي، وكنت أرتاد مدرسة معظم طلابها مسلمون، وما أذكره

جيّدًا ذلك اليوم الذي أحضر فيه أحد الأصدقاء قصة فكاهية مصورة تظهر عقاب نار جهنم.. لم أكن أفهم آنذاك مغزى تلك الصور وإن فهمته لاحقًا.

المدهش أن رحلتي إلى الإسلام بدأت في أحد دروس الجغرافيا.. لقد طُرح علينا آنذاك السؤال التالي: «كيف نستطيع الوقوف جميعًا فوق سطح الأرض، والمشي فوقها دون أن نقذف خارجًا إلى الفضاء المظلم؟»، عدت في ذلك اليوم إلى المنزل تتقدمني جيوش من الحيرة.. سألت عمّي عن ذلك الأمر فنصحني بأن أحرص على طرح سؤال «لماذا» على الدوام.. وعملًا بنصيحة عمي لم أتوقف منذ ذلك اليوم عن طرح: السؤال «لماذا».

في عام 1988م حصلت على منحة دراسية بالمملكة المتحدة وهو أمر كنت أتمناه من كل قلبي وعملت لأجله طويلًا بجد ومثابرة.. وكنت أطمح إلى أن أكون طبيبة وثرية حتى يفخر بي والدي كثيرًا.. وهو أمر يعزى إلى شيء رهيب عالق بذاكرتي: شعوري بالعجز وأنا جالسة على مقربة من سرير موت جدتي التي كنت وما زلت أحبها كثيرًا.. لقد كنت يومها أنظر إليها في جزع حتى لفظت نفسها الأخير وأنا غير قادرة على أن أفعل لها شيئًا.

درست في كلية للبنات.. لم أكن أعرف شيئًا عن الإسلام -برغم كثرة أصدقائي من المسلمين- سوى أن المسلمين لا يأكلون لحم الخنزير، ويصومون رمضان.

وفي إحدى الليالي رأيت في منامي وكأني أسمع صوت أذان مدويًا، فتحركت صوب ذلك الصوت.. ووقفت أمام بوابة كبيرة بها كتابة باللغة العربية لم أفهمها بيد أنني أحسست إحساسًا عميقًا بالسكينة والسلام.. كان المكان مضاءً بالأنوار، وكان هناك أشخاص يرتدون الأبيض من الثياب ويصلون.. لقد كان شعوري آنذاك شعورًا عظيمًا أعجز عن التعبير عنه بالكلمات. وفي اليوم التالي سألت صديقة مسلمة عن معنى ذلك الحلم.. أجابتني بأنه «حدس» من الله.

تلك المحادثة مع صديقتي الماليزية المسلمة، كانت المحادثة الأولى في حياتي التي لها علاقة بالإسلام، فمن خلالها كسرت حاجز صمت ظللت أعانيه فترة طويلة؛ إذ على الرغم من أنني كثيرة السؤال، عملًا بنصيحة عمي، فقد كنت أتجنب أي سؤال له علاقة بالإسلام.. وبحمد الله تغيّر حالي؛ إذ أصبحت أطرح الكثير من الأسئلة عن الإسلام، وهي أسئلة ملحة ظلت تراودني لسنين طويلة دون أن أبوح بها لأحد وذلك لأنني كنت أحس بأن المسلمين سيئون ومضطهدون لغيرهم.

في تلك السنة عدت إلى بروناي وقلت لأفراد عائلتي أنا أحتاج إلى عام من الراحة، لأن ذهني مشوش وعاجز عن التركيز على هدفي الذي كنت أصبو إليه.. قلت لهم ذلك لإحساسي بأن هنالك أمرًا أكثر أهمية من أي شيء آخر عملت لأجله السنين الطوال.. بالطبع لم تستجب عائلتي لطلبي..

وظلت تحيط بي تلك الحالة الملحة من التفكير.. لقد كنت أبكي ليلًا ونهارًا لأنني ظللت أسمع تردد صوت الأذان في رأسي إلى درجة أن أعز صديقاتي انتابها الإحساس بأنني وصلت إلى حالة من الجنون وهو الإحساس ذاته الذي انتابني.

بدأت أقترب أكثر من الإسلام عندما رأيت الجانب العملي فيه (كالصلاة، والصيام والسلوك السوي).. كان ذلك مع صديقة طفولتي التي تعلمت منها الكثير، وأكثر ما تعلمته منها السلوك القويم.. فدخلت في تجربة مع الصيام، وحاولت أيضًا أن أتناول الطعام الحلال خلال عامين أو ثلاثة قبل اعتناقي الإسلام.

أما نقطة التحول الكبرى في حياتي فكانت حينما رفضت جميع كليات الطب أن أدرس فيها.. لذت حينذاك بأسماء الله الحسنى.. وقطعت وعدًا لله أنني سأعتنق الإسلام إن تم قبولي في واحدة من كليات الطب.. واستجاب الله لرغبتي وتم قبولي بكلية سبق أن رفض قبولي بها فلم يكن أمامي غير أن أحمد الله تعالى وأشكره ليس فقط على قبولي بكلية الطب وإنما أيضًا على اعتناقي الإسلام ويا لها من نعمة عظيمة.

فسبحان من يفرح بإيمان عباده ويوفر لهم أسبابه.. رحمة بهم وحبًّا لهم..

غني هو عن إيمان من في الأرض جميعًا.. فلو آمنوا ما زاد في ملكه شيء..

ولو كفروا وكذبوا ما نقص من ملكه شيء..

المؤمنون هم الرابحون.. فاحرصوا على ربح الدنيا والآخرة..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (10)

ذات الخمار

عندما تدافع عن إيمانك.. عقيدتك.. ثق بدعم الله لك.. ستفاجئك قدراتك!!

عندما يحتشد أمامك المكذبون بما تؤمن.. لا تتزعزع.. مجرد ثقتك بهزيمتهم ستهزمهم..

الله.. لا يريد منك النصر.. هو من سينتصر.. «إن الله يدافع عن الذين آمنوا»..

هو يريد منك فقط صدق توجهك لنصرة إيمانك.. أما النصر نفسه فمن الله..

بطلة قصتنا.. شابة صغيرة.. تسلحت بالحشمة والحجاب في زمن العري.. تسلحت بدينها!!

فوفقًا لدراسات علمية حول محتوى الشبكة العنكبوتية، تبيّن أن عدد المواقع الإباحية عدد مهول بصورة مفرطة وكارثية، فهذه المواقع مع كثرتها تحرص على تقديم مواد إباحية جديدة للمستخدمين على رأس كل ثانية، ونتيجة لذلك نجدها تطلق آلاف الصفحات الجديدة يوميًّا. ووفق إحصاءات نشرتها شركة Optenet لتصنيف مواقع الإنترنت، فإن 37% من حجم شبكة الإنترنت يتكوّن من مواد إباحية! وتقول دراسة في مجلة «إكستريم تك» للتكنولوجيا إن المواقع الإباحية تنتج نحو 30% من حجم حركة المستخدمين الإجمالية على الإنترنت.

هذه النسب المخيفة تعكس لنا بصورة جليّة إلى أي مدى انحطت البشرية أخلاقيًّا حتى فاقت مملكة الحيوان في الانحطاط! والأدهى والأمرّ أن رسائل هذه المواقع تستهدف المسلمين، لأن من يديرون شبكات الدعارة الإلكترونية لا يريدون أن تكون للمسلمين فضيلة أخلاقية على بني جلدتهم، ولا يريدون لهم التميز عنهم بالطهر والعفاف، بل يريدون إشاعة الشهوات المحرّمة.

إن وسائل الاتصال الجماهيري العالمية -خاصة الغربية- تلعب أدوارًا خطيرة جدًّا في تعزيزها لصورة ذهنية مشوّهة كوّنتها عن الإسلام وفي إشاعتها للفاحشة وتزيينها للمنكرات وسط أبناء الأمة المسلمة، حتى يصبحوا مسلوبي الإرادة بعيدين عن دينهم.. ففي الأفلام التلفزيونية التي تدخل كل بيت ويشاهدها جميع أفراد الأسرة في جلسات مشاهدة مفتوحة تصاغ الحبكة القصصية بصورة تجعل المشاهد يتعاطف مع العشيق ضد الزوج.. أما ما يشاهد في الخفاء عبر الشبكة العنكبوتية فهو أمر مدمّر رهيب يجل على الوصف.

والنتائج التي يصدرها سنويًّا محرك بحث جوجل الأكثر شهرة بين محركات البحث الموجودة على شبكات الإنترنت، تشير إلى أن الكلمات المفتاحية الإباحية تتصدر قائمة الكلمات الأكثر

بحثًا على جوجل في بعض الدول العربية! وبالتالي لا غرابة في أن ينظم أعداء الإسلام الحملات الإعلامية للطعن في الحجاب، واتهام أهله بالتخلّف والرجعية، بل وربطه بالتطرّف! وهم يريدون من وراء معركة الحجاب عزل الإسلام والمسلمين عن دينهم، لأن الحجاب عفّة وطهر وهويّة ودعوة صامتة إلى الإسلام.

من خلال هذه القصّة الواقعية سوف نرى كيف يمكن لهذا الحجاب أن يكون دعوة صامتة إلى دين الإسلام.. وكيف استطاع خمار وضعته طالبة مسلمة على رأسها في إحدى الجامعات الأمريكية أن يكون سببًا في إسلام سبعة من الأساتذة والطلاب!

يروي لنا هذه القصة الأستاذ الجامعي الأمريكي أكويا الذي تسمّى بعد إسلامه باسم (مُحمَّد): قبل عدة سنوات، ثارت عندنا بالجامعة زوبعة كبيرة، حيث التحقت بالدراسة طالبة أمريكية مسلمة، وكانت محجبة، وقد كان من بين مدرسيها رجل متعصب يبغض الإسلام ويتصدى لكل من لا يهاجمه، فكيف بمن يعتنقه ويظهر شعائره للعيان؟! وكان هذا الرجل يحاول استثارتها كلما وجد فرصة سانحة للنيل من الإسلام. وشنّ عليها حربًا شعواء، ولكنها قابلت هي الموضوع بهدوء وهو ما زاد من غيظه منها، فبدأ يحاربها عبر طريق آخر، حيث الترصد لها بالدرجات، وإلقاء المهام الصعبة في الأبحاث، والتشديد عليها بالنتائج، ولما عجزت المسكينة أن تجد لها مخرجًا تقدّمت بشكوى إلى مدير الجامعة مطالبة فيها النظر إلى موضوعها.

وكان قرار الإدارة أن يتم عقد اجتماع بين الطرفين المذكورين الدكتور والطالبة لسماع وجهتي نظرهما والبتّ في الشكوى. ولما جاء الموعد المحدد حضر أغلب أعضاء هيئة التدريس، وكنا متحمسين جدًّا لحضور هذه الجولة التي تعتبر الأولى من نوعها عندنا في الجامعة.

بدأت الجلسة التي ذكرت فيها الطالبة أن المدرس يبغض ديانتها، ولأجل هذا يهضم حقوقها العلمية، وذكرت أمثلة عديدة لهذا، وطلبت الاستماع لرأي بعض الطلبة الذين يدرسون معها، وكان من بينهم من تعاطف معها وشهد لها، ولم يمنعهم اختلاف الديانة أن يدلوا بشهادة طيبة بحقها. حاول الدكتور على إثر هذا أن يدافع عن نفسه، واستمر بالحديث فخاض بسبّ دينها. فقامت الطالبة تدافع عن الإسلام. لقد أدلت بمعلومات كثيرة عنه، وكان لحديثها قدرة على جذبنا، حتى أننا كنا نقاطعها فنسألها عمّا يعترضنا من استفسارات فتجيب. فلما رآنا الدكتور المعني مشغولين بالاستماع لها والنقاش معها خرج من القاعة غاضبًا، فقد تضايق من اهتمامنا وتفاعلنا فذهب هو ومن لا يرون أهمية للموضوع.

يقول الدكتور محمد أكويا: بقينا نحن مجموعة من المهتمين نتجاذب أطراف الحديث، وفي نهايته قامت الطالبة بتوزيع ورقتين علينا كتب فيهما تحت عنوان «ماذا يعني لي الإسلام؟» الدوافع

التي دعتها إلى اعتناق هذا الدين العظيم، ثم بيّنت ما للحجاب من أهمية وأثر. وشرحت مشاعرها الفيّاضة صوب هذا الجلباب وغطاء الرأس الذي ترتديه، والذي تسبب بكل هذه الزوبعة.

لقد كان موقفها عظيمًا، ولأن الجلسة لم تنته بقرار لأي طرف، فقد قالت إنها سوف تدافع عن حقها، وتناضل من أجله، ووعدت إن لم تظفر بنتيجة لمصلحتها أن تبذل المزيد حتى لو اضطرت لمتابعة القضية وتأخير الدراسة نوعًا ما، لقد كان موقفًا قويًا، ولم نكن أعضاء هيئة التدريس نتوقع أن تكون الطالبة بهذا المستوى من الثبات من أجل المحافظة على مبدئها.

يختتم الدكتور محمد أكويا حديثه بالقول: كم أذهلنا صمودها أمام هذا العدد من المدرسين والطلبة، وبقيت هذه القضية يدور حولها النقاش داخل أروقة الجامعة. أما أنا فقد بدأ الصراع يدور في نفسي من أجل تغيير الديانة، فما عرفته عن الإسلام حبّبني فيه كثيرًا، ورغّبني في اعتناقه، وبعد عدة أشهر أعلنت إسلامي، وتبعني دكتور ثانٍ وثالث في العام نفسه، كما أن هناك أربعة طلاب أسلموا. وهكذا في غضون فترة بسيطة أصبحنا مجموعة لنا جهود دعوية في التعريف بالإسلام والدعوة إليه، وهناك الآن عدد من الأشخاص في طور التفكير الجاد، وعمّا قريب إن شاء الله ينشر خبر إسلامهم داخل أروقة الجامعة.. والحمدلله وحده.

لقد استطاعت هذه الطالبة الجامعية المسلمة أن تدخل عددًا من الأساتذة والطلاب في دين الله بينما كانت تدافع عن نفسها ودينها لا لشيء إلا أنهم عرفوا عن هذا الدين العظيم ما لم يكونوا يعرفونه بسبب تضليلهم من قبل أعداء الإسلام الذين كانوا يحرصون كل الحرص على أن يعرف أهل الغرب عن الإسلام ما كانوا يريدون لهم أن يعرفوه.. فكيف يكون الحال لو تحول كل مسلم ومسلمة إلى داعية لدين الله من خلال سلوكه ومظهره؟!

حينها سيدخل الباحثون عن الحق في دين الله أفواجًا..

حينها سينتشر النور ويرتفع الظلام من حياة البشر..

ولكن.. هل ينتظر غير المسلم حتى يفيق المسلمون؟!

حتى يحملوا أمانة الدعوة؟! بالقول والفعل؟!!

لا.. فالعمر لحظة.. قد تأتي والمسلمون لم يفيقوا بعد.. ولم ينتبهوا للأمانة..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (5) - (29) - (30) - (92)

كلمة السر

مهما اجتهد الدعاة المسلمون في الدعوة إلى الإسلام..

لن يصل تأثيرهم كما يصل تأثير إسلام كبار علماء الديانات الأخرى..

إسلامهم في حدّ ذاته دليل على أن الدين عند الله الإسلام..

كيف لا وقد أسلم من هم منوط بهم معاداة الإسلام؟!!

فيكونون كمن يحفر ليهدم.. فإذا به يكتشف الكنز الثمين!!

هكذا كان حال بطل قصتنا.. وهكذا وجد الكنز..

رجل مهيب في قومه، وله مكانته الأدبية والعلمية المرموقة وسط النصارى، هيّأ له الله سبحانه وتعالى مواقف عظيمة أحدثت تغييرًا جذريًّا في كيمياء نفسه فانقلب رأسًا على عقب! فبينما هو جالس على كرسي الاعتراف أتته امرأة متأزّمة ترجو الخلاص من خطاياها فرفع الصليب في وجهها فتنزلت أمام وجهه سورة الإخلاص لتحوّله من مخلّص مزعوم يأتيه الجاهلون إلى طالب للخلاص لنفسه يرجو رحمة الله! فتح يومًا الباب على كبير الرهبان فتفاجأ به قائمًا يصلي الفجر كما هو ديدن المسلمين؛ فانفتح باب في قلبه ينشد النور!! أراد فتح باب الكابينة رقم 14 في الباخرة ولم يدر بخلده أنه يفتح بابًا جديدًا في قلبه حتى رأى عبد المسيح قائمًا يصلي صلاة المسلمين!! زبدة المواقف أنه أسلم وجهه لله فأسلم!!

يا ترى من هو صاحب هذه المواقف العظيمة التي تذيب الحديد وتلين الصخور؟!

إنه القس السابق إسحاق هلال مسيحة.. رئيس لجان التنصير بأفريقيا سابقًا، وراعي كنيسة المثال المسيحي والرئيس الفخري لجمعيات خلاص النفوس المصرية بأفريقيا وغرب آسيا، وهو يروي لنا قصة هدايته فيقول: ولدت في قرية البياضية مركز ملوي محافظة المنيا من والدين نصرانيين أرثوذكس، زرعا في نفوسنا -ونحن صغار- الحقد ضد الإسلام والمسلمين. وحين بدأت أدرس حياة الأنبياء بدأ الصراع الفكري في داخلي وكانت أسئلتي تثير المشاكل في أوساط الطلبة ما جعل البابا (شنودة)، الذي تولّى بعد وفاة البابا (كيربس)، يصدر قرارًا بتعييني قسيسًا قبل موعد التنصيب بعامين كاملين -لإغرائي وإسكاتي، فقد كانوا يشعرون بمناصرتي للإسلام- مع أنه كان مقررًا ألا يتم التنصيب إلا بعد مرور 9 سنوات من بداية الدراسة اللاهوتية.

ثم عيّنت رئيسًا لكنيسة المثال المسيحي بسوهاج ورئيسًا فخريًّا لجمعيّات خلاص النفوس المصريّة (وهي جمعيّة تنصيريّة قويّة جدًّا ولها جذور في كثير من البلدان العربية وبالأخص دول الخليج)، وكان البابا يغدق عليّ الأموال حتّى لا أعود لمناقشة مثل تلك الأفكار، لكنّي مع هذا كنت حريصًا على معرفة حقيقة الإسلام، وبدأت أدرس وأقرأ عن الإسلام.

وطُلب منّي إعداد رسالة الماجستير حول مقارنة الأديان وأشرف على الرسالة أسقف البحث العلمي في مصر، واستغرقت في إعدادها أربع سنوات وكان المشرف يعترض على ما جاء في الرسالة حول صدق نبوة الرسول مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم- وأميّته وتبشير المسيح بمجيئه. وأخيرًا تمّت مناقشة الرّسالة في الكنيسة الإنكليكيّة بالقاهرة واستغرقت المناقشة تسع ساعات وتركزت حول قضيّة النّبوّة والنّبي -صلى الله عليه وسلّم- علمًا بأن الآيات صريحة في الإشارة إلى نبوّته وختم النّبوّة به. وفي النهاية صدر قرار البابا بسحب الرسالة منّي وعدم الاعتراف بها. أخذت أفكر في أمر الإسلام تفكيرًا عميقًا، ولكن لم أكن أستطيع الحصول على الكتب الإسلامية فقد شدّد البابا الحراسة عليّ وعلى مكتبتي الخاصّة.

وفي اليوم السادس من الشهر الثامن من عام 1978م كنت ذاهبًا لإحياء مولد العذراء بالإسكندريّة، فأخذت قطار الساعة الثالثة وعشر دقائق الذي يتحرك من محطة أسيوط متجهًا إلى القاهرة، وبعد وصول القطار زهاء الساعة التاسعة والنصف تقريبًا ركبت الحافلة من محطة العتبة رقم 64 المتجهة إلى العباسيّة وأثناء ركوبي في الحافلة بملابسي الكهنوتية وصليب يزن ربع كيلو من الذهب الخالص، وعصاي الكرير، صعد صبيّ في الحادية عشرة من عمره تقريبًا، يبيع كتيبات صغيرة فوزعها على كلّ الركّاب باستثنائي!! وهنا صار في نفسي هاجس.. لمَ كل الركاب إلا أنا؟! فقلت له: «يا بنيّ لماذا أعطيت الجميع بالحافلة إلا أنا». فقال: «لا يا أبونا أنت قسيس»!! وهنا شعرت وكأنّني لست أهلًا لحمل هذه الكتيّبات مع صغر حجمها. ألححت عليه ليبيعني منها فقال: «لا دي كتب إسلاميّة» ونزل، وبنزول هذا الصّبي من الحافلة شعرت وكأنّني جائع وفي هذه الكتب شبعي، وكأنّني عطشان وفيها شُربي!!

نزلت خلفه فجرى خائفًا منّي فنسيت من أنا وجريت وراءه حتّى أدركته وحصلت منه على كتابين. وعندما وصلت إلى الكنيسة الكبرى بالعبّاسيّة (الكاتدرائيّة المرقسيّة) ودخلت إلى غرفة النّوم المخصّصة للمدعوّين رسميًّا كنت مرهقًا من السفر، ولكن عندما أخرجت أحد الكتابين وهو «جزء عم» [الجزء الأخير من القرآن الكريم]، وفتحته وقع بصري على سورة الإخلاص فأيقظت عقلي وهزت كياني.. إنها كلمة السر! خمس عشرة كلمة فقط ولكنها تهدم العقيدة النصرانية من أساسها.. وبدأت أرددها حتى حفظتها وكنت أجد في قراءتها راحة نفسية واطمئنانًا قلبيًّا وسعادة روحية، وبينما أنا كذلك إذ دخل عليّ أحد القساوسة وناداني: «أبونا إسحاق»، فخرجت وأنا أصيح في وجهه: (قل هو الله أحد) دون شعور منّي!!

[قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)]

بعد ذلك ذهبت إلى الإسكندريّة لإحياء أسبوع مولد العذراء يوم الأحد أثناء صلاة القداس المعتادة، وفي فترة الراحة ذهبت إلى كرسي الاعتراف لكي أسمع اعترافات الشعب الجاهل الذي يؤمن بأن القسيس بيده غفران الخطايا. فجاءتني امرأة تعض أصابع الندم، فقالت: «إني انحرفت ثلاث مرات وأنا أمام قداستك الآن أعترف لك رجاء أن تغفر لي وأعاهدك ألا أعود لذلك أبدًا». ومن العادة المتبعة أن يقوم الكاهن برفع الصليب في وجه المعترف ويغفر له خطاياه!! وما كدت أرفع الصليب في وجهها لأغفر لها حتى وقع ذهني على العبارة القرآنية الجميلة (قل هو الله أحد) فعجز لساني عن النطق وبكيت بكاءً حارًّا وقلت: «هذه جاءت لتنال غفران خطاياها منّي، فمن يغفر لي أنا خطاياي يوم الحساب والعقاب»؟!

هنا أدركت أن هناك كبيرًا أكبر من كل كبير، إلهًا واحدًا لا معبود سواه. فذهبت على الفور للقاء الأسقف وقلت له: «أنا أغفر الخطايا لعامة الناس فمن يغفر لي خطاياي»؟! فأجاب دون اكتراث: «البابا»! فسألته: «ومن يغفر للبابا»؟! فانتفض ووقف صارخًا وقال: «أنت قسيس مجنون واللي أمر بتنصيبك مجنون حتّى وإن كان البابا، لأنّنا قلنا له لا تنصّبه لئلّا يفسد الشعب بإسلاميّاته وفكره المنحل»!! بعد ذلك صدر قرار البابا بحبسي في دير (ماري مينا) بوادي النطرون.

أخذوني معصوب العينين وهناك استقبلني الرهبان استقبالًا عجيبًا، وأذاقوني صنوف العذاب -علمًا بأنّني حتّى تلك اللحظة لم أسلم- وكل منهم يحمل عصا يضربني بها وهو يقول: «هذا ما يصنع ببائع دينه وكنيسته»! استعملوا معي كل أساليب التعذيب الذي لا تزال آثاره موجودةً على جسدي، حتّى أنّه وصلت بهم أخلاقهم إلى أن أمروني بأن أرعى الخنازير. وبعد ثلاثة أشهر أخذوني إلى كبير الرهبان لتأديبي دينيًّا وتقديم النصيحة لي فقال: «يا بنيّ إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملًا، اصبر واحتسب، ومن يتق الله يجعل له مخرجًا ويرزقه من حيث لا يحتسب»! قلت في نفسي ليس هذا الكلام من الكتاب المقدس ولا من أقوال القديسين!!

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا (30)) [سورة الكهف]

(.. وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (2) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.. (3)) [سورة الطلاق]

وما زلت في ذهولي بسبب هذا الكلام!! حتى رأيته يزيدني ذهولًا على ذهولي بقوله: «يا بنيّ نصيحتي لك السر والكتمان إلى أن يعلن الحق مهما طال الزمان»!! تُرى ماذا يعني بهذا الكلام وهو كبير الرهبان؟! ولم يطل بي الوقت حتى فهمت تفسير هذا الكلام المحيّر!! فقد دخلت عليه ذات صباح لأوقظه فتأخر في فتح الباب، فدفعته بقوة ودخلت، وكانت المفاجأة الكبرى التي كانت نورًا لهدايتي لهذا الدين الحق دين الوحدانيّة عندما شاهدت رجلًا كبيرًا في السنّ ذا لحية بيضاء وكان

في عامه الخامس والستّين تقريبًا، وإذا به قائمًا يصلي صلاة المسلمين (صلاة الفجر)!!

تسمرتُ في مكاني أمام هذا المشهد الذي رأيته، ولكنّي انتبهت بسرعة عندما خشيت أن يراه أحد من الرهبان فأغلقت الباب. فجاءني بعد ذلك وهو يقول: «يا بنيّ استر عليّ ربّنا يستر عليك»!! أنا منذ 23 سنة على هذه الحال غذائي القرآن وأنيس وحدتي توحيد الرحمن ومؤنس وحشتي عبادة الواحد القهّار الحقّ أحقّ أن يتّبع يا بنيّ»!

بعد أيّام صدر أمر البابا برجوعي إلى كنيستي بعد نقلي من سوهاج إلى أسيوط، لكن الأشياء التي حدثت مع سورة الإخلاص وكرسي الاعتراف، والراهب المتمسّك بإسلامه منذ 23 عامًا، تركت في نفسي أثرًا عميقًا، لكن ماذا أفعل وأنا محاصر من الأهل والأقارب وممنوع من الخروج من الكنيسة بأمر شنودة!! وبعد مرور عام جاءني خطاب يأمرني بالذهاب كرئيس للّجنة المغادرة إلى السودان في رحلة تنصيريّة، فذهبنا إلى السودان في الأوّل من سبتمبر 1979م، ومكثنا فيه ثلاثة أشهر، وحسب التعليمات البابويّة بأن كلّ من تقوم اللجنة بتنصيره يسلّم مبلغ 35 ألف جنيه مصريّ، بخلاف المساعدات العينيّة، فكانت حصيلة الذين غرّرت بهم اللجنة تحت ضغط الحاجة والحرمان أكثر من ثلاثين من منطقة واو في جنوب السودان.

وبعد أن سلّمتُهم أموال المنحة البابويّة اتّصلت بالبابا من مطرانيّة أم درمان [إحدى المدن الثلاث التي تتألّف منها العاصمة السودانية الخرطوم] فقال: «خذوهم ليروا المقدسات المسيحيّة بمصر (الأديرة)»، وتم إخراجهم من السودان على أساس عمّال بعقود للعمل بالأديرة لرعي الإبل والغنم والخنازير، وتم عمل عقود صوريّة حتّى تتمكّن لجنة التنصير من إخراجهم إلى مصر.

بعد نهاية الرحلة وأثناء رجوعنا إلى مصر بالباخرة عبر نهر النيل قمت أتفقّد المتنصرين الجدد، وعندما فتحت باب الكابينة 14 بالمفتاح الخاص بالطاقم العامل على الباخرة فوجئت بأن المتنصر الجديد عبد المسيح (وكان اسمه محمّد آدم) يصلّي صلاة المسلمين!! تحدّثت إليه فوجدته متمسّكًا بعقيدته الإسلاميّة فلم يغره المال ولم يؤثّر فيه بريق الدنيا الزائل!!

خرجت وبعد نحو الساعة أرسلت له أحد المنصّرين فحضر لي بالجناح رقم 3، وبعد أن خرج المنصّر قلت له: «يا عبد المسيح لماذا تصلّي صلاة المسلمين بعد تنصّرك»؟! فقال: «بعت لكم جسدي بأموالكم، أمّا قلبي وروحي وعقلي فملك لله الواحد القهّار، لا أبيعها بكنوز الدنيا كلها، وأنا أشهد أمامك بأن لا إله إلا الله وأنّ محمّدًا رسول الله»!

بعد هذه الأحداث التي أنارت لي طريق الإيمان وهدتني لأعتنق الدين الإسلامي وجدت صعوبات كثيرة في إشهار إسلامي نظرًا إلى أنّي قس كبير ورئيس لجنة التنصير في أفريقيا، وقد حاولوا منع ذلك بكل الطرق لأنه فضيحة كبيرة لهم. فذهبت إلى أكثر من مديريّة أمن لأشهر إسلامي وخوفًا

على الوحدة الوطنيّة أحضرتْ لي مديريّة الشرقيّة فريقًا من القساوسة والمطارنة للجلوس معي، وهو المتّبع بمصر لكل من يريد اعتناق الإسلام.

هدّدتني اللّجنة المكلّفة من أربعة قساوسة وثلاثة مطارنة بأنها ستأخذ كلّ أموالي وممتلكاتي المنقولة والمحمولة والموجودة في البنك الأهلي المصري فرعي سوهاج وأسيوط، التي كانت تقدّر بنحو أربعة ملايين جنيه مصريّ، وثلاثة محلات ذهب، وورشة لتصنيع الذهب بحارة اليهود، وعمارة مكوّنة من أحد عشر طابقًا، وهي العمارة رقم 499 شارع بور سعيد بالقاهرة، فتنازلت لهم عنها كلّها، فلا شيء يعدل لحظة الندم التي شعرت بها وأنا على كرسي الاعتراف.

بعدها ناصبتني الكنيسة العداء وأهدرت دمي فتعرضت لثلاث محاولات اغتيال من أخي وأولاد عمّي، فقاما بإطلاق النّار عليّ في القاهرة، وأصابوني في كليتي اليسرى، الّتي تم استئصالها في 1987/1/7م. وقد مررت بظروف صعبة بعد أن جرّدتني الكنيسة من كل شيء، وأفادت التقارير الطبّيّة احتياجي لعملية تجميل لحوض الكلية وتوسيع للحالب. ولأني لا أملك تكاليفها الكبيرة، أجريت لي أكثر من خمس عشرة عملية جراحيّة من بينها البروستاتا، ولم تنجح واحدة منها لأنها ليست العملية المطلوب إجراؤها حسب التقارير التي أحملها. ولما علم أبواي بإسلامي أقدما على الانتحار فأحرقا نفسيهما والله المستعان.

سبحان الله!! ضحى إسحاق برغد العيش والحياة المترفة وعرّض حياته لخطر الموت لا لشيء إلا لأنَّ علمه الذي تعلمه أصلًا لمحاربة الإسلام أوصله إلى الحقيقة العظمى فدخل الإسلام من أوسع أبوابه، وتذوق حلاوة الإيمان التي عرف معها كم كان فيما مضى يتجرع حنظلًا مريرًا مغلفًا بزهرة الحياة الدنيا ومسكرًا بطعم نعيمها الزائل.

فهل يتعظ المسيحيون بهذه القصة الواقعية ويدركون أنفسهم قبل أن يدركهم الموت؟!

هل يدركون أن الإسلام هو طوق نجاتهم من النار؟! وبطاقة عبورهم إلى الجنة؟!!

أنه الدين.. وحده الدين الذي ارتضاه للإنسان.. وأرسل به الأنبياء كلهم؟!

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (8) - (14) - (29) - (30) - (31)

مؤتمر الإيمان

العلم طريق الإيمان..

مقولة عظيمة.. إلا أنها خاطئة!!

فالطريق إلى الله لا يسير فيه الإنسان إلا بهدى من الله..

إنها فقط الأسباب.. والله مسخّر الأسباب..

مؤتمر علمي دولي.. يسّره الله لصاحبنا.. بطل قصتنا..

آلاف العلماء.. من كل دول العالم.. يجتمعون.. يناقشون..

يعرضون أوراقًا علمية أفنوا فيها السنين.. يسوقهم الله لإسلام عبد واحد..

إنه الله يا سادة.. يحرك نواميس الكون كلها لهداية عبد واحد.. خلقه وأحب هدايته..

بطل قصتنا عالم بريطاني.. بحوثه العلمية أدت إلى إعجابه بالدين الإسلامي.. مشاركته في مؤتمر دولي حول الإعجاز العلمي في القرآن مثلت علامة فارقة في حياته.. قدّم بحثين في ذلك المؤتمر.. أذهل المشاركين ببحثيه، بينما انبهر هو بالبحوث التي قدمها الآخرون.. توصل إلى قناعة تامة مفادها أن الإسلام هو دين الله القويم.. وفي الليلة الختامية للمؤتمر ووسط حشود من أجهزة الإعلام العالمية أذهل الجميع بإسلامه ونطق الشهادتين.. إنه العالم البريطاني البروفيسور آرثر أليسون رئيس قسم الهندسة الكهربائية والإلكترونية بجامعة لندن بطل هذه القصة.

في عام 1985م حضر البروفيسور آرثر أليسون إلى القاهرة بهدف المشاركة في أعمال المؤتمر الطبي الإسلامي الدولي حول الإعجاز العلمي في القرآن الكريم.. شارك ببحثين: أحدهما يبحث في أساليب العلاج النفسي والروحاني في ضوء القرآن الكريم، بينما الآخر يبحث في العلاقة بين النوم والموت في ضوء الآية القرآنية الكريمة: «**اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**» (الزمر: 42).

من يدقق في موضوع البحثين السابقين قد يعتقد أن البروفيسور «آرثر أليسون» مسلم، بل داعية إسلامي.. الحقيقة لم يكن قد اعتنق الإسلام بعد، وإنما كانت مشاعره تجاه الإسلام هي مشاعر الإعجاب به كدين لا أكثر من ذلك ولا أقل. وعقب إلقائه بحثيه جلس يشارك المؤتمرين

أعمال المؤتمر، ويستمع في انبهار إلى بقية البحوث التي تتعلق موضوعاتها بالإعجاز العلمي في القرآن الكريم في مختلف مناحي الحياة.. وظل انبهار البروفيسور «آرثر أليسون» يزداد مع كل بحث يتم تقديمه بينما كان يقينه بأن الإسلام هو الدين الحق يزداد في المقابل لأنه دين العلم ودين العقل على عكس الأديان المحرّفة التي كان يدين بها بنو جنسه.

أصابه الذهول وهو يرى أمامه حشدًا هائلًا من الحقائق القرآنية والنبوية التي تتحدث بدقة علمية متناهية عن مختلف المخلوقات والظواهر الكونية، والتي جاء العلم الحديث -بعد تطور تقنياته- مطابقًا لها.. أيقن تمامًا أن هذا القرآن لا يمكن له أن يكون من عند بشر.. كما تأكد من أن ما جاء به رسوله محمد -صلى الله عليه وسلّم- منذ أربعة عشر قرنًا من الزمان يؤكد أنه رسول الله الأمين.

على هامش جلسات المؤتمر أخذ البروفيسور آرثر أليسون يستفسر ويستوضح المؤتمرين -في نهم وشغف شديدين- عن كل ما يريد معرفته عن الإسلام كعقيدة ومنهج للحياة.

وفي الليلة الختامية للمؤتمر، وأمام مراسلي وكالات الأنباء العالمية، فاجأ البروفيسور آرثر أليسون الحاضرين بأن وقف ليعلن أمام الجميع إسلامه، مؤكدًا أن الإسلام هو دين الحق... وأنه دين الفطرة التي فطر الناس عليها.

ما إن أعلن أليسون إسلامه حتى ارتفعت تكبيرات المسلمين من حوله، بينما انهمرت دموع بعضهم خشوعًا ورهبة أمام هذا الموقف الجليل الذي تلين أمامه جلاميد الصخر فتتفجر بالمياه.

أخذ آرثر أليسون يروي قصته مع الإسلام فقال: كنت رئيسًا لجمعية الدراسات النفسية والروحية البريطانية لسنوات طويلة، ومن خلال اهتماماتي بعلم النفس، وعلم ما وراء النفس أردت أن أتعرّف الأديان، فدرستها كلها كعقائد، ومن بينها عقيدة الإسلام.. ومن خلال دراساتي توصلت إلى أن عقيدة الإسلام هي العقيدة التي تنسجم مع الفطرة السليمة التي ينشأ عليها الإنسان، كما وجدتها العقيدة التي تتسق مع العقل السوي، إذ ترى أن هناك إلهًا واحدًا لا شريك له مهيمنًا ومسيطرًا على هذا الوجود.. وأكثر من هذا وجدت أن الحقائق العلمية التي جاءت في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة من قبل أربعة عشر قرنًا في دقة وإحكام لم يتوصل إليها العلم إلا حديثًا، ما يؤكد أن هذا القرآن ليس من عند بشر وإنما هو كلام الله تعالى، وأن النبي محمدًا -صلى الله عليه وسلّم- هو رسول الله الأمين.

ثم تحدث آرثر أليسون عن جزئية من أحد بحثيه اللذين شارك بهما في المؤتمر، والتي تدور حول العلاقة بين حالة النوم والموت، حيث أثبت في بحثه أن القرآن الكريم يذكر أن الوفاة تعني الموت والنوم على السواء، وأن الفرق بين الاثنين يتمثل في أن الموت وفاة غير راجعة على

عكس النوم الذي هو وفاة راجعة... وقد ثبت ذلك في الدراسات الباراسيكولوجية والفحوص الإكلينيكية من خلال عمليات رسم المخ، ورسم القلب. فالنوم والموت عمليتان متشابهتان، تخرج فيهما النفس وتعود في حالة النوم بينما تخرج ولا تعود في حالة الموت.

وبذلك، يرى البروفيسور آرثر أليسون أن الحقائق العلمية في الإسلام هي أمثل وأفضل أسلوب للدعوة الإسلامية، ولا سيما للذين يحتجون بالعلم والعقل، ما جعله يعلن نيته إنشاء معهد للدراسات النفسية الإسلامية في لندن على ضوء القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، فضلًا عن الاهتمام بدراسات الإعجاز الطبي في القرآن، وذلك بغرض أن تصل تلك الحقائق إلى عقول أهل الغرب وقلوبهم الذين لا يعرفون شيئًا عن الإسلام سوى تلك الصورة الذهنية المشوّهة التي رسمها أعداؤه في أذهان الغربيين، كما وعد بإنشاء مكتبة إسلامية ضخمة باللغتين العربية والإنجليزية للمساعدة على إجراء البحوث العلمية على ضوء القرآن الكريم..

حقًّا.. «**إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ**»..

بروفيسور.. عرف الطريق.. فسار فيه..

فتح قلبه لنور الإيمان.. بالعلم..

اغتنم السبب.. فوصل إلى المسبب..

حينما يصدق الإنسان النية..

وحينما يرتقي بالروح ويسمو بالنفس..

تتفتح أمامه الحُجُب.. وينكشف عالم الحق..

حينها فقط.. ينعكس نور الإيمان على مرآة القلب السليم..

فيأتي الله بقلب سليم..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (11) - (18) - (29) - (30)

مبشّر الحرمين

هل فكرت يومًا في المصير المحبط الذي ينتظر من يبيع الماء في حارة السقائين؟

من المؤكد أنه سيشرب من بئر الإحباط حتى الثمالة!!

هكذا سيكون حاله حتى إن كان يعرض عليهم ماءً صالحًا..

فكيف يكون حاله إن كان يبيعهم ماءً فاسدًا وهم يمتلكون أجود ماء في الوجود؟!

هذا بالضبط ما حدث لبطل قصتنا إيفور إيويس المبشر النصراني الذي سوّلت له نفسه التبشير في أرض الحرمين حيث مهبط الوحي ومبعث الرسالة المحمدية!

ولد إيفور إيويس في سيريلانكا وترعرع في بيئة نصرانية حيث رباه أبوه على حب الكنيسة والعمل لها.. تلقَّى دراساته الدينية النصرانية على أيدي قساوسة تعلم منهم لمَ يُكنُّ العداء للإسلام والمسلمين وكيف.. دخل الجامعة لدراسة التجارة والاقتصاد جنبًا إلى جنب مع اضطلاعه بمهمة التنصير على مدرجات الجامعة وسط الطلاب المسلمين.

قدم إيفور اقتراحًا في الكنيسة مفاده التبشير بالنصرانية في بلاد المسلمين وبالتحديد في بلاد الحرمين!! أحدث هذا الاقتراح جدلًا واسعًا بين القساوسة الذين عارضوا الأمر بشدة، وحاولوا تخويفه بقولهم إن عقوبة مرتكب هذا الأمر الموت الزؤام؛ حيث يُقطع رأسه على مرأى من الناس.. أصر إيفور على تنفيذ اقتراحه مهما كان الثمن الذي سيدفعه مقابل ذلك، ودفعته إلى ذلك رغبته الملحّة في اكتشاف عالم المسلمين المجهول الذي لم يعرف عنه إلا ما قرأه في قصص ألف ليلة وليلة، هذا إلى جانب ما كان لديه من فضول لمعرفة علاقة الهلال بالمسلمين، فضلًا عن رغبته الملحاحة في معرفة مدى تقبل المسلمين لعقيدة التثليث.

يصرح إيفور بأن من الأمور التي زادت من عدم فهمه للإسلام دور الهلال في حياة المسلم، وهنا يقول: «كنت أسمع أن الهلال الذي يعد رمزًا للمسلمين مهمٌّ في حياتهم، وكثير ممن يشرح دور الهلال في حياة المسلم يشبهه بالصليب عند النصارى؛ فالمسلم يصوم إذا رأى الهلال، ويفطر إذا رآه مرة أخرى، ويصوم إذا اكتمل البدر، ويحدد مواقيت الحج بالهلال، ويوضع على المنابر في المساجد، ما جعلني أعتقد جهلًا أن الهلال هو المعبود وليس الله تعالى»!

ذهب إيفور إلى مكاتب التوظيف بحثًا عن وظيفة بالمملكة العربية السعودية فوجد وظيفة

مأمور مستودع في شركة عربية في بلاد الحرمين.. في فترة وجيزة وفي أوائل عام 1983م أنهى إجراءات السفر، واستقل الطائرة في طريقه لتنفيذ مخططه العجيب.. كان يأمل أن يمارس نشاط التنصير بأرض الحرمين لكي يرضي الكنيسة، ولكي يثبت للقساوسة مدى صحة فرضيته ومن ثم يزهو ويفتخر بقدراته الهائلة على الإقناع.

كان إيفور يعتقد أن المسلمين في أرض الحرمين يشبهون المسلمين في بلاده حيث التهاون في أداء العبادات وعدم التفريق بين الحلال والحرام.. لكنه اندهش بشدة حينما وجد أن هناك فرقًا شاسعًا بين المسلمين في بلاده سيريلانكا والمسلمين في أرض الحرمين فتوصل إلى قناعة تامة مفادها أن المهمة ليست بالسهولة التي كان يتصورها كما عرف السر الكامن وراء الخوف الشديد الذي يبديه سدنة الكنيسة وقساوستها من الإسلام.

تغيرت نظرة إيفور لدينه ودين قومه عندما رأى مظاهر الالتزام وسط المسلمين بدينهم الأمر الذي أفقده رغبته الجامحة والمستعرة للتنصير، ليس هذا فحسب بل أصبح ينظر للمسلمين نظرة إعجاب وتقدير مقابل نظرة احتقار لذاته ومعتقده ولقومه.. بدأ الشك يساوره مرة أخرى في النصرانية التي أحس بأنها بعيدة كل البعد عن الطريق المستقيم.

برغم نشاطه التبشيري المكثف ووصوله مرتبة كبير أساقفة الكنيسة فإنه لم يكن يشعر بالراحة النفسية حيث توصل إلى حقيقة أن النصرانية لم تشبع روحه التواقة لنور الحق فأخذ يبحث في غيرها من العقائد.. في البدء جرب الهندوسية لكنه لم يجد فيها ما كان يبحث عنه إذ وجدها تشتمل على أسرار وطقوس هلامية لا تستقيم مع صفاء النفس وتعلقها بالله.. جرب الشيوعية وقرأ كتبها ودرس مبادئها، لكنه وجدها كسابقتها لا تشفي حاجته الروحية.. أصابته الحيرة وشعر بالألم يخنق صدره ويعتصر قلبه..

تيقن من حقيقة أن العقيدة النصرانية لا تلبّي حاجة النفس ولا توازن بين الفرد والمجتمع، بل لا توازن بين الدنيا والآخرة؛ فأتباعها يعانون خواءً روحيًّا ونقصًا في الجانب العبادي، لأنهم لا يوحدون الله بالعبادة؛ ففي النصرانية أسرار لا يسمح للفرد العادي أن يعرفها، كما أن بها نظامًا طبقيًّا عجيبًا: فالسدنة أعلى مرتبة من القساوسة، وهؤلاء الأخيرين يختلفون عن العامة من أفراد الطائفة النصرانية. بالتالي تجد أن النصراني في خضم هذا المشروع الطبقي المريع ينسى ربه ويتعلق بالقسيس أملًا في صفح ومغفرة لا يمكن الحصول عليهما إلا عبره لأنه هو الذي يصفح، ويغفر؛ لا لشيء إلا لأنه هو الوسيط بين الله وعباده!!

لقد فقد إيفور الثقة بالعقيدة النصرانية تمامًا عندما رأى الإسلام على حقيقته في بلاد الحرمين مهبط الوحي.. ومن الأشياء التي لفتت انتباه إيغور مدى تعظيم المسلمين للقرآن الكريم

وملاحظته أنهم لا يلمسونه إلا إذا كانوا متطهرين، ولا يسمحون لغير المسلم بلمسه فضلًا عن قراءته، كما وجدهم يطبقون بعض الأحكام عند قراءة القرآن، بل لاحظ أنهم يحسنون أصواتهم عند قراءته، ويشعرون بأنهم يعظمون الله تعالى ويتعبدونه بتلاوته.. في المقابل تذكر أنهم في النصرانية لا يتعاملون مع الإنجيل بذات القدر الذي يفعله المسلمون مع القرآن حيث كانوا لا يقيمون لهذه الأحكام وزنًا، كما أنه لا يهمّهم من يقرأ الإنجيل، بل لا يقيمون له قداسة ولا تعظيمًا؛ إذ يمكنهم أن يأخذوه إلى المرحاض كما أنهم يهجرونه، ولا يؤمنون بمعظم ما فيه.

انبهر إيفور بتعظيم المسلمين للقرآن الكريم فشعر برغبة شديدة في قراءته والبحث في مضمونه عساه يجد فيه بعضًا من المتناقضات التي ينضح بها الكتاب المقدس.. لم يعثر على نسخة مترجمة للقرآن، ولم يجد من يعيره نسخته؛ فهو في نظرهم كافر لا يجوز له أن يلمس القرآن.. مضت أيام وهو على هذه الحالة لديه رغبة شديدة في قراءة القرآن الكريم وصعوبة أشد في الحصول على نسخة مترجمة منه.

وفي إحدى الليالي دعاه مهندس باكستاني لتناول طعام العشاء في منزله؛ فقد كانت آخر ليلة له في مدينة المجمعة السعودية؛ إذ كان سيسافر في صبيحة اليوم التالي إلى أهله بصورة نهائية.. وأثناء تناولهم للعشاء لمح إيغور نسخة مترجمة لمعاني القرآن إلى الإنجليزية فطلب من المهندس الباكستاني أن يعيره إياها، ففعل.. لم يصدق بطل قصتنا حقيقة أنه حصل على ضالته المنشودة فكاد يطير من الفرح حتى لم تعد له شهية في الأكل أو الشرب، فقط كان يريد في إلحاح أن يتصفح القرآن، ويعرف ما فيه.. في تلك اللحظة بدأت فكرة البحث عن المتناقضات تعاوده مرة أخرى، وبدأ الشيطان يعده ويمنيه بدنو حصوله عليها.

خرج إيغور من منزل المهندس على عجل وذهب إلى بيته.. وما أن دخل غرفته حتى سارع في قراءة النسخة المترجمة للقرآن بلهفة.. شعر بقشعريرة في جسمه عندما وجد أن أول ما قرأه: (بسم الله الرحمن الرحيم).. فهو قرأ كل الكتب المقدسة من الإنجيل إلى التوراة إلى كتب الأديان الأخرى ولكنه لم يجد كتابًا غير القرآن يبدأ باسم الله.. يقول بطل قصتنا إن للبسملة معنى استقر في قلبه؛ فهذه أول مرة في حياته يقرأ البسملة فتركت هذه القراءة في نفسه أثرًا عجيبًا، ودفعته إلى أن يقرأ القرآن بتمعن صادق وقلب مفتوح.

عندما قرأ سورة الفاتحة فُتح قلبه على مصراعيه إذ وجدها تتحدث عن ذات ما قاله عيسى -عليه السلام- لأصحابه عندما أرادوا أن يعرفوا كيف يحيُّون الإله، فقال لهم أن يحمدوه ويمجدوه ويدعوه.. شعر بالنور ينساب إلى داخل قلبه منه وتسرب إلى بقية جوانحه، فأضاءها بفيض جعله يتذوق طعم السعادة والإيمان لأول مرة في حياته كيف لا وهو يقرأ كلام الله تعالى.

انتقل بعدها إلى قراءة سورة البقرة.. انبهر بالآيتين الأولى والثانية اللتين وجد معناهما في كل الكتب المقدسة التي قرأها: (**الم * ذَلِكَ الكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**) (البقرة: 1-2) .. الفرق المدهش أن معناهما كان يأتي في ختام تلك الكتب عقب انتهاء المقاطع والتعاليم الدينية والقصص والمواعظ أما في هذا الكتاب فوجد هذا المعنى الكريم يأتي في أول القرآن ليعلن للعالمين أن هذا الكتاب العظيم لا ريب ولا نقص فيه! من يملك مثل هذه الثقة غير الله الواحد الأحد؟!!

عندما وصل في قراءته إلى الآية الرابعة من سورة البقرة: (**وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ**) (البقرة: 4)، تزلزل ما بقي في قلبه من شك، إذ أزالت هذه الآية كل ما فيه من تساؤلات.. بل جعلت قلبه وعقله ينفتحان على مصراعيهما ويعترفان بأن هذا الدين حق، وأن الذي أنزل القرآن هو المعبود المستحق للعبادة وحده بلا شريك.. توصل إلى ضرورة الإسراع بممارسة العبادة الصحيحة.. تذكر قول المسيح -عليه السلام- إنه سيأتي بعدي من يقودكم إلى الحق والهدى؛ قال في نفسه: إذًا هذا هو الحق والهدى الذي بشر به عيسى -عليه السلام-. قال في نفسه: أنا الآن مسلم، دون أن يعرف ذلك سواي أحد سوى الله تعالى، بالتالي عليَّ أن أصلي وأمارس الإسلام، ولكن يجب عليّ أن أتطهر قبل الصلاة، ولكنني لا أعرف كيف يتطهر المسلمون؟

عندما دخل وقت أول صلاة بعد اعتناقه الإسلام الذي لا يعلم به سواه غير الله تعالى، وما أن سمع المؤذن ينادي للصلاة حتى قام بخلع ملابسه كلها وغسل جسده ثم دخل المسجد لأول مرة، ووقف في صف الصلاة يقلد مَنْ على يمينه وشماله إلى أن انتهت الصلاة وعاد إلى بيته ينتابه إحساس من امتلأ قلبه.. أحس براحة شديدة فهذه هي أول مرة في حياته يشعر فيها بقيمة العبادة ويتذوق طعم الإيمان.. أخذ إيغور يكتب كل ما يسمعه من الإمام ويحاول أن يردد كل ما يقوله.. وبقي على هذه الحالة لمدة يومين وهو يغتسل كما يقول غسلًا كاملًا خمس مرات في اليوم الواحد.. في اليوم الثالث تفاجأ بالإمام يمسك به من يده ويعاتبه لأنه لا يصلي في المسجد وهو جاره (أي جار المسجد) فقد كان مظهره وهو ملتحٍ يوحي بأنه مسلم قديم.. برر له تقصيره بأنه مسلم جديد وأنه اعتنق الإسلام حديثاً ففرح به الإمام كما فرح به الآخرون.

بقي إيغور على حاله لعدة أيام وهو يغتسل قبل كل صلاة إلى أن زار مكان عمله رجلان من خارج المدينة وكان وقت الصلاة قد حان.. طلب منه الرجلان أن يأذن لهما بالدخول إلى المرحاض للوضوء استعدادًا للصلاة، فقال لهما: «لا» وأرشدهما إلى مكان مفتوح يصلح للوضوء.. غضب منه الرجلان بشدة لأنهما لم يكونا على علم من أنه فعل ذلك لكي يتعلم منهما كيفية الوضوء بالمشاهدة.. وبعد أن أتمّا وضوءهما، توضأ إيغور مثلهما، فأدهشهما هذا النصراني الذي يتوضأ مثلهما تمامًا!! بعدها أخذ يتعلم الواجبات وأركان الدين والعبادات حرصًا منه على أن يصل مرحلة المسلم المثالي الذي لا يفرّط في أمر من أمور الدين.

وفي يوم لا ينسى أخذه الإمام إلى مدير المعهد العلمي في مدينة المجمعة الذي أهداه عددًا من الكتب المترجمة باللغة الإنجليزية، وأخبره أن لديه مستودعًا للكتب بمختلف اللغات الأجنبية.. أخذ إيغور الكتب وقرأها ثم بدأ مشروع الدعوة إلى الإسلام من خلالها، عقب ذلك قام بإعداد فريق من الدعاة يدعون إلى الإسلام وسط غير المسلمين وقد وفقهم الله تعالى في هداية كثير من الناس في منطقتهم والمناطق المجاورة لها.

من خلال تجربته في التنصير عرف إيغور حقيقة أن المسلم المتمكن من عقيدته العارف بالواجبات يتعذر على المنصرين إقناعه أو خلخلة عقيدته، بالتالي لا يدخل في العقيدة النصرانية إلا أولئك الذين ليس لهم حظ من العلم بالدين وهؤلاء قلة.. وعلى الصعيد ذاته أشار إيغور إلى أمر خطير أخذ يعمل به الدعاة إلى النصرانية في الآونة الأخيّرة إذ بدؤوا يستخدمون أسلوبًا خبيثًا يتمثل في قبولهم المسلمين ليعيشوا بينهم، بل يقدمون لهم العديد من المغريات مثل المرتبات العالية والمساكن المؤثثة، بل يسمحون لهم ببناء المساجد وإقامة الشعائر الدينية، ولا يمنعونهم من مزاولة ما يريدون تحت شعار الحرية الدينية، لكنهم في حقيقة الأمر يخططون لتنصير أبنائهم وبناتهم من خلال تثقيفهم بالثقافة الغربية التي لا تخلو من المعتقدات النصرانية.

نختتم هذه القصة بالإشارة إلى أهمية ما حذر منه بطل قصتنا من الأسلوب الجديد في التنصير الذي أثبت نجاحه بدرجة مخيفة.

ولكن.. لا خوف على الإسلام.. لا خوف على القرآن.. دين الله وكلامه الكريم..

هو الحافظ لدينه والقرآن كلامه سبحانه..

ما يحفظه الله لا يهدمه بشر!!

احفظوا أنتم أنفسكم فقط!!

اتبعوا فطرتكم التي فطركم الله عليها..

تحرروا من الرقّ.. رقّ الكفر والضلال..

اسعدوا بالحرية.. واسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (108) - (109)

الأساطير المقدّسة

تتوق النفس إلى فطرتها.. إلى نقاء خلقتها..

يشرق النور ساطعًا بين أرجاء الروح..

غير أن من حولنا قد يطفئون بريق النور..

ينظرون إليك ويشحذون همّتك بما يعتقدونه هم..

يصورون لك أنك مميز في ما يرونه..

يفيضون عليك هالات الإعجاب..

النتيجة!!.. تُعجب النفس لمكانة المتميز الفذ بين الناس..

تصارع النفس ما يزينه لها المعجبون من مكانة بارزة..

تحاول التشبث بالحق المنير.. يطول الصراع.. ويطول..

النتيجة!!.. ينتصر الحق.. يشرق النور..

ها هي آن كولينز.. امرأة نشأت في عائلة مسيحية متدينة.. كانت تحرص على قداس الأحد ذات حرصها على التمسك بقناعتها المتذبذبة في بعض تعاليم المسيحية.. درست الكتاب المقدس فهالتها بعض أفكاره الغريبة مثل فكرة «الخطيئة الأصلية»، و«الثالوث الأقدس».. اشترت ترجمة لمعاني القرآن الكريم من إحدى المكتبات.. داومت على قراءتها فكانت لها بمنزلة مفتاح النجاة.. فلحقت بركب المتحولين من النصرانية إلى الإسلام في بلدها الولايات المتحدة الأمريكية، حيث تشير الدراسات والإحصاءات إلى أن ثلث المسلمين الأمريكيين كانوا في الأصل مسيحيين!

آن كولينز بطلة هذه القصة، تتحدث عن إسلامها فتقول: كان والداي ملتزمين بالجماعة الكنسية، وكنا في أحايين كثيرة نستضيف قساوسة بروتستانتيين في منزلنا.. وكنت أساعد أمي التي كانت تعمل بالتدريس في مدرسة الأحد.

كان أقاربي يميّزون بيني وبين أختي في درجة التدين.. أذكر أن خالتي أهدتني في عيد ميلادي الكتاب المقدس، بينما أهدت أختي دمية.. لاحقًا طلبت من والدي كتاب صلاة، وظللت أقرأ فيه يوميًّا لسنوات طويلة.. وعندما التحقت بالمدرسة التزمت برنامج دراسة الكتاب المقدس

لعامين، وحتى ذلك الحين كنت قد قرأت بعض الأجزاء من الكتاب المقدس بيد أنني لم أستوعبها على نحو جيد.

أصابتني بالارتباك مقاطع كثيرة في كل من العهدين القديم والجديد.. لقد وجدت أنها غريبة وغير قابلة للتفسير أذكر منها -على سبيل المثال- فكرة «الخطيئة الأصلية»، التي تعني أن البشر جميعهم آثمون عند مولدهم.. كان لي أخ رضيع.. كنت أنظر إليه وأنتقد فكرة «الخطيئة الأصلية»، لأنني توصلت إلى قناعة مفادها أن الرضّع ببراءتهم المعهودة لا يمكن لهم أن يكونوا آثمين.

كذلك كان في الكتاب المقدس الكثير من القصص الغريبة والأساطير المثيرة بيد أن أكثرها غرابة وأشدها حرجًا هو موضوع «الثالوث الأقدس».. لم يكن بوسعي أن أفهم كيفية أن يكون لله ثلاثة أقسام، أحدها بشري! وعقب دراستي للأساطير اليونانية والرومانية في المدرسة اعتقدت أن فكرة التثليث تماثل كثيرًا أفكار الرومان واليونانيين الذين كانوا يؤمنون بما يسمى «آلهة» تضطلع بجوانب الحياة المختلفة.

كانت هناك الكثير من الأمور بالكتاب المقدس التي كنت غير مقتنعة بها بيد أن حرصي على وصف من حولي لي بأنني متدينة جعلني أمتنع عن طرح الأسئلة.. لكن ومن حسن الحظ كان معنا صبي يعبّر تمامًا عن مشاعري إذ كان يطرح الكثير من الأسئلة حول «التثليث»، وكان يتلقى إجابات كثيرة غير أنه لم يقتنع بها قط، وكذلك الحال بالنسبة إلي.. كان معلمنا أستاذًا في اللاهوت من جامعة ميتشيغان وعندما وجد أن الصبي الملحاح غير مقتنع بإجاباته طلب منه أن يصلي من أجل الإيمان.

الحقيقة عندما كنت في الثانوية رغبت سرًّا في أن أكون راهبة جذبتني إلى ذلك الحياة المكرّسة لله تمامًا، إلى جانب ارتداء لباس يظهر نموذج حياتي الدينية.. العقبة التي كانت تقف في طريقي حقيقة أنني لم أكن كاثوليكية، فقد عشت في مدينة تقع في الوسط الغربي من أمريكا حيث إن الكاثوليكيين يشكلون أقلية لا تحظى بشعبية.. هذا بالإضافة إلى أن تربيتي البروتستانتية جعلتني أنفر من التماثيل الدينية إلى جانب أنها أكسبتني إنكارًا قويًّا لفكرة أن القديسين الموتى لديهم القدرة على مساعدة الأحياء.

في الجامعة كنت أستمع إلى مناقشات الطلاب حول موضوع الدين فطرقت مسامعي الكثير من الأفكار المختلفة حول هذا الأمر.. لقد قمت بدراسة المسميات الدينية الشرقية كالبوذية، والكونفوشية، والهندوسية، بيد أنني لم أقتنع بأي منها.

وقدّر لي أن ألتقي مسلمًا ليبيًّا.. حدثني ذلك الليبي قليلًا عن الإسلام والقرآن الكريم.. قال لي في ثقة إن الإسلام هو الدين العصري والشكل الأكثر حداثة بين الأديان السماوية.. ما جعلني آنذاك

غير مقتنعة بحديثه لاعتقادي أن أفريقيا والشرق الأوسط أماكن متخلّفة وبالتالي لم أكن أتوقع أن ينبعث منها دين عصري.. وفي إحدى المرات صحبت عائلتي المسلم الليبي إلى قداس عيد الميلاد.. كان احتفال القداس بالنسبة إلينا جميلًا شديد الروعة.. لكن وعقب انتهائه سألني الليبي: «من وضع هذه الطريقة؟ ومن علمكم كيف تصلون؟» أجبته بأن حدثته عن تاريخ الكنيسة الباكر.. وعلى الرغم من أن سؤاله أغضبني في بداية الأمر فإنه دفعني لاحقًا إلى التفكير في الطقوس التعبدية المسيحية فوجهت لنفسي عدة أسئلة: ترى هل الأشخاص الذين صمموا هذا الطقس التعبدي الذي انتقده الليبي مؤهلون لفعل ذلك؟ ما هي كيفية تعرّفهم الشكل الأمثل الذي ينبغي أن تتخذه تلك العبادة؟ وهل لديهم أمر إلهي بذلك؟

فكرت مليًّا وتوصلت إلى أنني لا أؤمن بالعديد من تعاليم الديانة المسيحية، ومع ذلك كنت أرتاد الكنيسة.. وأذكر عندما كانت تتلو جماعة المصلين مقاطع لست مقتنعة بصحتها، مثل «عقيدة نيسن» كنت أصمت ولا أقرؤها، ما جعلني أشعر وكأنني امرأة غريبة ومقحمة على الكنيسة.

ثم حدث أمر كان بالنسبة إليّ بمنزلة القشة التي قصمت ظهر البعير.. ففي أحد الأيام ذهبت إحدى قريباتي إلى قس كنيستنا وهي تطلب منه النصح في مشكلات زوجية كانت تعانيها، لكن القس استغل ظرفها النفسي فأخذها إلى «موتيل» وأغواها.

منذ ذلك الحين كنت حينما أرتاد الكنيسة أجلس وأنظر إلى الكهنة الذين يتقدمون جموع المصلين.. كنت أقول في نفسي إنهم ليسوا بأفضل من جموع المصلين، بل إن بعض الكهنة كانوا أسوأ منهم.. وطرحت على نفسي عدة أسئلة من بينها: كيف ينبغي أن يكون هناك وسيط بيني وبين الله؟ لمَ لا أتعامل مباشرة مع الله، والحصول على مغفرته دون ذلك الوسيط؟

لم يمر وقت طويل حتى وجدت ترجمة لمعاني القرآن الكريم في إحدى المكتبات، فاشتريتها، وظللت أحرص على قراءتها، مع مواصلة بحثي في الأديان الأخرى.. خوفي من خطاياي أخذ يزداد يومًا بعد يوم، وكذلك الحال مع القلق الذي كان يساورني إذ كنت أبحث عن الكيفية التي تؤكد لي أن الله غفر خطاياي وأنا المرأة التي تتوق بصدق إلى الصفح والغفران.

راودني الأمل في أنني سوف أجد الإجابة عن تساؤلاتي في الدين الإسلامي عندما قرأت قول الله تعالى: (.. **وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (82) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (83) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (84)**).

وبمحض المصادفة شاهدت في شاشة التلفزيون مسلمين يصلون وعندها فقط عرفت أن

لدى المسلمين طريقة خاصة في الصلاة تختلف عن صلاة المسيحيين.. عقب ذلك عثرت على كتاب -من شخص غير مسلم- يشرح طريقة صلاة المسلمين.. جربت أداء الصلاة بنفسي بالطبع لم أكن أعرف شيئًا عن الطهارة ولم أكن أصلي على نحو صحيح ومع ذلك أديت تلك الصلاة سرًّا وبمفردي ولعدة سنوات.

وبعد مرور نحو سنوات من اقتنائي القرآن، قرأت فيه: (... **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا**). بحق بكيت فرحًا.. انتابني الإحساس وكأن هذا القرآن كتب لأجلي أنا.. نعم شعرت بأن الله الذي أنزل هذا القرآن منذ زمان قديم يعلم أن كولينز التي تقطن منطقة (Cheektowaga) - نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية، ستقرأ هذه الآية من القرآن في أيار 1986، وسوف تنعم بالخلاص الذي تبحث عنه.

عرفت آنذاك أنه ينبغي لي تعلم أشياء كثيرة، مثل كيفية أداء الصلاة على النحو الصحيح.. شعرت بحاجة إلى استقاء معلوماتي من أحد المسلمين لكن مشكلة كبيرة واجهتني تتمثل في أني لم أكن أعرف أي مسلم.

إن المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية في وقتنا الراهن أكثر ظهورًا بكثير مما كانوا عليه في تلك الآونة التي كنت أبحث فيها عن مسلم ليعينني على فهم الإسلام.. بحثت في دليل الهاتف فعثرت على رقم هاتف «الجمعية الإسلامية».. اتصلت بهم هاتفيًّا لكن ما أن ردّ عليّ أحدهم حتى شعرت بالخوف وقطعت المكالمة الهاتفية.. سألت نفسي: ترى ماذا سأقول لهم؟ وكيف ستكون إجابتهم؟ هل ستساورهم الشكوك بشأني؟ وهل سيرغبون في انضمامي إليهم ما داموا مترابطين مع بعضهم بعضًا ومع إسلامهم؟

في الشهرين التاليين لمكالمتي الهاتفية الأولى مع الجمعية الإسلامية اتصلت عدة مرات هاتفيًّا بالمسجد، بيد أنني كنت أشعر بالخوف في كل مرة وأقطع المكالمة حالما يرد عليّ أحدهم.

أخيرًا، كتبت رسالة أطلب فيها معلومات عن الإسلام وعن كيفية الصلاة.. بصدر رحب اتصل بي أحدهم هاتفيًّا، من ثم ظل يرسل إليّ الكتيبات التي تتعلق بالإسلام.. قلت له إنني أريد أن أصبح مسلمة فقال لي: «انتظري حتى تكوني واثقة بذلك». أزعجني حديثه ذاك، لكنني وبعد تفكير عميق عرفت أنه كان على حق، إذ إن عليّ أن أكون واثقة برغبتي في الإسلام، لأن اعتناقي له يعني حدوث تغيير جذري في حياتي وإلى الأبد.

الحقيقة استحوذ عليّ الإسلام كليّة وظللت أفكر فيه ليلًا ونهارًا، بل عندما كنت أقود سيارتي إلى أقرب مسجد من مسكني -وكان آنذاك مجرد بيت قديم- كنت أطوف حوله مرات عديدة وكل أملي أن أرى مسلمًا ليخبرني عمّا يوجد ويدور داخله.

وفي أحد أيام تشرين الثاني 1986، وبينما كنت منشغلة بعملي في المطبخ، انتابني شعور مفاجئ بأني مسلمة فأرسلت رسالة إلى المسجد أقول فيها: «إني أؤمن بالله الواحد الحق، وأؤمن بمحمد رسولًا، وأريد أن أكون من الشاهدين».

في اليوم التالي، اتصل بي هاتفيًّا الشخص ذاته الذي كان يتواصل معي من قبل ونطقت الشهادة أمامه عبر الهاتف.. أخبرني حينذاك أن الله قد غفر لي في تلك اللحظة جميع أخطائي، وأنني الآن نقية مثل طفل وليد.. شعرت بأطنان من الخطايا تنزل من على كاهلي وتفارقني إلى الأبد.. بكيت فرحًا.. لم أنم طيلة تلك الليلة فقد كنت أكبر وأنا أردد اسم الله، كيف لا وقد نلت الصفح والغفران ولله الحمد والمنّة.

نعم الحمد لله على جموع المهتدين الذي يدخلون في دينه أفواجًا يومًا بعد يوم..

يا الله.. لقد مر معنا طفلان في قصة آن!!

طفل رضيع محمّل بالآثام.. بـ«الخطيئة الأصلية»..

وطفل بريء من الآثام شعرت به آن عندما نطقت بالشهادتين..

الفارق بين الطفلين هو الفارق بين العقيدتين..

اختر لنفسك أحد الطفلين..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (10) - (82) - (94)

مكافحة العمى

«فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ»

آية قرآنية كريمة تصف بدقة حال بعثات التنصير في أفريقيا..

بعثات ترفع شعار مكافحة العمى.. والحقيقة أن هدفها نشر العمى!!

عمى البصيرة.. عمى الإيمان..

فالبعثات التنصيرية تحرص كل الحرص على أداء عملها على الوجه الأمثل؛ لأن الجهات التي تقف وراءها تحاسبها بدقة فهي تقدم لها الدعم اللوجيستي الكبير وتوفر لها التمويل المالي الضخم، وبالتالي لا تقبل فشلها مهما كانت المبررات. وبذلك فإن رئيس البعثة التنصيرية يكون عادة أكثر أعضائها حرصًا على تجنُّب بعثته للفشل، لأنه المسؤول الأول.. هذه هي القاعدة في العمل التنصيري أما الاستثناء فهو ما نلمسه في قصتنا هذه حيث تعرضت بعثة تنصيرية رفيعة المستوى للفشل الذريع بسبب اعتناق رئيسها للدين الإسلامي.

بطل قصتنا هو الطبيب جي ميشيل الذي توجّه على رأس بعثة تنصيرية من ألمانيا الغربية للعمل في القرن الأفريقي، خلف ستار «مكافحة أمراض العمى»، ولكنه نجح في إفشال عمل البعثة التنصيرية، بعد أن اعتنق الإسلام وغيّر اسمه إلى عبدالجبار.. أما الذي دفعه لاعتناق الإسلام، وكيف كان ردّ الجهات التي تقف وراء بعثته التنصيرية.. فهذا هو ما سنتطرق له في هذه القصة..

بدأت القصة باختيار منظمة التنصير بألمانيا الغربية الطبيب جي ميشيل ليرأس البعثة التنصيرية المتجهة إلى الصومال، إلى جانب عمله كطبيب لأمراض العيون.. وهناك في الصومال أقام علاقات مع عدد من المسلمين كان أساسها المودة والاحترام المتبادل.

وبعد مرور خمسة أشهر على بدايته لعمله في الصومال تلقت المنظمة تقارير تفيد بتفاني جي ميشيل في عمله كطبيب مقابل إهماله للشق الأهم من مهمته ألا وهو عملية التنصير.. وقبل أن يجف مداد آخر تقرير كتب عنه، تلقى جي ميشيل برقية من رئاسة المنظمة بألمانيا الغربية تطلب منه ضرورة ذهابه إلى إنجلترا لقضاء فترة تدريبية. وهناك أمضى شهرًا كاملًا، عاد بعده إلى ألمانيا الغربية، وبعد أسبوع واحد فقط جاءه الأمر للتوجه إلى تنزانيا، التي لم يمض فيها سوى أربعة أسابيع فقط، ومن ثم طلبت منه رئاسة المنظمة الذهاب إلى الصومال مرة أخرى

لإكمال المهمة التنصيرية.

تعرّف جي ميشيل إلى صديق مسلم من الصومال يسمى محمد باهور.. ولم يمر وقت طويل على لقائهما الأول حتى توطدت علاقة الصداقة بينهما.. وفي أحد الأيام دعا باهور صديقه ميشيل لزيارة منزله فلبّى دعوته.. قابلت أسرة باهور صديق ابنها بترحيب كبير، وكذلك أهله والجيران.. وإلى جانب انبهاره بالمقابلة الطيبة اندهش ميشيل عندما فوجئ برجل بين الحضور يتحدث الإنجليزية بطلاقة!!

يقول ميشيل في ذلك: «لقد فرحت كثيرًا عندما علمت أن هذا الرجل هو والد صديقي مُحمَّد.. وقلت في نفسي هذه فرصة وسوف أمارس الجزء الثاني من مهمتي وهو التنصير، لأن اللغة تقف عائقًا أمامي في إنجاز هذه المهمة، لكن وجود مثل هذا الرجل الذي يتحدث الإنجليزية سيساعدني كثيرًا في شرح أبعاد مهمتي التنصيرية، خاصة أن هذا الرجل يحترمه الجميع، ويقدّرونه بصورة تكاد تقترب من الخوف».

يقول ميشيل: «تمنيت أن أجذب والد صديقي إلى الدين المسيحي حتى تتحقق لي عملية التنصير.. وبدأت برنامجًا تنصيريًّا له بالحديث معه عن المسيحية.. لاحظت أنه ينصت إليّ بإصغاء تام، وتوقعت أنه مقتنع بحديثي له.. فرحت بشدة إذ تخيّلت أن تنصيره يعني الحصول على مفتاح سحري يقود إلى إنجاح عملية التبشير والتنصير في المنطقة كلها».

استرجع ميشيل شريط الذكريات واسترسل في حديثه يقول: «لقد هيأت نفسي أن أبدأ معه الحديث عن الأديان والإنجيل والمسيح.. وعقب حديث طويل تحدثت فيه عن المسيحية باعتبارها دينًا لا يماثله في الرقي دين آخر، إلى جانب تركيزي في حديثي على قداسة الإنجيل وعظمة المسيح عيسى ابن الله تفاجأت بوالد صديقي وهو يمسك نسخة من القرآن في يديه ويسألني: أتعرف هذا الكتاب.. ابتسمت في وجهه ولم أجب.. الحقيقة كنت خائفًا من أن أثيره أو ألمح له بمهمتي، بيد أن إحساسًا صادقًا اعتراني مفاده أن هذا الرجل يدرك تمامًا ما يدور داخل عقلي.. في تسامح جميل وكرم بالغ أتاح لي فرصة الخروج من مأزق أوصلني إلى قمة الحرج حيث بدأ يتحدث عن الإنجيل وعن المسيح.. والحق يقال، أوصلني حديثه إلى حقيقة جلية مفادها أن المسلمين جميعًا يحبون نبي الله عيسى ويعترفون به.. أكثر من هذا توصلت إلى أن الإسلام يدعو إلى الإيمان به وبغيره من الرسل والأنبياء، ليس هذا فحسب بل جعل ذلك من دعائم الإيمان بالإسلام.. عقب ذلك طلب مني والد صديقي أن أوجه له أي سؤال في الإنجيل أو في القرآن.. اندهشت وسألته قائلًا: «كيف ذلك؟!».. أجابني قال: «يحتوي القرآن على كل شيء».

انتهت الزيارة وميشيل يفكّر في كيفية اختراق عقل ذلك الرجل وفكره، لأنه لو نجح في ذلك

سيكون قد قطع شوطًا بعيدًا وسيسهل اصطياد الآخرين الواحد تلو الآخر.. ولذلك عاد إلى بيته واستجمع بعض النشرات والكتيبات وسخّر وقته للاطلاع، وكأنه مقبل على امتحان، وحان موعد اللقاء الثاني. ويقول ميشيل: «فور جلوسي سألني الرجل عن طبيعة مهنتي فقلت: الطب، فقال لي: القرآن الكريم يشرح بالتفصيل عملية الخلق والنشأة وكل ما يحدث في الإنسان من تغيرات وهو في رحم أمه، واندفع الرجل يشرح ذلك وبحماس شديد.. وبصراحة انبهرت بهذا الرجل ودهشت لكتاب عمره أكثر من 1400 عام يتحدث عن كيفية نمو الجنين في رحم أمه، وأنا الطبيب الذي تعلّم الطب لسنوات عديدة، وفيها تدربت تدريبًا شاقًا على معرفة مراحل نمو الجنين، لكن ما ذكره الرجل شدّني كثيرًا، وآلمني ذلك كثيرًا.. ولكن ما زالت مهمتي هي التنصير المغلف بمكافحة العمى».

صمت جي ميشيل للحظات استرجع خلالها ذكريات لقائه الأول مع والد صديقه الذي تحدث معه محاولًا جذبه إلى المسيحية فأصغى إليه بمنتهى الأدب، ثم عقَّب على حديثه وتحدث عن الإسلام في سلاسة ويسر بصورة مبسطة وسهلة يستسيغها العقل ويقبلها التفكير المنطقي.. وأردف ميشيل يقول: «تكرّرت زياراتي إلى والد صديقي مُحمَّد باهور في منزله، وأثناء هذه الزيارات كنت أجد نفسي محاصرًا تمامًا من ذلك الرجل، وكنت أشعر أمامه بأني تلميذ صغير، وأثناء ذلك كله لم أكن أدري أني مراقب من أعضاء البعثة التنصيرية، حيث طلبوا مني عدم الذهاب إلى ذلك المنزل.. وجاء أمر من ألمانيا بضرورة مغادرتي المعسكر، بل لم يمر وقت طويل حتى فوجئت بقرار يقضي بنقل صديقي من المنطقة للعمل في مكان آخر، أعقبه اعتقال تعرض له بدون سبب منطقي.. أما أنا فلم تكن هناك قوة تمنعني من حب مُحمَّد باهور ووالده وأسرته، وبذلك مكثت في مقديشو (عاصمة الصومال) فترة، وكنت خلالها أتسلل إلى والد مُحمَّد باهور، برغم الصعوبات التي تواجهني، وتحت ضغوط أعضاء البعثة صدرت أوامر لي بالذهاب إلى كينيا لقضاء إجازة ممتعة على حدّ تعبيرهم.. وقبل الذهاب ذهبت خلسة إلى منزل مُحمَّد باهور وقوبلت هناك بكل مودة وترحاب، وكان ذلك مع قدوم شهر رمضان، حيث تناولت معهم وجبة السحور، وقبل الفجر شاهدت المنطقة كلها تخرج للصلاة واضطررت أن أصوم أوّل يوم معهم احترامًا لمشاعرهم».

وجاء موعد الرحيل، حيث حقب ميشيل أغراضه متوجهًا إلى نيروبي عاصة كينيا تنفيذًا للأوامر الصادرة له، ولكنه صدم عندما علم أنه ممنوع من العودة إلى الصومال، وقبل أن تستقر أوضاعه في نيروبي وصلته برقية من والده يطالبه فيها بالعودة إلى ألمانيا فورًا، وحينها اكتشف ميشيل أن تفاصيل تحركاته كانت مرصودة بدقة، فاتخذ قرارًا حاسمًا بالاستقالة من عمله في ألمانيا، ومن ضمن ما ذكر في استقالته: «اطمئنوا تمامًا فكل شيء على ما يرام، وسوف أعتنق الإسلام». ووضع الرسالة في البريد، وقرّر العودة إلى الصومال مهما كلفه ذلك من ثمن!

وما أن أعلن ميشيل نيّته اعتناق الإسلام حتى بدأ يتعرض لمحاولات مستميتة من قبل البعثات التنصيرية تهدف إلى أن تثنيه عن عزمه وهي محاولات وصلت إلى حد التهديد بالقتل. لم تنجح حملات التهديد والوعيد في إخافة ميشيل بعدما تغلغل الإسلام إلى شغاف قلبه، فباع متاعه كله، بما في ذلك ملابسه الشخصية، من أجل الحصول على تذكرة سفر إلى الصومال، فحطّت به الطائرة في مطار مقديشو ومن هناك توجه فورًا إلى منزل والد صديقه مُحمَّد باهور، حيث يقول ميشيل: «وفور أن عانقني قلت هامسًا في أذنه: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحمّدًا رسول الله».

اعتنق الإسلام وواصل عمله في الصومال كطبيب في أمراض العيون، وغيّر اسمه ليصبح عبدالجبّار.. فسبحان الهادي إلى الحق وإلى الطريق المستقيم!!

رئيس بعثة تنصيرية رفيعة المستوى كان فيما مضى همّه الأوحد تنصير الفقراء من خلال استغلال فقرهم وعوزهم يتحول في طرفة عين إلى رجل مسلم همّه الأوحد مساعدة أولئك الفقراء حتى لا يقعوا في براثن بني جلدته من المنصرين..

هل رأيتم أعجب من هذا؟!!

هل لو لم يكن هذا الدين من عند الله.. لو لم يكن الإسلام هو الدين الحق الذي يرتضيه الله للإنسان.. أكانت قوة على وجه الأرض تستطيع فعل ذلك مع جي ميشيل؟!!

أيها السادة.. إنه الإسلام.. دين الله..

فماذا بعد كل هذه الدلائل والمؤشرات؟!

ماذا ينتظر غير المسلمين؟!

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (8) - (26) - (29) - (30) - (31)

لكمات وكلمات!!

أيهما الأكثر شهرة: كاسيوس كلاي أم محمد علي كلاي؟!

الأوّل اسمه قبل إسلامه والآخر اسمه الذي قابل به ربه..

من لم يسمع باسمه الأخير الذائع الصيت؟! إنه أحد أبرز رموز القرن العشرين!!

نعم.. اكتسب محمد علي كلاي شهرته من الملاكمة، حيث يعد أعظم ملاكم من فئة الوزن الثقيل في تاريخ هذه الرياضة، ولكنه اكتسب النجومية الحقيقية من الإسلام..

وهذه دعوة لقراءة قصة هذا البطل الذي أنار الله بصيرته وهداه إلى الإسلام..

ولد الطفل «كاسيوس كلاي جونيور» يوم 17 يناير عام 1942 في «كونتاجي» بالولايات المتحدة الأمريكية، وهي منطقة خطيرة وشهيرة باحتوائها على أبشع ألوان التفرقة العنصرية في أمريكا إن لم يكن في العالم... عانى الصغير «كاسيوس» منذ طفولته من هذه التفرقة العنصرية بسبب لونه، بل عاف اسم كاسيوس لارتباطه بالعبودية إذ كان العبد آنذاك ينسب لسيده..

معاناته مع التفرقة العنصرية كانت سببًا في تعلمه الملاكمة حتى يمتلك المقدرة على مجابهة من يسيء إليه من أقرانه البيض.. قوامه الرياضي وعضلاته المفتولة ساعداه في هذا المجال واختصرا له الطريق نحو المجد والشهرة إذ لم يكد يبلغ العشرين من عمره حتى حصل على بطولة الوزن الثقيل في دورة روما الأولمبية التي تم تنظيمها عام 1960م.

بل لم تمر سنوات قليلة على الحدث السابق حتى خطف «كلاي» الأنظار وانتزع بطولة العالم للمحترفين من «سوني ليستون» في مباراة لم تستغرق سوى ثوانٍ، تم تتويجه بعدها بطلًا للعالم في الملاكمة للوزن الثقيل، ويصبح الملاكم الأول في عصره، وكان عمره 22 عامًا.

في ربيع عام 1965 وبعد تتويجه بلقب بطولة العالم وبين ضجيج هتافات آلاف المعجبين وبريق فلاشات آلات التصوير، فجّر كلاي مفاجأة من العيار الثقيل للعالم بأسره، ووقف وأعلن إسلامه أمام ملايين المشاهدين الذين تحلقوا حول الحلبة وأمام أجهزة التلفاز في مختلف دول العالم، مرددًا: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله»، وغير اسمه إلى «محمد علي كلاي»، ليبدأ وسط دهشة المشاهدين ومراسلي أجهزة الإعلام معركة أخرى أشد شراسة مع الباطل، الذي أزعجه أن يعلن هذا البطل إسلامه بهذه السهولة والبساطة، حتى وصل به الأمر حد دخوله السجن وسحب لقب البطولة منه لأكثر من مرة.

وللتقليل من شأن إسلام البطل محمد علي كلاي وإلقاء شبهات عليه حرصت الدعاية الكنسية على ربط نفوره من المسيحية بالتفرقة العنصرية. ولكن الحقيقة لم تكن التفرقة العنصرية سببًا في دخول كلاي إلى الإسلام بيد أنها تقف وراء تساؤل ملحاح دار بذهنه منذ طفولته: إن كانت العقيدة المسيحية صحيحة فلماذا تسمح بمثل هذه الممارسات غير الإنسانية؟

قد تتساءلون: لماذا وكيف أسلم البطل محمد علي كلاي؟

يجيب محمد علي كلاي نفسه عن هذا السؤال فيقول: إن اتجاهي نحو الإسلام كان أمرًا طبيعيًّا يتفق مع الفطرة، فطرة الله التي فطر الناس عليها، وقد استغرق رجوعي إلى فطرة الحق سنوات من التفكير الممعن، كانت بدايته عام 1960م عندما طلبت من صديق مسلم أن يصطحبني معه إلى المسجد لأسمع شرحًا عن الإسلام، وبينما أنا أستمع إلى خطيب المسجد أحسست بالصدق لأول مرة وهو يتحدث عن حقيقة الإسلام والمسيحية، وأحسست بنداء الحقيقة ينبعث في داخلي، وصاح صائح في أعماقي يدعوني إلى تلمس الحقيقة، حقيقة الله والدين والخلق.. لقد استغرقت رحلتي الإيمانية سنوات من المقارنة بين الإسلام و«المسيحية»، وكانت رحلة شاقة، فالكل من حولي ما بين مثبت ومضلل، والمجتمع نفسه مجتمع يشيع فيه الفساد، ويختلط فيه الباطل بالحق، ثم إن الدعاية الكنسية تصور المسلمين في صورة همجية، وترجع أسباب تخلفهم إلى الإسلام، إلا أني وقد هداني الله ونور بصيرتي عمدت إلى التمييز بين واقع المسلمين اليوم، وحقيقة الإسلام الخالدة، إذ وجدت في الإسلام دينًا يحقق السعادة للبشر جميعًا، ولا يميز بين لون وجنس وعرق، فالكل متساوٍ أمام الله عزّ وجلّ، أفضلهم عند ربهم أتقاهم، فأدركت أني أمام حقيقة ربانية لا يمكن أن تصدر عن بشر».

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) الحجرات

عقب استماعه إلى حديث إمام المسجد بدأ كلاي قراءة معاني القرآن الكريم وهي مترجمة إلى الإنجليزية فازداد قناعة بأن الإسلام هو الدين الحق وأن القرآن هو كلام الله الذي أوحى به إلى رسوله محمد -صلى الله عليه وسلّم-.

ومن الأمور التي هزت البطل كلاي توقير المسلمين لنبي الله عيسى -عليه السلام- وأمه العذراء السيدة مريم، الأمر الذي وجده يتسق مع المسيحية في حقيقتها النقية التي تخلو من التشويه وعقيدتها الأصلية غير المحرفة.

ولم يكتف «محمد علي كلاي» بقراءة الكتب بل أخذ يكثر من الاختلاط بجماعات المسلمين، فوجد فيهم العشرة الطيبة والمحبة الصادقة وكل المعاني النبيلة التي افتقدها في تعامله مع

المسيحيين الذين اكتفوا بالنظر إلى لونه لا إلى جوهره.. فاعتنق الإسلام عن قناعة تامة.

الفطرة السليمة هي التي مهدت الطريق أمام البطل «محمد علي كلاي» نحو الإسلام وإن استمر الأمر معه لسنوات طويلة قضاها في المقارنة بين الإسلام والمسيحية مع وجود دعاية مضللة تعمل على تشويه الإسلام بمساعدة بعض المسلمين غير الملتزمين تعاليم الإسلام، ولكل ذلك بدأ كلاي من خلال قراءاته الواعية التمييز بين واقع المسلمين اليوم، وحقيقة الإسلام الخالدة.. وعندما فعل ذلك وجد نفسه أمام دين قويم يساوي بين الجميع.. إلهه إله واحد لا شريك له وليس كما هو الحال مع الديانة المسيحية المحرفة.. ديانة التثليث.

وما أن أسلم حتى شعر «كلاي» بأنه تحول إلى إنسان آخر وأصبح نموذجًا طيبًا للداعية المسلم الذي لا يدع فرصة إلا ويوظفها للدعوة إلى الإسلام، فبدأ دعوته بعشيرته الأقربين فأصبح ربّ أسرة مسلمة كل أفرادها يحملون أسماء إسلامية أصيلة، إذ إن لديه من الذرية ولد واحد وست بنات جميعهم يتلقون تعليمًا إسلاميًّا ويرتادون المسجد بانتظام.. بل تجاوز بدعوته عشيرته وبلده أمريكا التي يعتبر من أنشط رجال الدعوة الإسلامية فيها، وأكثرهم عطاءً، واتجه إلى بلدان العالم الأخرى التي تنقّل عبرها في الكثير من الرحلات الدعوية.

في التاسع من يونيو عام 2016 توافد الآلاف من مختلف الأعراق والعقائد من محبي هذا البطل الاستثنائي على بلدته لويفيل لإلقاء نظرة الوداع الأخيرة على جثمانه، حيث أنهى الموت حياة واحد من أبرز رموز القرن العشرين.. وكان محمد علي كلاي يخطط بنفسه لجنازته منذ عشرة أعوام من هذا التاريخ مؤكدًا بذلك أن مراسم جنازته ستكون علامة على اعتزازه بالدين الإسلامي الذي يدين به.. وخلال لقاء تلفزيوني مشهور سأله أحد الأطفال: «ماذا تريد أن تفعل بعد اعتزال الملاكمة؟» فردّ عليه بثلاث كلمات: «أستعد لملاقاة الله»! وها هو اليوم بجوار ربه!

سخّر حياته وشهرته وحب العالم له في الدعوة إلى الله.. في إنقاذ البشر..

تُوج في الدنيا بطلًا باللكمات.. فسعى للتتويج في الآخرة بالكلمات..

فلا تبخل على نفسك أنت بهذه الكلمات..

أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (26) - (29)

ميلاد جديد

خطوات محددة.. يخطوها من أراد الله به خيرًا..

خطوات تعقبها مفاجأة غير متوقعة.. مفاجأة سارة..

بل إنها أهم وأكبر خير يقدره الله لإنسان.. مفاجأة الإيمان.. الفوز بالإسلام..

من أراد الله به خيرًا تجده يلاحظ ما لا يلاحظه غيره!!

يهتم بما لا يعلم هو نفسه لمَ يهتم به!!

بطلة قصتنا مثال حي على ذلك.. ظلت منذ ميلادها ترضع العداء للإسلام من ثدي أمها ومن أثداء بني جنسها.. درست اللاهوت وأصبحت معلمة.. لازمت الكنيسة وتدرجت في مناصبها حتى أصبحت قسيسة متعصبة.. همها الأوحد تنصير أكبر عدد من المسلمين عبر حملاتها التنصيرية، وشغلها الشاغل تأليب أكبر عدد من المسيحيين ضد الإسلام من خلال كتاباتها المغرضة.

وفي حملة تنصيرية أقيمت في الفلبين جمعتها المصادفة بدكتور فلبيني قادم من إحدى الدول العربية.. من خلال سلوكه اكتشفت إسلامه، ولمعرفة السر الكامن وراء إسلامه بحثت وسألت فعرفت أن الإسلام ليس كما كانت تعرف عنه من قبل، فاعتنقت الإسلام بعد مرورها بعدد من المحطات.. إنها معلمة اللاهوت والقسيسة والمنصرة ميري واتسون سابقًا والداعية المسلمة خديجة الآن.. لماذا أسلمت؟ وكيف أسلمت؟ هذا ما سنعرفه من خلال هذه القصة.

كانت ميري واتسون مؤهلة للعمل في مجال التنصير بفعالية فهي حاصلة على شهادة من كلية أمريكية، وبكالوريوس في علم اللاهوت حصلت عليه من الفلبين، فضلًا عن عملها معلمة للاهوت في كليتين؛ إذ كنت لاهوتية وأستاذة محاضرة وقسيسة.. وإلى جانب عملها الأكاديمي والتنصيري كانت ميري تخصص جزءًا كبيرًا من وقتها لكي تعمل على تكريس الصورة الذهنية المشوّهة عن الإسلام في أذهان غير المسلمين.. وفي هذا الجانب كتبت ميري مقالات عديدة مغرضة ضد الإسلام ندمت عليها عقب إسلامها وهو إسلام تقف وراءه قصة باهرة تدلّ على فطرتها السليمة.

في إحدى الحملات التبشيرية بالفلبين التقت ميري أستاذًا محاضرًا فلبينيًّا قدم من إحدى الدول العربية.. لاحظت عليه سلوكًا غريبًا غير معهود، فسألته في إلحاح حتى اعترف لها بأنه أسلم من حيث أتى، وأن الجميع يجهلون إسلامه.. وهنا راودتها أسئلة فضولية كثيرة: لماذا أسلم؟

ولماذا بدّل دينه؟ وما السر الكامن في هذا الدين الذي دفعه إلى التخلي عن نصرانيته؟

للحصول على إجابات شافية عن أسئلتها فكرت في الاتصال بصديقة فلبينية مسلمة كانت تعمل بالمملكة العربية السعودية.. وبالفعل ذهبت إليها، وبدأت تسألها عن الإسلام العديد من الأسئلة.. وفي البدء استهلّت أسئلتها بالسؤال عن معاملة النساء في الإسلام، لأن النصارى يعتقدون -مخطئين- أن حقوق المرأة في الإسلام مسلوبة بل دون الحد الأدنى.

وهنا قالت ميري: «بحق شعرت بالراحة الشديدة من حديث صديقتي؛ فاستطردت أسألها عن الله عزّ وجلّ، وعن النبي محمد -صلى الله عليه وسلّم-.. وما أن أجابت عن تساؤلاتي حتى اكتشفت أن كل الكتب التي قرأتها من قبل لمؤلفين نصارى تعجّ بالمغالطات عن الإسلام والمسلمين، الأمر الذي دفعني إلى أن أسألها عن القرآن وعن تلك الكلمات المؤثرة التي تقال في الصلاة».

واسترسلت ميري في حديثها قائلة: «ولمعرفة المزيد عن الإسلام انكببت أقرأ الكتب الإسلامية في نهم وشره.. وفي نهاية أسبوع قرأت 12 كتابًا وصلت من خلالها إلى قناعة تامّة مفادها أن الإسلام هو الدين الحق، وأن الله عزّ وجلّ وحده لا شريك له، وأنه سبحانه وتعالى هو الذي يغفر الذنوب والخطايا، وأنه هو وحده الذي ينقذنا من عذاب الآخرة، لكن وعلى الرغم من هذه القناعات فإن الإسلام لم يستقر في قلبي بعد.. فابتهلت إلى الله تعالى أن يهديني إلى سواء السبيل..

وفي ليلة لا تنسى وبينما أنا مستلقية على فراشي، وكنت على وشك أن أنام أحسست بشيء غريب استقر في قلبي، فاعتدلت على الفور وقلت بصدق: يا رب.. أنا مؤمنة بك وحدك.. عقب ذلك نطقت بالشهادتين، وشعرت براحة واطمئنان لم أشعر بهما من قبل.. حمدت الله تعالى على نعمة الإسلام، واعتبرت أن ذلك اليوم هو يوم ميلادي الحقيقي وأطلقت على نفسي اسم خديجة كبديل لاسمي القديم ميري».

وبررت بطلة قصتنا اختيارها لاسمها الجديد قائلة: «اخترت هذا الاسم لأسباب عديدة من بينها أن السيدة خديجة -رضي الله عنها- كانت أرملة، كما هو حالي، وكان لديها أولاد، وأنا كذلك، وكانت في الأربعين عندما تزوجت النبي -صلى الله عليه وسلّم-، وآمنت بما أنزل عليه، وكذلك أنا كنت في الأربعين من عمري حينما اعتنقت الإسلام.. أما السبب الرئيسي فيتمثل في إعجابي الشديد بشخصيتها لأنها آزرت سيدنا محمدًا -صلى الله عليه وسلّم- وشجعته».

وتحدثت خديجة عن موقف أبنائها من الإسلام بكلمات امتزجت فيها عاطفة الأمومة مع دافعية الداعية فقالت: «خلال فترة عملي بالمركز الإسلامي بالفلبين كنت أحضر معي للبيت بعض الكتيبات والمجلات وأتركها بالمنزل على الطاولة عن قصد وكلّي أمل في أن يهدي الله تعالى ابني «كريستوفر» إلى الإسلام.. لقد كان الابن الوحيد الذي يعيش معي بالمنزل.. بدأ ابني كريستوفر

وصديقه يقرآن الكتيبات والمجلات ويتركانها كما وجداها.. من ناحية ثانية كنت أمتلك (منبّه أذان) فأخذ ابني كريستوفر يستمع إليه مرارًا وتكرارًا عندما أكون أنا خارج المنزل.. ولم يمض وقت طويل حتى أفرحني ابني بشدة وهو يخبرني برغبته في اعتناق الإسلام.. شجعته على ما رغب فيه.. جئته بعدد من الإخوة الذين يعملون معي بالمركز الإسلامي لكي يتناقشوا معه في الإسلام.. تحققت أمنيتي بعد تلك المناقشات إذ نطق ابني الشهادتين، وأطلق على نفسه اسم عمر».

وقبل الوصول إلى خاتمة هذه القصة نورد فيما يأتي بعض مقولات الداعية الإسلامية خديجة:

«الإسلام هو الطريق الأمثل للحياة، وهو البوصلة التي توجه توجيهًا صحيحًا كل مظاهر الحياة في الاقتصاد والاجتماع وغيرهما، بل حتى في الأسرة وفي كيفية التعامل بين أفرادها».

«قراءتي عن الإسلام بعد أن اعتنقته أفادتني في معرفة السر الكامن وراء محاربة الإسلام من قبل جميع الناس.. فالإسلام محارب لأنه أسرع الأديان انتشارًا على مستوى العالم».

«يعتبر المسلمون أقوى الناس لأنهم لا يبدلون دينهم ولا يرضون عنه بديلًا».

هذه هي قصة ميري واتسون المنصرة سابقًا، خديجة الداعية الإسلامية الآن التي ما إن أسلمت حتى تحول كرهها وعداؤها للإسلام إلى حب فاق حبها لأبنائها ولنفسها بينما تحولت هي من منصرة شديدة الخطورة على الإسلام والمسلمين إلى داعية تبذل الغالي والنفيس في سبيل وصول رسالتها إلى المكابرين من أهل الغرب والمستضعفين من أهالي دول العالم الثالث..

وكما قال النبي -صلى الله عليه وسلّم-: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام»..

نعم.. فالإسلام دين الفطرة.. لا يتعارض مع أي خير في كل البشر..

من كان به خير فطري قبل الإسلام.. زاد خيرًا بعد إسلامه..

فمن أراد خير الدنيا وخير الآخرة.. فعليه بالإسلام..

فماذا تنتظرون؟! ألا تريدون الخير لأنفسكم في الدنيا والآخرة؟!

إذًا اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (29) - (31) - (32)

الضعيف المصلوب

إشارات تتبعها إشارات.. فأين من يهتدي بها؟!!

تكرار وتكرار.. تنوع وتنوع في زوايا النظر إلى دلائل الضلال.. وعلامات الإيمان..

إنه حال كل من تدبر في كل شيء ليصل إلى من ليس كمثله شيء..

حينئذ.. تكون الجائزة الكبرى من الله..

الحق المبين.. الإيمان.. الإسلام..

منذ نعومة أظافره رضع من كأس سوداء مترعة بالحقد على الإسلام والمسلمين.. أصبح معلمًا للشماسة ولم يتجاوز عمره الثامنة عشرة.. تشرّب بافتراءات المكابرين الذين تخصصوا في الافتراء على الإسلام ببتر الآيات القرآنية وإخراجها من مقصدها الحقيقي.. ولكن مواقف كثيرة جعلته يشكك في حيز الضلال الأحمر ويلج إلى منطقة وسطى مملوءة بالإشارات الصفراء منها ما يلي:

أصابته الحيرة حينما سمع إجابات القساوسة عن تساؤلات شبان مسيحيين يسألون عن القرآن الكريم وعن رسول الإسلام -صلى الله عليه وسلّم- حيث كانت الإجابات تشير جميعها إلى تناقضات صريحة..

زلزل كيانه حادث حرمان البطرك (شنودة) الراهب روفائيل (راهب دير مينا) من الصلاة لأنه لم يذكر اسمه فيها.. وهزّه بقوة تساؤل الراهب: هل يصلي للبطرك أم لله، وهل يجرؤ شيخ الأزهر على أن يحرم مسلمًا من الصلاة؟!

انبهر بشدّة حينما نظر لأول مرة إلى مسجد من الداخل وقارنه بالكنيسة حيث وجده يخلو من المقاعد والرسومات وأدوات الموسيقى والإيقاع، وإلى غير ذلك من مكونات وزخارف مادية لا تشبه وقار العبادة الروحية العميقة التي وجدها في المسجد من ركوع وسجود لله فقط حيث الصفوف المنتظمة التي لا فرق فيها بين غني وفقير..

شعر بالهوان حينما تأمل صورة المسيح المصلوب وتساءل عن جدوى عبادته لهذا الضعيف المصلوب الذي لا حول له ولا قوّة ولا يستطيع أن يدفع الشر عن نفسه!!

تسرب بصيص من النور إلى سويداء قلبه عبر سلوك والده الخفي الذي يناقض المسيحية وهو الذي يبشر بتعاليمها في العلن!

إشارات صفراء كثيرة دفعته إلى دخول المنطقة الآمنة حظيرة الإسلام الخضراء التي ولج بوابتها السهلة المنيعة عبر رؤيا رأى فيها رسول الإسلام -صلى الله عليه وسلّم-..

إنه بطل قصتنا الدكتور وديع أحمد الشماس المصري سابقًا الذي دخل الإسلام وهو في العقد الرابع من عمره..

كان والده واعظًا في جمعية أصدقاء الكتاب المقدس بمدينة الإسكندرية المصرية، وكانت مهنته التبشير في القرى المحيطة والمناطق الفقيرة لمحاولة جذب فقراء المسلمين إلى المسيحية. وعندما بلغ سن السادسة من عمره أصرّ والده على انضمامه إلى الشماسة، أي العمل في الكنيسة ومعاونة الكاهن في أداء الخدمات الدينية والصلوات الكنسية. والشماسة إحدى الرتب الكهنوتية الثلاث في الكنيسة، ويعرف أصحاب تلك الرتب بالإكليروس، وهي كلمة يونانية يقصد بها خدام الكنيسة من أساقفة وكهنة وشمامسة.

أصرّ الوالد على أن ينتظم ابنه الذي لم يتجاوز السادسة من عمره في دروس مدارس الأحد، حيث يغرسون في عقول الأطفال في هذه السن الباكرة بذور الحقد السوداء ضد الإسلام والمسلمين، فيقولون لهم إن المسلمين اغتصبوا مصر من المسيحيين وعذبوهم، وإن المسلم أشد كفرًا من البوذي وعابد البقر، وإن القرآن ليس كتاب الله ولكن مُحمَّدًا -صلى الله عليه وسلّم- افتراه واخترعه، والمسلمون يضطهدون النصارى لكي يتركوا مصر ويهاجروا، وغير ذلك من الأحقاد.

أصبح هذا الطفل يكبر ويترعرع في كنف الكنيسة، بينما كان الوالد الواعظ يتكلم سرًّا وعلى نطاق الأسرة عن انحراف الكنائس عن المسيحية الحقيقية التي تحرم الصور والتماثيل والسجود للبطرك والاعتراف للقساوسة.

كبر هذا الشماس الصغير، وكبرت معه ثمار الحقد ضد الإسلام والمسلمين، ما أهّله لأن يصبح أستاذًا في مدارس الأحد ومعلمًا للشماسة ولم يتجاوز عمره 18 سنة. وكان عليه أن يحضر دروس الوعظ بالكنيسة والزيارة الدورية للأديرة، حيث يتم استضافة متخصصين في مهاجمة الإسلام والنقد اللاذع للقرآن والنبي مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم-. فيقولون لهم إن القرآن مملوء بالمتناقضات، ويستشهدون على مزاعمهم بآيات مبتورة، ويقولون لهم إن القرآن مملوء بالألفاظ الجنسية ويفسرون لهم كلمة «نكاح» على أنها الزنا أو اللواط، ويقولون لهم إن النبي مُحمَّدًا -صلى الله عليه وسلّم- قد أخذ تعاليم النصرانية من الراهب (بحيرة) ثم حوّرها واخترع

بها دين الإسلام ثم قتل بحيرة حتى لا يفتضح أمره، وغير ذلك من الأكاذيب والأباطيل.

ترعرع هذا الشماس الصغير وبلغ مبلغ الشباب، وخلال هذه المرحلة كانت هناك العديد من الأسئلة المحيّرة التي يحاول الشباب المسيحيون الوصول إلى إجابات مقنعة لها، فكانوا يتوجهون بهذه الأسئلة إلى القساوسة.

شاب مسيحي يسأل: ما رأيك في مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم-؟

القسيس: إنسان عبقري وذكي .

شاب مسيحي آخر يسأل: هناك الكثير من العباقرة مثل (أفلاطون، سقراط، حامورابي، وغيرهم) ولكن لم نجد لهم أتباعًا ودينًا ينتشر مثلما ينتشر الإسلام وبهذه السرعة؟ لماذا؟

يحتار القسيس في الإجابة عن هذا السؤال!!

شاب آخر يسأل: ما رأيك في القرآن؟

القسيس: كتاب يحتوي على قصص للأنبياء ويحض الناس على الفضائل ولكنه مملوء بالأخطاء.

الشاب نفسه يردف سؤالًا آخر: لماذا تخافون أن نقرأه وتكفّرون من يلمسه أو يقرؤه؟

يصرّ القسيس على أن من يقرؤه كافر دون توضيح السبب !!

شاب آخر يسأل: إذا كان محمّد -صلى الله عليه وسلّم- كاذبًا فلماذا تركه الله ينشر دعوته 23 سنة؟ بل وما زال دينه ينتشر إلى الآن؟ مع أنه مكتوب في كتاب موسى (كتاب أرميا) أن الله وعد بإهلاك كل إنسان يدّعي النبوة هو وأسرته خلال عام واحد فقط؟

القسيس: لعلّ الله يريد أن يختبر المسيحيين به!!

في عام 1971 أصدر البطرك (شنودة) قرارًا بحرمان الراهب روفائيل (راهب دير مينا) من الصلاة لأنه لم يذكر اسمه في الصلاة، وقد حاول الراهب إقناعه بالصلاة لأنه يصلي لله وليس للبطرك، ولكنه خاف أن يحرمه البطرك من الجنة أيضًا !!

وتساءل الراهب: هل يجرؤ شيخ الأزهر على أن يحرم مسلمًا من الصلاة؟!

هذه المواقف المحيّرة، ومن قبلها تلك الأسئلة المحيّرة، أصبحت توقظ فكر صاحبنا الشماس بطل هذه القصة، ولكن أشد ما كان يحيّره تكفير الطوائف المسيحية بعضها لبعض، حيث سأل القمص (ميتاس روفائيل) عن ذلك فأكد له ذلك وأن هذا التكفير نافذ في الأرض والسماء.

فسأله متعجبًا: معنى هذا أننا كفار لتكفير بابا روما لنا؟

أجاب القمص: للأسف نعم!!

سأله صاحبنا: وباقي الطوائف كفار بسبب تكفير بطرك الإسكندرية لهم؟!

أجاب القمص: للأسف نعم!

سأله صاحبنا: وما موقفنا إذًا يوم القيامة؟

أجاب: الله يرحمنا!

هنا انتبه الدكتور وديع أحمد الشماس المصري سابقًا إلى خطورة الأمر!! وكان عمره قد قارب الأربعين ومرّ بجميع المراحل والمواقف التي استعرضنا لكم بعضًا من ملامحها العامة.

يقول: عندما دخلت الكنيسة ووجدت صورة المسيح وتمثاله يعلو هيكلها سألت نفسي كيف يكون هذا الضعيف المهان الذي استهزئ به وعذب ربًّا وإلهًا؟ ولماذا أعبد إذًا هذا الضعيف الذي لا يستطيع أن يدفع الشر عن نفسه؟! ولماذا لا أعبد ربّ هذا الضعيف الهارب من بطش اليهود؟!

يقول الدكتور وديع الشماس المصري سابقًا: لقد تعجبت حين علمت أن التوراة قد لعنت الصليب والمصلوب عليه وأنه نجس وينجس الأرض التي يصلب عليها!! (تثنية 21: 22 - 23)!

في عام 1981 كان الدكتور وديع أحمد كثير الجدل مع جاره المسلم (أحمد محمد)، وذات يوم كلّمه عن العدل في الإسلام (في الميراث، في الطلاق، في القصاص، وغير ذلك من صور العدل)، ثم سأله: هل عندكم مثل ذلك؟ أجاب صاحبنا بصدق: لا.. لا يوجد لدينا شيء من ذلك!

هنا بدأ يسأل نفسه: كيف أتى رجل واحد بكل هذه التشريعات المحكمة والكاملة في العبادات والمعاملات دون اختلافات؟ وكيف عجزت مليارات اليهود والنصارى عن إثبات أنه مخترع؟

خلال الفترة من عام 1982 إلى عام 1990 كان الدكتور وديع أحمد طبيبًا في مستشفى (صدر كوم الشقافة) وكان الدكتور محمد الشاطبي دائم التحدث مع الزملاء عن أحاديث مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم-. ويقول الدكتور الشماس: كنت في بداية الأمر أشعر بنار الغيرة، ولكن بعد مرور الوقت أحببت سماع هذه الأحاديث (قليلة الكلام كثيرة المعاني جميلة الألفاظ والسياق) وشعرت وقتها أن هذا الرجل نبي عظيم.

حتى هذه المرحلة لا يزال بطل هذه القصة الدكتور وديع أحمد مسيحي الديانة والهوى.

لقد قرأنا في صدر هذه القصة أن الدكتور وديع عندما كان طفلًا كان يسمع والده يتكلم سرًّا

عن انحراف الكنائس عن المسيحية الحقيقية التي تحرم الصور والتماثيل والسجود للبطرك والاعتراف للقساوسة.

والآن يروي لنا بنفسه عوامل أخرى خفيّة أسهمت في هدايته إلى دين الحق، وهذه العوامل تتعلّق بوالده، حيث لاحظ أن والده وفي مرحلة ما هجر الكنائس والوعظ والجمعيات التبشيرية تمامًا، وكان يرفض تقبيل أيدي الكهنة (وهذا أمر عظيم عند النصارى)، وكان لا يؤمن بالجسد والدم (الخبز والخمر) أي لا يؤمن بتجسيد الإله، وكان بدلًا من نزوله صباح يوم الجمعة للصلاة أصبح ينام ثم يغتسل وينزل وقت الظهر، وكان ينتحل الأعذار للنزول وقت العصر والعودة متأخرًا وقت العشاء!!

وهنا يتبلور في ذهن الدكتور وديع سؤال مهم: هل كان أبي مسلمًا؟!

يقول إنه لاحظ على والده أيضًا أنه أصبح يقول ألفاظًا جديدة (أعوذ بالله من الشيطان) و(لا حول ولا قوة إلا بالله)، بينما وجدت بعد موت أبي في عام 1988 قصاصات ورق بالإنجيل الخاص به يوضح فيها أخطاء موجودة بالأناجيل وتصحيحها، وعثرت على إنجيل جدي (والد أبي) طبعة 1930 وفيها توضيح كامل للتغييرات التي أحدثها النصارى فيه منها تحويل كلمة (يا معلم) و(يا سيد) إلى (يا رب)، وذلك حتى يوهموا القارئ أن عبادة المسيح كانت منذ ولادته .

بالقرب من عيادة الدكتور وديع يوجد مسجد (هدى الإسلام)، حيث يقول إنه اقترب منه ذات مرّة وأخذ ينظر بداخله فوجده لا يشبه الكنيسة مطلقًا (لا مقاعد - لا رسومات - لا ثريات ضخمة - لا أدوات موسيقى وإيقاع - لا غناء ولا تصفيق)، بينما لاحظ أن العبادة في هذه المساجد هي الركوع والسجود لله فقط، لا فرق بين غني وفقير يقفون جميعًا في صفوف منتظمة! يقول الدكتور وديع إنه قارن بين ذلك وعكسه الذي يحدث في الكنائس فكانت المقارنة دائمًا لمصلحة المساجد.

يقول الدكتور وديع وجدت في نفسي يومًا الرغبة في قراءة القرآن، فاشتريت مصحفًا وتذكرت أن صديقي أحمد قال لي إن القرآن (لا يمسّه إلا المطهرون)، ولذلك اغتسلت ولم أجد غير ماء بارد وقتها، ثم قرأت القرآن وكنت أخشى أن أجد فيه اختلافات (بعد ما ضاعت ثقتي بالتوراة والإنجيل)، وأكملت قراءة القرآن كلّه في يومين، ولكني لم أجد فيه شيئًا مما كانوا يعلموننا إياه في الكنيسة عن القرآن!

وذات يوم غلبني النوم، فوضعت المصحف بجواري، وقرب الفجر رأيت نورًا في جدار الحجرة وظهر رجل وجهه مضيء اقترب مني وأشار إلى المصحف، فمددت يدي لأسلّم عليه، لكنه اختفى، ووقع في قلبي أن هذا الرجل هو النبي مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم- يشير إلى أن القرآن هو

طريق النور والهداية.

وأخيرًا أسلمت وجهي لله، وسألت أحد المحامين فدلّني على أن أتوجه إلى مديرية الأمن -قسم الشؤون الدينية- ولم أنم تلك الليلة، وراودني الشيطان (كيف تترك دين آبائك بهذه السهولة)؟! فخرجت في السادسة صباحًا ودخلت كنيسة (جرجس وأنطونيوس)، وكانت الصلاة قائمة، وكانت الصالة مملوءة بالصور والتماثيل للمسيح ومريم والحواريين وأناس آخرين كالبطرك السابق (كيرلس) فكلمتهم: (لو أنكم على حق وتفعلون المعجزات كما كانوا يعلموننا فافعلوا أي شيء، أي علامة أو إشارة لأعلم أنني أسير في الطريق الخطأ) وبالطبع لا إجابة .

بكيت كثيرًا على عمر مديد ضاع في عبادة هذه الصور والتماثيل! وبعد البكاء شعرت أنني تطهرت من الوثنية وأنني أسير في الطريق الصحيح طريق عبادة الله حقًّا، فذهبت إلى مديرية الأمن وبدأت رحلة طويلة شاقة مع الروتين والمعاناة والبيروقراطية وظنون الناس، وبعد عشرة أشهر كاملة تم إشهار إسلامي في أغسطس 1992 .اللهم أحيني على الإسلام وتوفني على الإيمان.. اللّهم احفظ ذريتي من بعدي خاشعين، عابدين، يخافون معصيتك ويتقرّبون إليك بطاعتك.

بهذه الدعوات يختم الدكتور وديع أحمد حديثه حول رحلته الطويلة من النصرانية إلى الإسلام.. من مسيحي متعصب رضع الكره للإسلام منذ صغره إلى مؤمن صادق يسأل الله تعالى أن يحفظ ذريته من الكفر والشرك والضلال من بعده.

هذا ما يجب أن نحرص عليه جميعًا.. المآل.. الآخرة.. لنا ولذرياتنا وأهلنا.. بل والناس أجمعين..

الطريق إلى الله لا يعترضه عارض.. إنه مفتوح دائمًا.. يرحب بسالكيه..

فمن وجده مغلقًا فليفتش في نفسه!! هل حقًّا توجه إليه وحاول السير فيه؟!

من توجه إلى الله بصدق.. شرح الله صدره للإسلام..

لذا.. اسألوا الله الهداية بصدق.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (29) - (30) - (31)

هيرالال غاندي

لإسلام الكبار نتائج كبيرة..

يدخل به كثير من الناس الإسلام..

يفتح الله بإسلامهم فتوحًا تحتاج إلى أعمار وأعمار..

الحق.. أن الكبار يصبحون كبارًا بدخولهم الإسلام..

مقامهم الكبير قبل الإسلام.. مقام الواهمين..

الإسلام.. الدين الحق.. يمنح الخير لأي إنسان..

هذا ما لمسه بنفسه بطل قصتنا..

خرج من صلب وثني بارد كما يخرج الحي من الميت.. والده زعيم هندي كبير، بل أحد الزعماء القلائل في العالم الذين يشار إليهم بالبنان.. تربّى على يد مدرّسين أكفاء تعرّف عبرهم إلى الكثير من تعاليم ديانته الهندوسية ومن أسرار طائفته البراهمية.. تخرّج محاميًّا.. عمله بالمحاماة أتاح له فرصة التعرّف إلى مدى الظلم الذي يمارسه الهندوس ضد غيرهم من الطوائف.. تزعزعت ثقته بصحة ديانته الهندوسية.. لاحظ أن المسلمين لا يفرقون بين غني وفقير فاشتدت رغبته في دراسة الدين الإسلامي.. وعقب دراسة متعمقة للإسلام أشهر إسلامه وسط فرحة المسلمين وخيبة الهندوس.. برغم الضغوط المهولة من بني قومه تحدّى الجميع وتمسك بإسلامه.. إنه «هيرالال» ابن الزعيم الهندي الكبير «المهاتما غاندي» الذي انشغل بالنضال من أجل استقلال بلاده.. ندعوكم لكي تتعرفوا إليه وإلى قصة إسلامه.

تربى «هيرالال غاندي» في بيت أبيه ذائع الصيت.. درس الهندوسية منذ نعومة أظفاره كما تعلّم تفاصيل دقيقة عن طائفته البراهمية، وهي طائفة تعد من أرقى الطوائف في الهند.. تعمّق بطل قصتنا في دراسة ديانته الهندوسية وتعلّم كل ما له صلة بآلهتها المتعددة وشرائعها الكثيرة.. بل قرأ الكتب القديمة للديانة الهندوسية مثل «الفيدا» و«البرهمانا» و«اليجفادجيتا» وغيرها من كتب هذه الديانة الوثنية، كما تعرّف إلى تفاصيل صراع هذه الديانة مع غيرها من الديانات كالبوذية.

في بداية مشوار حياته لم يكن هيرالال يهتم كثيرًا بالتناقضات الصارخة التي تزخر بها ديانته الهندوسية الوثنية، كتعدد الآلهة وفداحة الظلم الاجتماعي، بالتالي لم يفكّر لحظة في أنها ديانة

باطلة لا تتسق مع الفطرة الإنسانية السوية، خاصة وهو أحد المستفيدين منها ومن قيمها الظالمة باعتباره أحد أبناء طائفة «البراهما».. بل ابن زعيمها الكبير الذي ذاع صيته في كل أرجاء العالم.

درس هيرالال القانون وتخرج محاميًّا مثل والده.. عمله بالمحاماة شكل نقطة فارقة في حياته؛ إذ مكّنه من الإلمام بالتمايز الطبقي في الهند وما يصحبه من ظروف اجتماعية سيئة وقاسية يحياها الناس في بلاده.. خاصة الظلم الصارخ الذي يمارسه أبناء طائفته من الهندوس ضد غيرهم من الطوائف.. ليس هذا فحسب، بل ما يمارسه الهندوس من ظلم ضد بعض أبناء طائفتهم ذاتها ممن يعرفون بـ «المنبوذين»، والذين حكم عليهم البراهمة بأن يقوموا بخدمتهم بنظام السخرة بلا أجر ولا ثواب.

بسبب التمايز الطبقي السابق ذكره شكك هيرالال في مدى صحة الديانة الهندوسية الوثنية التي لا تكتفي بالتفريق بين الناس، وإنما تفرق بين أتباعها أنفسهم وتقوم بتصنيفهم إلى أسياد مستبدين مترفين وعبيد مظلومين مسخرين لخدمة أولئك الأسياد.. هذا من ناحية.. ومن ناحية ثانية أثّر في نفسه كثيرًا أن يرى المسلمين في بلاده لا يفرقون بين ثري ومعدم، أو بين عالم وأمي، أو بين وجيه منحدر من أسرة كبيرة ذات جاهٍ وسلطان ووضيع لا تعرف له جذور.. لكل ما سبق ذكره اشتدت رغبة هيرالال في دراسة الدين الإسلامي بتعمق ورويّة، وما دفعه إلى ذلك أيضًا ملاحظة مهمة مفادها أن بعض كتب الهندوس تتكلم عن نبي له نفس صفات النبي محمد -صلى الله عليه وسلّم-.

بسبب اطلاعه على ما كُتب عن الإسلام، كان هيرالال يعلم الكثير عن الدين الإسلامي.. تيقن هيرالال بأنه يخطو خطوته الأولى في طريقه نحو الحقيقة التي ظل يبحث عنها لسنين طوال.. عقب قراءته لقوله تعالى: «**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**» (آل عمران: 85) اقتنع بأن الإسلام هو الدين الحق وأن ما دونه الباطل.. ساعده على ذلك لقاؤه بالشيخين الجليلين «زكريا منيار» و«نذير أحمد خجندي» اللذين أخبراه بأن الحقيقة التي تبحث عنها روحه المتخمة بالحيرة موجودة في الإسلام. وبفضل من الله تعالى اقتنع هيرالال تمام الاقتناع بالإسلام بعد أن شرح الله تعالى صدره له.

في الجمعة التالية لاقتناعه بالإسلام ارتدى «هيرالال» الأبيض من الثياب مع عمامة بيضاء خفيفة كروحه الشفيفة المتلهفة للارتواء من فيوض الإيمان، وتوجه إلى الجامع الكبير في مدينة «بومباي» الهندية، وأمام أكثر من عشرين ألف دهشة لمسلمين حضروا لصلاة الجمعة فاجأ هيرالال الجميع بإشهاره لإسلامه، وغيّر اسمه إلى «عبدالله هيرالال غاندي».

بعيد لحظات من إعلانه لإسلامه صعد «عبدالله هيرالال غاندي» على المنبر وألقى كلمة

صادقة من ضمن ما جاء فيها قوله: «جميعكم تعلمون بأني هيرالال ابن الزعيم الوثني الكبير «غاندي»، فأنا أعلن على رؤوس الأشهاد، وفي وسط هذا الجمع العظيم من المسلمين، بأني قد عشقت الإسلام، وأحببت القرآن، وآمنت بالله وحده، وبالرسول الأطهر سيدنا محمد صلوات الله تعالى عليه، وأنه خاتم النبيين، وأنه لا نبي بعده، وأن ما جاء به القرآن حق، والبعث والنشور حق، والملائكة والقضاء والقدر حق، والكتب المنزلة كلها حق، وأنبياء الله ورسله حق، فللإسلام وللقرآن سأحيا وأموت وسأدافع وأناضل، وسأكون إحدى دعاماته الكبرى، وسأكون مبشرًا به، وداعيًّا له بين قومي وعشيرتي، ألا إن هذا الدين الحنيف هو دين العلم والثقافة، والعدل والأمانة، والرحمة والمساواة».

استقبل أكثر من عشرين ألف مسلم حضروا صلاة الجمعة بمسجد بومباي الكبير إعلان هيرالال إسلامه بالتكبير والهتاف: «الله أكبر.. الله أكبر».. ووقف الشيخ زكريا منيار وطلب من المصلين أن يصافحوا أخاهم الجديد في الله ويهنئوه بدخوله الإسلام ففعلوا، حيث أقبلوا عليه يصافحونه ثم حملوه على الأعناق يزفونه إلى سيارته وقد ملأ التهليل والتكبير سماء مدينة بومباي بعد أن صدحت به قلوب مسلميها قبل أن تلهج به ألسنتهم وحناجرهم.

لم يمر وقت طويل حتى تناقلت الصحف ووكالات الأنباء الخبر المدوي المتمثل في إسلام ابن الزعيم غاندي.. كان وقع الخبر على الهندوس بمنزلة الصاعقة المفاجئة التي تقع على أم الرأس عقب توقّف المطر.. غضب زعماء الهندوسية أيما غضب، وأغلقت معظم المحال التجارية الهندوسية المتصلة بأحياء المسلمين استياءً وحزنًا بسبب إسلام ابن زعيمهم، أما تأثير إسلام ابن الزعيم على والده فقد كان مهولًا لدرجة جعلته يتشنج حتى النخاع ويمتنع عن تناول الطعام والشراب لمدة يومين كاملين.. بينما لم يقتصر الأمر على غضب غاندي ومناصريه على هيرالال، وإنما تفجر ذلك الغضب متخذًا شكل حملات مسعورة انهالت على المسلم الجديد من كل حدب وصوب.. ليس هذا فحسب بل هاجمت الجمعيات والصحف الوثنية هيرالال هجومًا عنيفًا مصحوبًا بالوعيد والتهديد الشديدين، بيد أن «عبدالله هيرالال» لم يبال لكل أنواع الهجوم التي تعرّض لها، بل تحدى الجميع بأن تمسك بإسلامه وعض عليه بنواجذه برغم الويل والثبور اللذين انهالا عليه من كل بني جنسه ومن كل حاقد على الإسلام.

وبسبب إسلامه واجه هيرالال هجومًا عنيفًا من الصحف والجمعيات الوثنية التي باعت نفسها للشيطان فأضحت أبواقًا مشروخة منكرة للحق. وفي خضم هذه الحملة الإعلامية، تمت دعوة عبدالله هيرالال إلى اجتماع إسلامي عقد في مدينة «سورت»، حيث ألقى كلمة بيَّن فيها كل أنواع الحملات والمضايقات التي تعرض لها، مشيرًا إلى عدم اكتراثه لها، وكان من بين ما قاله في تلك الكلمة: «لست بنادم ولا متأسف لاعتناقي الدين الإسلامي الحنيف كما يقولون ويشيعون، والله يعلم ويشهد أني ما فعلت أكثر من تلبيتي نداء الحق ونداء ضميري... ورضوخي واستسلامي

إلى الضالة المنشودة، والحلقة المفقودة التي كانت ضائعة مني، قد وجدتها أمامي أخيرًا متمثلة في كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وفي سيرة رسوله الأعظم صلوات الله عليه».

وفي خاتمة كلمته خاطب عبدالله هيرالال الهندوس بضمير الغائب قائلًا: «خير لهؤلاء القوم إذا رغبوا في التخلص من حياتهم المريرة هذه أن يلقوا بنظرة بسيطة خالية من التعصب، ويدرسوا حقيقة الإخاء الإسلامي -وإن لم يعتنقوا الإسلام- ثم لينصفوا بعد ذلك من تلقاء أنفسهم، وليعلنوا النتيجة لنا ولأمة المهاتما غاندي ثم إلى العالم».

فهل من مجيب؟!!

هل يقبل غير المسلمين هذا العرض البسيط؟!

ولمَ لا؟!.. أليس الحق هو ما يجب أن يسعى الإنسان إليه؟!

إذاً.. فليقبلوا.. فليدرسوا الإسلام بإنصاف.. ثم ليعلنوا ما توصلوا إليه بأنفسهم..

إلا أن حب الدنيا.. يطمس على قلوب الكثيرين من غير المسلمين..

لذا.. ليبحث الإنسان عن الحق بنفسه.. بقلبه..

وليسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (14) - (26) - (29)

رسائل النور

عبر حياة الإنسان..

هناك العديد من المحطات المفصلية والركائز الأساسية..

يلتقي فيها الإنسان مع نفسه..

يقف مع ضميره وفطرته..

يتلمس الإجابات الشافية عن الأسئلة المضنية..

يبحث ويبحث.. ومع صدق البحث يبزغ النور في قلبه..

يضع الله في طريقه أي دليل..

فالأدلة كلها من صنع الله..

فطالما اشرأبت النفس ترنو إلى خالقها بصدق.. سيهديها الله إليه..

«**والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا**»..

إنه وعد الله الذي لا يخلف الوعد.. سبحانه..

بطلة قصتنا.. من هؤلاء الباحثين عن الله.. ولدت ونشأت في كنف أسرة كاثوليكية بريطانية عريقة.. واظبت منذ طفولتها على زيارة الكنيسة في أيام الأحد، بل تم إرسالها إلى دير للراهبات وعمرها لم يتجاوز الثامنة.. شعرت بنفور من ديانتها التي وجدتها لا تكنّ احترامًا للعقل.. تنقّلت بين العديد من البلدان وتعرفت إلى العديد من الديانات بيد أن لا شيء منها أشبع رغبتها حتى وجدت الحقيقة التي تبحث عنها في ترجمة إنجليزية لكتاب «رسائل النور» لبديع الزمان سعيد النورسي، فانقلبت حياتها رأسًا على عقب، بل الأصح تعدلت عقبًا على رأس، حيث كانت تلك الترجمة بمنزلة النافذة المضيئة التي عبرت عبرها من دياجير الظلمات إلى رحاب النور، فاعتنقت الإسلام.. إنها البريطانية ماري ويلز تلميذة النورسي وبطلة هذه القصة.

منذ نعومة أظفارها لم تجد ماري وإخوتها الخمسة في بيت العائلة الفسيح سوى جو ديني سطحي يهتم بالشكل ويفتقر إلى العمق كالدعاء قبل تناول وجبات الطعام وعقبه أو التردد على الكنيسة أيام الأحد لذلك بدأت منذ صغرها تشعر بالنفور من النصرانية.. ألهمتها فطرتها السوية

بأن النصرانية التي تربت عليها كتقليد أعمى ليست سوى مسخ محرف من صنع البشر.. ولكنها أقبلت على النصرانية في طفولتها تماشيًا مع تقاليد أسرتها التي أدخلتها المدرسة في دير كاثوليكي وعمرها ثماني سنوات، وإن ظل داخلها يتمرد عليها بشدة.

وخلال الفترة التي قضتها تدرس بدير الراهبات أصبحت كثيرة الارتياب، وكانت تبحث في قلق عن الحقيقة التي لم تجدها في الديانة النصرانية.. وحز في نفسها ما كانت تعانيه من غياب العقيدة المتماسكة التي تستطيع أن تجابه بها العالم، إذ كانت التراتيل التي يرددونها في الكنيسة تفتقر إلى العمق وينتهي مفعولها في دواخلهم حالما يغادرون الكنيسة.

وعقب مرور تسع سنوات قضتها في مدرسة الدير وجدت نفسها أكثر نفورًا من النصرانية على الرغم من مشاركاتها الحماسية الفاعلة في أداء الطقوس والتراتيل الدينية.. فطفح تمردها الداخلي إلى الخارج وبدأت تبحث عن البديل هربًا من الدير.. فانغمست في عالم الملذات المادية المهلكة دون أن تتنازل عن رغبتها في البحث عن البديل.

عندما تركت ماري مدرسة الدير وعمرها سبعة عشر عامًا، كانت بريطانيا في ذلك الحين، وكغيرها من الدول الأوروبية، تشهد تمردًا عارمًا من قبل الشباب على تقاليد مجتمعهم، حيث وجدوا تناقضًا صارخًا في تلك التقاليد بين الشعارات البراقة المرفوعة والواقع المزري المرير مضافًا إلى ذلك خواء روحي مريع يسود بضراوة في مجتمع يبيح كل ما يهدم الروحانيات في النفوس.. انغمس الشباب الأوروبي آنذاك في موجة من المجون واللهو وموسيقى الروك والموديلات الجديدة من الأزياء والاحتجاج السلبي على أوضاع لا تتسق مع ميولهم ورغباتهم السطحية.. وساعدت السلطات الأوروبية الشباب في اتجاهاتهم الجديدة وبحثهم عن مناهج حياتية بديلة كمخدر يشغلهم عن معارضة الأنظمة الحاكمة.

سبحت ماري ويلدز خلال العقدين السادس والسابع من القرن العشرين مع ذلك التيار السطحي الجارف دون أن تفقد وعيها كما حدث للكثيرين من أترابها، إذ ظلت تبحث بإلحاح عن علاج ناجع للخواء الروحي الذي كان يمور بداخلها، وملاذ أمين يريحها من حالة القلق التي كانت تعيشها.. وللحصول على بغيتها التي لم تجدها في الأماكن التي ارتادتها مع الشباب المتمردين على تقاليد المجتمع المشوهة، اشتغلت في أعمال متنوعة، وزارت العديد من الأقطار.

احتكت بنماذج مختلفة من البشر ينتمون إلى مختلف الفئات الدينية والسياسية في العديد من الأقطار، وحاولت مجاراتهم في أنشطتهم وطقوسهم بيد أن عقلها رفض عقائدهم ولم يتقبل أفكارهم.. أفادتها تلك الزيارات وجعلتها تنظر إلى موسيقى الروك والأزياء التي انشغل بها أندادها من الشباب كممارسات مبتذلة وتافهة.. فبحثت في كثير من الديانات عن أجوبة جوهرية عن

أسئلة كانت تشغل بالها إلا أنها أخفقت في الوصول إلى ضالتها المنشودة.

مع مرور الأيام والشهور تدهورت الحالة النفسية لبطلة قصتنا حتى وصلت درجة من الاستياء أصبحت معها تكره حتى الأشياء التي كانت تحبها؛ كالمزارع والأشجار والسماء.. إذ بدت أمامها تخلو من أي معنى بينما كان رأسها يحتشد بكم مهول من الأسئلة الملحة يدور حول الكون وظواهره وحول من يقف وراء نمو الكائنات وموتها بمختلف أنواعها.. ما كان يزيد من درجة استيائها الغفلة التي تغطي عقول زملائها بالجامعة وقلوبهم، حيث لاحظت كم هم غافلون عن حقيقة زيف المجتمع الذي غرق أفراده في أسن المادة حتى النخاع.

وهكذا ظلت ماري ويلدز تعاني صراعًا نفسيًّا رهيبًا عندما لم تجد في الأديان والمعتقدات المنتشرة في العالم ما يروي ظمأها ويريح عقلها الباحث عن الحقيقة.. وبرغم اطّلاعها في الجامعة على مؤلفات كتبت عن الإسلام وسماعها محاضرات تتحدث عنه، فإنها لم تتأثر بها، لأن من كتبوا تلك المؤلفات أو ألقوا تلك المحاضرات لم يكونوا سوى مستشرقين نقلوا صورة مشوهة عن الإسلام.. ومن بين ركام الإحباط وعلى حين غفلة منها جاءها الفرج عندما اطلعت ولأوّل مرّة على ترجمة إنجليزية لكتاب «رسائل النور» لمؤلفه الداعية الإسلامي التركي بديع الزمان سعيد النورسي.

في البدء لم تستطع فهم تلك الترجمة ولكنها شعرت براحة نفسية وهي تقرؤها، فاستعانت على ذلك بزملائها في الجامعة من المسلمين.. شرحوا لها ترجمة «رسائل النور» في صورة مبسطة، فأحبتها ووجدت فيها ما كانت تبحث عنه فاعتنقت الإسلام، وهجرت حياتها الحالكة المدلهمة التي تمور بالبؤس واليأس والشقاء، إلى حياة جديدة مملوءة بسعادة حقيقية تتجاوز بعدي الزمان والمكان.

لقد تعلمت ماري من بديع الزمان عبر رسائل النور حكمة الله تعالى في خلقه لمخلوقات كثيرة متباينة لا تحصى ولا تعد كما عرفت عبر كتاباته أن مخلوقات الله جميعها تعمل لتحقيق أهداف خلقت لأجلها وأن هذا الكون يسير وفقًا لنظام بديع دقيق لا مجال فيه للخطأ.. لقد توصلت إلى أن كل مخلوق يعتبر آية من آيات الله تعالى، وعلامة تدل على قدرته المطلقة وسلطانه غير المحدود.

وجدت بطلة قصتنا في «رسائل النور» ملاذها الأمين الذي اكتشفت فيه البون الشاسع بين ماضيها المظلم الذي كان يتسم بالرفض والتمرد على كل شيء وحاضرها المشرق الزاهر الذي أصبحت فيه تعيش في تجاوب باهر وانسجام مع الوجود، إذ لم تشعر بالسكينة والقناعة والاطمئنان إلا بعد أن دخلت عالم الإسلام هذا العالم الوادع الجميل.

وعن التأثير الذي أحدثه في نفسها كتاب «رسائل النور» تحدثت ماري في كتابها «رحلتي من

الكنيسة إلى المسجد: لماذا؟» قائلة: «بدأت تتفتح أمامي دنيا تبدو ذات معنى ومغزى وانسجام وتناغم مع جمال زاهر، فلقد تعلمنا لغة جديدة للتفاهم مع الدنيا والكون، هي لغة القرآن الكريم، تعلمناها من بديع الزمان سعيد النورسي، الذي أفهمنا الإيمان الخالص في رسائل النور: ما الكون؟ وما الطبيعة؟ ومن نحن؟ ولماذا هذه الأعداد من المخلوقات؟ وما وظائفها؟ ولماذا وجدوا وإلى أين المصير؟ وكيف أن الإسلام دين كامل متكامل؟ وكيف أنه يخاطب عقل الإنسان ومداركه، وكل لطائفه ومشاعره؟ وكيف يجب أن ننظر إلى الكون من حولنا؟ نرتفع بأعيننا من الإحساس بالمادة إلى الإحساس بالمعنى، ومن عالم الدنيا إلى عالم الآخرة، وننظر من خلال الخلق إلى أسماء الخالق العظيم والرحمن الحكيم».

وجدت ماري في «رسائل النور» الاجابات الشافية عن أسئلة ظلت تؤرق مضجعها لفترة طويلة حيث توصلت إلى أن الحضارة الغربية القائمة التي تدّعي بأنها حضارة نصرانية، ما هي إلا تطور للحضارة الإغريقية الرومانية القديمة.. بالإضافة إلى ما سبق ذكره استخلصت ماري نقطتين مهمتين: تتحدث النقطة الأولى عن الادعاء الكاذب للكنيسة حينما اعتبرت نفسها ممثلة للنصرانية، بينما تتعارض معتقداتها مع الوحدانية التي أتى بها المسيح -عليه السلام-. أما النقطة الثانية فتتحدث عن المعارضة الصارمة من قبل الكنيسة لممارسة الفكر وتطوير العلم والمعرفة.

وتوقفت ماري كثيرًا عند الأسس الفاسدة التي قامت عليها حضارة الغرب كما تحدث عنها النورسي الذي فضح الحضارة الغربية، فتوصلت بذلك إلى السر الكامن وراء وقوف الغرب بشدة ضد الإسلام كعقيدة ومنهاج حياة، إذ إن الحضارة الغربية التي بنيت على القوة المادية والمنفعة الحسية تريد أن تتعامل مع بقية الحضارات من هذين المنطلقين، وهما أمران يرفضهما الإسلام بشدة لأن شريعته السمحة تدعو إلى العدالة المطلقة حيث لا تفريق بين جنس وآخر، كما أنها تدعو إلى نصرة الضعيف حتى يأخذ حقه؛ إذًا هناك تناقض بين الحضارتين الغربية والإسلامية، فالقوة في الحضارة الغربية يقابلها الحق في الإسلام، والمنفعة في تلك الحضارة المادية تقابلها الفضيلة في المنظور الإسلامي، بينما العنصرية تقابلها الدعوة الخالدة: «لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى».

من هذه النقطة بدأت ماري دفاعها عن الإسلام حيث أخذت تفند الدعاوى التي روج لها كل من الدولة والكنيسة والمستشرقين لدى العامة من أبناء الحضارة الغربية والتي تزعم بأن الإسلام هو «دين السيف» تلك الدعاوى المغرضة التي رسمت صورة ذهنية سلبية عن الإسلام وأظهرته بمظهر الدين العدواني المعادي للحضارة الحديثة، الرافض لكل جديد.

وتتحدث ماري في كتابها عن أن وسائل الإعلام الغربية التي يسيطر عليها المتعصبون من أعداء الإسلام توظف بدهاء صورة المسلمين الذين يفدون إلى الغرب، حاملين معهم تصرفات تسيء إلى

الإسلام، وتستغلها كفرصة ذهبية لتشويه دين الله الحنيف..

وهنا تقترح ماري على الدعاة أن يغيروا أسلوب دعوتهم إلى الإسلام في أوروبا وينتقلوا من الأسلوب التقليدي، إلى الأسلوب العلمي الحديث الذي يقدم الإسلام إلى الغرب على أنه التفسير المنطقي للكون ومن فيه، وأن يوضحوا ما ذكره القرآن الكريم من أن الله عزّ وجلّ لم يخلق الإنسان والكون عبثًا، كما نصحتهم بضرورة توضيح حقيقة تكريم الإسلام للمرأة مع تركيزهم على التفكك الأسري المريع الذي تتعرض له البيوت في المجتمعات الغربية، وهو تفكك ناجم عن هجر المرأة لدورها الطبيعي الذي جبلت عليه، والذي قرره لها خالقها سبحانه وتعالى، وأن يوضحوا في هذا الجانب المفهوم الخطأ الذي يسعى إلى المساواة بين الرجل والمرأة، باعتباره مفهومًا خطأً مجافيًا للفطرة لم يزد المرأة إلا رهقًا ورقًّا، إذ حوّلها من إنسانة كرمها الله تعالى إلى آلة عبثية يلهون بها كما يشاؤون باسم الحرية..

هذا هو المنهج الدعوي الذي تفضله وتدعو إليه ماري ويلدز..

منهج يتسق مع الإسلام تمام الاتساق..

فالإسلام لا يمتّ بصلة إلى الصورة المشوهة التي رسمها الكارهون له في الغرب..

الإسلام هو طوق نجاة البشرية.. هو طوق نجاتك أنت..

هو مركب يأخذك وينقذك من عواصف الكفر والتكذيب والبعد عن الله..

فاركب معنا.. نقولها لك كما قالها نوح -عليه السلام- لابنه الضال..

ولكن ابنه للأسف لم يستمع إلى النصيحة.. فهلّا سمعتها أنت؟!!

لا تذهب بقدميك إلى مصير ابن نوح..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (35)

الطفل المعجزة

في كل كتاب من الكتب السماوية..

في كل ديانة من الديانات السماوية..

قبس من نور..

كيف لا وقد بدأت موحى بها من عند الله؟!

حرفوها.. وأدخلوا فيها ما شوّه جوهرها..

لذا.. هناك ما ترفضه الفطرة السليمة.. فالمسيح نبي بلا شك.. ابن الله!! لا.. هنا كل الشك!!

بطلة قصتنا تمردت على ما في المسيحية من أفكار وعقائد غير مقبولة!!

ولدت وترعرعت بولاية «كيباك» الكندية.. نشأت في بيئة مسيحية شديدة التّزمت.. كانت ملحدة غير مقتنعة بأي دين ومع ذلك كانت تُجبر على ممارسة الطقوس والشعائر المسيحية.. طفل رضيع لا حول له ولا قوة كان سببًا في بداية تحولها من ملحدة تمارس الطقوس المسيحية مكرهة إلى مسلمة تذوب حبًّا في الإسلام.. إنها الكندية «جاكلين فيمات» بطلة هذه القصة.

ألحقتها أمها المسيحية المتشددة بالكنيسة لتتلقى العلم ولتتربى على أيدي خادمات المعبد.. بقيت في الكنيسة ست سنوات.. في تلقيها لدروسها كانت مثالًا للمواظبة والتفوق، أما في أوقات العبادة فقد كانت شديدة الشغب والعناد.. درجت مديرة المدرسة على عزلها عن بقية البنات عند ممارسة الشعائر الدينية وذلك خوفًا من أن تفسد عليهن عقولهن.. وبرغم صغر سنها فلم تكن تستسيغ الديانة المسيحية إذ كانت تجد فيها أمورًا لا يتقبلها العقل السوي.

وهكذا نشأت جاكلين كافرة بالديانة النصرانية التي كانت تُجبر على ممارسة طقوسها.. وعن شكوكها في النصرانية تقول جاكلين: «صحيح أنني قبلت المسيح، ولكن لم أقبل أنه ابن الله.. أو أن يتحول الله إلى رجل وينجب، وهو رب الوجود كله ورب العالمين!».

ولكن كيف حدث تحول جاكلين من مرحلة الإلحاد وعدم إيمانها بأي ديانة إلى مرحلة الإيمان بوجود الله الخالق لكل تلك الكائنات والمخلوقات؟!

العجيب أن طفلًا لا حول له ولا قوة حوّلها من ملحدة لا تؤمن بأي ديانة إلى مؤمنة بوجود الله

الخالق لهذا الكون بكل ما فيه من كائنات ومخلوقات!!

كان ذلك في السادس والعشرين من شهر أكتوبر من عام 1966.. في ذلك اليوم تبنت جاكلين طفلها الأول الذي كان عمره وقتها ثلاثة أشهر فهي لم تنجب أطفالًا برغم رغبتها الملحة فيهم.. أثناء قيامها بتنظيف الطفل كانت تتساءل كما تقول: «هذا المخلوق الضعيف المسكين لا يمكن أن يوجد دون خالق له، ولكن من هو؟ وكيف هو؟ وظللت أرقب نموه وأفكر.. وكان هذا التفكير هو بداية رحلتي إلى الإيمان بالله أولًا قبل الإيمان بديانة معينة».

سبحان الله! الطفل الذي كان سببًا في إخراجها من دائرة الإلحاد وهو رضيع أصبح سببًا في دخولها الإسلام عندما وصل سن التعليم.. وفي ذلك تقول جاكلين: «وعندما كبر طفلي الذي تبنيته واحتجت إلى تعليمه فصرت أتردد على المكتبة لاستعارة الكتب التي تفيدني في تعليمه.. فحدث ذات مرة أن وقع بصري على قسم الديانات، فاتجهت إليه أقلّب في صفوفه إلى أن لفت نظري جزء من القرآن مترجم للإنجليزية، فوجدت نفسي أطالعه بدافع من حب الاستطلاع والفضول لا أكثر، فلم أكن أتصور حينئذ أني سأرسى على بر الإسلام.. ولكن الذي حدث أنني شعرت براحة وميل لما أطالعه، حتى آمنت بكل شيء يدعو إليه، فلم أجد بدًّا من اعتناقه عن اقتناع تام».

اعتنقت «جاكلين فيمات» الإسلام بمساعدة من عقلها المتفتح الذي ظل ينكر كل ما لا يقبله من أفكار نصرانية محرفة.. وكما كانت تتوقع وجدت ردّ فعل عنيفًا من بيئتها المسيحية شديدة التزمت.. فقد عنفتها وقاومتها أمّها بشدة.. بل قاطعها أصدقاؤها اليهود الذين برغم معاداتهم للمسيحية كانوا يفضلونها لها كبديل للإسلام.. أدركت جاكلين حينها كم يكره اليهود الإسلام.. ولكن برغم المضايقات والمقاطعات التي وجدتها من قبل الأهل والأصدقاء، فقد ظلت متمسكة بدينها ومتفائلة بأن يشهد المستقبل انتشارًا أوسع للإسلام.. بل تقول إنه لن يمض عقد آخر حتى يصبح الإسلام أهم ديانة في شمال أمريكا، إن لم يكن في العالم أجمع.. فهنيئًا لك جاكلين دفء الإسلام وهنيئًا للإسلام بك داعية متحمسة في بلاد تموت من البرد حيتانها..

إنه دفء الإيمان.. دفء القرب من الله.. دفء الثقة بالحق والطمأنينة معه..

لا عليك بالغاضبين.. لا عليك بالمقاطعين.. فمن وصله الله لم يقطعه البشر!!..

لذا.. كن موصولًا بالله.. واسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (26) - (53)

صوت الحق

الإسلام.. دين شامل..

هو دين الأنبياء جميعًا..

قرآنه يحتفي بموسى وعيسى والأنبياء جميعًا..

لذا يجد اليهود والنصارى أنفسهم في الإسلام.. إن اهتدوا وآمنوا..

لا يحتاج إلى من يدافع عنه.. هو من يدافع عن أتباعه بقدرة الله..

إلا أن الدعاة إليه والمدافعين عنه يخدمون أنفسهم..

كيف لا وكل دفاعهم سيشهد لهم وينجيهم يوم القيامة؟!!

بطل قصتنا أسلم فدعا إلى الإسلام ودافع عنه.. لأنه كان محاميًا بارزًا يعتبر من أشهر المحامين في مصر، عيّنه جمال عبدالناصر في لجنة وضع الدستور.. كما كان يهوديًّا حتى النخاع.. ومع ذلك كانت تتأثر مشاعره بشدّة عندما يقع بصره على مسجد، كما كانت نفسه تهفو للصلاة الإسلامية حينما يرى رجلًا يصلي في خشوع.. فطرته السليمة هذه كانت سببًا رئيسيًّا في اعتناقه الإسلام.. إنه الأستاذ زكي عريبي المحامي الضليع وعميد اليهود في مصر.

يحكي عريبي قصة إسلامه فيقول: «كانت مشاعري تلتهب حينما أرى مسجدًا أو عندما يقع بصري على رجل يصلي في خشوع.. وما أن أسمع صوت المؤذن يؤذن للصلاة حتى أشعر بأنه الصوت الذي يفصل بين الحق والباطل والحلال والحرام وأنه الصوت الذي يهدي الإنسان إلى الطريق المستقيم.. بل كنت حينما أركب السيارة في سفري وتقع عيني على رجل متواضع السمت يقف بين يدي الله بثياب رثة مهلهلة يقف على فرشة من الحصير تجاور شاطئ ترعة متواضعة، ويصلي لله في خشوع وابتهال، كانت نفسي تهفو إلى أن أصلي مثل صلاته.

وفي الوقت الذي كنت أتأثر فيه بتلك الأماكن والمناظر، كان هناك سؤال ملحّ يفرض نفسه عليَّ، وهو لماذا عبادتي لله تتخذ صورة نمطية واحدة؟ ولماذا لا أعبده على دين الإسلام؟ خاصة أنه يتميز عن غيره من الأديان بأنه دين وجدان بالقلب وعقيدة بالفعل.

لقد عرفت الميزتين السابق ذكرهما اللتين يتمتع بهما الإسلام منذ صغري، بل إليهما يرجع إسلامي، إذ إنني أسلمت أولًا بوجداني وبعد عدة سنين أسلمت بفكري، ولا عجب في ذلك لأن

من لم يرث الإسلام عن والديه وشرح الله صدره للإسلام فإنه سيفكر في هذا الإلهام الذي منَّ الله به عليه، وسوف يكون شديد الحذر وحريصًا على النظر للعواقب والخواتيم وبالتالي لن يخطو خطوة حتى يتبين موضعها خشية أن تزل قدمه فيما لا تحمد عقباه.. وهذا هو تمامًا حالي مع الإسلام.

على الرغم من أنني أنتمي لعائلة يهودية فقد ولدت في بيئة مسلمة وهي البيئة ذاتها التي نشأت فيها منذ طفولتي حتى شيخوختي.. نعم ولدت بين قوم مسلمين وعشت في حي شعبي هو حي بولاق.. أكثر من هذا، أدخلني والدي مدرسة عباس في السبتية، بينما كان اليهود يرسلون أبناءهم إلى مدارس الفرير.. عقب ذلك تلقيت دراستي الثانوية في مدرسة حلوان الثانوية، ثم دخلت مدرسة الحقوق، وفي هذه الأخيرة أتيحت لي فرصة دراسة الشريعة الإسلامية، فقارنت بينها وبين القانون الروماني.. حقيقة انبهرت بنتيجة المقارنة فقد وجدت أن القانون الروماني الذي مضى على وجوده آلاف السنين لم يصل بعد إلى مرحلة الكمال -والكمال لله وحده- إذ ما زال يزحف في مسيرة التطور التشريعي على الرغم من اتخاذه مصدرًا للقوانين في مختلف بلدان العالم.. في المقابل وجدت أن الشريعة الإسلامية نشأت ونهضت -تامّة وكاملة- مع بعثة رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- الأمر الذي جعلني أنظر إلى الإسلام وأطيل النظر فيه عساني أتلقى جماله وإن عجزت عن ذلك أقله أعرف كيف ومن أين يمكنني تلقي هذا الجمال.. نعم، لقد وجدته دينًا -غير إقصائي- مصدقًا لكل شيء قبله، ما دفعني إلى إجراء المزيد من البحث والدراسة حوله وهو ما انتهى بي إلى الإيمان به واعتناقه.

وما أدهشني في هذا الدين حقيقة أخرى مفادها أن اليهودي أو النصراني إذا أسلم لن يعتريه الإحساس بأنه أنتزع من دينه انتزاعًا؛ فإن كان يهوديًا سيجد نفسه بين أنبياء بني إسرائيل.. نعم سوف يجد نفسه يؤمن إيمانًا سليمًا غير محرّف بموسى -عليه السلام-، وسيجد أن القرآن يقصّ عليه قصة تلك المحاورة الكبرى التي وقعت بين الله وموسى -عليه السلام- في الوادي المقدس طوى: «**وَما تِلكَ بِيَمينِكَ يا موسى (17) قالَ هِيَ عَصايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيها وَأَهُشُّ بِها عَلى غَنَمي وَلِيَ فيها مَآرِبُ أُخرى (18) قالَ أَلقِها يا موسى (19) فَأَلقاها فَإِذا هِيَ حَيَّةٌ تَسعى (20) قالَ خُذها وَلا تَخَف سَنُعيدُها سيرَتَهَا الأولى (21)**» (طه: 17-21).

ليست هذه القصة فحسب، بل سوف يجد عشرات القصص عن موسى وغيره من أنبياء بني إسرائيل، وبالتالي فإن أسلم اليهودي فلن يشعر بالوحشة في دين الإسلام، بل على العكس سيجد نفسه بين يدي الدين الصحيح الذي نزل على موسى -عليه السلام- قبل أن يتم تحريفه.

وينطبق الأمر ذاته مع المسيحي الذي يدخل الإسلام، إذ سيجد نفسه مع قصة مريم ابنة عمران، وسوف ينبهر بالتصوير الرائع الذي يصور به القرآن هذه القصة، كما سيجد نفسه

مع يحيى -عليه السلام- حيث يقوله الله: «**يا يَحيى خُذِ الكِتابَ بِقُوَّةٍ**» (مريم: 12)، بل إن القرآن الكريم يتحدث عن كل ما يتصل بأنبياء بني إسرائيل أحسن مما فعلت التوراة.

ويتحدث عريبي عن الصهيونية -حديث العارفين- فيقول: عاش اليهود بين أحضان العرب والإسلام مكرّمين بعد أن تم طردهم من إسبانيا في القرن الخامس عشر، فعيب وأيما عيب أن يقابل كرم الضيافة العربي والإسلامي بهذا اللؤم السافر وبهذه الخدع الماكرة.. أنا شخصيًّا أرى أن الصهيونية هي أكبر بلاء ابتليت به اليهودية.

ويختتم عريبي حديثه بالإشارة إلى أن الإسلام هو الديانة الوحيدة التي تنظر إلى الناس على أنهم ينتمون إلى أب واحد وأم واحدة، وأن جميعهم في الإسلام عند الله تعالى سواسية فقيرهم وغنيهم خفيرهم وأميرهم ولا يفضل أحدهم على أخيه إلا بمقدار طاعته لله تعالى، إذ كل هؤلاء يقفون في الصلاة في صف واحد لا يتقدم فيه أحد على أحد.

سبحان الله مغير الأحوال من حال إلى حال!!

سبحان الله الذي يهدي من يشاء ويضل من يشاء!!

من كان يظن أن عميد اليهود في مصر سيعتنق الإسلام في يوم من الأيام ليصبح ناصرًا له ومنتقدًا لليهودية انتقاد العالم بخباياها والخبير برزاياها؟!! إنه الله.. وحده القادر على تغيير الكون كله من أقصى اليمين إلى أقصى اليسار.. والعكس!!

فمنذ فجر الإسلام.. تترسخ القدرة نفسها..

ألد أعداء الإسلام يتحولون إلى أكبر الدعاة إليه..

فهل سنعتبر بهذه التجارب على أن الإسلام هو الدين الحق؟!

تعلم من تجارب غيرك..

واسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (26) - (29) - (70)

الكتاب المذهل

أعجب عجائب الإنسان هو إصراره على أن يلقي بنفسه إلى التهلكة!!

أن يرى النور ساطعًا.. ثم يسأل: أين الشمس؟!

نجاته من النار.. خلوده في الجنة..

يسعى بعضهم لتحويله إلى نجاة من الجنة.. وخلود في النار!!

أي عبث يسجن بعضهم أنفسهم فيه؟!! ولمَ؟!!

الإسلام هو الدين الحق..

القرآن هو كلام الله..

كيف يكون في ذلك شك؟!!

كل الدلائل تؤكد ذلك..

أدلة تاريخية.. دلائل علمية.. مؤشرات عقلية ومنطقية..

تجارب إنسانية واقعية.. ماذا نريد أكثر من ذلك؟!!

بطل قصتنا.. دليل بشري حي يؤكد ذلك فتأمّل قصته..

في طفولته كان متدينًا وقارئًا للكتاب المقدس.. وفي صباه تلقى تعليمه في مدارس كاثوليكية.. وفي شبابه حصل على البكالوريوس في الفلسفة والماجستير في الفنون ودرجة الدكتوراه في الفلسفة.. وفي كبره مارس كل المنكرات بكل ألوانها.. عقب كل ذلك قطع على نفسه عهدًا تعبديًّا بأن يسلك «جميع طرق الدين» حتى يصل إلى النور ويجد الله.. درس مشارب لاهوتية شتى فانتابه الشك في الكثير من تعاليم ديانته الأساسية. أمضى سنوات يدعو الله في الليل أن يعلمه بوجوده إن كان له وجود؛ فهداه الله تعالى إلى الإسلام.. إنه جريميا الأمريكي الجنسية الأيرلندي الأصول.. دعونا نتعرف قصة اعتناقه الإسلام التي يتحدث عنها بنفسه.

قال جريميا: عندما حان وقت كتابتي لأطروحة الدكتوراه في الفلسفة، وجدت أنه يتحتم عليّ تضمينها جزءًا يتناول أي دين آخر ما عدا الدين المسيحي، فقدّر لي الله أن أختار الدين الإسلامي.. الحقيقة حتى ذلك الوقت لم أكن أعرف عنه شيئًا.

في البدء جذبني الإسلام إليه إلى حد ما وذلك بسبب اختلافه عن المألوف، وعلى الرغم من ذلك لاحظت في داخل نفسي تحيزًا ضده.. وشعرت وكأن هناك قوى خفية تدفعني بعيدًا عنه وهي قوى على ما أعتقد موروثة من الحملات الصليبية، الأوروبية الأمريكية غير المنصفة ضده.

واجهتني صعوبة كبيرة في العثور على كتب مناسبة عن الإسلام، الأمر الذي دفعني إلى أن أطلب أكثرها بالبريد، إلى جانب ذهابي إلى مركز إسلامي.. كان أفراد «المركز الإسلامي» يعاملونني بلطف بالغ، على عكس ما كنت أتوقع، لم يمارس عليّ أحد ضغطًا لكي أتحول عن ديني، وكل ما فعلوه هو مدّي بما كنت أحتاجه من معلومات عن الإسلام تخدم دراستي، بالإضافة إلى إجاباتهم الشافية عن كل أسئلتي.. والحق يقال وجدت منهم صراحة دافئة وود لم أجدهما في كل الولايات المتحدة.. أحدهم طلب مني النطق بكلمات الشهادة، بيد أن الآخرين سارعوا إليه في الحال، وطلبوا منه أن يصمت باعتبار أن المبادرة يجب أن تأتي مني عقب اعتقادي بصحة كلمات الشهادة التي سوف أنطقها.

وهكذا استمر حالي لسنوات قليلة، قرأت خلالها الكثير حول الإسلام، وإن كنت لم أبدأ قراءة القرآن بعد.. الحقيقة أخذ تحيزي ضد الإسلام ونفوري منه يتلاشيان كلية عندما اطلعت على القصص الصحيحة عن النبي مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم- فضلًا عن اطلاعي على التاريخ الإسلامي والمعتقدات الإسلامية..

وبناءً على نصيحة قدّمها لي صديق مخلص (غير مسلم) قرأت «سيرة مالكولم».. وما أن فرغت من قراءتها حتى شعرت برغبة قوية في الحصول على نسخة من القرآن.. وبالفعل زرت عددًا من المكتبات وحصلت على ترجمة لمعاني كلمات القرآن قام بها شخص اسمه داوود.

الحقيقة لن أنسى أبدًا ذلك اليوم الذي قرأت فيه القرآن الكريم.. لأنني وحالما قرأته تغيرت حياتي ونظرتي للعالم كما تغيرت أنا بدوري.. لقد قرأت ترجمة القرآن الكريم بأكملها في جلسة واحدة.. ليس هذا فحسب بل لا أظن أنني غيرت من وضعية جلوسي.. ما أن بدأت بالصفحة الأولى منه حتى بهرني وأخذ بلبي.. أدهشتني بدايته التي تسمى سورة «الفاتحة» وهي دعاء.. لقد أحببتها فورًا كدعاء فقد وجدتها تتسق تمامًا مع دعاء كنت أردّده سابقًا ومفاده: «أنت الله رب العالمين، اهدني، اجعلني مع الذين تحبهم».

ووجدت القرآن الكريم في بداية السورة الثانية يصف أولئك الذين يخاطبهم ذلك الكتاب: أناس يؤمنون بالله يقيمون الصلاة، ويؤتون الزكاة، ويؤمنون بالرسل الذين أرسلوا إلينا، ويقول إنه حقًّا من عند الله لا شك فيه، هدى للمؤمنين..

الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (2) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ

وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (3) **وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ** (4) سورة البقرة 1-4.

وكان ذلك كل ما كنت أريده وأبحث عنه منذ سنوات.. هكذا وجدت القرآن الكريم يخاطبني مباشرة كفرد ودونما وسيط.. لم أجده مجرد نص قديم عمره 1400 سنة.. لقد أسرني حقًّا، وكنت أشعر وكأن رأسي يتعرض بعنف إلى الضرب بلوح خشبي أو بقطعة من الطوب.. لقد كنت مذهولًا ولا عجب في ذلك فقد وجدته كتابًا حقيقيًّا منزلًا من الله تعالى وليس «كتابة ملهمة» للكتاب المقدس.. نعم وجدته وحي مباشر ورددت في نفسي: «إنه حقًّا كلام الله، يا إلهي! إنه من الله فعلًا!.. الحقيقة كنت مفحمًا، وأنا أقرأ شيئًا مذهلًا فعلًا وبالغ الروعة».

ما حدث لي وأنا أقرأ القرآن إحساسي بأنني أقف أمام معجزة حقيقية.. إحساس يفوق بكثير ذلك الذي يمكن أن ينتابني إن رأيت شخصًا ما يسبح في الهواء ويطير أمام عيني من دون استخدامه لأي معينات.

نعم الكثير من الأمور التي فكرت فيها سابقًا بسبب دراساتي الأكاديمية للدين وجدتها في القرآن الكريم، وليس هذا فحسب، بل أكمل لي القرآن أفكارًا ومفاهيم كنت قد أدركتها على نحو غامض.. من ناحية ثانية كشف لي القرآن عن عالم جديد بأكمله من المعاني والإمكانات.. الحقيقة انتابني إحساس من يقف أمام سهل منبسط لعالم جديد ساحر ومذهل يمتد أمامي إلى ما لا نهاية.

بعد ذلك وجدت نفسي أندفع بشغف وبلا توقف في قراءة القرآن الكريم وكنت أردد أثناء قراءتي لكل آية من آياته كلمة: «نعم... نعم».. الأمر الذي استوقفني وانشرح له صدري ما ورد في القرآن من أن يسوع المسيح لم يمت على الصليب، الأمر الذي جعل يقيني يزداد بأن القرآن هو كلام الله تعالى.. أخيرًا توصلت إلى أن هذا القرآن هو كتاب معاصر وصالح لكل زمان ومكان.

الحقيقة أردت أن أسلم بيد أنني كنت متردّدًا في نطقي بالشهادتين إذ كنت قلقًا باعتبار أنني أيرلندي أمريكي كاثوليكي، وتعلمت في مدارس كاثوليكية في الولايات المتحدة الأمريكية..

أتذكر أنني وقفت في المسجد أعمل على تصوير المصلين واحدًا تلو الآخر وهم يؤدون الصلاة.. فكرت للحظات وقلت في نفسي: «من الذي أخدعه؟ إنني أؤمن حقًّا أن مُحمدًا رسول الله».. سأكون غير صادق مع نفسي إن لم أعلن ما أعتقد أنه حق.. بعد انقضاء أسبوعين من ذلك أعلنت اعتناقي الإسلام وقلت بصوت الواثق بنفسه: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن مُحمَّدًا رسول الله».

ويختتم جريميا قصة إسلامه قائلًا: «استجاب الله تعالى لدعائي وهداني إلى الإسلام.. مضت الآن خمس سنوات على إسلامي وما زلت مذهولًا بما حدث!!.. إن الإسلام بالفعل هو الأكمل..

أقول بموضوعية مستمدة من خلفية دراستي للموضوعات الدينية.. أنا نادرًا ما تخذلني الكلمات عندما أودّ التعبير عن شيء أعجبني لكنها تخذلني بشدّة عندما تريد أن تخرج لتصف ما أشعر وأفكر به حول الإسلام والقرآن وسنة حبيبنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.. ببساطة شديدة لا أملك إلا أن أقول إن الإسلام مذهل، رائع ومفعم بالقوة والحيوية والنشاط، نابض بالحياة ومترع بالجمال، ناضج بالفكر ومتألق بالتسامح.. ولا أملك أمام كل هذه النعمة إلا أن أحمد الله سبحانه وتعالى على أن هداني لهذا الدين العظيم.. أن هداني إلى كلامه.. القرآن..».

فما أعظم أن تقرأ كلامًا.. قاله الله..

يا الله.. إنها عظمة غير قابلة للوصف..

يعجز كلام البشر عن وصف كلام رب البشر..

لذا.. لا تخدع نفسك بعد الآن..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (10) - (11) - (40)

الرحلة المباركة

يقتلون البراءة..

يذبحون الطهر على مذبح المادة..

يمسحون بالنقاء قذارة الشهوات..

يغرون الإنسان كي ينسى أنه إنسان..

المقاومون وحدهم هم الناجون بإنسانيتهم..

الإسلام.. الدين الذي يحفظ للإنسان إنسانيته..

النور الذي يهدي إلى الغاية الحقيقية للحياة..

الإسلام.. هو المنهج الذي أعاد إلى بطلة قصتنا شعورها بأنها إنسانة..

وليست صنمًا.. أو جمادًا..

كانت في الثامنة والعشرين من عمرها.. غانية حسناء أغرقها جمالها الغامر في عالم الشهرة والإغراء من شعر رأسها حتى أخمص قدميها.. كانت تحلم في صغرها بأن تعمل ممرضة متطوعة تساعد المرضى.. بدافع من أهلها استغلت جمالها الصارخ في عمل يدرّ عليها وعلى أسرتها الربح المادي السهل والكبير، ويجلب لها الشهرة الواسعة.. لكن.. في مقابل ذلك دفعت الثمن غاليًّا بأن فقدت إنسانيتها الكريمة وتحوّلت إلى صنم بارد فاقد للحياة والحياء.. زيارة لبيروت -حيث كانت الحرب مستعرة- مثَّلت نقطة فارقة في حياتها.. بدأت وقتها خطوتها الأولى في طريق الإنسانية، ثم واصلت طريقها حتى دخلت الإسلام من أوسع أبوابه.

إنها فابيان عارضة الأزياء الفرنسية المعروفة وبطلة هذه القصة.. ما سبق ذكره يدور حول حياتها الأولى فماذا عن قصة خروجها من أضواء الشهرة المعتمة بظلمات الجهل والضلال ودخولها إلى رحاب الإسلام المشبعة بفيوض النور حتى الارتواء؟

تقول فابيان بلسان يلهج بالشكر لله تعالى وبصوت مملوء بالإيمان: «لولا فضل الله تعالى عليّ ورحمته الواسعة بي لفقدت حياتي وأضعتها في عالم مادي ينحدر فيه المرء من إنسان كريم ولد نقيًّا بالفطرة إلى حيوان جامح كل همّه إشباع الرغبات والغرائز بلا قيم ولا مبادئ».

وتروي فابيان قصتها قائلة: «منذ طفولتي كان حلمي الوحيد يتمثل في أن أعمل ممرضة متطوعة أساعد المرضى وأخفف آلام الأطفال.. مرت الأيام سراعًا وكبر معي حلمي الجميل.. لكن.. انتبه الجميع لما أصبحت أتمتع به من جمال تزيّنه الرشاقة.. فجأة تحول الجميع من حولي -بمن في ذلك أفراد أسرتي- إلى أبواق ملحاحة تحرّضني على وأد حلم الطفولة البريء، واستغلال جمالي الصارخ في عمل أكسب من ورائه ربحًا ماديًّا وفيرًا، وأحصل على شهرة واسعة.

وجدت الطريق إلى عالم الشهرة أمامي سالكًا بمساعدة من جمالي ودعم من الشيطان.. لم يمض عليّ وقت طويل حتى تذوقت طعم الشهرة، كما فاضت حياتي بالهدايا الثمينة التي هطلت عليّ من كل ناحية وصوب.

ولكن.. دون الشهد خرط القتاد.. نعم لقد دفعت الثمن غاليًا.. فلا نجاح في مجالي دون التجرد الكامل من إنسانيتي.. فلكي تنجح الفتاة وتتألق في مثل هذا المجال يشترط عليها أن تقتل في دواخلها مراكز الإحساس، والشعور.. كان يتحتم عليّ أن أفعل ذلك وأن أتخلى كلية عن الحياء الذي تربيت عليه، وأن أفقد ذكائي الذي عرفت به، وأن يقتصر فهمي فقط على حركات جسدي الرشيقة، وإيقاعات الموسيقا الحالمة التي تصاحب العرض، بل كان عليّ أن أحرم من جميع أنواع المأكولات اللذيذة، وأن أعيش على الفيتامينات الكيميائية وعلى المقويات والمنشطات، ومن قبل ذلك كله فرض عليّ أن أفقد تمامًا مشاعري تجاه البشر فلا أكره.. ولا أحب.. وأن أفقد نفسي فلا أرفض شيئًا يملى عليّ.

قالت فابيان وهي تتنهد في حسرة ومرارة: لم تجعل مني بيوت الأزياء سوى صنم متحرك مهمته الأولى العبث بالقلوب واللعب بالعقول.. لقد تعلمت فيها كيف أكون باردة قاسية من الخارج مغرورة فارغة من الداخل.. مجرّد إطار آلي يرتدي الملابس.. جماد يتحرك بلا أحاسيس ذي وجه يبتسم بلا مشاعر.. لم أكن أنا فحسب المعنية بقانون البرود؛ فقد كان يطبق على الجميع.. وكان الالتزام به يمثل معيارًا للنجاح.. فكلما تألقت العارضة في تجرّدها من بشريتها وتنكرها لآدميتها زاد قدرها وعلا شأنها في هذا العالم البارد.. والعكس صحيح لمن تخالف أيًّا من تعاليم الأزياء؛ إذ ستجد نفسها عرضة لألوان شتى من العذاب.. صنوف متعدّدة من العقوبات يدخل فيها الأذى النفسي جنبًا إلى جنب مع نظيره الجسماني!

وتسترسل «فابيان» في حديثها قائلة في حرقة: «لقد عشت جزءًا من حياتي أتجول بين دول العالم.. أعرض أحدث خطوط الموضة بكل ما فيها من تبرّج وإرضاء لرغبات الشيطان الخبيثة في إبراز مفاتن المرأة دون خجل أو حياء.. لم أكن حينذاك أحس بجمال الأزياء التي تغطي جسدي الخاوي من كل شيء كريم.. وفي المقابل كنت أشعر بنظرات الازدراء والاحتقار في أعين الحضور.. يا للمأساة لقد كانوا يحتقرون شخصي بينما يحترمون ما أرتديه.. ومعهم كل الحق في ذلك.. أولم

أكن مجرد صنم بارد خالٍ من الحياة؟!

وتتنهد فابيان بصوت مسموع قبل أن تقول: كنا نحيا في عالم الرذيلة بكل أبعادها ورزاياها.. الويل كل الويل لمن تعرض عليها الرذيلة فترفضها وتحاول الاكتفاء بعملها فقط.. وقد كنا نستحق ذلك.. أولم نكن مجرد دمى لا تملك قرارها بيدها؟!

وعن التحول الجذري المفاجئ في حياتها تقول فابيان في حماسة: «كنا في رحلة عمل إلى بيروت التي دمرتها المؤامرات وأحرقتها نيران الحرب.. رأيت هناك كيف يبني الناس الفنادق والمنازل تحت دوي المدافع.. دخلنا مستشفى للأطفال أنا ومعي زميلاتي من الأصنام البشرية.. نظرت زميلاتي إلى الأطفال الجرحى كعادتهن بلامبالاة.. على عكسهن تأثرت كثيرًا بمرأى الأطفال الأبرياء وهم يدفعون ثمن فاتورة حرب أشعلها الكبار.. بل انقشع عن عيني زيف الحياة التي كنت أعيشها.. اندفعت في سرعة نحو أشلاء الأطفال في محاولة مني لإنقاذ من لم يمت منهم جراء جراحه.

لم أعد إلى الأصنام البشرية.. كانوا يتوقّعون عودتي إلى الفندق حيث الجميع في انتظاري جنبًا إلى جنب مع الشهرة الزائفة والأضواء الخاوية.. نعم أنهيت بمحض إرادتي حياة الزيف والضلال لأبدأ أولى خطوات رحلتي نحو الإنسانية.. إنها رحلة مباركة أوصلتني بدورها إلى طريق الهدى لأنعم بنور الإسلام.

تركت بيروت ورائي وذهبت إلى محطة أخرى أكثر تقدمًا في طريق الإنسانية حيث وصلت باكستان لأعيش عند الحدود الأفغانية حياة حقيقية تعلمت منها كيف أكون خادمة للإنسانية.. مكثت بهذه المحطة ثمانية أشهر تفرغت خلالها لرعاية الأسر التي عانت ويلات الحرب.. ليس هذا فحسب بل أحببت الحياة معهم، فأحسنوا معاملتي.. الحقيقة حياتي مع الأسر الأفغانية والباكستانية زادت كثيرًا من قناعتي بالإسلام كدين وكدستور للحياة إذ أعجبني أسلوبهم الملتزم في حياتهم اليومية.. فاعتنقت الإسلام عن قناعة.

بدأت حينذاك تعلّم اللغة العربية باعتبارها لغة القرآن، وقد أحرزت تقدمًا مقدرًا في ذلك.. سبحان الله مغير الأحوال.. لقد تغيرت كيميائية نفسي تمامًا فبعد أن كنت أستمد نظام حياتي من صانعي الموضة في العالم أصبحت حياتي تسير وفقًا لمبادئ الإسلام.

لم تيأس بيوت الأزياء العالمية من عودة فابيان لها مرّة أخرى بعد اعتناقها الإسلام فمارست عليها ضغوطًا دنيوية مكثفة.. لقد أرسلوا لها الهدايا الثمينة كما أغروها بمضاعفة دخلها الشهري إلى ثلاثة أضعاف بيد أنها رفضت بإصرار..

عندما فشلت سياسة الإغراء مع فابيان لجأت تلك الجهات إلى الأساليب القذرة كمحاولة

تشويه صورتها أمام الأسر الأفغانية.. قاموا بنشر أغلفة المجلات التي كانت تتصدرها صورها السابقة حينما كانت تعمل عارضة للأزياء، وعلقوها في الطرقات والأماكن العامة في محاولة منهم للإيقاع بينها وبين أهلها الجدد، ولكن خاب ظنهم وفشل مسعاهم..

وتنظر فابيان إلى يدها في دهشة وتقول: «لم أكن أتوقع يومًا أن أقوم بتعريض يديَّ للأعمال الشاقة وسط الجبال وأنا التي كنت أقضي الساعات الطوال في المحافظة عليهما ناعمتين.. لكن هذه المشقة لم تزد يديَّ إلا نصاعة وطهارة، وسيكون لها حسن الجزاء عند الله سبحانه وتعالى إن شاء الله».

سبحان الله!! ركلت فابيان وراءها الثراء والشهرة والمجد والحياة المادية الزائفة لتعيش حياة قاسية بين الجبال لتساعد الجرحى والمرضى لكي تنعم بالحياة الحقيقية السعيدة في الدنيا ولكي تنال الثواب من الله تعالى في الآخرة..

نعم.. الحياة الحقيقية.. في الدنيا والآخرة..

فالإنسان قد يحيا.. ولكنها حياة زائفة.. حياة هي والموت سواء..

وحده الإسلام.. هو من يحيي موات القلوب..

وحده الله سبحانه.. من يهدي إلى الحق..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (1) - (9) - (29) - (30)

اسم المؤلف

العربية.. يكفيها شرفًا أن اختارها الله تعالى لتكون لسان وحيه..

اللغة التي يكفيها شرفًا أن القرآن لا يُسمّى قرآنًا إلا إذا كان مقروءًا ومكتوبًا بها..

فلم ترتبط لغة بكتاب إلهي ارتباطَ العربية بالقرآن..

تكفّل الله بحفظه، فحفظ اللغة العربية معه..

منه اكتسبت ألقها، ومنها اكتسب واحدًا من وجوه إعجازه الكثيرة الباهرة..

ولم نسمع يومًا عن لغة تتحدى الناطقين بها، كما يتحدى القرآن الكريم بلغته العربية أكبر بلغائها وشعرائها وأدبائها..

السائحة الأمريكية كريمة بيرنز لها قصة عجيبة مع اللغة العربية، نفسح لها المجال لتروي لنا جانبًا منها في الفقرات التالية: الحقيقة احتوتني الدهشة في مسجد الحمراء بغرناطة الإسبانية وأنا أحدق في الخطوط المكتوبة على أطراف جدران المسجد.. لقد انبهرت تمامًا لأنني وجدت نفسي أقف متأملة في حروف وكلمات أجمل لغة شاهدتها في حياتي على الإطلاق، وحتى ذلك الوقت لم أكن أعرف ما هي.. فدرت حول نفسي في ذهول ثم سألت سائحًا إسبانيًّا في نبرة تعلوها الدهشة: «ما هي هذه اللغة؟».. ردّ السائح الإسباني عليّ في اقتضاب: «العربية».

في اليوم التالي، سألتني المرافقة السياحية -وهي تهم بإعطائي دليل الرحلة- قائلة: بأي لغة تريدين دليل الرحلة؟ أجبتها بتلقائية وحتى دون أن أفكر: أريده بالعربية.

سألتني مندهشة: «بالعربية؟!

وهل تتكلمين العربية؟!».

أجبتها قائلة: لا.. ولكن أحببت أن أحصل على دليل بالعربية، وليتك تعطيني نسخة أخرى من الدليل بالإنجليزية. وعندما انتهت الرحلة السياحية انتهت إلى أن حقيبتي امتلأت عن آخرها بكتيبات كثيرة مطبوعة باللغة العربية أخذتها من جميع المواقع التي زرتها في إسبانيا.. بل وصل اكتظاظ حقيبتي بالكتب درجة جعلتني أضطر إلى التخلي عن بعض ملابسي.. الحقيقة تشبثت بتلك الكتيبات العربية في حرص شديد ولكأنها صيغت بمداد من الذهب.. وعقب وصولي إلى

الديار ظللت أفتح تلك الكتيبات في كل ليلة، لكي أتأمل حروفها المتوهجة بالجمال وهي تتدفق عبر الصفحات في سلاسة.

إعجابي الشديد بجمال اللغة العربية دفعني إلى أن أعاهد نفسي على تعلّمها في فصل الخريف موعد بداية دراستي في الكلية..

كنت في السادسة عشرة من العمر عندما تركت عائلتي ورائي في ولاية آيوا الأمريكية، وذهبت بمفردي إلى أوروبا بغرض الانتساب إلى جامعة نورثيستون.. قلت لأصدقائي وعائلتي إنني أرغب في رؤية العالم.. هذا ما قلته لهم لكنني في الحقيقة كنت أبحث عن إجابات لبعض التساؤلات الملحّة التي كانت تدور في ذهني.. لقد تركت الكنيسة لأنني لم أكن مقتنعة بالتعليم الذي كنت أتلقاه حيث ترعرعت في منطقة الغرب الأوسط من أمريكا.. ولأنه لم يكن هناك خيار آخر متاح أمامي غير التعليم الكنسي قمت برحلتي إلى أوروبا بحثًا عن البديل.

من مفاهيم الكنيسة وممارساتها التي كنت أدرك بحدسي وفطرتي أنها مفاهيم خطأ، عدم سماحها لرعاياها بأن يصلوا لله!!.. الحقيقة لم أكن قادرة على أن أجهر بمعارضتي لتلك المفاهيم والممارسات؛ إذ كنت أتظاهر بتأييدها في العلن بينما كنت أصلي سرًّا لله.. نعم كنت أؤمن بإخلاص بأن هناك إلهًا واحدًا فقط يجب علينا أن نتوجه إليه بالصلاة.. لكن وعلى الرغم من ذلك كنت أشعر بعقدة الذنب تعتريني لأن اعتقادي وسلوكي السريين كانا يخالفان مبادئ التعليم الذي تعلمته.

ومن ممارسات المسيحيين التي لم أكن راضية عنها حقيقة أنهم يربطون تطبيق القيم التي يأمر بها الدين -كالصدق، واللطف والرحمة- فقط بيوم الأحد حيث يتصرفون على نحو مختلف في بقية أيام الأسبوع.. لقد كنت تائهة وسط صحارى من الحيرة، وأبحث عن الحق في يأس بيد أنني لم أجده حتى ذلك الوقت.

أذكر ذات يوم أنني ذهبت إلى أحد أساتذتي في منزله، وشاهدت مجموعة كبيرة من الكتب المقدسة مرصوصة على أحد الأرفف.. سألته عن تلك الكتب فأجابني بأنها روايات مختلفة للكتاب المقدس! في الواقع أزعجني الأمر كثيرًا وأصابني بالحيرة مع أنه على ما يبدو لم يكن يزعج الأستاذ ألبتة.

حينما عدت إلى كليتي، كنت أحمل بين جوانحي أثقالًا من الإحساس بخيبة الأمل لأنني فشلت في الحصول على الإجابة التي كنت أتوقع الحصول عليها في أوروبا.. لكن عزائي الوحيد يتمثل في أنني عدت وقلبي مملوء بحب لغة لم أكن أعرف عنها إلا اسمها ورسمها فقط.. إنها اللغة العربية التي كنت أتأمل حروفها وكلماتها بإعجاب دون أن أفهم شيئًا ولو يسيرًا من معانيها.. ما أثار سخريتي

من نفسي لاحقًا حينما توصلت بعد أكثر من عامين إلى حقيقة أنني كنت أحدق مليًّا في الإجابات التي كنت أبحث عنها بإلحاح، وهي محفورة على جدران مسجد «الحمراء».. ما كان يحجبها عني آنذاك فقط هو عدم إلمامي باللغة العربية.

كان أول عمل قمت به عقب وصولي إلى الحرم الجامعي هو التسجيل في صف اللغة العربية.. كنت ثالثة ثلاثة فقط في صف لا يحظى بشعبية ولا قبول من قبل الطلاب.. حبي للعربية جعلني أهتم بها في شغف احتار أمامه أستاذي.. كنت أنجز -في إتقان وإخلاص- الفروض الدراسية بريشة الخط العربي الجميل.. بل كنت أذهب إلى المنطقة العربية في شيكاغو، فقط لكي أعثر على زجاجة مياه غازية كتب عليها بالعربية «كوكا كولا».. ومن تلك المنطقة التي أحببتها بسبب حبي للعربية استعرت من العرب مجموعة من الكتب فقط لكي أتمكن عبرها من تأمل جمال حروف اللغة بالعربية وروعة كلماتها الساحرة.

حبي للعربية دفعني إلى أن أتخصص في دراسات الشرق الأوسط عندما وصلت إلى سنتي الثانية بالجامعة.. نعم سجلت في صفوف تتعلق بتلك المنطقة، ومن حسن حظي أنني حظيت في واحد من تلك الصفوف بدراسة القرآن الكريم.

يا الله!!.. في إحدى الليالي التي لا تنسى فتحت القرآن لتأدية «الفرض الجامعي»، بيد أن قراءتي للقرآن لم تقتصر على ذلك الفرض فحسب؛ إذ وجدت نفسي غير قادرة على التوقف عن القراءة.. لقد انبهرت بوضاءة القرآن بصورة أعجز عن وصفها بالكلمات!!.. لقد وجدته كتابًا يتسم بالبساطة والوضوح والعمق بل وجدت فيه الإجابات الكافية الشافية لجميع الأسئلة الملحة التي كانت تقض مضجعي مثل: لماذا يقتصر التحلي بالقيم الفضلى فقط على أيام الآحاد؟ وكيف يوجد أكثر من إله؟ وإلى غير ذلك من الأسئلة التي كانت تراودني نتيجة للمفاهيم والممارسات الدينية المسيحية الخطأ التي تم غرسها بداخلي منذ طفولتي.

في اليوم التالي ذهبت إلى الصف الدراسي لكي أسأل عن اسم مؤلف ذلك الكتاب حتى أتمكن من قراءة المزيد من كتبه لأنني انبهرت به بشدة.. وجهت هذا السؤال لأستاذي بعد أن لاحظت في نسخة المصحف التي كنت قد حصلت عليها وجود اسم اعتقدت أنه اسم مؤلفه، كما هو الحال في الإنجيل الذي كتبه القديس «لوقا» على سبيل المثال.. أفادني أستاذي بأن هذا الاسم هو اسم المترجم الذي ترجم الكتاب لأن المسلمين يرون أن هذا الكتاب لم يؤلفه بشر وإنما هو كلام الله الذي لم يطرأ عليه أي تغيير منذ أن نزل وحيًا على نبيهم محمد -صلى الله عليه وسلّم-.

عقب ما سمعته من أستاذي وجدت نفسي أرغب بشدة ولدرجة الوله في أن أدرس كلًّا من العربية والإسلام، كما أنني فكرت في السفر إلى منطقة الشرق الأوسط.. وبحمد الله تحقق لي

ما أردته؛ إذ سافرت عقب تخرجي في الكلية إلى مصر لأتابع دراستي هناك.. لقد أحببت «القاهرة الإسلامية» من داخل أعماقي.. كانت مساجدها الفسيحة الشامخة تمنحني إحساسًا بالراحة والرهبة في آن واحد.. وكنت حين أدخلها أشعر فعلًا بقيم الجمال والقوة والرهبة من الله تعالى، كما كنت أستمتع بالتحديق في الخطوط العربية الأنيقة التي تزين جدرانها.

أذكر أن زميلًا سألني ذات يوم لمَ لم أعتنق الإسلام وأنا أكنّ له كل هذا القدر الكبير من الحب؛ فأجبته بعفوية وبنبرة استنكارية: ولكنني مسلمة!.. تفاجأ من إجابتي ونصحني بأن أعلن اعتناقي للإسلام حتى يكون لإسلامي صفة رسمية.

وتختتم كريمة بيرنز قصتها بقولها: عندما استلمت وثيقة إسلامي شعرت بأنني لست في حاجة إلى إبرازها وعرضها لكي تخبرني بأنني مسلمة؛ إذ توصلت إلى هذه الحقيقة منذ أول لحظة بدأت فيها قراءة القرآن، لذلك وضعت الوثيقة في خزانة ملفاتي مع بقية سجلاتي وعلّقت بدلًا منها صورة مسجد الحمراء فوق حائطي.

فالإسلام.. يعلن نفسه بلا شهادة أو وثيقة!!..

إنه الوثيقة الحقيقية.. لا الورق المختوم.. فالختم في القلب والروح..

هيا.. اختموا قلوبكم بختم الإيمان.. ويا له من ختم ينير الدنيا والآخرة بنور الله..

ختم لا نحصل عليه إلا بالصدق الخالص.. صدق البحث عن الله..

لذا اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (81) - (119)

التحريف المقدّس

النور.. قد لا ينتبه له بعض من عاشوا فيه دائمًا..

كذلك قد ينعم الله على عبد بالإيمان.. بالنور..

إلا أنه لا يراه بعمى بصيرة ناتج من الاعتياد!!..

من كان مسلمًا وتنصّر يجد عيوبًا في النصرانية..

ولكنه لا يصرح بهذه العيوب إرضاءً لسادته الجدد..

ومن كان نصرانيًّا وأسلم يصرح بعيوب النصرانية..

النادر من كان مسلمًا فتنصّر ثم عاد إلى الإسلام..

فسيكون لحديثه عن النصرانية تأثير أكبر..

ندعوكم للتعرف إلى قصة القس النيجيري مسعود النرواجو أديوجو الذي تنقل بين الإسلام والنصرانية مرتين فاكتشف الفرق بينهما كما لم يكتشفه أحد مثله.. انتقل من وسط نوراني لم يكن يبصره بسبب بصيرته العمياء إلى ظلمة زيّنها له المبشرون كشلالات من الضياء ثم عاد إلى النور مرة أخرى بعد أن وجد ما زين له مجرد سراب خادع ليمتع ناظريه وقلبه بنور حقيقي تراه الآن بصيرته التي أسهمت ظلمة النصرانية في إيقاظها من سباتها العميق.

ولد بطل قصتنا مسلمًا، بيد أنه تنصّر لاحقًا معتقدًا أن النصرانية هي الدين الحق كما يدّعي مروّجوها الغربيون.. لكن بعد مرور فترة وجيزة على اعتناقه النصرانية بدأت شكوكه حولها تزداد يومًا بعد يوم.. في البدء قضى سنوات عديدة يبحث فيها عن الحقيقة هنا وهناك فاطلع على كل العلوم السرية، كعلوم السحر والتنجيم، والتصوف، وعلوم الأسرار وما يسمى بالـ«كابالا».. وعندما لم يصل إلى نهاية مريحة مقنعة توصل إلى ضرورة أن يقوم ببحث مستقل عن الإسلام والمسيحية، وقرر داخل نفسه أن يتحرى الموضوعية والصدق في بحثه.

تجشم الصعاب وبدأ بدراسة مرهقة للكتاب المقدس حيث اطلع عليه صفحة صفحة.. كلمة كلمة.. اندهش بشدة! فمن ناحية اكتشفت أن فيه آثارًا من الإسلام أكثر مما فيه من النصرانية.. ومن ناحية أخرى، عرف أن ما يطلق عليه النصارى الكتاب المقدس يحوي عددًا من التناقضات الفاضحة والتحريفات الواضحة التي تجعله لا يستحق تسميته بالكتاب المقدس.

من الصعب جدًّا على إنسان عاش وترعرع في كنف النصرانية، محاطًا بهالة من الأكاذيب والأوهام، أن يصطدم فجأة بحقيقة أن كتابه المقدّس ليس مقدّسًا. الدكتور دبليو جراهام سكروجي من مؤسسة مودي للكتاب المقدّس في مدينة شيكاغو الأمريكية، وهي جمعية نصرانية تبشيرية عالمية، له كتاب بعنوان: «هل الكتاب المقدّس كلمة الله؟»، يقول فيه: «الكتاب المقدّس بشري، وبعيدًا عن الحماس، والتماسًا للعلم، فهذا الكتاب صناعة بشرية بلغة بشرية، وكتبها أناس، ولها صفات الصناعة البشرية». هذا التصريح واضح ولا يحتاج إلى أي تعليق!

ننتقل إلى شهادة عالم نصراني آخر مشهور عن الكتاب المقدّس، وهو أسقف بيت المقدس، كينيث كراج، حيث يقول في كتابه «نداء المنارة»: «ليس عهدًا جديدًا.. ففيه اختصارات وزيادات، وهناك صياغة جديدة، وشواهد. فالأناجيل مرّت بتحريف تقوده الكنيسة، ولا يعدو كونه عرضًا للتاريخ والخبرات». وهذه اعترافات صريحة واضحة!

نعود إلى بطل قصتنا القس مسعود النرواجو أديوجو لنستمع إليه وهو يقول لنا في حرقة منتقدًا ثقافة القطيع التي يعانيها النصارى: «هذا هو حال النصارى، فالمعضلة والمشكلة الأساسية مع النصراني المعاصر أنه لا يكترث بالاطلاع على كتابه المقدس! وأنه لا يدرسه كما فعلت أنا لكي يصل إلى الحقيقة، ولو أنه قد فعل ذلك -أعني لو قام أي نصراني ممن ولد وعاش في هذا الدين بقراءة «كتابه المقدس» قراءة خالصة لمعرفة الحق، قراءة ناقدة ببصيرة- فسوف يكتشف -ويا لحزنه وشجنه- أن دينه بحاجة إلى أن يعيد التفكير فيه كثيرًا؛ فالمسيح -عليه السلام- لا علاقة له بما آلت إليه النصرانية، وسيكتشف أنه حتى اسم الكتاب المقدس نفسه (Bible) لا ذكر له في الكتاب المقدس، فهي كلمة مخترعة.. كما أن أساس الاحتفال بميلاد المسيح المسمى بـ «عيد الكرسماس» وعيد الفصح والتثليث (Trinity) لا وجود لكل ذلك في كتابهم المقدس».

في إطار بحثه عن الحقيقة، وفي أحد الأيام من عام 1985م قام بطل قصتنا بزيارة لإحدى المكتبات الإسلامية في «فينسبري بارك» في لندن واشترى في ذلك اليوم كتابًا يسمى «حياة محمد» لمؤلفه الدكتور محمد حسين هيكل، وما أن قرأ ذلك الكتاب واستوعبه وفهم معانيه حتى برز توجهه نحو الإسلام، فأصبح من يومها يقرأ الكتب الإسلامية الأخرى لعلماء مسلمين مثل أبي الأعلى المودودي، وأحمد ديدات وغيرهما.

وعندما قرأ نسخة من ترجمة معاني القرآن الكريم بالإنجليزية لعبد الله يوسف علي وجد نفسه مؤمنًا برسالة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلّم-، بل ما أن قرأ القرآن حتى شعر بنفسه مغمورًا بنور الإسلام.. ولم يضع وقتًا في حث الخطى نحو الرجوع إلى الإسلام، ليبدأ حياته الإسلامية بنظافة روحية، هو وكل أفراد أسرته، ومنذ ذلك اليوم ظل يردد بصوت جهوري وعلى رؤوس الأشهاد علنًا: «إن القرآن هو الوثيقة الوحيدة التي تشتمل على الحق المنزل من عند

الله التي ما زالت صافية طاهرة باقية على أصلها وصفائها منذ أن أوحى الله تعالى إلى الرسول -صلى الله عليه وسلّم- حتى يومنا هذا، وسيظل كذلك إلى يوم الدين».

وفي هذا الجانب يرى بطل قصتنا أن القرآن الكريم لا يشبه «الكتاب المقدس» عند النصارى في شيء، إذ إن الأخير ظل وعلى مدار التاريخ، عرضة لتباين وجهات النظر والتنقيح الدوري والتحريف وتلاعب رجال الكنيسة به حتى يخدم أغراض الكنيسة الدنيوية ويحقق المصالح الشخصية لسدنتها.. ولذلك فإن «الكتاب المقدس» يحوي آلاف الأخطاء التي تشوش على النصارى واليهود عقيدتهم، ومع ذلك فإن النصارى يروجون الأباطيل وينشرون الأكاذيب ويشيعون المتناقضات الفاسدة ليضللوا البسطاء ويبعدوهم عن رسالة الإسلام.

وعن تسبيح الله بين النصرانية والإسلام، يقول مسعود يسبح المسلمون الله ويمجدونه ويحمدونه بعبارات جميلة متسقة مشتركة بين جميع المسلمين وفي جميع الظروف والأحوال مثل: «لا إله إلا الله»، «الله أكبر»، «سبحان الله»، و«الحمد لله»، و«استغفر الله» وإلى غير ذلك من العبارات الجميلة سهلة المبنى عميقة المعنى، أما في النصرانية، فإنه لا توجد طريقة واحدة مشتركة منظمة أو أنموذج يحتذى به سواء كان ذلك من حيث العبارات التي تقال لكل ظرف وحالة، أو من حيث المناسبات نفسها، إلا عبارة واحدة هي: «هلولويا» أو عبارة «آمين»، ولذلك فإن ممارستهم للشعائر تختلف وتأخذ مناحي مختلفة، بدءًا بالتصفيق مرورًا بذرف الدموع وانتهاءً بالرقص والضرب على الطبول!! من ناحية ثانية يشير محمد سعيد إلى أن أغلبية النصارى يفضلون أن يحمدوا «المسيح»! بدلًا من أن يحمدوا الله، بالإضافة إلى إكثارهم من حمد «الثالوث» المتوهم؛ أي: ادعاء أن الثلاثة في واحد تساوي إلهًا واحدًا؛ حيث يقولون: المجد للآب والابن وروح القدس! ولا شك في أن مبدأ التثليث يمثل قمة الغباء والتشويش الروحي والاضطراب في المسيحية.

أما بالنسبة إلى أسلوب العبادة فيقول بطل قصتنا إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي يعترف بأن العبادة هي المظهر الأساسي للدين لذلك نجد أن هناك خمسة أركان للإسلام، فالصلاة على سبيل المثال ذكرت مفصلة وبصورة دقيقة؛ من حيث التوقيت والكيفية إلى جانب أن المسلمين يؤدونها وهم يقفون بكل تواضع وانكسار لله تعالى.. من ناحية ثانية فإن الوضوء شرط للصلاة كما أن الصلاة نفسها فرض على جميع المسلمين، فضلًا عن أن لصلاة الجماعة ميزة أخرى تجعلها أفضل من صلاة الفرد أو العبادة الفردية.. وهنا تجدر الإشارة إلى أنه لا يوجد في جميع أنحاء العالم أي صوت يخرج على إجماع المسلمين على العبادة بالشكل المذكور.

في المقابل إذا نظرنا إلى النصرانية، فإننا لا نجد دليلًا في كتابهم المقدس يصف شكلًا معينًا من العبادات يمثل نموذجًا يتبعه جميع النصارى، بل إن المسيح -عليه السلام- نفسه لم يدع إلى

النصرانية بشكلها المحرف الحالي طوال سني دعوته الثلاث.. بل من السهل إثبات أن كل رسل الله الذين أرسلوا قبل الرسول محمد -صلى الله عليه وسلّم- بمن فيهم المسيح -عليه السلام- كانوا مسلمين كما وصفهم القرآن الكريم، بل إن هناك حالات ذكر فيها القرآن أن هؤلاء الرسل سجدوا لله تعالى في ذلّ وخضوع.

ويشير مسعود إلى أن النصرانية عبارة عن اعتقاد هش لا أساس له، وعلى الرغم من تعاليم الكتاب المقدس فإن النصارى غير متفقين على موقف موحد تجاه «شرب المسكرات»، و«لعب الميسر»، وممارسة الفوضى الجنسية، والتعامل بالربا وإلى غير ذلك من المفاسد والأعمال التي لا تمتّ للأخلاق الفاضلة بصلة.. لذلك نجد أن الكثيرين يتشبثون بالنصرانية لأنها لا تلزمهم بتطبيق أي شعائر تعبدية يمكنها أن تمثل عبئًا عليهم ولذلك فهم يتخفون تحت عباءة النصرانية التي بإمكان قساوستها أن يغفروا لهم كل خطاياهم، كما يزعمون ويتوهمون!

ونختتم هذه القصة بتلخيص مقولة حكيمة لمسعود يرى فيها أن النصرانية تشويش وإرباك عقدي لا أكثر ولا أقل فموقف النصارى من المسلمين يمكن تلخيصه في أنك إن لم تستطع أن تقنع المسلم بالردة عن الإسلام فشوش عليه عقيدته، وانطلاقًا من هذه القاعدة تجدهم ينشرون الأضاليل والأكاذيب، إصرارًا منهم على التمرد على الحق.

إنها رحلة نادرة.. رحلة بين دينين.. حق فضلال.. فحق..

ذهاب وعودة تثبت لكل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد..

تثبت أن الإسلام هو الدين ولا دين لله سواه..

فيا كل من ما زال تائهًا في رحلة البحث عن الحق..

لا تضيع عمرك في البحث عما تم البحث عنه.. والحصول عليه..

لقد وجده كل من سار في هذه الرحلة..

إنها هدية الهداية.. يهديها لكم الله.. فاقبلوا الهدية.. أسلموا..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (51)

التوراة المفقودة

عندما يدعو إلى الإسلام يهودي منصف..

فإنه يضع يده على مواطن الحقيقة المطموسة!!..

يوجع المكذبين بالحق.. لأنه يعلم كيف يُظهر ما يجتهدون في إخفائه!!..

فيكون الأثر عظيمًا.. في عقول وقلوب من ضللتهم آلة اليهود..

فالرأي العام الغربي يتم تضليله عبر المناهج التربوية وعبر الرسائل التي تبثها وسائل الإعلام التي يهيمن عليها اليهود، من خلال تكوين صورة ذهنية تصف اليهود بأنهم أصحاب حق مسلوب، بينما يتم تصميم صورة ذهنية سالبة تصف الفلسطينيين بأنهم ذئاب يهددون سلامة الحمل الإسرائيلي الوديع..

فيما يلي نورد قصة شاب أمريكي يهودي اعتنق الإسلام وفضح مزاعم اليهود الذين يدعون بأنهم شعب الله المختار وأنهم أصحاب أرض تم تسليمها لهم بقرار ممن لا يملك لمن لا يستحق.

درس عبدالله بنيامين جميع الأديان بما فيها الإسلام فاقتنع بدين الله الحنيف وأعلن إسلامه في مكتب رابطة العالم الإسلامي بنيويورك عام 1977، أمام الشيخ سليمان بن منيع نائب مدير إدارة البحوث والإفتاء بالسعودية، والشيخ محمد بن ناصر العبودي أمين الدعوة الإسلامية في الرياض.

في لقاء معه سُئل عبدالله بنامين عن السر الكامن وراء اهتمام القرآن الكريم بذكر اليهود حتى أصبحوا من أكثر الأقوام ذكرًا في سوره وآياته؟ فأجاب فيما معناه: تعتبر هذه واحدة من معجزات القرآن الكريم، فالله تعالى يعلم أن أشد الناس عداوة للمؤمنين إلى يوم القيامة هم اليهود، لذلك حذر المسلمين منهم ومن مكرهم ودهائهم إذ ظلوا عبر تاريخهم الطويل يحاربون الله ورسله، فقد حاربوا عيسى -عليه السلام- من قبل، وزعموا أنهم صلبوه، كما حاربوا محمدًا -صلى الله عليه وسلّم- ولكنه هزمهم في النهاية شر هزيمة.

أجاب كذلك عبدالله بنيامين عن سؤال يختص برأيه في التوراة الحالية المتداولة اليوم بين اليهود، فتحدّث حديث الواثق بنفسه والعالم ببواطن الأمور وقال: إن التوراة المتداولة اليوم بين اليهود تعتمد على خمسة أسفار يسندها اليهود إلى موسى -عليه السلام- ولكن الواقع التاريخي

يؤكد أن هذه الأسفار الخمسة كتبت بعد موسى -عليه السلام- بأزمان طويلة!

هذه الحقيقة نفسها استنتجها المحققون اليهود الذين توصّلوا إلى قناعة بأن موسى -عليه السلام- لم يكتب الأسفار الخمسة الأولى المنسوبة له في العهد القديم، بل كتبت بعد موته بفترة طولية من الزمن، وأن التوراة التي أنزلها الله عزّ وجلّ عليه فقدت نسختها الأصلية وضاعت في حادثة بخت نصر.

يستشهدون على ذلك بعشرات النصوص الصريحة الواضحة، ومن بينها هذه النصوص من سفر التثنية التي ينعى فيها موسى نفسه: «**فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب.. ودفنه في الجواء في أرض موآب، مقابل بيت فغور. ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم.. وكان موسى ابن مئة وعشرين سنة حين مات، ولم تكل عينه ولا ذهبت نضارته.. فبكى بنو إسرائيل موسى في عربات موآب ثلاثين يومًا. فكملت أيام بكاء مناحة موسى**». (تثنية 34:5-8).

السؤال الذي لم يجد له المحققون اليهود إجابة: إذا كان موسى -عليه السلام- هو من كتب هذه الأسفار، فكيف ينعى نفسه بنفسه؟

ولمعرفة من أين جاءت التوراة الحالية لا بدّ من العودة إلى فترة ما بعد الغزو البابلي لمملكة يهوذا سنة 586 ق.م. تلك الفترة التي جلس فيها اليهود على ضفة الفرات وهم يبكون ويتباكون على حالهم، فكتبت هذه الأسفار الخمسة نتيجة لخيال محموم للمبعدين في الأسر البابلي، إنه خيال مريض انتقص سائر بني إسرائيل ومجّد يهوذا، بل جاء ببدعة الأرض الموعودة التي ادعى بأنها أرض أبناء يهوذا يرثونها وحدهم دون غيرهم، ولإضفاء صفة الشرعية على هذه الدعوة المزعومة المسمومة رأى مؤلفو هذه الأسفار أن يكون الوعد سابقًا للعهد الذي يعيشون فيه، فبدؤوا قصة مجيء الوعد بإبراهيم -عليه السلام-، ثم تسلسلوا به من إبراهيم إلى إسحاق وإلى يعقوب الذي هو إسرائيل، ثم أوصلوه لأنفسهم بتحويله من يعقوب إلى ابنه الرابع يهوذا الذي هو جدهم.. وحتى يضفوا الشرعية والقدسية على وعدهم المزعوم، نسبوا تلك الأسفار التي كتبوها بأيديهم إلى سيدنا موسى -عليه السلام-.. ولذلك فضحهم القرآن الكريم في أكثر من موضع:

فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ (79) البقرة

أما عن أساطير اليهود التي أقاموا عليها دولتهم فيقول عبدالله:

الغزو الفارسي لبابل قبل الميلاد هو الذي أعاد اليهود إلى فلسطين.. ولكن مجرد العودة إلى أرض الميعاد المزعومة لم يكن يعني لهم الكثير لذلك رأوا ضرورة أن يعيدوا دولتهم ويبنوا

هيكل سليمان من جديد.. وهنا شعروا بمدى الحاجة إلى توثيق عرى الرابطة فيما بينهم.. تصدى حينها «عزرا» للأمر، فدعاهم إلى اجتماع عام، وناولهم هذه التوراة المزعومة بعد أن قرأ عليهم النصوص الخاصة بالأرض الموعودة.. حينذاك احتضن كل يهودي هذه التوراة المحرّفة التي تمنحه فلسطين (من الفرات إلى النيل) لإقامة دولة إسرائيل عليها.

لقد ظل اليهود لقرون طويلة ينتظرون المسيح نبي بني إسرائيل المرتقب (أليجا) التي تعني في العبرية المنقذ، أي الذي ينقذ اليهود من الاضطهاد ويعيد لهم مجدهم وملكهم، ولكن عندما يئس الصهاينة وطال عليهم الأمد، قاموا باغتصاب أرض فلسطين وتأسيس دولتهم عليها، وأبقيت أسطورة المسيح المنتظر عندهم خرافة يدغدغون بها مشاعر البسطاء منهم للدفاع عن دولتهم الصهيونية.

ويضيف عبدالله في إطار الإجابة عن سؤال آخر: إن عوامل كثيرة تضافرت لتساعد اليهود على سلب أرض فلسطين.. فبعد المذابح التي ذاقها اليهود في كل من روسيا وألمانيا النازية، بدأت فكرة العودة إلى الأرض الموعودة تظهر من جديد.. ساند الغرب الصليبي المستعمر اليهود في مساعيهم لأسباب عديدة منها خشيته من مكرهم وإجرامهم، ومنها استغلاله لأموالهم المودعة في المصارف الغربية والتي عبرها استطاع الغرب أن يسيطر على مراكز الصناعة والتجارة والاقتصاد، ومنها استجلاب أصواتهم في المعارك الانتخابية، فضلًا عن اتخاذهم مطايا للوصول إلى المآرب الإمبريالية.

ويؤكد عبدالله بنيامين أن التوراة، وبرغم ما أصابها من تحريف تتضمن العديد من أوصاف النبي الآتي في المستقبل، منها ما جاء في سفر إشعياء: «**أو يُدفع الكتاب لمن لا يعرف الكتابة ويقال له: اقرأ هذا. فيقول: لا أعرف الكتابة**» (سفر إشعياء: 29: 12). هذا النص يحمل خطابًا مباشرًا لليهود، ويبيّن لهم أن الكتاب يُدفع لنبي لا يقرأ ولا يكتب، أي إنه نبي أمّي، لم يتعلم القراءة والكتابة، ومُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم- هو النبي الأمّي الوحيد! بالنسبة إلى المسيح -عليه السلام- فلم يكن أميًّا، بل كان يعلّم الأحبار وعمره اثنا عشر عامًا، وبالنسبة إلى موسى -عليه السلام- فقد نزلت عليه التوراة مكتوبة من الله عزّ وجلّ فقرأها بنفسه! ولم يكن بين أنبياء إسرائيل جميعًا من لا يعرف القراءة والكتابة. إذًا لا أحد تنطبق عليه الفقرة السابقة من سفر إشعياء سوى النبي الأمّي مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم-!

ومُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم- ليس بحاجة للقراءة والكتابة، لأن من يعلمك لا بدّ من أن تتأثر بتعاليمه، أما معلم مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم- فهو الوحي من ربه. ولذلك فمهما بلغت ثقافة العالم فلن تبلغ ثقافة مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم- فهو معلّم البشرية لا ريب. وكذلك أراد الله بحكمته البالغة أن يبعث خاتم النبيين وسط قوم أميين لا يقرؤون ولا يكتبون حتى لا يتوهم أحد

أنهم تأثروا بتعاليم الشعوب والأمم الأخرى.

ويؤكد ذلك نبوءة أخرى في غاية الأهمية من سفر إشعياء نفسه موجّهة إلى بني إسرائيل: «**إنه بشفة لكناء وبلسان آخر يكلم هذا الشعب**» (سفر إشعياء: 28: 11). هذه النبوءة تتحدث عن أن هذا النبي الأمّي يكلّم شعب بني إسرائيل بلسان آخر، أي لغة غير لغتهم العبرية، ومُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم- هو النبي الوحيد الذي خاطب بني إسرائيل بلغة غير لغتهم!

وقد ورد لفظ (بني إسرائيل) في القرآن 40 مرّة، وورد لفظ (اليهود) 8 مرّات!..

ظلوا يبشرون بقرب قدومه..

مؤكدين أنه مذكور في التوراة عندهم..

فلما ظهر.. كانوا أول المكذبين به..

كانوا أشد المحاربين له..

ولكن.. عندما يريد الله هداية أحدهم فلا رادّ لإرادته سبحانه..

بل يهدي الله بعضهم ليقدّموا أدلة الحق جليًّا للناس من الذين لا يعلمون..

فشهادة أهل اليهودية على اليهودية لا ينكرها عاقل أو منصف..

فكن عاقلًا منصفًا واستمع إلى صوت الحق..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (9) - (10)

الخطأ المفيد

نعم.. «**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ**»..

قرب الله منا هو سبب هدايتنا.. لا أحد يستطيع نفعك أو ضرّك إلا بإذن من الله.. ولا أنت نفسك!!

قد يسخّر الله لهدايتك ما لا يتخيله عقل.. طفل صغير.. مشهد في فيلم.. فقرة في كتاب.. جملة في خطبة.. خريطة للجغرافيا.. أي شيء تستهين به ولا علاقة له بالدّين قد يكون سببًا في إيمانك!!

إنه الله من سخّرها لك.. سبحانه..

فاغتنم الفرصة.. اتبع الهدى.. اتبع النور الذي أرسله الله لك..

بطل قصتنا لاحظ أول ما لاحظ.. خريطة.. مجرد خريطة قادته إلى الإسلام!!

سبقت ولادته في ولاية ميزوري الأمريكية اندلاع الحرب العالمية الثانية بعشرة أشهر..

قضى طفولته الباكرة في مزرعة العائلة حيث تشبعت ذاكرته بمرأى جبال الأوزارك الشامخة وهي تحرس سهول ميزوري العظيمة وتتغزل في جمال مزارعها الفسيحة الغامرة الخضرة.

لم يعش والده طويلًا عقب ولادته، فربّته والدته مع بقية إخوته تربية جيدة أعانتها عليها شخصيتها المميزة التي تتمتع بالصرامة والتدين في الوقت ذاته.

عاش «محمد طاهر» البدايات الأولى من حياته في هذه البيئة الطبيعية ذات المزارع الفسيحة فجعله ذلك يشعر بالوحدة، إذ إن أقرب جار لهم وهو جدته تسكن على بعد ميلين من منزلهم شديد الاتساع، وقد ازداد شعوره بهذه الوحدة عندما غادر كل من شقيقته وأخيه المنزل وتركاه يلوك مرارة العزلة.. أكسبه هذا الوضع شخصية مميزة ذات درجة عالية من الاستقلال لا تتناسب مع سنه الغضة.

عندما بلغ الخامسة من عمره اكتشف العالم الكبير من حوله، وذلك عندما عثر داخل إحدى غرف المنزل المهجورة على موسوعة تحتوي على خارطة للعالم.. بهرته الخريطة كثيرًا بألوانها المتباينة الجذابة التي تميز كل بلد عن غيره.. أكثر ما شده في عالمه الكبير الصغير هذا لون وردي خصص في الخريطة بمنطقة تسمى (الإمبراطورية العثمانية).. في فترة لاحقة وهو في الصف الرابع من دراسته تفحص بدقة خريطة أخرى للإمبراطورية العثمانية.. حببت له هذه الخرائط

مادة الجغرافيا وفي هذه الأخيرة أصبح شغوفًا بشعب وادي دجلة والفرات.

عندما وصل إلى الصف السادس وهو في الثانية عشرة من عمره دفعه خطأ معلمته المعمدانية في حصة التاريخ إلى تعرّف الإسلام والحرص على جمع أكثر قدر من المعلومات عنه.

كانوا آنذاك يدرسون العصور الوسطى، وكان هناك في الكتاب المقرر صفحتان تتحدثان عن «محمد» وعن انتشار (المحمدية).. رشحت من لسان معلمتهم كلمات مريرة لم يقدر على ابتلاعها إذ قالت لهم وهي تتحدث عن المسلمين: «في الوقت الذي نؤمن فيه نحن النصارى بأن عيسى ابن الله، فهم يؤمنون بأن محمدًا هو ابن الله»!

رفع يومذاك يده وسألها قائلًا في استنكار: «ولمَ لا؟ إذا كان المسيح عيسى هو ابن الله فلست أفهم لماذا لا يكون محمد ابن الله أيضًا؟!».

لم يتلق إجابة عن سؤاله، واستنفدت المعلمة ما تبقى من حصة التاريخ في الحديث عن النظام الإقطاعي في أوروبا، ومع ذلك ظل موضوع الإسلام يدور في ذهنه فصمم بينه وبين نفسه أن يعرف المزيد عن «محمد» الذي قالت عنه معلمة التاريخ إنه أيضًا ابن الله!

بدأ بحثه بمكتبة المدرسة الصغيرة قبل أن يوسع دائرة بحثه.. فرح كثيرًا وشعر بالاطمئنان عندما توصل إلى أن المسلمين يرون أن محمدًا وعيسى -عليهما الصلاة والسلام- عبدان من عباد الله المخلصين، ورسولان كريمان أرسلهما الله تعالى بهدف دعوة عباده إلى دينه الحق، وعلى النقيض من حديث مدرّسة التاريخ!

في يوم من الأيام وتحديدًا في يوم سبت لا ينساه، وبينما كان يتجول مع والدته في سوق المدينة عثر على طبعة جيب من كتاب (المحمدية) للمؤرخ الإنجليزي الكبير «أ. ر. جب».. اشترى الكتاب في لهفة وقرأه لعدة مرّات في شغف شديد.. ما شدّه في الكتاب الآيات القرآنية المترجمة إلى الإنجليزية التي أوردها المؤلف.. حفظ بطل قصتنا الكثير من تلك الآيات.

ومن الآيات التي ظل يرددها كثيرًا وهو يجلس في كل ليلة عند نافذة غرفته ويتأمل السماء المرصعة بالنجوم الآية الكريمة التي يقول فيها الله تعالى:

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ (186) البقرة

شعر حينها أن التواصل مع الله تعالى لا يحتاج إلى وسيط.. وفي إحدى الليالي وبعد قراءته لهذه الآية الكريمة أحس بأنه أصبح مسلمًا! على الرغم من أنه لم يتجاوز الثالثة عشرة أو الرابعة

عشرة من عمره، ولم يسبق له أن قابل مسلمًا في حياته.. لم يمر وقت طويل على ذلك الموقف حتى اعتنق بطل قصتنا الإسلام بصورة رسمية وأطلق على نفسه اسم محمد طاهر.

عقب إشهاره لإسلامه سافر محمد طاهر إلى الكويت وبداخله تمور رغبة عارمة لتعلم المزيد عن الإسلام.. وفي أحد مساجد الكويت أصبح محمد طاهر تلميذًا مواظبًا لداعية إسلامي معروف.. وبعد مرور عام أو يزيد قضاها بطل قصتنا مع شيخه وهو ينهل من علوم الإسلام عاد إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث أنشأ في مدينة واشنطن عام 1970 جمعية إسلامية أطلق عليها اسم (جمعية الفرص الإسلامية اللامحدودة) بهدف تقديم الإسلام إلى الشعب الأمريكي، خاصة شريحة الشباب، بأسلوب يستطيعون فهمه واستيعابه.

لم يكتف محمد طاهر بإنشاء الجمعية فحسب بل اضطلع بمهمة الدفاع عن الإسلام والدعوة إليه والترغيب فيه، كما أصدر نشرة تحمل عنوان (Islamic Items) وهي نشرة تبنى فيها القضايا العربية والإسلامية ودافع عنها بقوة، كما أخذ يرد على كتابات الصهاينة في الصحافة الأمريكية، وهو نشاط محفوف بالمخاطر لاقى في سبيله التهديد والوعيد.. كما أخذ يدعو غير المسلمين إلى الإسلام.. كان محمد طاهر يقوم بكل تلك الأنشطة على نفقته الخاصة بالتعاون مع بعض الشباب المتحمسين من أمثاله..

جهود وجهود لا تتوقف.. عطاء بلا حساب.. صدق لا يعرف الزيف أو الرياء..

إنه حال المسلمين الجدد.. الذين يدخلون الإسلام بعد بحث وتأمل ودراسة.. فيكون الهدى والإخلاص في خدمته!

ومن يخدمه يخدم نفسه في الأساس والحقيقة!!

فهو دين الله المتكفل بحفظه ونشره حتى يأتي اليوم الذي يسود العالم كله..

أنت من يحتاج إلى الإسلام..

فأسلم تحفظ عليك نفسك وتنجها من الهلاك!

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (9)

الدعوة الصامتة

القدوة الحسنة..

أهم وسائل وأدوات الدعوة إلى الإسلام..

دول كاملة دخلها الإسلام.. بالقدوة..

من خلال التعامل المباشر مع المسلم..

للوهلة الأولى.. لا مجال أمام غير المسلم للانجذاب إلى الإسلام أو النفور منه غير التعامل مع المسلم..

برغم أن الإسلام هو الحجة على المسلم..

وليس المسلم هو الحجة على الإسلام..

قصتنا هذه خير دليل على ذلك..

«قال لي صديق عربي مسلم تزوجت من امرأة أوروبية نصرانية، وعقب ثلاثة عقود من زواجي بها سألني أفراد أسرتي في استنكار: كيف عجزت عن إدخالها الإسلام وقد أصبح لك منها أحفاد؟! أجبتهم قائلًا: الحقيقة أقنعتها بالإسلام من خلال تعريفي لها بعقيدتي فقررت أن تسلم، لكن عندما قابلتكم ورأت سلوككم قالت لي: لو كان هؤلاء هم المسلمون من الأفضل أن أظل على نصرانيتي»!!

بدأت القصة بهذه المقدمة لأن بطلها أستاذ نصراني دخل الإسلام لإعجابه بالسلوك الحميد لتلاميذه من أبناء المسلمين.. وعندما سألهم عن السر الكامن وراء هذا السلوك أجابوه بأنه الإسلام، وعندما استغرب الإجابة لأنه التقى مسلمين سلوكهم لا يسر، أفادوه بأن هناك فرقًا بين ما يحتوي عليه الإسلام من قيم ومبادئ ومثل عليا، وحال السواد الأعظم من المسلمين اليوم، مؤكدين له أن هناك كثيرًا من المسلمين يطبقون تعاليم الإسلام وقيمه النبيلة في حياتهم ومسلكهم بدرجة تعكس الصورة الصحيحة لما يجب أن يكون عليه المسلم.. فدعونا نبحر في قصة إسلام هذا الأستاذ النصراني الذي أرشده تلاميذه إلى طريق الحق!

ولد مانيفرد كوبسيل في عام 1937م في مدينة برلين لوالدين ألمانيين يعتنقان الديانة المسيحية.. وعندما بلغ الثانية من عمره حصدت الحرب العالمية الثانية أرواح جميع أفراد أسرته الصغيرة فتركوه وحيدًا على قارعة الحياة.. أسرة بديلة حن قلبها على هذا اليتيم الصغير فاحتضنته في

حنو، وربته وسط أبنائها حتى حصل على الشهادة الثانوية العامة في عام 1955م.. عقب ذلك انتقل مانيفرد إلى مدينة برلين الغربية ومنها انتقل إلى بلجيكا، حيث التحق بكلية المعلمين التي قضى فيها عامين.. وفي عام 1957م عاد مانيفرد إلى بلاده وعمل فيها أربع سنوات ثم انتقل بعدها في عام 1961م إلى تركيا التي تعاقد فيها مدرسًا للغة الألمانية في كلية أتاتورك بلواء الإسكندرون.. وفي عام 1963م غادر مانيفرد تركيا، وسافر إلى تونس، حيث كان يعمل ويعيش بها أحد أبناء الأسرة البديلة التي ربته في طفولته.

في تونس افتتح مانيفرد مدرسة لتعليم اللغات.. سبعة طلاب تونسيين من عائلة مسلمة عريقة الحسب والنسب التحقوا بمدرسة مانيفرد.. أخلاقهم العالية وسلوكهم الرفيع وذكاؤهم الحاد لفت انتباه بطل قصتنا؛ فسألهم في انبهار: من أين لكم هذا الخلق المميز؟! أجابوه جميعهم: من الإسلام أستاذنا الفاضل، فنحن مسلمون.. أفادهم متعجبًا بأنه التقى العديد من المسلمين في أوروبا وتركيا ولم تعجبه أخلاقهم ألبتة.. شرح له تلاميذه الأمر بأن على المرء المنصف التفرقة بين ما يتضمنه الإسلام من قيم ومبادئ ومثل عليا، وما هو عليه حال المسلمين اليوم؛ إذ إن الكثيرين لا يطبقون هذه القيم في حياتهم مثل أولئك الذين التقاهم.. ثم أكدوا له أن هناك الكثير من المسلمين الذين يطبقون تعاليم الإسلام وقيمه النبيلة في حياتهم ومسلكهم، وبالتالي يمثلون القدوة الحسنة لما يجب أن يكون عليه حال المسلم الحقيقي المتمسك بتعاليم دينه.

أصيب مانيفرد بالذهول فجهله بالإسلام لم يكن ليتيح له التعرّف إلى حقيقة قيمه ومبادئه، وعليه فقد طلب من تلاميذه أن يحدثوه عن عقيدة الإسلام التي استمدوا منها هذه الأخلاق الرفيعة.

شرح التلاميذ لأستاذهم حقيقة أن الإسلام هو آخر الرسالات السماوية حيث به يكتمل الدين، وبنبيه تختتم النبوة، كما وضحوا له أن رسالته -على عكس الرسالات السابقة- موجهة لكل الشعوب، ثم بينوا له أن القرآن الكريم هو كلام الله تعالى الذي أنزله على عبده ورسوله محمد -صلى الله عليه وسلّم-.. وأكثر من هذا تطوع أحد التلاميذ بإهدائه نسخة من القرآن الكريم الذي تقبلها ولسانه يلهج بالشكر.. لكن عندما استدرك حقيقة أنه لا يعرف اللغة العربية، أكد لهم أنه سوف يرسل طلبًا إلى ألمانيا ليرسلوا له نسخة من معاني القرآن الكريم مترجمة باللغة الألمانية.

وما أن جاءته النسخة التي طلبها من ترجمة معاني القرآن الكريم فتسلمها في حماسة أملًا أن يجد الفرصة المناسبة ليطلع عليها غير أن مشاغل الحياة صرفته عن نيته الصادقة حتى كان ذلك اليوم!

في يوم الاحتفال برأس السنة الميلادية لعام 1966م، ذهب مانيفرد مع ابن الأسرة البديلة التي ربته إلى الحفل السنوي الذي يقيمه النصارى نهاية كل عام.. لقد اعتاد في هذه المناسبة أن يحتسي كميات مهولة من الخمر، لكنه هذه المرة وما كاد يرتشف من كأسه رشفتين اثنتين حتى أصيب بألم شديد أدخله في غيبوبة.. عندما أفاق من غيبوبته وجد نفسه طريح الفراش بالمنزل حيث نقله رفيقه الذي أخبره أنه أمضى ليلة كاملة في غيبوبة، وأن الطبيب نصح ببقائه في الفراش إلى حين استرداده لصحته.

لتمضية الوقت شعر برغبة شديدة في القراءة.. تلفت حوله فوقع بصره على ترجمة معاني القرآن الكريم التي أرسلت له من ألمانيا.. فأمسك بالكتاب وشرع في القراءة.. وجد نفسه يقرأ الترجمة في نهم عجيب.. قضى يومين كاملين في قراءة معاني القرآن الكريم، وما كاد ينتهي من قراءته حتى أحس بروح جديدة تسري في أوصاله، كما شعر بهاتف غامض يهتف في داخله بأنه مسلم ولا علاقة له بالنصرانية من قريب أو بعيد.. فقد توصل إلى حقيقة جليّة مفادها أن الإسلام هو دين الحق فقصد على عجل سماحة مفتي الجمهورية التونسية -آنذاك- الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور، ونطق أمامه بالشهادتين معلنًا إسلامه ومغيرًا اسمه إلى «أحمد عبدالله كوبسيل».

أول قرار اتخذه أحمد عبدالله عقب إسلامه طلب العلوم الشرعية ليتفقّه في دينه الجديد ولكي يؤهل نفسه حتى يصبح أحد دعاة الإسلام.. بدأ الخطوة الأولى ببيع مدرسته الخاصة حتى يتفرغ لطلب العلم وأنعم به من بيع رابح.

وفي العام الدراسي 1968/1967م التحق أحمد عبدالله كوبسيل بالجامعة الإسلامية في الدار البيضاء.. وعندما شعر أنه لم يوفق فيها على النحو الذي كان يأمله، غادر إلى مصر ليلتحق بالجامعة الأزهرية لاعتقاده أن الدراسة فيها دينية بحتة.. لكن عندما وجدها تدرس إلى جانب العلوم الإسلامية علومًا عصرية تركها وغادر إلى باكستان حيث التحق بـ«معهد العليمية» التابع للاتحاد العالمي للدعوة الإسلامية في مدينة أبوت أباد القريبة من كراتشي.

إقامة أحمد عبدالله كوبسيل في أبوت أباد أفادته كثيرًا من ناحيتين: تتمثل الناحية الأولى في أن سكان المدن الصغيرة يكونون أقرب إلى الفطرة من سكان المدن الكبرى، ما جعل حماستهم للإسلام، وحسن فهمهم له يسهمان في مساعدته كثيرًا على تعرّف العديد من الجوانب المضيئة للعقيدة الإسلامية عبر المواقف العملية ومن خلال نموذج القدوة الذي وجده من قبل في تلاميذه التونسيين.. أما الناحية الثانية في استفادة بطل قصتنا من إقامته بمدينة أبوت أباد فتتمثل في لقائه بالداعية الألماني المسلم الدكتور علاء الدين شلبي، حيث أثمر لقاؤهما عن إنشائهما مركزًا للدعوة الإسلامية في أبوت أباد، يضم معهدًا لتدريب المعلمين، ودارًا لإغاثة اللاجئين الفلسطينيين.

وهكذا أثمر لقاء كل من نموذج القدوة الحسنة في التلاميذ التونسيين وفطرة أحمد عبدالله السليمة في دخوله الإسلام وتحوله من أستاذ نصراني يعاقر الخمر ويرتكب كل صنوف المعاصي إلى داعية إسلامي يعشق القرآن ويدمن مساعدة المسلمين والمسلمات.

تُرى.. في هذه القصة.. من كان التلميذ؟!.. ومن كان الأستاذ؟!..

سبحان من بيده الهدى..

سبحان من يصيِّر التلميذ أستاذًا لأستاذه ليهديه إلى الطريق المستقيم!!

إنه الإسلام.. إنه الإيمان الحقيقي!

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (26) - (27) - (52)

الهجرة إلى الله

الهجرة.. مفهوم عميق يحتاجه البشر جميعًا!!..

هجرة المكان.. هجرة الفكر.. هجرة العقيدة.. هجرة الطباع والأخلاق..

من الشر إلى الخير.. من الخطأ إلى الصواب.. من الضلال إلى النور والحق..

كلنا.. كلنا..

فعلى سبيل المثال هناك الملايين من مختلف دول العالم صغارًا وكبارًا يضحّون بالغالي والنفيس في سبيل الحصول على فرصة يهاجرون عبرها إلى أمريكا التي يرونها جنة الله في الأرض..

أما بطل قصتنا هذه فقد سبح راشدًا عكس التيار الخطأ فغادر أمريكا في هجرة صادقة إلى الله..

إنه الأسقف الأمريكي سابقًا الداعية الاسلامي حاليًّا الدكتور مصطفى مولاني..

ندعوكم للتعرّف إلى قصة إسلامه.

بطل قصتنا هذه المرة هو شاب إيرلندي الأصل، نشأ وترعرع في بيئة كاثوليكية متمسكة بعقيدتها.. درس في مدرسة ثانوية دينية، ثم التحق بكلية خاصة بالقساوسة بجامعة «سانت باتريك» لدراسة الفلسفة واللاهوت قضى فيها ست سنوات وكل أمله أن يحقق رغبة أسرته في أن يصبح قسيسًا يخدم النصرانية.

في عام 1971م وعقب تخرجه بشهرين غادر الشاب الإيرلندي بلاده إلى أمريكا ليعمل بالتبشير.. فالكلية التي درس فيها تخرّج مئتي قسيس في كل عام يعمل معظمهم في الولايات المتحدة الأمريكية إذ درج الأساقفة الأمريكيون بصورة دورية على زيارة الكلية ليأخذوا أغلب القساوسة الجدد إلى أمريكا للعمل هناك بالتبشير في مختلف المناطق.. وتم اختيار مولاني للعمل كأسقف بولاية «نيو جيرسي».. حيث أصبح مسؤولاً عن إعداد برامج التوجيه الديني لكل المستويات كما كان يعمل مدربًا لإكساب المهارات وتأهيل القائمين بهذا العمل، فضلًا عن عمله مدرسًا للمواد الدينية بالمدرسة الثانوية الكاثوليكية.. وحرصًا منه على تجويد عمله في إرشاد الناس وفي تدريس طلابه كان بطل قصتنا يهتم كثيرًا بالبحث والدراسة.. بيد أن دراساته وبحوثه لم تزده إلا شكًّا في عقيدته وعمله، ذلك الشك القاتل الذي ظل يمثل هاجسًا في حياته منذ زمن طويل؛ إذ يقول:

«كنت كلما تعمقت في البحث والدراسة انتابني شعور غريب بالشك في عقيدتي.. ولم أستطع أن أكتم شكوكي، فقررت مفاتحة رئيس الأساقفة وقلت له: لدي شك في عملي، بل وفي إيماني بالله حسب عقيدتنا. فنصحني بالتريث والتفكير، وأعطاني مهلة لمدة عام ريثما أفكر في الموضوع بهدوء».

استثمر القس الإيرلندي الشاب العام الذي منحه له رئيس الأساقفة للتفكير بأن قضاه في البحث والدراسة.. توج بحثه بحصوله على درجتين للماجستير، الأولى في التربية الدينية، والثانية في اللاهوت والكتاب.. لكن لم تكسبه كذلك تلك الدراسات والبحوث إلا مزيدًا من الشك في عقيدته وعمله.. فما كان منه إلا أن عاد إلى رئيس الأساقفة ليقدم استقالته من عمله والتي تمت الموافقة عليها..

الحقيقة لم يقدم مولاني استقالته من عمله نتيجة لتأثره بأي عقيدة أخرى.. ربما الفطرة السليمة التي كان يتمتع بها منذ صغره والمجتمع الريفي المتماسك المحافظ الذي تركه وراءه في مسقط رأسه بإيرلندا من أهم الأسباب التي دفعته لتقديم استقالته. ففي أمريكا وجد نفسه يغرق وسط دوامة مجتمع صناعي مادي، به ما يزيد على الثلاثمئة مذهب مسيحي كل منها يزعم أنه على حق دون غيره، الأمر الذي جعله يشك في كل هؤلاء بل وفي العقيدة النصرانية نفسها التي كان يساوره الشك في الكثير من تعاليمها وطقوسها حتى قبل مغادرته إيرلندا. فعلى سبيل المثال لم يكن مقتنعًا بالسلطة البابوية المطلقة على الناس.. كما لم يكن مقتنعًا بالتعسف في معالجة الأمور، التي من بينها موقف البابا من تنظيم النسل الذي لا يوجد في الأناجيل ما يمنعه.. كما أنه لم يكن مقتنعًا بفكرة الرهبنة وكثيرًا ما تساءل في حيرة: كيف يمنع البابا الكثيرين من رجال الدين في المسيحية من الزواج وهو يتعارض مع فطرة البشر وطبيعتهم التي جبلهم الله عليها؟!

نعم أشياء كثيرة ضاعفت شكوكه في النصرانية وجعلته يتساءل في حيرة: كيف يعظ الناس وهو غير مقتنع بما يدعوهم إليه؟! لذلك قرر الاستقالة من عمله كأسقف وكان حتى ذلك الحين لا يعرف عن الإسلام إلا اسمه.

عقب استقالته من عمله كأسقف قرر مولاني أن يستأنف دراسته للحصول على درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد.. وخلال فترة دراسته كانت تأتيه معلومات متقطعة وبيانات شحيحة عن الإسلام، فأراد أن يستزيد منها.. فقادته رغبته تلك إلى دراسة تاريخ الإسلام والحضارة الإسلامية.. كما جعلته يحرص على حضور المحاضرات التي كان يقدمها علماء مسلمون والتي كانت موضوعاتها تدور حول القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وأركان الإسلام.

وفجأة وعلى غير توقع منه وقع حدث مهم غير مسار حياته بأكملها.. أثناء احتفال جامعة

هارفارد بمرور ثلاثمئة عام على إنشائها، حضر مندوبون من جامعات العالم العريقة ومن بينهم مندوبو جامعة الأزهر للمشاركة في الاحتفال.. ظهور علماء الأزهر تلك المناسبة بزيهم المميز الذي يعلوه الوقار وحديثهم المهيب الذي لمس شغاف قلبه جعل مولاني يختار علماء الدين الإسلامي موضوعًا لأطروحته للدكتوراه.. الحقيقة اختيار بطل قصتنا لهذا الموضوع أتى نتيجة لاهتمامه بدراسة الإسلام وليس رغبة في اعتناقه وهو اختيار دفعه إلى زيارة مصر لإجراء هذه الدراسة في كليات الأزهر المتخصصة.. ومن محاسن الصدف صادفت زيارة مولاني لمصر شهر رمضان، فانبهر كأجنبي بمشاهد مدهشة لم تكن في حسبانه.. وقد عبّر عنها بقوله:

«حين جئت إلى مصر في شهر رمضان.. شاهدت المجتمع المصري منتظمًا في أسلوب حياته القائم على أساس من الدين... فالناس يذهبون إلى المسجد عند سماع الأذان، ويتطهرون بماء الوضوء، ثم يقفون في صفوف منتظمة.. وعند الإفطار تخلو الشوارع من المارة».

في البدء فسر مولاني خلو الشوارع من المارة بوجود تعليمات تلزم المواطنين بحظر التجوال في ذلك الوقت بيد أنه عرف السبب في فترة لاحقة..

الفترة التي قضاها مولاني في مصر دفعته إلى المقارنة بين المجتمعين المصري والغربي.. حيث وجد الناس في أرض الكنانة يتحركون ليلًا في أمان وهو أمر لا يتأتى لنظرائهم في أمريكا إذ سيجدون أنفسهم عرضة للموت إن فعلوا ذلك برغم وجود القوانين الرادعة.. توصل بعدها إلى حقيقة جليّة مفادها أن الأمن الذي يتوافر في المجتمعات المسلمة لا يعزى إلى الخوف من القوانين وإنما مرده إلى الخوف من الله رب العالمين.. فالمجتمع المسلم منظم على أساس من الدين.. بالتالي إيمان الناس بدينهم يجعلهم يطبقون تعاليمه دون خوف من عقوبة رادعة أو قانون صارم، بل احترامًا لمبادئهم وعقيدتهم.

في هذه المرحلة شبه الفاصلة من حياته اقتنع مولاني بالإسلام كمنهج حياة ينظم للبشر أسلوب معيشتهم وسلوكياتهم، إلا أنه لم يعلن إسلامه على الفور وقد برر ذلك بقوله:

«إنه برغم اقتناعي الكامل بالإسلام كدين خاتم يجب أن يؤمن به الناس جميعًا، فإنني ترددت أربعة أشهر قبل أن أعلن إسلامي، لأدرس القرار في تأنٍ من جميع جوانبه.. لأنه من الصعب على الإنسان أن يغير دينه.. بعدها شرح الله صدري للإسلام، فدخلت في دين الله الحق... وسميت نفسي «مصطفى مولاني» تيمنًا بأحد أسماء الرسول محمد -صلى الله عليه وسلّم-».

وما أن اعتنق مصطفى مولاني الإسلام حتى شعر بنفسه يعيش داخل عالم نوراني شفيف يسمو بروحه ونفسه على السواء بل ما أن تسلم شهادة إشهاره الإسلام حتى شعر بأنه حصل على أعلى شهادة في الدنيا.. أما عن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلّم- الذي كم وكم هاجمه

عندما كان قسيسًا يكنّ العداوة والبغضاء للإسلام فقد قال:

«لقد اقتنعت تمامًا بأن محمدًا هو خاتم الأنبياء والمرسلين.. واقتنعت بسنته وتشريعاته التي اتخذها الغرب مدخلًا للطعن في رسالته مثل تعدد الزوجات التي اقتنعت تمامًا بحكمتها».

ثم أضاف قائلًا وقد اغرورقت عيناه بالدموع:

«لقد قمت بعمل عُمرة، وزرت البيت الحرام، والروضة الشريفة، وفاضت عيناي بالدموع أمام قبر المصطفى -صلى الله عليه وسلّم- وقلت لنفسي حينئذ: من أنا حتى أقف أمام قبر أعظم إنسان عرفته البشرية... وشكرت الله تعالى أن هداني للإسلام».

هذه هي قصة مصطفى مولاني الرجل الذي سبح عكس التيار فترك أمريكا مقصد الجميع وجنة الله في الأرض كما يراها عبدة المادة وطلاب الحرية الزائفة وهاجر إلى الله ينشد الجنة الحقة.. ركل وراءه الترف المادي الملوث بزيف الكنيسة وأقبل على طريق يقود إلى النعيم المقيم.. هجر الشوارع الغارقة بدماء الأبرياء ليحظى بأمان لم يكن يحلم به منذ صرخة ميلاده الأولى..

والأهم من هذا الأمان في الدنيا.. أمان الآخرة..

لذا ضحى مصطفى مولاني بالكثير والكثير.. رخيصًا وعن طيب خاطر في سبيل الإيمان بالله..

عرف الحق.. عرف الله.. فهاجر إلى الله..

وما أعظمها من هجرة يحتاجها كل إنسان غير مسلم..

فماذا تنتظر أنت؟!

النجاة في انتظارك.. الجنة في اشتياق إليك..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (1) - (96)

ثراء الإيمان

في الإسلام صلاة.. وفي غيره صلاة.. ولكن شتان!!

في الإسلام صيام.. وفي غيره صيام.. ولكن شتان!!

في الإسلام كتاب مقدس.. وفي غيره كتب.. ولكن شتان!!

المسلمون الجدد تذوقت قلوبهم هذه المتشابهات..

وحدهم من يستطيع تأكيد أن التشابه في الأسماء فقط!!

الحق.. الصدق.. الإخلاص.. هو جوهر كل عبادة في الإسلام.. لا الأشكال والحركات..

هذا ما يؤكده لنا بطل قصتنا.. تذوّق فعرف..

نشأ في بيئة نصرانية مترمّتة.. التحق بقداس الأحد منذ نعومة أظفاره.. أصبح شماسًا بالكنيسة وعمره ثماني سنوات فقط.. تم إعداده ليصبح كاهنًا ثم قمصًا.. عندما بلغ سن الشباب دفعته فطرته السليمة إلى النفور من طقوس الكنيسة وسلوك مرتاديها غير السوي.. وبينما كان الشك يراوده في النصرانية كانت أشياء عديدة تعجبه في الإسلام وتجذبه نحو المسلمين.. وصل به الأمر أن صام مع المسلمين أيامًا من شهر رمضان قبل أن يسلم.. ظل إعجابه بالمسلمين يزداد كلما قرأ عن الإسلام حتى هداه الله ونطق بالشهادتين.. إنه القمص المصري السابق «عزت إسحاق معوَّض» الداعية الإسلامي الحالي محمد أحمد الرفاعي.

ولد عزت ونشأ في أسرة نصرانية مترابطة مع بعضها بعضًا وذات رباط وثيق مع الكنيسة.. التحق بقداس الأحد وعمره لم يتجاوز الأربع سنوات.. التحق بخدمة الكنيسة كشماس في عمر يقرب من الثمانية أعوام.. إلمامه بالقبطية وقدرته على القراءة من الكتاب المقدس على النصارى في عمر باكر جعلاه مميزًا عن أقرانه.

تم إعداده بعناية وتدرج في المناصب الكنسية حتى أصبح كاهنًا ثم قمصًا، وكان أحد أهم الدعاة لالتزام تعاليم النصرانية، لا يهدأ ولا يسكن عن مهمته التي يستعين عليها بكل الوسائل.. ولكن بعد أن تعمق في دراسة النصرانية بدأت مشاعر الشك تراوده في أصول هذه العقيدة التي يدعو إليها، وبدأ يشعر بسخط داخلي على الكنيسة، وتلفت حوله فوجد النساء يدخلن الكنيسة متبرجات ويلتصقن بالرجال بصورة مشينة، وبعلم القساوسة، والجميع يصلي بلا

طهارة ويرددون بصورة آلية ما يقوله القس دون أن يفهموا منه شيئًا على الإطلاق، وإنما هو مجرد تعود على سماع هذا الكلام.

وكحال العديد من علماء النصارى، كان كلما تعمق في دراسة النصرانية ازدادت شكوكه فيها باعتبارها عقيدة محرفة لا تحترم عقل الإنسان.. عندما توسع في قراءاته للأناجيل اكتشف أن ما يسمى «القداس الإلهي» الذي يتردد في صلوات النصارى ليس له دليل من الكتاب المقدس.. كما لاحظ وجود خلافات كثيرة بين الطوائف المسيحية، بل حتى بين أطراف الطائفة الواحدة حول تفسير «الثالوث» الذي ليس له أصل كذلك في الديانة النصرانية.. أكثر من هذا كان ينفر بشدة من طقس تناول النبيذ وقطعة القربان من يد القسيس والتي ترمز إلى دم المسيح وجسده!

وبينما كان شكه في النصرانية يزداد يومًا بعد يوم كان قلبه ينجذب نحو الإسلام.. كان يشعر بارتياح كبير عند سماعه للقرآن الكريم الذي وجده يخاطب العقل والوجدان في آن واحد.. وكان يعجب بصلات المسلمين على الرغم من عدم فهمه لما يقولونه أثناء تأديتهم لها، كما كان ينبهر بالخشوع والسكينة اللتين كانتا تحيطان بمكان الصلاة.. وبرغم أنه تمت تنشئته على كراهية المسلمين منذ صغره فإن سماعه للقرآن كان يؤثر في نفسه بصورة يعجز عن وصفها بالكلمات.. كان شديد الإعجاب بصيام شهر رمضان الذي وجده أفضل من صيام الزيت عند النصارى وهو كذلك طقس مبتدع لم يرد ذكره في الكتاب المقدس مثله مثل الكثير من طقوس النصارى.. ليس هذا فحسب بل صام أيامًا من شهر رمضان وهو لم يعتنق الإسلام بعد.

انتابه الإحساس بأن النصرانية دين مشوه وغير مكتمل.. لكن وعلى الرغم من انتقاده الحاد للنصرانية فإنه ظل يتأرجح بينها وبين الإسلام لمدة ثلاث سنوات قطع خلالها شعرة معاوية التي تربطه بالكنيسة.. دفعته الحيرة إلى أن يقرأ كثيرًا ويقارن بين الأديان المختلفة.. حواراته مع بعض المسلمين كان لها الدور الكبير في إحداث حركة فكرية لديه وأكدت له حقيقة أن المسلم غير المتبحر في دينه يحمل من العلم والثقة بصدق دينه ما يفوق ما يمتلكه أي نصراني ولو بلغ درجة رفيعة من العلم، وهو أمر يعزى إلى حقيقة أن تعاليم الإسلام من القرآن والسنة النبوية بسيطة وواضحة ومتاحة للجميع، على عكس النصرانية حيث نجد هناك أسفاراً بالكتاب المقدس لا يحق للنصراني أن يقرأها قبل بلوغه الخامسة والثلاثين من عمره، بل ويفضل أن يكون متزوجًا!

وهكذا يتبين بجلاء لأصحاب الفطر النقية، والنفوس الزكية، والعقول السوية، مدى صفاء العقيدة الإسلامية ونقائها، وبساطتها ووضوحها، وخلوها من الشوائب والعوالق التي أصابت النصرانية، ومن ثم سهولة فهمها واستيعابها من جميع الفئات والطبقات البشرية ومن جميع المستويات العقلية المختلفة.

ويشير بطل قصتنا إلى أن الأول من سبتمبر من عام 1988 كان يمثل نقطة تحول حقيقية في حياته حيث شهد ذلك التاريخ أول جلسة له مع الشيخ «رفاعي سرور».. كانت جلسة مميزة ناقشه فيها بحرارة وحاوره بعمق حول كل ما له صلة بالإسلام.. ما أن انتهت الجلسة حتى طلب معوض من الشيخ رفاعي أن يلقنه الشهادتين ويعلمه الصلاة.. طلب منه الشيخ أن يغتسل أولًا فاغتسل ونطق بالشهادتين أمامه، وأشهر إسلامه ثم غيّر اسمه إلى «محمد أحمد الرفاعي» بدلًا من اسمه القديم «عزت إسحاق معوض».. سارع بإلغاء الاسم القديم من جميع أوراقه الرسمية، كما أزال وشم الصليب المرسوم على يده بعملية جراحية.

بعدما تبيّن له الحق واعتنق الإسلام وخالطت بشاشة الإيمان ونور التوحيد قلبه، تحول إلى داعية إسلامي، حيث يقول في ذلك: «كل ما آمله الآن ألا أكون مسلمًا إسلامًا يعود بالنفع عليّ وحدي فقط، ولكن أن أكون نافعًا لغيري وأسهم بما لديّ من علم بالنصرانية والإسلام في الدعوة إلى دين الله تعالى».

لكن لم يمر الأمر بسهولة كما كان يتوقع المسلم الجديد إذ دفع ثمنًا لإسلامه مهرًا غاليًا لم يندم على بذله فقد قاطعه أهله ورفض والده منحه حقوقه المادية عن نصيبه في شركة كانت بينهم، بل حرمته الكنيسة من أولاده، وكل ما حصل عليه هو مستندات من مدرستهم السابقة تؤكد أنهم انتقلوا إلى مدرسة أخرى تابعة للكنيسة، من دون أن يحددوا له اسم المدرسة!

لقد فقد كل شيء من حطام الدنيا وأصبح أكثر ثراءً بإيمانه!

إنه الثراء الحقيقي الخالد لا الثراء الدنيوي الزائل..

الثراء الذي يهبك الغنى وعدم الاحتياج..

وكيف يحتاج من كان موصولًا بالغني؟!!

بيعوا كل شيء واشتروا أنفسكم من الله..

يربح البيع.. تسكن القلوب.. تهدأ الروح.. تفلحوا في الدنيا والآخرة..

لا تشتروا عرضًا زائلًا.. يذهب ويفنى ولا تبقى إلا الحسرة والندم..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (26) - (30) - (31) (32) - (58)

المبدع العظيم

جسم الإنسان هو أحد الطرق المؤدية إلى الإيمان!!

علم الطب عامة.. والتشريح خاصة.. يقدّمان للإنسان أهم دلائل صدق القرآن!!

كيف لا وهو يعرض ما في كل عضو من أعضاء الجسد من آيات الخالق العظيم!!

فالتدبّر في آيات الله الكونية المنظورة يجعل المرء يوقن بوجود إله مبدع لهذا الكون..

هذا التدبر كان سببًا في إسلام الكثيرين ومن بينهم الطبيبة الهندية «أوشا» بطلة هذه القصة.

منذ طفولتها ظلت أوشا تشك في صحة العقيدة الهندوكية، وهي ديانة الهند الرئيسية، وبمعيار عدد من يتبعونها، تُعَدّ ثالث أكبر ديانة في العالم، وتنادي هذه الديانة بتعدد الآلهة، كما تقر باستحالة التواصل المباشر مع الإله دونما وسيط هو رجل الدين.. فهي ترى أن هذه الوساطة تناقض الطبيعة الإنسانية، كما تجافي العقل والمنطق.

عقب إكمالها لدراستها الابتدائية التحقت أوشا بمدرسة «براتيمك» الثانوية في بومباي بالهند وانتقلت معها شكوكها في صحة عقيدتها المفروضة عليها من بني جلدتها.. وبدأت هذه الشكوك تزداد في نفس أوشا عقب دخولها كلية الطب في بومباي ودراستها لمادة «التشريح».. أظهرت أمامها هذه الأخيرة حقائق باهرة لم تكن تعلم عنها شيئًا من قبل.. وعن ذلك تقول: «من خلال دراستي لحالات المرض عرفت أن الأمراض التي تصيب الإنسان سببها ميكروبات وفيروسات دقيقة تعادلها مخلوقات في جسم الإنسان تقاومها وتتغلب عليها أحيانًا، وتفشل في ذلك أحيانًا أخرى.. هذه المعركة التي تحدث في جسد الإنسان تلقائيًا ودون ترتيب، كنت أقف أمامها وأسأل نفسي: لا بدّ من أن هناك سببًا خفيًا وراء ذلك»!

وجدت أوشا نفسها محاطة بغابة من علامات الاستفهام والأسئلة المحيّرة التي من بينها سؤالها عن كيفية خلق هذه الأنسجة الدقيقة التي يتكون منها جسم الإنسان.. وعن هذا المبدع العظيم الذي خلقها بهذه الكيفية المدهشة في نظامها الدقيق وفي وظائفها الباهرة وإلى غير ذلك من الأسئلة التي لم تجد لها إجابات شافية.. وعلى الرغم من دراستها لمبررات هذه العملية التي تتم داخل جسد الإنسان فإن شكًّا قويًّا كان يساور «أوشا» وكانت تتحدث إلى نفسها قائلة: «لا بدّ من أن هناك شيئًا ما وراء ذلك يخفى عليّ.. فتركيب جسد الإنسان وتنظيمه على هذه الصورة الدقيقة لا بدّ من أن يكون وراءه صانع مبدع».

مرّت على أوشا طالبة الطب فترة مرهقة من التفكير المضني والصراع النفسي الرهيب بين ما تدرسه في الكلية وما ورثته في العقيدة الهندوكية الوثنية التي لم تؤمن بها في يوم من الأيام.. مرّت على أوشا الأيام والشهور وهي على هذه الحالة حتى قدّر لها الله التعرف إلى زميلة لها بالكلية تختلف عن بقية الطالبات.. فهي تتميز بملابسها المحتشمة وتتفرد بعدم اختلاطها بالطلاب، فضلًا عن اقتصار صداقاتها على عدد محدود ومعيّن من الطالبات.. وجدت «أوشا» في صحبة تلك الزميلة -الهادئة الوقورة- ألفة محبّبة واطمئنانًا لم تشعر بهما من قبل وفي هذا تقول: «تعرفت إلى زميلة لي في الكلية يبدو عليها الهدوء والوقار، ووجدت في صحبتها ألفة لم أعهدها في غيرها من قبل، واطمأنت نفسي إليها.. وفي النهاية عرفت السبب في هذا كلّه... عندما قالت لي إنها مسلمة».

أخذت أوشا تسأل زميلتها المسلمة الكثير من الأسئلة المحيرة التي لم تجد لها من قبل إجابات.. أسئلة مثل: هل للكون أكثر من إله؟ ومن هو المبدع الذي خلق جسم الإنسان الذي تعرفنا عبر دراستنا إلى مدى تعقيده ودقة تصميمه؟

أخذت الطالبة المسلمة تعير أوشا بعض الكتب التي تتحدث عن الإسلام، وكانت أغلبها كتبًا علمية تتحدث عن جسم الإنسان، وعن الدورة الدموية، وعن التشريح.. انبهرت أوشا عندما علمت من زميلتها أن مؤلفي هذه الكتب -التي ترجمت إلى اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات الأجنبية- هم مسلمون ماتوا منذ مئات السنين.. وهنا تقول أوشا في إعجاب:

«كنت كلما قرأت في هذه الكتب ازدادت دهشتي وتساءلت في نفسي: كيف عرف هؤلاء هذه الأسرار الدقيقة الموجودة في جسم الإنسان منذ مئات السنين.. كما قالت لي زميلتي المسلمة، وكما تأكدت بنفسي؟! مع أن المناهج التي ندرسها الآن قيل لنا إنها لم تعرف إلا في القرن الحالي!!

عقب إكمالها لدراسة الطب تزوجت أوشا من شاب هندوكي باركته لها أسرتها دون أن تكون موافقة على الزواج به.. عاشت معه حياة مملوءة بالخلافات خاصة عندما كان يأمرها بممارسة الطقوس الهندوكية التي لم تمارسها في حياتها ألبتة.. وبرغم زواجها ظلت أوشا تلتقي زميلتها المسلمة بعيدًا عن عيون زوجها الذي اشتهر بتعصّبه لمعتقداته الوثنية.. وعقب فترة ليست بالطويلة توفي زوجها فحمدت الله واستبشرت بوفاته خيرًا وشعرت بسعادة غامرة إذ توقعت الحصول على المزيد من الحرية.. بيد أن سعادتها لم تستمر طويلًا إذ صدمت بحقيقة -نسيتها للوهلة الأولى- مفادها أن العادات الهندوكية تحتّم على الأرملة أن تبقى في بيت أهل زوجها إلى الأبد.

ثم جاءها الخلاص على يد صديقتها المسلمة التي سبق لها أن خلّصتها من الهندوكية.. نصحتها الأخيرة بأن تهاجر إلى خارج الهند، وأخبرتها بأن ديار الإسلام تمثل أكثر ملاذ آمن لها، بل حددت لها «السعودية» على وجه الخصوص لأن مستشفياتها في حاجة إلى أمثالها من الأطباء.

وبالفعل حصلت أوشا على عقد عمل في السعودية.. وهناك تعرفت إلى عدد من الطبيبات المسلمات اللاتي عاملنها معاملة طيبة فازدادت حبًّا في الإسلام وأسلمت، وإن لم تشهر إسلامها رسميًّا.. وفي أحد الأيام لاحظت أوشا صديقاتها المسلمات وهن يحزمن حقائب السفر إلى خارج الرياض وأخبرنها أنهن ينوين زيارة كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة.. ذهبت أوشا مع زميلاتها في تلك الزيارة على الرغم من أنها لم تكن آنذاك تعرف أهمية تلك الزيارة ولا الهدف منها.. تحدثت أوشا عن تلك الزيارة وقد اغرورقت عيناها بالدموع قالت: «في هذه الزيارة رأيت ما لم أره من قبل.. وسمعت ما لم أسمع عنه.. زرت المسجد النبوي الشريف، وقبر الرسول الكريم، كما زرت الكعبة المشرفة والبيت الحرام.. وهناك سمعت عن الإسلام كلامًا لم أسمعه من قبل بعد أن رأيت الإسلام والمسلمين على الطبيعة...».

عقب زيارتها للبقعة التي انطلق منها نور الإسلام وفي منتصف شهر رمضان، وتحديدًا عقب الإفطار توجهت أوشا إلى مسجد الريحان المجاور للمستشفى الذي تعمل فيه حيث أشهرت إسلامها وأطلقت على نفسها اسم «آمنة قريش» فانتابها آنذاك -كما تقول- إحساس من ولد من جديد. وما أن أشهرت إسلامها حتى أخذت تتعلم مبادئ الإسلام في المركز الإسلامي بمكة المكرمة إلى جانب تعلمها مبادئ تعاليم وآداب الثقافة الإسلامية.

في خاتمة هذه القصة نشير إلى أن آمنة أحبت من داخل أعماقها مكة المكرمة التي تزور فيها بيت الله الحرام أسبوعيًّا، وتشرب من ماء زمزم وتتمنى أن تعيش فيها مدى حياتها كما عشقت المدينة المنورة التي تتمنى أن تدفن فيها إلى جانب الحبيب المصطفى -صلى الله عليه وسلّم-..

فقد ولدت من جديد.. بمعنى الكلمة!!

كل ما سبق من حياتها غير محسوب.. مخصوم من عمرها.. لا قيمة له..

بلد جديد.. عمل جديد.. دين جديد.. قلب جديد.. حب جم لنبي جديد..

إذًا هو ميلاد جديد!!

أتريد أنت ميلادًا جديدًا لحياتك.. يهديك إلى طريق الله؟!

إذًا.. اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (26) - (85)

الملاذ الآمن

لكل إنسان هدف في الحياة.. يسعى إليه ويعيش من أجله..

يختلف من إنسان إلى إنسان..

إلا أن الجميع يجب أن يكون لهم هدف واحد في الآخرة!

إنه رضوان الله والجنة.. وهل هناك هدف سواها؟!

ولكن.. هي هدية الله للإنسان برحمته..

فكيف يهديها الله لمن لا يؤمن به؟!

المؤمنون بالله فقط هم من يفوزون بالهداية والهدية.. بالجنة..

لذا فقد بحث بطل قصتنا عن هذه الهداية لينال الهدية.. إلا أنه لم يكن مؤمنًا.. فقد نشأ في عائلة شديدة المحافظة.. تلقى علومه في مدارس نيويورك.. شبّ على تعاليم الروم الكاثوليك.. أصبح أحد أساطير لعبة كرة السلة على مدار تاريخها الطويل.. كره البيض لاضطهادهم له بسبب لونه.. بل واضطهادهم لوالده للسبب ذاته، إذ على الرغم من دراسته الموسيقى في معهد جوليور فإنه اضطر إلى أن يعمل مراقبًا لقطارات المترو؛ لأن المجتمع الأمريكي آنذاك لم يكن يقبل بقائد أوركسترا زنجي!! إنه فرديناند ليو السندور الذي اعتنق الإسلام وغيّر اسمه إلى كريم عبدالجبار ندعوكم لتعرّف قصة إسلامه.

امتلأ قلب فرديناند بكراهية البيض بسبب مواقف عنصرية كثيرة تعرض لها في حياته إذ ظل يعاني كزنجي أسود من سوء معاملة الأمريكيين البيض على الدوام.. فمدربه على سبيل المثال وفي بداياته الأولى مع كرة السلة، كان يصفه بالزنجي القذر، بينما وصفه بعض زملائه في الجامعة بالعبد القذر لأنه خرج مع فتاة بيضاء.. بل كانت الفتاة نفسها تتلقى مكالمات بذيئة لأنها خرجت معه.. ومن المواقف المؤلمة التي لا يمكنه نسيانها ذلك الموقف الذي تعرّض له عندما استقل سيارة فارهة بصحبة اثنين من السود في إحدى الأمسيات.. استوقفهم رجال شرطة في تلك الأمسية وفتشوهم بدقة.. وعندما سألوا رجال الشرطة عن تفتيشهم لهم بلا مناسبة برر لهم رجال الشرطة ذلك باعتقادهم أن السيارة مسروقة لأنهم لم يعتادوا رؤية سود يستقلون سيارة فارهة.

لقد ظلت سياسة التفرقة العنصرية في الولايات المتحدة لفترة طويلة سياسة رسمية أساسها التفرقة في المعاملة بين السود والبيض، في الإسكان والتعليم والوظائف ووسائل النقل والأماكن الترفيهية. وكان القانون الأمريكي يعطي امتيازات وحقوقًا للأمريكيين البيض لا تمنح للأمريكيين الأصليين والأمريكيين من أصل أفريقي والأمريكيين الآسيويين ومن أمريكا اللاتينية. كما ضمن القانون للأمريكيين الأوروبيين مميزات في التعليم والهجرة وحقوق التصويت، والمواطنة، وحيازة الأراضي والإجراءات الجنائية بموجب القانون على مدى فترات من الزمن تمتد من القرن السابع عشر إلى ستينيات القرن الماضي.

لقد تم حظر التمييز العنصري الرسمي إلى حد كبير بعد أن أصبح غير مقبول اجتماعيًّا ومكروهًا أخلاقيًّا، ولكن ظلت الثقافة العنصرية ظاهرة رئيسية حتى يومنا هذا، واتخذت أشكالًا أكثر حداثة، وغير مباشرة للتعبير، وما زال يتجلى التقسيم الطبقي الذي تؤكده تقارير منظمات حقوق الإنسان الأمريكية.

مواقف عنصرية كثيرة جعلت كريم عبدالجبار يكره البيض، بل وصل به الأمر أن تشاجر مرّة مع والدته لأن بشرتها كانت قليلة السواد.. دفعته هذه المواقف إلى الانسحاب من الحياة الاجتماعية، وجعلته من المؤمنين بتعاليم مالكولم أكس، إذ اقتنع بأن الإسلام هو الدين الوحيد الذي مكّن الناس أن يعيشوا فيه بإخاء حقيقي.. وفي بداية موسم 1972 لكرة السلة اعتنق الإسلام عن قناعة تامة وهو في عمر الـ 25 عامًا.

عقب إسلامه وجد بطل قصتنا معاملة طيبة من قبل إخوته المسلمين بيد أنه واجه المزيد من المتاعب من بني جلدته.

وعلى الرغم من أن غير المسلمين ما عادوا يحبونه عقب إسلامه فإن الجميع يعترفون بحقيقة أنه مصنف كأفضل لاعب كرة سلة في تاريخ الدوري الأمريكي للمحترفين، بل وفي العالم، حيث لعب 20 موسمًا أحرز خلالها بطولة الولايات المتحدة ست مرات، حاز لقب أحسن هداف، فضلًا عن حصوله على لقب أحسن لاعب في الدوري المحلي ست مرات، ولم يحقق أيّ لاعب إنجازات مشابهة في الدوري الأمريكي مثله.. وكان الجميع يعترفون بحقيقة أنه يقف وحده وراء نجاح نادي «مليوكي باكس»، بل ووراء منظمة كرة السلة الأمريكية كلها.. كثيرون أولئك الذين يكرهونه كزنجي أسود لكنهم يصفقون له بحماسة عندما يتسبب كعادته في الوصول بالفريق الذي يشجعونه إلى منصات التتويج.

يتحدث كريم عبدالجبار عن نفسه بقوله إنه إنسان حساس، يكثر من التأمل.. ثروته العظيمة وشهرته البالغة اللتان عرفهما منذ أن بلغ الخامسة عشرة من عمره لم تمنعاه من التفكير الدائم

في آفات مجتمعه الغربي والمتمثل أهمها في مثلث مربع أضلاعه (العنصرية، والجوع، والنفاق). فالصعوبات التي واجهته بسبب التفرقة العنصرية جعلته يتخذ من الوحدة ملاذًا أمينًا وآمنًا، مكتفيًا بالعيش مع أهله ومع كرة السلة التي يعشقها منذ طفولته ولكونها تدرّ عليه دخلًا كبيرًا، حيث يتقاضى من ورائها مليونًا ونصف المليون دولار سنويًّا.

نختتم قصتنا بالإشارة إلى أن كريم هو نموذج للرياضي الأمريكي الأشهر في مجاله الذي ترك ديانة أهله هربًا من ويلات التفرقة العنصرية ودخل الإسلام الذي لا يميز بين الناس إلا بالتقوى وبالعلم وبمكارم الأخلاق..

كريم الذي عاش أحسن هداف في الدنيا..

فحرص على أن يحرز الهدف الأهم في الآخرة!!

حرص على الإسلام.. على الإيمان بالله الواحد الأحد..

وما أعظمه من هدف ثمين..

يستحق أن ينفق الهداف عمره كله للفوز به!

فلا تعد عيناك عن الهدف.. عن الجنة..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (9) - (38) - (42) - (71)

كراهية العرب

هل تفاجأت يومًا بأمر مباغت وغير متوقّع أغلق عقلك كليًّا عن التفكير؟!

وهل شعرت يومًا بأن عقلك أصابه الشلل التام من أمر مهم حدث أمامك وأنت تستبعد حدوثه تمامًا؟ وهل شعرت يومًا بأن أمرًا مهمًّا حدث أمامك ولكنك لم تصدّق حدوثه؟!

هذا ما حدث بالضبط في تنزانيا قبل يومين من أعياد الميلاد سنة 1986، حيث دخل رئيس الأساقفة، الأمين العام لمجلس الكنائس العالميِّ لشؤون أفريقيا، الدكتور مارتن جون موايبيو، على المصلّين في الكنيسة، ومن دون أي مقدمات أعلن أمامهم أنَّه سوف يترك المسيحيَّة ويعتنق دين الإسلام!! كان حشد المصلِّين في حالة شللٍ تامٍّ للصدمة الَّتي أصابتهم لسماع هذا القرار الخطير الذي عصف بألبابهم، إلى درجة أنَّ مساعد الأُسقف قام من مقعده وأغلق الباب والنوافذ، وصرَّح لأعضاء الكنيسة بأنَّ رئيس الأساقفة قد جُنّ.

ومثلما كان القرار مباغتًا، كان ردَّ فعل المصلّين مُفجعًا على حدٍّ سواء!

اتَّصلوا بقوات الأمن، التي جاءت في الحال وأخذت ذلك الرَّجل «المجنون»، وتحفّظت عليه في زنزانة انفرادية، إلى أن جاء أحد المسلمين وكفله لإطلاق سراحه..

لقد كان هذا الحادث بدايةً لطيفةً لما كان ينتظر هذا الأُسقف من صدمات وأهوال!!

لقد كان لإسلام رئيس الأساقفة اللوثريِّ التنزانيّ مارتن جون موايبيو صدًا مدوّيًا ارتجت له دعائم الدين المسيحي في كل أرجاء العالم، وذلك لطبيعة المنصب الإقليمي الرفيع الذي كان يشغله هذا الرجل، ومستواه العلمي، حيث لم يحصل فقط على الدبلوم في الإدارة الكنسيَّة من إنجلترا، والبكالوريوس والماجستير في اللّاهوت من ألمانيا، بل وعلى شهادة الدكتوراه أيضًا.

هذا ما فتح شهية الصحفي سيمفيوي سيسانتي لتحقيق سبق إعلامي وإجراء مقابلة مهمة مع هذا الرجل، وهي المقابلة التي نقتطف لكم منها فيما يلي بعض الفقرات التي تسلط الضوء على الدوافع الحقيقية التي أقنعت رجلًا مسيحيًّا بهذه القامة بترك دينه ودين أجداده والتحول إلى الإسلام.

إنَّها قصَّة رجلٍ مسيحي تم تعميده بعد سنتيْن فقط من ولادته؛ وبعد خمس سنواتٍ كانت

الأسرة تراقبه بفخرٍ واعتزاز وهو يصبح خادم المذبح في القُدَّاس، ناظرين إليه وهو يساعد كاهن الكنيسة بتحضير «جسد ودم» المسيح -عليه السَّلام- وهو ما ملأ عائلته بالفخر، وشغل أباه بالأفكار حول مستقبل ابنه.

يسترجع مارتن موايبيو ذكرياته قائلًا: فيما بعد -وعندما كنت في المدرسة الدَّاخليَّة- كتب إليَّ أبي قائلًا إنَّه يريدني أن أُصبح راهبًا.. وفي كلِّ رسالةٍ كان يكتب لي ذلك.. يا بنيّ، قبل أن أغمض عيني (أموت)، سأكون مسرورًا إن أصبحت راهبًا.

هذا ما قاله الأب لابنه، وهكذا فعل الابن؛ وهو القرار الَّذي دفعه للسفر إلى إنجلترا عام 1964 للحصول على الدبلوم في إدارة الكنائس؛ وبعد ذلك بسنة سافر إلى ألمانيا للحصول على البكالوريوس.. وبعد عام آخر عاد إلى بلاده وأصبح أُسقفًا عاملًا.. وفيما بعد رجع إلى ألمانيا ليحصل منها على الماجستير في اللّاهوت. ثم بدأ يفكر في نيل شهادة الدكتوراه في اللّاهوت.. وبدأ معها مرحلة البحث والدراسة بعمق، وفتح على نفسه بذلك أبوابًا لتساؤلات حتمية تواجه كل مسيحي يصل إلى هذه المرحلة من الوعي والنضج الفكري، فمنهم من يتجاهلها ويتغافل عنها، ومنهم من يواجهها بحسم فيبحث عن أجوبة مقنعة عنها.

يقول الدكتور موايبيو: بدأت أتساءل باندهاش، فهناك المسيحيَّة والإسلام واليهوديَّة والبوذيَّة، وكلُّ دينٍ منها يدَّعي أنَّه الحقّ؛ فما هي الحقيقة؟ كنت أريد الحقيقة!

انطلاقًا من هذه التساؤلات بدأ موايبيو بحثه الذي اختزله في الأديان الرئيسيَّة الأربعة.

كان عليه أن يحصل على نسخة مترجمة لمعاني القرآن وكان له ما أراد وحصل عليها!

ولكن ماذا حدث بعد ذلك؟

لقد كانت المفاجأة أنه فتح النسخة المترجمة لمعاني القرآن للمرّة الأولى على سورة الإخلاص..

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)

هذه السورة خمس عشرة كلمة فقط ولكنها تنسف العقيدة المسيحية كلها من أولها إلى آخرها!

يتذكر موايبيو قائلًا: كانت تلك هي اللّحظة التي بدأت فيها بذور الإسلام بالنموّ في دواخلي، وهو الدِّين غير المعروف بالنِّسبة إليّ.. وبعد دراستي له اكتشفت بأن القرآن الكريم هو الكتاب المقدَّس الوحيد الَّذي لم يُشوِّهه الإنسان منذ الإيحاء به.. وهذا ما قُلْته كخاتمةٍ في رسالتي للدكتوراه، ولم يكن يهمُّني إنْ كانوا سيمنحونني الدكتوراه أم لا، لأنَّ هذه هي الحقيقة؛ وأنا كنت أبحث عن الحقيقة.

ويستعيد موايبيو ذكرياته قائلًا: ذهبت إلى أستاذي فان بيرغر (مسيحي)، وأغلقت الباب خلفي، ثمَّ نظرت إليه في عينيه، وسألته: من كلِّ الأديان الَّتي في الدُّنيا، أيُّها هو الدِّين الحقّ؟ فأجابني من دون تردّد: «الإسلام»! فسألته: «فلماذا أنت إذاً لست مسلمًا؟».. فقال لي: «أوَّلًا: أنا أكره العرب!! وثانيًا: أنت ترى كلَّ هذا الترف الَّذي أنعم به، فهل تعتقد بأنِّي سأتخلَّى عن كلِّ ذلك من أجل الإسلام؟».

بدأ موايبيو يتفكّر في جواب أستاذه المحبوب، وبدأ يتفكّر في حالته الخاصة، في منصبه المرموق، وسياراته، وبيته، ومكانته الاجتماعية.. كلُّ ذلك خطر بباله في تلك اللّحظة. وهو غير مستعد للتنازل عن ذلك كله في لحظة، وهو إذًا لا يستطيع إعلان إسلامه. وهكذا وبكل سهولة صرف موايبيو النظر عن الفكرة. ولكن آيات القرآن التي قرأها وترسّخت في ذهنه كانت لا تغيب عن خاطره، ومعانيها العميقة كانت تشد انتباهه باستمرار ليس في اليقظة فقط، بل وفي النوم أيضًا، حيث كانت هناك رؤيا محددة ظلت تلاحقه على مدى سنة كاملة، فيرى من خلالها آيات القرآن أمامه، وأُناسًا يرتدون ملابس بيضاء يأتون إليه «خاصَّةً في أيَّام الجُمَع»؛ وظل على هذه الحال لفترة طويلة وهو يقاوم حتَّى استسلم وأسلم في نهاية المطاف.

ينفق مجلس الكنائس العالمي المليارات من الدولارات في سبيل التبشير بالدين المسيحي، ويذرف أطناناً من الدموع بل ويسفك دم من خرج من ظلمة المسيحية المحرّفة إلى نور الإسلام المبين، هذا لو كان ذلك الخارج من المسيحية شخصًا بسيطًا من عامة الناس.. فماذا تتوقع أن يكون ردّ فعلهم حينما يكون ذلك الشخص هو رئيس أساقفة، وإحدى ركائز الدين المسيحي في قارة بأكملها، وعالم من علمائهم حاصل على الدبلوم في الإدارة الكنسيَّة، والبكالوريوس والماجستير في اللّاهوت، وكذلك الدكتوراه في المجال ذاته؟!

ولذلك كان على الدكتور مارتن جون موايبيو أن يدفع ثمن إسلامه عاجلًا ماديًّا وأدبيًّا، فقامت الكنيسة بتجريده من بيته وسياراته في الحال، ولم تستطع زوجته تحمُّل ذلك فحزمت حقائبها وأخذت أولادها وتركته. وعندما ذهب إلى والديه، طلب منه والده انتقاد الإسلام علانية، بينما قالت له والدته إنها «لا تريد أن تسمع أيَّ تُرَّهات»!

وهكذا بين عشية وضحاها أصبح رئيس الأساقفة، الأمين العام لمجلس الكنائس العالميِّ لشؤون أفريقيا، مارتن جون موايبيو، وحيدًا لا أهل ولا مأوى له.. وفي اليوم التَّالي بدأ رحلته إلى حيث تنتمي عائلته أصلًا -إلى كايبلا- على الحدود بين تنزانيا ومالاوي.. وبذلك انتقل موايبيو من رفاهية منزل رئيس الأساقفة ليعيش في بيت من الطين. وبدلًا من راتبه الكبير كعضوٍ في المجلس الكنسي العالمي كأمينٍ عام لشرق أفريقيا، بدأ بكسب قوته كحطّاب، وحرَّاث لأراضي الآخرين، وبدأ حياة جديدة، والتفكير في بناء أسرة جديدة.

وفي الأوقات الَّتي لم يكن يعمل فيها كان يدعو موايبيو، الذي غيّر اسمه إلى «أبو بكر»، إلى الإسلام علانية، الأمر الذي قاده إلى سلسلةٍ من الأحكام بالسِّجن لعدم احترام المسيحيَّة.. وبينما كان يؤدي فريضة الحج في عام 1988، غدر به الأسقف ودبّر له مؤامرة أدت إلى تفجير بيته، وترتب على ذلك مقتل أطفاله التوائم الثلاثة.

ويُضيف موايبيو بأنَّه بدلًا من أن يحبطه ذلك فقد فعل العكس، لأنَّ عدد الَّذين كانوا يعلنون إسلامهم كان بازدياد مستمر.. الأمر الذي أزعج أصحاب النفوذ من النصارى.. وفي عام 1992 اعتُقِل لمدَّة عشرة أشهرٍ مع سبعين من أتباعه، واتُّهموا بالخيانة، ولحُسن حظِّه فقد بُرئت ساحته، وبعد ذلك مباشرةً هاجر إلى زامبيا بعد أن نُصِحَ بأنَّ هناك مؤامرة أكيدة لقتله.

وفي ختام مقابلته مع الصحفي سيمفيوي سيسانتي، يوجه رئيس الأساقفة، الأمين العام لمجلس الكنائس العالميِّ لشؤون أفريقيا، الدكتور مارتن جون موايبيو، رسالته إلى المسلمين بقوله: إنَّ هناك حربًا على الإسلام.. وقد أغرقوا العالم بالمطبوعات.. والآن بالتحديد يعملون على جعل المسلمين يشعرون بالعار بوصفهم لهم بالأُصوليّين.. فيجب على المسلمين ألا يقفوا عند طموحاتهم الشَّخصيَّة، ويجب عليهم أن يتَّحدوا.. فعليك أن تدافع عن جارك إن كنت تريد أن تكون أنت في أمان.

فهل وصلت الرسالة؟!!

فلنقرأها جيدًا.. ولنعمل بالنصيحة جيدًا..

فكلما عملنا بها.. ساعدنا وأنقذنا غير المسلمين..

فهاهم المسلمون الجدد يضحون بكل غالٍ ونفيس..

يعرضون حياتهم للقتل.. وأملاكهم للنهب والتخريب..

فما استكانوا وما ضعفوا.. وما تنازلوا عن الحق بعدما وصلوا إليه..

إنها الهداية التي لا يقبل بفقدانها من وجدها بعد الضلال..

فلنسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (34) - (26) - (29) - (30) - (31)

السهل الممتنع

يولد الإنسان وهو يحمل في جيناته «الإيمان بالله»..

الأطفال يخلقون وفي أذهانهم تساؤلات حول «من خلقنا؟»..

لديهم قبول طبيعي فطري للإيمان بخالقهم سبحانه وتعالى..

بطلة قصتنا.. لم يكن لقومها غاية في الدنيا سوى التمتع الميكافيلي بنعيمها الزائل.. كانت في ظاهرها تشبههم بروحها المسكونة بظلمة الضلال المدلهمة، وبسلوكها الغارق في أوحال المادة الآسنة.. بيد أن الله تعالى حباها بفطرة سوية كانت تخبئ وراء ضلالها الموروث قبسًا من النور، مدسوسًا بين جوانح قلبها الموعود بنعمة الهدى منذ أن كان طريًّا.

إنها الكاتبة البريطانية المعروفة وشاعرة مدن الضباب ذائعة الصيت إيفلين كوبلد.

كتبت إيفلين العديد من الكتب منها على سبيل المثال: كتاب يحمل اسم «البحث عن الله»، حيث تقول وهي تسرد قصة إسلامها: من الصعوبة بمكان أن أحدد الوقت الذي أشرقت فيه حقيقة الإسلام أمام بصيرتي فاتخذته دينًا، وحالما أسلمت اجتاحني الشعور بأنني كنت مسلمة بالفطرة منذ نعومة أظفاري، لأن الإسلام هو دين الطبيعة الذي لا يملك المرء فكاكًا من اعتناقه لو ترك لنفسه بعيدًا عن المؤثرات الخارجية المفروضة عليه من بني جلدته.

ويصدق ذلك ما جاء في صحيح البخاري من قول النبي -صلى الله عليه وسلّم-: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ».

وتضيف الكاتبة إيفلين:

عندما دخلت المسجد النبوي الشريف لأول مرة في حياتي شعرت برعدة عظيمة تزلزل كياني.. خلعت نعلي في خنوع، ثم أديت صلاة الفجر في خشوع وينتابني إحساس من يعيش في حلم.

وهمست إيفلين بصوت خفيض يغمره السرور: «إلهي كم أنت رؤوف رحيم.. لقد أرسلت لنا رسولًا كريمًا.. نبيًّا أمينًا بعثت به إلى أمة منحتها شرفًا أن أصبحت به خير الأمم، وأجريت على يديه ألوان الخير جميعها لكل بني البشر!».

وكتبت إيفلين قائلة: «لم يخلقنا الله تعالى خاطئين -تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا-، ولم نكن

يومًا في حاجة إلى خلاص من المسيح -عليه السلام- لأنه لا حاجة لنا إلى وسيط يربطنا بالله عزّ وجلّ لأنه تعالى متاح لنا في كل زمان ومكان وبإمكاننا الإقبال عليه أيًّا كان حالنا».

ومن مقولاتها المؤثرة في صفحة 45 من كتابها «البحث عن الله»: «لقد ورد في القرآن الكريم كيف خلق الله تعالى العالم بكل ما فيه من مخلوقات.. وخلق الكائنات الحية بكيفية جعلت لكل نوع منها زوجين اثنين، وأن العلم الحديث أيّد صحة هذه النظرية بعد بحوث مضنية ودراسات عديدة امتدت لأجيال وأجيال».

وفي صفحة 51 من كتابها «البحث عن الله» كتبت إيفلين قائلة في فخر واعتزاز: «إن أثر القرآن الكريم فيما بلغته الحضارة الإسلامية من تقدم مذهل لا ينكره إلا مكابر.. فالقرآن الكريم هو الذي دفع العرب بتعاليمه المحكمة الخالدة إلى فتح العالم، وهو الذي مكّنهم بقوته وعدله المطلقين من إنشاء إمبراطورية عظيمة فاقت كثيرًا -من حيث السعة والقوة والعمران والحضارة- إمبراطورية الإسكندر الأكبر، كما تجاوزت بمراحل الإمبراطورية الرومانية».

وأضافت الكاتبة تقول في منتهى الإعجاب والانبهار: «الحقيقة يعجز القلم تمامًا عن التعبير عن جمال القرآن البهي، وينحني تواضعًا أمام وضاءة أسلوبه المذهل!! إن الترجمة -أيًّا كانت قوة إبداعها- تعمل على تعتيم جمال القرآن المشرق وتخفي مقدار ما ينعم به من موسيقا لفظية لا توجد ألبتة في غيره من الكتب.. ولعل ما كتبه المستشرق جوهونسن يعبر تعبيرًا صادقًا ودقيقًا عن مدى إعجاب مثقفي الفرنجة وكبار مفكريهم بقوة القرآن الكريم وتفوقه على ما عداه من الكتب حيث قال -والفضل ما شهدت به الأعداء-: «من الصعوبة بمكان أن يدَّعي المرء أن القرآن من الشعر أو غيره من أوجه الكتابة الإبداعية، فهو في الحقيقة أعظم من ذلك بكثير.. وهو ليس تاريخًا ولا وصفًا.. كما أنه ليس موعظة كموعظة الجبل، بل ليس بينه وبين كتاب البوذيين وجه شبه من قريب أو بعيد.. هذا من ناحية.. ومن ناحية ثانية القرآن الكريم ليس خطبًا فلسفية سطحية تشبه محاورات أفلاطون، وإنما هو صوت النبوة يخرج بعمق وصفاء من القلوب السامية.. عالمي في جملته.. عميق المعنى في كل سوره وآياته».

أوردت إيفلين ما ذكره المستشرق الفرنسي الدكتور مارديل عندما كلفته الحكومة الفرنسية بترجمة بعض سور القرآن.. حيث أشار إلى أن للقرآن الكريم مزايا متفردة لا توجد في غيره من الكتب، وفي ذلك قال ما معناه: أسلوب القرآن هو أسلوب الخالق عزّ وجلّ، لأنه أسلوب يستحيل أن يصدر إلا من إله.. وأشار إلى أن أكثر الكتَّاب ارتيابًا وشكًّا وأشدّهم مكابرة خضعوا لتأثير سحره وحارت عقولهم أمام إعجازه وخارت قواهم حيال عظمة سلطانه.. بل إن سلطانه المذهل على ملايين المسلمين المنتشرين في أنحاء العالم كافة بلغ حدًّا جعل المبشرين يجمعون على أنه لم تُثبت إلى الآن حادثة واحدة مؤكدة تشير إلى ارتداد أحد المسلمين عن دينه -بينما غير المسلمين

يدخلون في دين الله أفواجًا- وهو أمر يعزى إلى الاتساق المتجانس والجزالة الباهرة التي يفيض بها أسلوب القرآن الكريم، وهو يؤثر بعمق في نفس كل سامع له يفقه اللغة العربية ويحيط بمعانيها.. الأمر الذي يقلل من تأثيره العظيم عندما تتم ترجمته إلى لغة أخرى.

الحقيقة أن للقرآن أسلوبًا باهرًا تفوَّق بقوة على ما كانت تنهجه العرب -وهم أهل بيان ساحر- من نظم ونثر، فأسلوبه المتفرد الحسن، وكلماته الوضيئة الملتئمة، وإيجازه المحكم الدقيق، ومقاطعه الجيدة المنسقة، وقصصه المنسجمة الجاذبة، وأمثاله البديعة الجامعة، إلى غير ذلك من أوجه الدرر البيانية، كل هذا جعله في أعلى درجات البلاغة، حيث يتمتع أسلوبه بقوة مهيبة تملأ القلب روعة وتجعل القارئ لا يملّه ولو ظل يردّده طوال حياته دونما توقف وكذلك الحال مع سامعه؛ فهو يمتاز بسهولة ألفاظه وانسجامها مع بعضها بعضًا بحيث لا يحس المرء فيها بلفظ غير متسق مع آخر، وحينما يضاف إلى كل ما سبق ذكره سمو معانيه العميقة يدرك المرء مدى بلاغته المذهلة وإعجازه الباهر.. إنه السهل الممتنع ذو الكلمات السهلة المبنى القوية المعنى.

ونختتم هذه القصة بالإشارة إلى المآل الحسن الذي أنعم به الله تعالى على الكاتبة المعروفة والشاعرة البريطانية إيفلين كوبلد حيث حولها -بكرمه المطلق وفضله الذي لا تحدّه حدود- من امرأة من بين ملايين النساء اللائي يفترشن أوحال المادة الآسنة ويلتحفن ظلمات أرواحهن المسكونة بالضلال، إلى عابدة صادقة تحرص على إعمار بيت الآخرة، وداعية مخلصة تدعو بني جنسها وغيرهم من بني البشر لتعرّف الإسلام على حقيقته حتى يعتنقوه كما فعلت، ويتذوقوا حلاوة الإيمان كما وجدتها..

فالمؤمن الحق.. يتذوق حلاوة للإيمان لا يعرفها إلا من عرف الله..

فمن ذاق.. عرف.. ومن عرف عزّ عليه ألا يعرف الآخرون..

عزّ عليه أن يرى البشر يتخبطون بحثًا عن السعادة..

للسعادة طريق واحد.. طريق الله..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (29) - (31)

معالم طريق

لا يدرك المسلم المولود على الإسلام كم يعاني غيره من غير المسلمين الباحثين عن الحق!!

وبالتالي لا يدرك حجم النعمة التي أنعم الله بها عليه..

نعم يدرك أنه في نعمة.. ولكن هيهات أن يعرف حجمها!!

فبضدها تتمايز الأشياء.. وهو لم يذق طعم هذا الضد يومًا من الأيام!!

غيرُ المسلم هو من ذاق بالفعل!!

لذا.. لا يبيع ما اهتدى إليه ولو بمُلك الأرض!!

إنهم أصحاب القلوب الطاهرة والنفوس الكبيرة..

وإذا كانت النفوس كبارًا تعبت في مرادها الأجسام..

وإن كانت نفس المرء متعطشة للحقيقة فإنها سترتقي من قمة إلى أخرى حتى تصل إلى أعلى القمم إلى حيث تسمق الحقيقة المطلقة التي ليس بعدها شيء..

نتوقف اليوم مع قصة سيدة راودها الشك في المسيحية لعدم قناعتها بالتثليث فاعتنقت اليهودية التي وجدتها تدعو للتوحيد.. وعندما اكتشفت قصور اليهودية عن إشباع روحها الحائرة وعقلها المتعطش للحقيقة وجدت في الإسلام ملاذها الأمين.. إنها السيدة الأسكتلندية «نانسي أتوال ماكلفي».. بطلة هذه القصة..

نانسي فتاة أسكتلندية الأصل بيد أنها عاشت في ولاية تكساس الأمريكية حيث كان مقر والدها أتوال ماكلفي رجل الأعمال الناجح.. تذكر نانسي جيدًا ذلك اليوم الذي شهدت فيه -وهي طفلة- نقاشًا حادًّا أدارته أمها -شديدة التدين، واسعة الثقافة- مع قسيس كنيسة «البرسبيتارية» حول عقيدة «الخطيئة الأولى»، ونتيجة لذلك النقاش تركت أسرتها كنيسة البرسبيتارية، وانتقلت إلى كنيسة «الأبسكوبال».

إن عقيدة الخطيئة الأولى أو الخطيئة الأصلية عقيدة نصرانية ظالمة! يزعمون أن يسوع المسيح صُلب من أجل تكفير خطيئة البشر التي توارثوها عن أبيهم آدم! يزعمون أن آدم حين عصى ربه وأكل من الشجرة غضب الله عليه وطرده، ومات آدم ولم يكفّر عن خطيئته، وبذلك

حملت ذريته من بعده تبعات خطيئته، وهذا ينافي كل الأخلاق، والحس السليم! ذرية آدم لزمهم العقاب جميعًا بسبب خطيئة أبيهم آدم التي لا ذنب لأحد منهم فيها! وبذلك يولد الإنسان بالخطيئة كما يقول بولس الذي بدّل دين المسيح وحرّفه!

المسيح -عليه السلام- لم يتحدّث عن أي خطيئة في أي إنجيل من الأناجيل! ولم يثبت أنه ذكر خطيئة آدم ولا مرّة واحدة! بولس الذي ظهر بعد المسيح -عليه السلام- وادّعى أنه رسول المسيح هو من اخترع فكرة الخطيئة المتوارثة وفكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الابن الكلمة، كما نقل للمسيحيين عقيدة الثالوث من الأفكار اليونانية.

فأين العدل والحب الإلهي حينما يكون الطفل البريء مسؤولًا عن ذنب أسلافه وأجداده؟! وإذا كان يسوع المسيح ابن الله الوحيد فأين كانت عاطفة الأبوة؟ ولماذا يجعل ابنه الوحيد البريء يلاقي صنوف الألم والسخرية والعذاب؟ ألم تكن هناك أي وسيلة أخرى يغفر الله بها للبشر عن خطيئة لا ذنب لهم فيها بدلًا من هذه المأساة؟!

أليس من العدل والرحمة أن يتم التكفير عن خطيئة آدم من دون هذه المأساة الدموية، أو يكون صاحب الخطيئة نفسه (آدم) هو من يتحمّل وزرها؟ وأين كان هذا الابن عندما أكل آدم من الشجرة؟ فلماذا لم يعمل وقتها على العفو عنهما لينقذ نفسه من الصلب والتنكيل؟! وما هي المناسبة الزمنية بين خطيئة آدم ونزول المسيح لتحمّل خطايا البشر؟ وما هو مصير من كانوا قبل صلب المسيح؟ وما هو مصير آدم صاحب هذه الخطيئة؟! وماذا عن العقوبة التي نالها آدم وحواء ألم تكن كافية؟ أم أنهما ماتا أيضًا في الخطيئة؟ ثم كيف انتقلت هذه الخطيئة من الأبوين إلى أبنائهما ثم إلى البشرية جمعاء؟ ولماذا لم يرث المسيح الخطيئة أيضًا؟ ألم يولد من أم ورثت الخطيئة بدورها من أبويها؟ أسئلة لا يستطيع النصارى الإجابة عنها إلا بتكلف لا يقبله عقل صبي في السابعة من عمره! ولكنه التقليد والتعصب الأعمى الذي يجعل من أقوال كهذه دينًا يتمسك به ويدافع عنه!! وكل ذلك لأجل إضفاء نوع من التبرير لقضية صلب الإله وفق معتقدهم!

الحقيقة لم ترث نانسي من أمها فقط صفتي التدين العميق والثقافة الواسعة، بل ورثت منها صفة أخرى تتمثل في الحرص على الاختلاء في أحضان الطبيعة كل مساء لكي ترقب مغرب الشمس وتتأمل انسدال الليل وتتفكر في مطلع النجوم.. كانت تفعل ذلك بينما ينتابها شعور عجيب من الحيرة الغامضة يجعلها تحس بإحساس إنسان تائه يبحث عن ذاته.

عند التحاقها بجامعة «تكساس» وفي دراستها لمقارنة الأديان وجدت نانسي منهج الدين المقارن يتناول الإسلام بقبح ويصوّره بصورة سيئة لم تجد عبرها فيه إجابات عن أسئلتها الملحاحة.

عقب تخرجها توصلت إلى ضرورة حصولها على المزيد من الثقافة الدينية، تدفعها إلى ذلك

رغبتها الأكيدة في التعرّف إلى حقيقة الكون والإجابة عن أسئلة عديدة من بينها: ما الموت؟ وما الحياة؟ وماذا بعد الموت؟.. إلخ.. استهوتها النظرية الكبرى التي تؤكد وجود صلة بين عالمي الغيب والشهادة.. في المقابل توقفت كثيرًا عند عقيدة «التثليث» وناقشتها مع عدد كبير من القساوسة وكانت المناقشة لا تفتأ تصل إلى مرحلة معينة حتى يقولون لها: «إلى هنا وعليك أن تؤمني فقط».

وكي تكون نانسي مؤمنة بعقيدة «التثليث» عليها أن تلغي عقلها فلا تسأل ولا تعترض، لأن رجال الكنيسة أنفسهم متقدميهم ومتأخريهم تائهون حائرون بشأن عقيدة «التثليث» الذي أقحموه في الديانة النصرانية، وليس لهم في الكتاب المقدّس ما يعينهم على تفسير هذا «التثليث» العجيب! ففي مجمع نيقية عام 325م تم تأليه المسيح وأصبح إله النصارى مكوّنًا من الأب والابن، وفي مجمع القسطنطينية عام 381م تم تأليه الروح القدس وقرّروا أنها تنبثق من الأب فقط ليكتمل بذلك الثالوث المقدّس. فزعموا أن الله ثالث ثلاثة، وأن يسوع المسيح ابن الله، ثم عادوا وقالوا إن الله واحد، ثم حدث الارتباك في عقيدتهم فأصبحوا يعتقدون بما لا يمكن للعقل الرشيد أن يقبله، وهو زعمهم أن الله واحد وفي الوقت نفسه ثلاثة!

بدأت نانسي تبحث عن بديل يروي ظمأها.. انتظمت في حضور دروس معبد يهودي.. دفعها إلى ذلك سعة صدر حاخام المعبد وتقبله للحوار، فدخلت في الدين اليهودي من مدخل فلسفي محض فقد وجدته دينًا يقول بالتوحيد بدلًا من التثليث.. لكن.. لم تلبث أن تبدأ بممارسة شعائر اليهودية حتى شعرت بأنها ما زالت في حاجة إلى ما يروي غليلها.. وهنا تقول: «الواقع أن الممارسة أسفرت أن اليهودية لم ترو غليلي، فشعرت أنني ما زلت ظمأى لمعرفة الصلة بين الله والإنسان، فلم أستسغ فكرة الشعب المختار، ولا تجسيد الله سبحانه وتعالى في قوالب إنسانية محدودة، وأحيانًا غير مقبولة.. وفيما كنت أتلمس الطمأنينة الروحية في اليهودية ينتابني الإحباط عندما أجد أن الوعظ كله قد انحصر في مرارة ما أصاب اليهود في ألمانيا، والدعوة إلى الانتقام».

وأثناء محاولاتها للتعمق في دراسة الديانات التقت أستاذًا أمريكيًّا مسلمًا أدرك مقدار ما تعانيه من قلق، فسألها إن كانت قد اطلعت على القرآن الكريم.. وهنا تذكرت أن الحاخام وجه لها منذ سنوات السؤال ذاته.. زوّدها أستاذها المسلم بنسخة مترجمة لمعاني القرآن الكريم، وزاد على ذلك أن مدّها بكتب أخرى تتحدث عن الإسلام.. لفتت نظرها رحابة صدر الأستاذ المسلم، كما شدتها بشاشته المميزة، وطيبة قلبه المتفردة.. استرعى انتباهها أنه لم يدفعها إلى أي اتجاه، كما أنه لم يعب عليها وضعها العقدي، فقط اكتفى بأن حدثها عن الإسلام بصورة مبسطة وتدرج منطقي ليعينها على فهم تعاليمه التي جاء بها وآدابه التي تحلى بها، تلك الآداب التي تجعله يختلف تمامًا عن كل الأديان التي مرت عليها من قبل.. انتابها شعور بالطمأنينة والسكينة وهي تنصت إلى حديثه.. وهو ما عبرت عنه بقولها:

«لقد شعرت ما يروي روحانيتي في أعماق وجداني وما أستهدي به في حياتي بين الناس.. شعرت بحلاوة الصلة بالله، واستشرقت معالم طريق القربى إليه في رحلة لها بداية ولكنها لا تنتهي... وقلت لنفسي: الآن فقط عرفت من أنا... إنني مسلمة بعد أن وجدت في الإسلام الإجابة السلسة عن كل علامات الاستفهام الفلسفية التي حملتها طوال سنين.. لقد وجدت ما يرضيني عن مفهوم الله والكون والإنسان».

وبعدما اتضحت لها معالم الطريق إلى الله، لم تملك نانسي حينذاك إلا أن تنطق بالشهادتين لتبدأ رحلة ميلادها كمسلمة جديدة تحمل اسم «نصيحة».. كتمت إسلامها عن زوجها وحماتها التي كانت تعيش معها، ثم غادرت منزلها ليلًا من دون أمتعة ولا مال، مقدّمة الله على زوجها..

وتقول في ذلك: «لقد كان من البديهي عندي عندما يكون الخيار بين الله والزوج فليس هناك اختيار». وقد منّ الله عليها بالانفصال عن زوجها عبر المحكمة.. وأنعم عليها بحريّة كريمة تتنفس عبرها عبق الإيمان وتمارس من خلالها الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه الحنيف..

نعم.. مع الله.. لا خيار.. الله بكل تأكيد..

فمن عرف الله بعد عناء البحث لا يشعر بأي قيمة لأي شيء إلا من خلال رضا الله..

فماذا تنتظر أنت؟!

اعرف نفسك الحقيقية كما عرفتها نانسي..

اعرف من أنت.. بأن تعرف الله خالقك..

آمن بربك خالق السماوات والأرض..

أسلم.. فما يقبل ربك غير هذا الدين دينًا..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (26)

صاحب القلبين

الإيمان.. لا يتعارض مع تولي أكبر مناصب الدنيا..

الهدى.. يساعد القادة على كبح جماح السلطة الغاشمة..

كن ملكًا.. كن رئيسًا.. كن ما شئت.. ولكن كن عبدًا لله..

هذا ما توصل إليه بطل قصتنا.. بطلها رجل فوق العادة، ويكفي شخصيته تفردًا حقيقة أنه تربّع على قمة هرم السلطة في بلاده.. إنه ديفد كيربا.. رئيس جمهورية جامبيا، الذي هداه الله تعالى إلى الإسلام فاستصغر عظمة السلطة الدنيوية الخاوية من كل معنى حقيقي، فخرّ ساجدًا لله تعالى ثم نهض وهو يردد في تواضع الخانع الذليل: الله أكبر الله أكبر مني ومن كل شيء في الأرض والسماء.

هاجر بطل قصتنا في مقتبل شبابه إلى الغرب حيث اعتنق المذهب البروتستانتي وشرب من فكره وقيمه وعقيدته حتى الثمالة.. في البدء دخل عالم السياسة على استحياء.. استهوته لعبة السياسة وعمته شهوة المناصب فتعمّق في دهاليزها وتدرّج في المناصب حتى وصل إلى أقصاها وأصبح رئيس الجمهورية في بلده!! ثم ماذا بعد هذا؟!

في هذه المحطة كان أمام ديفد كيربا خياران: إما التكبر والتجبر والتعنت، وإما الرجوع إلى الفطرة السليمة التي فطر الله الناس عليها، حيث يقول: «كان ينتابني الإحساس دائمًا بأن لي قلبين في جوفي: قلبًا لي وقلبًا عليّ.. القلب الذي لي كان يدفعني بشدة إلى الدراسة والسياسة وخوض معركة الحياة.. أما القلب الذي عليّ فكان في كل لحظة يلقي على عقلي وقلبي سؤالًا قصيرًا قاطعًا: من أنت؟ وما بين القلبين المتنازعين قطعت رحلة طويلة استطعت معها ومن خلالها أن أحقق كل ما كنت أصبو إليه.. فقد تمكنت من تحرير وطني الأفريقي الأسود، ووضعته على خريطة العالم كدولة ذات سيادة».

واستطرد صاحب القلبين في حديثه قائلًا: «لم يكن بالنصر السهل.. لقد كان هذا نصرًا منتزعًا من فم الأسد.. لقد أدار رؤوسنا وأصابنا كشبان حالمين بدوار السلطة.. لم تكن بالمعركة السهلة التي خضناها.. لقد كانت معركة كبرى سلبت من أعمارنا نصف قرن من الزمان قضيناها مشغولين مع الحرب والنضال، والمفاوضات وتكوين الأحزاب، فضلًا عن المراوحة بين خسارة المعارك والفوز بها.. كم سعدنا حينذاك عندما نجحنا في أن ننشل وطننا من وهدة الاحتلال والتخلف والضياع الفكري والاقتصادي.. الفوز الذي تحقّق لم يكن إلا لإرضاء النفس

وغرورها، أما الفطرة فقد أخذت تحضّني على خوض المعركة الكبرى.. نعم حالما كسبت معركتي مع الحياة بدأت أفكر في الكيفية التي أكسب بها معركتي مع نفسي.. كان يتحتم عليّ أن أعود إلى ذاتي لأكتشف المعدن النفيس الذي بداخلي.. نعم كان عليّ أن أزيح ما تراكم عليه من ركام التغريب والعلمانية ومخرجات دراسة اللاهوت». إن أعظم المعارك هي تلك التي يتم خوضها داخل النفس البشرية ففيها تصنع الانتصارات والهزائم الكبرى.

صمت بطل قصتنا عن الحديث لثوانٍ ثم أردف قائلًا: «لا شيء في الدنيا يعادل أن يخسر الإنسان نفسه.. قررت أن أعود لإسلامي الذي ضاع مني وسط بريق السلطة ومشاغل الحياة.. الحقيقة أستشعر الآن أنني كسبت نفسي التي كنت قد خسرتها سنين طويلة وتعلمت درسًا لا يتعلمه إلا من كان في قلبه إحساس وفي عقله نور. فالإسلام هو دين الفطرة، وهو الدين الذي يهب الإنسان تصوّرًا صحيحًا عقلانيًّا عن الإله وعن الكون وعن الإنسان والهدف من وجوده، ويهبه تشريعًا يلائم الفطرة الإنسانية ملاءمة تامة.

برغم أنه كان يتربّع على هرم السلطة في بلده، كان ديفد كيربا يشعر أن حياته بلا هدف، وأن روحه مسكونة بالظلام، وقلبه غارق في أوحال المادة، حتى عاد إلى فطرته السليمة وأزاح عنها ركام الماديات وأعاد اسمه من (ديفد كيربا) إلى (داود جاوارا) بعد أن شرح الله تعالى قلبه للإسلام.. تحول من رئيس دنيوي غارق في عالم مادي يعتنق المذهب البروتستانتي إلى شخصية إسلامية سياسية وداعية إلى الله سبحانه وتعالى لا يشق له غبار..

أرأيتم أيها السادة.. إنه الإيمان.. ما يعطي للحياة قيمتها وحقيقتها..

فما الحياة بلا قرب من خالق الحياة؟!!

الإيمان يحول السراب إلى حقيقة..

يحول السلطة إلى رحمة.. ويحول القوة إلى عون ومحبة..

يعطي الإنسان هدفًا يستحق أن يحيا له..

إنها هداية الله التي تكسب الإنسان إنسانيته..

لذا.. اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (58) - (26) - (29) - (30)

الديانة العنصرية

ينشأ الإنسان في بيئة تشكل ثقافته.. طريقة تفكيره.. اهتماماته..

وحدهم الباحثون عن الحقيقة هم من يجرّدون الأشياء من أقنعتها..

وحدهم المنصفون هم من يحكمون بموضوعية ليختاروا لأنفسهم الاختيار الصحيح..

يقرؤون.. يجربون.. يريد الله بهم الخير.. وهو الأهم..

بطلة قصتنا.. عافت الحياة البهيمية في الغرب بكل رزاياها: العبث الذي لا يعرف الحدود، والحدود التي وضعت لتخترق، والروح النافرة من الجسد، والجسد المتمرغ في أسن المادة، وإلى غير ذلك من الرذائل التي لا تحدّها حدود.. كرهت اليهودية التي تحتقر الإسلام، ثم كفرت بالنصرانية البديل الديني الذي تطرحه الحضارة الغربية.

كانت شغوفة بالموسيقا الغربية فسمعت بمحض المصادفة قرآنًا عجبًا شدّها وخلب لبّها كما فعل من قبل بنفر من الجن من أهل نصيبين: (**قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا**)، فوجد الإسلام طريقه إلى قلبها.. بحثت في الإسلام فوجدت فيه ردودًا شافية لأسئلة ظلت تؤرق مضجعها فدخل عقلها.. بعد انسياب نور الإسلام إلى قلبها وعقلها، دخلت في دين الله القويم من أوسع أبوابه حيث نطقت الشهادتين.. فمن بطلة قصتنا هذه التي هداها الله تعالى فخرجت من ظلمة المادة إلى نور الإيمان؟

إنها الكاتبة الأمريكية اليهودية الأصل المعروفة مارجريت ماركوس التي أصبح اسمها (مريم جميلة) بعد أن ارتمت في أحضان الإسلام لتكتسي بجمال الروح.. وهنا يفرض سؤال ملحّ نفسه: ما الذي دفع امرأة يهودية إلى الدخول في دين يصفه قومها بأنه يحطّ من شأن المرأة ويحقّرها، بل ويجرّدها من إنسانيتها حسب مفهومهم السقيم للإنسانية؟! وكيف تركل النعيم الدنيوي وتترك وراءها الرفاه المادي المتقدم ثم تتجه إلى بلد إسلامي ناءٍ متخلف بمقاييس قومها للتحضر، مجتمع محافظ نقيض لمجتمعها المفتوح الذي أعطى المرأة حقوقًا مطلقة بدءًا بحريّة الغرائز البهيمية التي لا تحدّها حدود، وانتهاءً بارتياد الفضاء ذروة الأحلام عند علماء أهل الغرب؟ ونعم ما يصيب المرء بالدهشة حقيقة أنها يهودية، ومن قوم يكرهون الإسلام كأشد ما تكون الكراهية!!

لم تترك مريم جميلة دينها ولم تهجر موطنها بحثًا عن زوج مثالي، أو هربًا من واقع مرير تعكّر صفوه المشاكل الأسرية.. لا وألف لا.. لقد غيّرت مجرى حياتها كليّة حينما تبيّنت الضلال الذي

يعيشه قومها (وهو اليهودية)، والضلال البديل الذي تطرحه الحضارة الغربية (وهو النصرانية).. وحالما أيقنت أن الإسلام هو الدين الحق الذي لا بديل له أقبلت عليه مشيحة بقلبها وعقلها عن كل دين سواه.. فهي لم تكن تبحث عن حظوظ دنيوية مادية بقدر ما كانت تبحث عن الحق فتدور معه حيث ما وجد.. وهو أمر عبّرت عنه بقولها: «إنني آمنت بالإسلام لأنه الحق، ودخلته لأنه يعطيني حقًّا كامرأة، افتقدته في بيئتي الغربية ولأنه يمنحني الملاذ من حضارة لم أتكيف معها».

وهنا قد يتساءل بعضكم: كيف كان مدخلها إلى الإسلام؟ الحقيقة دخلت مريم الإسلام عن طريق القرآن الذي سمعته بقدر الله الذي أراد هدايتها، وليس «بمحض المصادفة» كما تقول هي.. فشدّها وخلب لبّها وصرفها عمّا كانت تحبه من موسيقا غربية، وهي تقول في ذلك: «بمصادفة محضة استمعت ذات يوم إلى موسيقا عربية في المذياع فشدتني، فذهبت لشراء بعض الأسطوانات العربية، وبمصادفة أخرى كان بين هذه الأسطوانات تسجيل لآيات من سورة مريم، فانجذبت إلى القرآن». وتتذكر مريم أن أقوى ما هزّها وأثر فيها تلاوة دفيئة لطفل قادم من «زنزبار» استمعت إليها في مسجد بنيويورك وكان كل من صوته وتجويده -كما ذكرت- أفضل من كثير من المقرئين المشهورين.. وهنا تساءلت عن مصير الطفل الزنزباري بعد أن ذبح الصليبي «جوليوسي نيريري» قومه في سبيل أن يمحو الإسلام من جزيرة زنزبار.

وتضيف مريم إلى قصة إيمانها بالإسلام حقيقة أن ما زادها قناعة في صدق رسالة الإسلام وصحة تعاليمه هو إجاباته الشافية عن كل التساؤلات التي كانت تؤرق مضجعها لسنين طوال، خاصة تلك التي تتصل بالموت وما يعقبه من مصير.. فقد كانت لا تفتأ تسأل والديها عن مصير الإنسان بعد الموت حتى يتعجبان من سؤالها ويقولان لها: «إن الحياة أمامها طويلة».. فهما لم يكونا يؤمنان بما بعد الموت من آخرة وبعث وحساب وجنة ونار.. نعم لا غرابة في عجز إجابة والديها عن السؤال إذ لم تسعفهما التوراة والتلمود برأي ناجز، لأن الجزاء فيهما جزاء دنيوي محض، أما الإنجيل فقد كانت صورة الآخرة فيه غامضة ومبهمة.. بالتالي لم تجد الإجابة عن السؤال إلا في القرآن الكريم الذي وجدت فيه شفاءً لما في صدرها من قلاقل وحيرة إذ أجابها بما فيه استجابة لأعمق رغباتها، حيث أعطاها الهدف والمعنى من الحياة وما بعدها.

ومن الأمور التي دفعت الكاتبة اليهودية مارجريت ماركوس إلى اعتناق الإسلام سمة التسامح التي تميز الإسلام عن غيره من الديانات التي طالها التحريف وهنا تشير إلى قمة التسامح المتمثلة في دفاع الرسول -صلى الله عليه وسلّم- عن السيدة صفية -رضي الله عنها- عندما عيّرتها إحدى زوجاته -صلى الله عليه وسلّم- بأصلها اليهودي فهدّأ رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- من روعها وطمأنها بأنها بنت نبي وعمّها نبي وهي الآن زوجة نبي. ثم تضيف الكاتبة في إطار امتداحها للإسلام بأنها لم تتعرض قط خلال جولاتها في العالم الإسلامي، وفي أثناء إقامتها مع زوجها في باكستان إلى أي طعن أو تمييز عنصري لكونها تنتمي إلى أصل يهودي.

وتضيف مريم إلى حديثها عن التسامح الذي يتميز به الدين الإسلامي: «أنه في ظل التسامح الإسلامي عاش اليهود داخل الحضارة الإسلامية أحرارًا، وانطلقت ملكاتهم الفكرية تبدع في إطار عقائدهم وتبرز كثمار لهذا التسامح.. وأشهر شخصية يهودية نبغت تحت حضارة الإسلام «موسى ابن ميمون» الذي ولد في الأندلس، وكان الطبيب الشخصي لصلاح الدين الأيوبي، فهو مثل غيره من اليهود لم يشعروا بغربة وسط الحضارة الإسلامية مثلما شعروا وسط الحضارة الغربية».

عقب ذلك قارنت الكاتبة بين التسامح الذي يتمتع به الدين الإسلامي والطابع العنصري لليهود حيث قالت: «ويتجلى الطابع القومي العنصري لليهود في رفضهم للأفراد الداخلين لليهودية والتشكيك في دوافعهم». وفي هذا الجانب ضربت الكاتبة أمثلة من معارفها في نيويورك، فتحدثت عن الفتاة الألمانية التي تزوجت من يهودي واعتنقت دينه، ومع ذلك ظلت أسرته تقاطعها بسبب أصلها غير اليهودي.. كما تحدثت عن الفتاة الأمريكية التي دخلت اليهودية عند زواجها من شاب يهودي فصدمت وتفاجأت بأن من سلطة الحاخام عدم قبوله لاعتناقها الديانة اليهودية.. وقد ذكرت الكاتبة مريم الأمثلة السابقة في إطار مقارنة التعصب اليهودي مع ترحيب المسلمين بها بين ظهرانيهم على الرغم من معرفتهم بأصولها اليهودية.

وتذكر مريم استماعها إلى حاخام يهودي يقول في نيويورك عقب إقامة إسرائيل في عام 1948م: «إن الولاء للشعب اليهودي أهم بكثير في اليهودية من الإيمان بالإله».

وكان حديثه في إطار إجابته عن سؤال وجّهه له زعيم صهيوني في مقابلة إذاعية حول أيهما أكثر أهمية: الإيمان بالتوراة والتزام شريعتها، أم الولاء للشعب اليهودي.. وهي إجابة تناولتها الكاتبة مريم باعتبارها نموذجًا سيئًا يعكس مدى ضيق النظرة والانغلاق المميت اللذين أفضت إليهما العنصرية اليهودية.

وتذكر الكاتبة كذلك تشويه اليهود لصورة الأنبياء وحرصهم على تشكيل صورة ذهنية سيئة عنهم. فعلى سبيل المثال أشارت إلى أنهم صوّروا سيدنا نوحًا -عليه السلام- بأنه ثمل بالخمر ذات يوم واستلقى في خيمته عاريًا، فدخل عليه ابنه حام.. وعندما شاهد الابن عري أبيه حلت عليه لعنة الله، وتحول جلده إلى السواد، ثم حكم على ذريته بالعبودية.. وأشارت الكاتبة كذلك إلى قصة ملفقة وردت في سفر الملوك بالتوراة مفادها أن داوود -عليه السلام- أعجب بامرأة جميلة شاهدها تستحم فاستحوذ عليها بعد أن قتل زوجها، وكانت ثمرة ذلك اللقاء سليمان الذي أولع بالنسوة الوثنيات، وانتهى به المآل إلى عبادة الأصنام.

أكثر من هذا تسخر الكاتبة مريم من معتقد يهودي ساذج مفاده أن اليهودي سينجو في الآخرة لمجرد كونه مولودًا في رحاب اليهودية، بصرف النظر عن اعتقاده وسلوكه.

وفي المقابل نجدها تعجب من بلاغة القرآن الكريم في دقة تصويره لطبيعة اليهود في حرصهم على الحياة الدنيا ورغبتهم فيها وغفلتهم عن الآخرة، مقارنة بالمسلمين الذين يطلبون من الله تعالى أن ينعم عليهم بالحسنات في الدنيا والآخرة ويقيهم عذاب النار.

وتشير الكاتبة مريم جميلة إلى إشارات تؤكد ما قام به اليهود من تحريف للديانة اليهودية وتستدل على ذلك بشواهد تؤكد أن الصلاة عند اليهود في القرن الثاني الميلادي كانت تشبه صلاة المسلمين من حيث اشتمالها على الوضوء والسجود، كما كان اليهود آنذاك يلتزمون الاغتسال بعد الجماع وقضاء الحاجة وعقب الدورة الشهرية عند النساء.. بل أشارت إلى وجود طائفة صغيرة من اليهود هم «السامريون» يصلون ثلاث مرات في اليوم بوضوء وركوع وسجود، ويضمنون أدعيتهم بعض العبارات الإسلامية، كما يستهلون كتبهم بالبسملة الإسلامية، غير أن هذه الطائفة منبوذة من قبل سائر اليهود وذلك لرفضها التلمود وسائر كتب التوراة، ما عدا شريعة موسى -عليه السلام-.

وترجع الكاتبة مريم جميلة أسباب سقوط الأركان القديمة للصلاة اليهودية ومن ثم تحولها إلى أدعية مطولة يرتلها المصلون وهم جالسون على المقاعد -كصلاة النصارى- إلى حرصهم على مخالفة المسلمين والتميز عنهم، وإن ما زالت هناك بعض أوجه الشبه بينها وبين الصلاة في الإسلام كتفضيل صلاة الجماعة، وعدم ضرورة توجه النساء إلى المعابد لانشغالهن بواجباتهن المنزلية.

وأما عن الصيام عند اليهود فتقول فيه الكاتبة مريم جميلة: «إن الصيام عند اليهود هو للتكفير وإبداء الندم على الذنوب يومًا واحدًا يسمى يوم الغفران، أو يوم كيبور وهناك يوم آخر يصومونه هو التاسع من شهر آب اليهودي، ذكرى تدمير الهيكل للمرّة الثانية على يد الرومان عام 70 ميلادي، وهدف صيامه الذكرى والحزن والتضرع لإعادة الهيكل.. أي إن الغرض سياسي مثل الصلاة».

وتقارن مريم جميلة بين الهدف من الصيام عند كل من المسلمين واليهود (التطهر في يوم واحد مقابل الصيام تقوية الإرادة ومقاومة الوساوس والشهوات والارتقاء بالنفس في شهر كامل).. وتتساءل: لماذا ينحصر طلب المغفرة في يوم واحد في العام، وفي الإسلام تطلب في كل وقت من كل يوم، وفي الصلوات الخمس؟! وكيف يكفي يوم واحد للتطهر؟!

وتقول مريم جميلة عن الحج عند اليهود: «لا يوجد في اليهودية حج إلا على شكل زيارة لحائط المبكى الذي يتخلله نواح ودعاء وذكرى عنده.. أي إنه حج سياسي يضاف إلى الصلاة والصيام من أجل بناء الهيكل وعودة القدس.. أما الحج في الإسلام فيخلو من أي مظهر وثني، إنه اجتماع عالمي تتجلى فيه أخوتهم وتضامنهم، وهذا هو السبب الحقيقي الذي يثير حقد اليهود على هذه

الشعيرة ومحاولة تشويهها».

ومن أخطر ما أشارت إليه الكاتبة مريم جميلة انغلاق اليهود على أنفسهم وعدم ترحيبهم بأتباع جدد، أي عدم قيامهم بالدعوة إلى دينهم كما هو الحال عند المسلمين، الأمر الذي جعل اليهودية ديانة عنصرية تقتصر فقط على قومها، مع تعصبهم المتطرف على من عداهم.

وفي حديثها عن تحريم اليهود للعمل يوم السبت تذكر الكاتبة مريم أنهم يبررون ذلك بتعب الإله فتستنكر ذلك قائلة: «إن هذه الفكرة فيها الكفر الصريح بنسبة التعب والإجهاد للإله القوي المقتدر، الذي خلق السماوات والأرض ولم يمسه لغوب، فالإله المتعب ليس بإله.. كذلك مما لا يقرّه الإسلام أن تعزل العبادة عن باقي أيام الأسبوع ليخصص لها يوم واحد.. في حين أن العبادة في الإسلام متصلة، وممتزجة بالحياة اليومية في شكل الصلوات الخمس ودوام الذكر».

وتفضح الكاتبة مريم النظرة السلبية لمجتمعها فيما يتعلق بتحصيل النساء للعلم الديني حيث يرى ذلك المجتمع أن العلم بالدين يقتصر على الرجال دون النساء، وتذكر أن للحاخامات آراء متشددة في التعليم الديني للفتيات، إذ يصرح أحدهم برأي شاع وسط المجتمع اليهودي ويقول: إنه يفضل أن تضيع كلمات التوراة على أن تعلم لامرأة!!.

وهنا تتحدث الكاتبة مريم جميلة عن موقف الإسلام من تعليم المرأة حيث تشير إلى تعاليم الإسلام التي تقول: إن طلب العلم في الإسلام فريضة على كل مسلم ومسلمة.

وفي جانب آخر من كتاباتها تنصح مريم جميلة بضرورة تنظيم الدعوة الإسلامية وتنشيطها في أوساط اليهود والمسيحيين.. وبناءً على ما سبق تنصح الباحثين المسلمين بضرورة تعلم اللغة العبرية، ودراسة الكتب اليهودية المقدسة.

وتختتم الكاتبة مريم جميلة حديثها بقولها: «الإسلام هو الدين الوحيد الذي يفاخر بكتاب سماوي خالٍ من التحريف، نزل بلغة ما زالت مقروءة ومفهومة.. أما الآخرون فليس عندهم كما يعترفون إلا ترجمات محرّفة ومتغيرة عن نصوص أصلية كانت بدورها سيرًا عن حياة الأنبياء وضعت بعد وفاتهم بقرون، ولم يكن لهم فيها من نصيب إلا اقتباس بعض الأقوال والأفعال عنهم، ولو أعيدت هذه النصوص إلى لغاتها الأصلية لما فهمها أحد ممن يقولون إنهم يؤمنون بها الآن، أما محمد -صلى الله عليه وسلّم- فقد سجلت السيرة كل تفاصيل حياته، حتى أدقها وأخصها».

وتؤكد مريم بعدها أن الإسلام «هو الدين الوحيد في العالم الذي أوجد أمة تحكمها الدوافع الأخلاقية والدينية، وذلك يكفيها». ومن مقولاتها: «لقد وضع الإسلام حلولًا لكل مشكلاتي وتساؤلاتي الحائرة حول الموت والحياة وأعتقد أن الإسلام هو السبيل الوحيد للصدق، وهو

أنجع علاج للنفس الإنسانية.. فمنذ بدأت أقرأ القرآن عرفت أن الدين ليس ضروريًّا للحياة فحسب، بل هو الحياة بعينها، وكنت كلما تعمقت في دراسته ازددت يقينًا أن الإسلام وحده هو الذي جعل من العرب أمة عظيمة متحضرة قد سادت العالم».

على مدار نصف قرن من الزمان كتبت مريم جميلة 25 مؤلفًا عن الإسلام أشهرها: «الإسلام في مواجهة الغرب»، و«رحلتي من الكفر للإيمان»، و«الإسلام في النظرية والتطبيق»، و«الإسلام والتجدد»، حيث ترجمت كتبها لعدة لغات بينها التركية والأردية والفارسية، والخيط المشترك بين كل هذه المؤلفات تمثل في تمجيدها لقيم الإسلام وانتقادها بعنف للعلمانية والحداثة في المجتمعات الغربية وأيضًا في تصديها لحملات تشويه الإسلام.

في اليوم الأخير من شهر أكتوبر عام 2012، رحلت الداعية والكاتبة الأمريكية مريم جميلة عن هذه الدنيا الفانية عن عمر يناهز 78 عامًا في مدينة لاهور الباكستانية، وهي راسخة في إيمانها بالدين الإسلامي، بعد أن اعتنقته وحملت لواء الدعوة إليه طوال خمسين عامًا..

كانت حياتها بلا هدف، فتحولت إلى حياة لها ألف معنى..

حرّرت نفسها من دياجير الظلمات الحالكة لترتقي إلى فلك نوراني شفيف..

ارتقت بقلبها من أسن المادة القذر إلى رحاب الإيمان المغمورة بفيوض من النور..

أراد الله بها خيرًا.. دون أن تعلم..

سمّتها «الصدفة».. وهي إرادة الله وتدبيره..

دبّر لها ليهديها.. فانعكس التدبير على صفحة قلب نقي..

تجرّدت من الهوى.. تحلّت بالموضوعية والإنصاف.. فطوبى لها بالإسلام..

وأنتم.. يا من تبحثون عن النور.. عن الهدى.. عن الله..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (25) - (27) - (28) - (36)

دين الفطرة

«بلغوا عني ولو آية».. صدقت يا سيدي يا رسول الله..

الهداية إلى الله قد لا تحتاج أكثر من آية.. وهذا في حد ذاته آية..

آية واحدة تنفذ إلى قلب من يبحث عن الله فتسكنه إلى الأبد..

يجتهدون في الحياة.. يجمعون الأموال.. يتقلدون المناصب والسلطات.. ولا يجدون السعادة..

أيها السادة.. من عرف الله لم يذق للتعاسة طعمًا.. ومن كفر به.. لم يذق للسعادة طعمًا..

انظروا إلى بطل قصتنا.. منذ نعومة أظفاره أقحموا فكره وعواطفه بالكثير الكثير من المفاهيم الخطأ عن الإسلام، فلقّنوه أن المسيح عيسى -عليه السلام- هو ابن الله، وأن محمدًا -صلى الله عليه وسلّم- ليس بنبي، وأن الإسلام انتشر بالعنف المفرط وبحدّ السيف، وإلى غير ذلك من العلل التي تعانيها المسيحية نفسها فنسبتها إلى الإسلام وهو منها براء، مصداقًا للمثل العربي «رمتني بدائها وانسلت»!

لكن مشيئة الله الغالبة قلبت الموازين رأسًا على عقب من خلال آيات كريمة مترجمة اطّلع عليها بطل هذه القصة، وحديث شريف وجد فيه ضالته فدخل الإسلام حيث وجد أن المرء فيه لا يحتاج إلى وسيط بينه وبين ربه وخالقه سبحانه وتعالى، كما هو الحال في مسيحيته التي كان عليها.

إنه الأديب الفرنسي المعروف، فانسان مونتيه، الذي نشأ وترعرع في كنف النصرانية، ونهل من ثقافتها، ونال حظًّا وافرًا من تعاليمها الموجهة بشكل خاص ضد الإسلام والمسلمين.. كانوا يعلّمونه كما يعلّمون غيره من النصارى أن الإسلام ليس دينًا، وأنه انتشر بالعنف المفرط وبحدّ السيف! وتناسى هؤلاء ضحايا الحروب والنزاعات المسلّحة التي يشنّها المسيحيون في مختلف أرجاء العالم، الذين بلغ عددهم خلال القرن الماضي وحده نحو 100 مليون قتيل معظمهم من المدنيين الأبرياء! وتناسى هؤلاء أن هذا السيف الذي يتحدّثون عنه لم يرد في القرآن ولا مرّة واحدة، بينما جاء ذكره في «الكتاب المقدَّس» عندهم أكثر من 350 مرّة!

وتناسى هؤلاء أن دولًا مثل إندونيسيا التي يعيش فيها أكثر من 215 مليون مسلم، والهند التي يعيش فيها أكثر من 227 مليون مسلم، وبنجلاديش التي يعيش فيها أكثر من 155 مليون مسلم، لم يدخلها جيش إسلامي إطلاقًا، بينما يتضاعف عدد المسلمين في الدول الأوروبية كل عشر

سنوات، وأن ما يزيد على ثُلث عدد المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية اليوم كانوا مسيحيين في الأصل! فأين العنف والسيف أمام هذه الحقائق الدامغة؟!

إن الإسلام هو أكثر الديانات انتشارًا في العالم اليوم، ويتقدم بقوّة لا تدفعه إلا مبادئه وتعاليمه السمحة.. ومن بين عشرات الآلاف من المسيحيين الذين يعتنقون دين الإسلام سنويًّا في الدول الأوروبية وغيرها من بقاع العالم، يأتي ضيفنا لهذه الحلقة الأديب الفرنسي المشهور فانسان مونتيه، الذي كان يشغل منصب أستاذ اللغة العربية والتاريخ الإسلامي بجامعة باريس.

يحدثنا هذا الضيف الاستثنائي عن تجربته في التحول من النصرانية إلى الإسلام فيقول: لقد كانوا يعلّمونني كما يعلّمون غيري أن عيسى إله ابن إله، وكانوا يزعمون أن محمدًا -صلى الله عليه وسلّم- ليس نبيًّا، وبالتالي ينكرون الإسلام جملة وتفصيلًا.. ثم حدث أن وقع بين يدي -لأوّل مرة في حياتي- ترجمة لمعاني القرآن الكريم، واستوقفتني معاني كلماته، مثل سورة الإخلاص:

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) **اللَّهُ الصَّمَدُ** (2) **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** (3) **وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** (4)

كما استوقفتني ترجمة قوله تعالى: (**فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**) [الآية 30 من سورة الروم].

كما أنني قرأت حديثًا لرسول الله -صلى الله عليه وسلّم- شعرت تجاهه بأن الإسلام هو دين الفطرة بحق: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ) [صحيح البخاري].

ثم يستطرد فانسان مونتيه فيقول: لقد اخترت دين الفطرة.. وهو الإسلام، وكنت فيما مضى كاثوليكيًّا.. وفي الكاثوليكية أمور كثيرة لم أقتنع بها، ولم أفهمها، مثل كرسي الاعتراف؛ والوسيط لدى الإله، فضلًا عن اعتمادها على أسرار، وقربان، وغير ذلك من أمور لم أستطع الإيمان بها.. في حين أن دين الإسلام بريء من هذا كله، فيكفي المسلم أن يتوجه إلى ربه مباشرة دون وسيط، ودون كرسي اعتراف، فيستجيب الله دعاءه.

ثم يفنّد مزاعم أعداء الإسلام وافتراءاتهم فيقول: إنهم يتهمون الإسلام بالقسوة المفرطة، مع أن الإسلام دين السلام والتسامح والعفو والمغفرة.. لقد تناسى هؤلاء كل العقوبات النصرانية فيما مضى، التي أفرطت في القسوة، والتعذيب الذي وصل إلى حد الإحراق، وفصل أجزاء الجسد، فضلًا عن كثرة حالات الإعدام، وهو ما لم يشهده الإسلام أبدًا في تاريخه!

كما أنهم يتهمون الإسلام بظاهرة الرّق التي وجدت قبل الإسلام وليس بعده، بل حين انتشر الإسلام وطبّقت تعاليمه كان يسعى إلى إلغاء الرّق والاستعباد، بل إن كثيرًا من الكفارات للذنوب

التي يقدم عليها المرء هي تحرير الرقاب الذي عدّه الإسلام تقربًا وطاعة لله.

ويقول الأديب الفرنسي فانسان مونتيه: إن الإسلام بعظمته وعمقه، وبنقائه ورقيّه، وبتسامحه ودعوته لكرامة الإنسان في كل زمان ومكان لن يستطيع أحد أن ينال منه.. لأن الإسلام في ذاته قوي.. وتعاليمه تدعو إلى القوة بعدم ارتكاب المعاصي والذنوب التي تضعف القوة، مثل الزنى، وشرب الخمر، وأكل لحم الخنزير، وغير ذلك مما يحرمه الدين الحنيف.

ويتابع القول: لقد اخترت الإسلام دينًا، ألقى به وجه ربي لأسباب شتى، منها الأسباب الدينية، والأسباب الأخلاقية والاجتماعية والثقافية والعاطفية.. وقد رأيت في الإسلام تسامحًا مدهشًا، والأخلاق الرفيعة هدف كل مسلم.. كما رأيت رفضًا للرهبنة التي تجافي طبيعة الإنسان البشرية، فالإسلام يحفظ للإنسان إنسانيته، ويدفعه إلى التمتع بالحياة وطيباتها، ما لم تتعارض المتعة مع تعاليم الله تعالى.

لقد آمنت برسالة مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم- ومصداقيتها، مثلما آمنت تمامًا بوحدانية الله.. إن مُحمدًا رسول الله حقًّا.. والقرآن الكريم موحى به من عند الله وليس من تأليف مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم- أو صنعه... ورسالته السماوية ليست مقصورة على العرب.. وإنما هي للناس كافة.

لهذا اخترت الإسلام.. من أجل أن أشعر بالراحة في رحابه وظلاله.. نعم، اعتنقت الإسلام لأشعر وأدرك أنني اعتنقت دينًا لا يفصل بين البدن والروح، وبين النفس والجسد... يكفيني أن الإسلام دين نقي، يدفع إلى الأخلاق والتحلي بها، وإلى الكرامة الإنسانية والتمسك بها، من أجل ذلك شهدت أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله.. وعلى ذلك ألقى ربي.

هذا ما اختاره بطل قصتنا.. الأديب الفرنسي فانسان مونتيه.. هذا ما شهد به..

فماذا اخترت أنت؟! بمَ تشهد؟!!

لا تختر إلا ما اختار.. ولا تشهد إلا بما شهد..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (29) - (30)

الشعلة المقدّسة

عندما يأتي الدواء من السم!!

عندما ينقلب الأعداء إلى أحباب!!

عندما يشرق النور من قلب الظلام!!

ثق بأنه الله.. وحده القادر على ذلك..

أعمار وأعمار أفناها أعداء الإسلام مجتهدين في هدمه..

كلما زاد جهدهم.. انتشر الإسلام أكثر.. وبين أهلهم..

بل إن الكثير من هؤلاء الأعداء قد تحولوا إلى الدفاع عن الإسلام!!

سبحان الهادي إلى سواء السبيل..

تأملوا هذه القصة لعلنا نثق بأن هذا الإسلام هو الدين الحق..

لعلنا ندرك أن الله وحده من يحفظ الإسلام ويهدي إليه..

ليس نصرانيًا عاديًّا.. بل منصِّر.. عكف على دراسة القرآن الكريم وأحاديث النبي مُحمَّد -صلى الله عليه وسلم- علّه يستخرج منها ما يعينه على تشكيك عوام المسلمين في دينهم ونبيّهم وكتاب ربّهم.. ولأداء مهمّته على الوجه الأمثل ركّز كغيره من المنصّرين على الفرق الضالّة والمضلّة التي انحرفت عن الإسلام.

كرّس وقته وجهده لمحاربة الإسلام من خلال كتابات المستشرقين التي لا تزال تحيك مخططاتها الخبيثة للنيل من الإسلام والمسلمين وتنعتهم بالتخلف والتطرف والإرهاب، فضلًا عن استخدام آيات القرآن بشكل مبتور لإخراجها عن سياقها الصحيح.. وصل حدًّا في حربه للإسلام بأن جعل رسالته لنيل درجة الماجستير في علم اللاهوت تحمل عنوان «كيف ندمر الإسلام بالمسلمين؟»، والتي لخّص فيها عصارة فكره وتجربته الطويلة في الوعظ والتنصير..

وفي أمسية ليست ككل الأمسيات كانت آيات قرآنية تنساب من مذياع وصلت إلى أذنيه ثم انسابت في سلاسة إلى تلافيف عقله وسويداء قلبه فقلبت حياته إلى النقيض! وأراد الله سبحانه وتعالى لهذا الرجل الهداية فأخرجه من ظلمات الشرك والضلال إلى نور التوحيد والإيمان..

فتحوّل إلى داعية إسلامي حاذق لا يشقّ له غبار.

إنه القسّ والمبشّر السابق إبراهيم خليل فيلوبوس الذي وُلد في الثالث عشر من يناير عام 1919م في مدينة الإسكندرية بجمهورية مصر العربية، ونشأ نشأة نصرانية، وتعلّم في مدارس الإرسالية الأمريكية، وتصادف وصوله مرحلة (الثقافة) المدرسية مع اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث تعرضت مدينة الإسكندرية لأهوال قصف الطائرات الحربية، فاضطر للهجرة مع أسرته إلى أسيوط، حيث استأنف في كلّيتها التعليم الداخلي، وحصل على الدبلوم عام 1942م، وسرعان ما تفتّحت أمامه سبل العمل فالتحق بالقوات الأمريكية من عام 1942م حتى عام 1944م .

التحق بكليّة اللاهوت عام 1945م، وتخرّج فيها بعد أن أمضى ثلاثة أعوام، حيث كان على الطلاب في هذه الكليّة أن يدرسوا خلال الأشهر الثمانية الأولى دراسات نظرية، فيقدّم الأستاذ المحاضرة على شكل نقاط رئيسية، وعلى الطالب أن يكمل البحث من المكتبة. وبعد ذلك يدرس الطلاب مقدّمات العهدين القديم والجديد، والتفاسير والشروحات وتاريخ الكنيسة، ثم تاريخ الحركة التنصيرية وعلاقتها بالمسلمين، وهنا يبدأ تدريس القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ويتم التركيز بشكل خاص على الفرق التي انحرفت عن الإسلام أمثال الإسماعيلية والعلوية والقاديانية والبهائية.

وفي الواقع فإن كليّة اللاهوت كانت تؤسّس على هذه الدراسات حوارات المنصّرين المستقبلية مع المسلمين، وكيفية استخدام القرآن لمحاربة القرآن، وكيفية استخدام النقاط السوداء في تاريخ المسلمين لمحاربة الإسلام! ولذلك تجد المنصّرين يستخدمون الآيات القرآنية مبتورة تبتعد كثيرًا عن سياق النص ومعناه، حيث يخدمون بهذه المغالطة أهدافهم التنصيرية وفتنة عوام المسلمين وتشكيكهم في عقيدتهم. ولدى المنصّرين وطلاب كليّة اللاهوت كتب مشهورة في هذا المجال، أهمّها كتاب (الهداية) وهو من 4 أجزاء وكتاب (مصدر الإسلام)، إضافة إلى استعانتهم في هذه الكليّة بكتابات عملاء الاستشراق من المسلمين.

لقد نشأ بطل هذه القصة في الكنيسة وتبوأ مكانة مرموقة في سلّم التبشير والدعوة إلى النصرانية، وكان راعيًا للكنيسة الإنجيلية، وحصل على شهادات رفيعة المستوى في علم اللاهوت من جامعة برنستون الأمريكية أهّلته لأن يكون أستاذًا في العقائد واللاهوت بكلية اللاهوت الإنجيلية، وكانت مهمّته الأساسية العمل ضد الإسلام، وتشويه صورته لدى العوام من الناس، ولذلك كان عليه أن يدرس القرآن الكريم علّه يستخرج منه ما يعينه على أداء مهمته التبشيرية على الوجه الأكمل وتشكيك عوام المسلمين فيه.

إنه واحد من ملايين النصارى الذين أغمضوا أعينهم واتبعوا من دون تفكير ما وجدوا عليه آباءهم من طقوس ومعتقدات.. نشأ في الكنيسة، وترقى في مدارس اللاهوت، وتبوأ مكانة مرموقة في سلم التنصير، ولخص للنصارى عصارة فكره وتجربته الطويلة في الوعظ والتنصير بين المسلمين في رسالته للماجستير بعنوان: (كيف ندمر الإسلام بالمسلمين)؟! في علم اللاهوت كان هذا الرجل متخصصًا بارعًا لا يشقّ له غبار.. وفي منظار (الناسوت) كان هو ابن الكنيسة الإنجيلية الأمريكية البار.. ولأسباب القوة والمنعة والحماية المتوافرة له، ما كان هذا الرجل يقيم لعلماء الأزهر الشريف أي وزن أو احترام !لكن انتفاضة الزيف لم تلبث فجأة أن خبت، وضلالات التحريف الإنجيلي انصدعت على غير ميعاد، وانقشعت غشاوة الوهم، وتفتحت بصيرة الفطرة السليمة.

أتى على إبراهيم فيلوبوس أمر لم يكن في الحسبان قلب حياته رأسًا على عقب أو بالأحرى عقبًا على رأس، حيث كان سببًا في اعتناقه الإسلام. وهنا يتحدث «إبراهيم خليل أحمد» عن قصة دخوله الإسلام فيقول: «في إحدى الأمسيات من عام 1955م سمعت القرآن مذاعًا بالمذياع، وسمعت قوله تعالى: **قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا** (1) **يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا** (2) **وَأَنَّهُ تَعَالَى جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا** (3) الجن. فكانت هذه الآيات بمنزلة الشعلة المقدّسة التي أضاءت ذهني وقلبي للبحث عن الحقيقة».. وكان لهذا الرجل ميلاد جديد، انتقل بعده من دهاليز الضلال والزيف والتحريف، إلى رحاب الحق ونور الهداية.

يحدثنا القس إبراهيم فيلوبوس، فيقول: لقد دُعيت للكلام في مؤتمر تبشيري، فأطلت الكلام في ترديد كل المطاعن المحفوظة ضد الإسلام، وبعد أن انتهيت من حديثي بدأت أسأل نفسي: لماذا أقول هذا وأنا أعلم أنني كاذب؟! وأن هذا الذي أقوله ليس هو الحق! واستأذنت قبل انتهاء المؤتمر، فخرجت وحدي متجهًا إلى بيتي، وكنت مهزوزًا من أعماقي، متأزّمًا للغاية، وفي البيت قضيت الليل كلّه وحدي في المكتبة أقرأ القرآن، ووقفت طويلًا عند الآية الكريمة: (**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**) [الآية 21 من سورة الحشر].. كما وقفت طويلًا أتأمّل معنى الآية الكريمة: (**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ**) [الآية 82 من سورة المائدة].. وفي تلك الليلة وصلت إلى اليقين وتلمست الحقائق بيدي، واتخذت قراري النهائي بالإسلام، وقرّرت الاستقالة عن عملي كقسيس، وسكرتير عام للإرساليات الأمريكية بأسوان..

قرّر التحدث مع زوجته في هذا الأمر، لكن الحديث سرعان ما تسرّب عن طريقها إلى الإرسالية، وسرعان ما تلقفوه ونقلوه إلى المستشفى تحت مراقبة صارمة، وتآمر عليه مجموعة من الأطباء

النصارى، وشخّصوا حالته بأنه يعاني اختلالًا في العقل..

ولأربعة أشهر تلت عاش معاناة شديدة جدًا، ففرقوا بينه وبين زوجته وأولاده، وصادروا مكتبته وكانت تضم أمّات الكتب والموسوعات.. حتى اسمه كعضو في مجمع أسيوط، وفي مؤتمر (سنودس) شُطب، وضاع ملفه كحامل ماجستير من كلية اللاهوت.. ومن المفارقات العجيبة أن الإنجليز في تلك الآونة كانوا قد خلعوا الملك طلال عن عرش الأردن بتهمة الجنون.. فخشي إبراهيم فيلوبوس أن يحدث معه الأمر ذاته.. لذلك التزم الهدوء والمصابرة وصمد حتى تم إطلاق سراحه، فقدّم استقالته من الخدمة الدينية واتجه للعمل في شركة أمريكية للأدوات المكتبية.. لكن الرقابة هناك كانت صارمة جدًّا، فالكنيسة لا تترك أحدًا من أبنائها يخرج عليها ويشهر إسلامه، إما أن يقتلوه وإما أن يحطموا حياته كلها.. وفي المقابل لم يكن المجتمع المسلم حينذاك قادرًا على مساعدة أحد.

ولذلك كان عليه أن يكافح قدر استطاعته، فبدأ العمل التجاري، وأنشأ مكتبًا تجاريًّا هرع بمجرد اكتماله للإبراق إلى رئيس الإرسالية الأمريكية بمصر الجديدة، وكان التاريخ هو الخامس والعشرون من ديسمبر 1959م الذي يوافق «الكريسماس»، وكان نصّ البرقية: (آمنت بالله الواحد الأحد، وبمحمد نبيًّا ورسولًا).. فعل ذلك ثم قدم طلبًا إلى المحافظة للبدء في الإجراءات الرسمية.. عقب إعلانه لإسلامه غيّر بطل قصتنا اسمه من «إبراهيم خليل فيلوبوس» إلى «إبراهيم خليل أحمد».

وبإيعاز من الكنيسة، قررت البيوتات الأجنبية التي تتعامل في الأدوات المكتبية عدم التعامل معه، ما اضطره إلى إغلاق مكتبه التجاري، ليعمل كاتبًا بإحدى الشركات فانخفض دخله الشهري من 80 جنيهًا إلى 15 جنيهًا فقط.. خلال هذه الظروف العصيبة أخذ ابراهيم يدرس السيرة النبوية الشريفة التي وجد في دراستها نعم العزاء ولكن ظروفه المادية ازدادت سوءًا حتى تمّ تعيينه في المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وذلك إثر محاضرة قدمها بعنوان، «لماذا أسلمت؟».

كان لمعرفة إبراهيم فيلوبوس العميقة لدين النصارى وكتبهم وأساليبهم التنصيرية المضلّلة، والصبغة التي اكتسبها من الإسلام الأثر الكبير في تميز نشاطه الدعوي، وقوة تأثيره في الأشخاص، وتنوع إنتاجه المعرفي، حيث جنّد نفسه للدعوة إلى دين الإسلام، وخلال مناظرة واحدة مفتوحة مع 13 قسيسًا من السودان، انتهت باعتناقهم الإسلام جميعًا، وهؤلاء كانوا سبب خير وهداية لغرب السودان، حيث دخل الآلاف من الوثنيين والنصارى وغيرهم في دين الله على أيديهم.

عندما شعرت الكنيسة بأن محاضراته التي ظل يقدّمها في علم الأديان المقارن بمساجد العديد من المحافظات المصرية أدت إلى إسلام العديد من الشباب النصراني، ألّبت الجهات المسؤولة

ضده، فطلبت منه وزارتا الأوقاف والداخلية الكف عن إلقاء محاضراته، وإلا تعرّض لتطبيق قانون الوحدة الوطنية، متهمًا بالشغب وإثارة الفتن.. مع كل هذه الضغوط التي كانت تحاصره من كل جهة وتحول بينه وبين ممارسة الدعوة الإسلامية قرّر الهجرة إلى المملكة العربية السعودية، لكي يضع كل خبراته في خدمة كلية الدعوة وأصول الدين هناك.. وقام بتأليف العديد من الكتب المهمة التي أبرزها «محمد في التوراة والإنجيل والقرآن»، «المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي»، و«تاريخ بني إسرائيل».

سبحان الله!! من كان يصدق أن إبراهيم خليل فيلوبوس أستاذ اللاهوت بأسيوط، الذي كان يعمل راعيًا للكنيسة الإنجيلية، وأستاذًا للعقائد واللاهوت بكلية اللاهوت بأسيوط حتى عام 1953م، ثم سكرتيرًا عامًّا للإرسالية الألمانية السويسرية بأسوان، ومبشرًا بين المسلمين في العديد من المحافظات المصرية حتى عام 1955م، من كان يصدق أن شخصية نصرانية بهذا الحجم الثقيل ستعتنق الدين الإسلامي وتصبح من أبرز المدافعين عنه في وجه موجات التنصير التي انتظمت كل العالم الإسلامي؟!

وحده الله من يقدر على ذلك..

وحده الله من يرينا هذه الآيات الباهرات..

تذكروا كيف بدأ.. تأملوا كيف انتهى..

العجيب أنه برغم هذه الآيات فما زلنا نرى من يستمر في الضلال المبين..

إنها قلوب ران عليها الضلال والكفر وألغت عقولها قبل قلوبها!!

أما أنت.. فلا تكن منهم.. بل أشرع قلبك لنور الله..

أطع فطرتك التي جبلك الله عليها..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (11) - (14) - (30)

هل ستقتلني؟!

أسلم.. فكان في إسلامه بعض العزاء للمسلمين في فقدانهم لبلد إسلامي أصيل؛ إذ بعد مرور زمن طويل ومرير من أفول نجم دولة الأندلس أشرقت شمس يوسف باعتناقه الإسلام فخف وقع الفاجعة القديم على الكثيرين ممن يعرفون أصول بطل قصتنا هذه..

إنه جوزيف سلفادور كابري.. مواطن إسباني الأصل أمريكي الجنسية عربي الملامح أندلسي الجذور.. ولد في الثالث والعشرين من شهر حزيران عام 1940م في مدينة برشلونة بإسبانيا لأم رومية كاثوليكية ترجع أصولها لمدينة غرناطة عاصمة الأندلس، وأب علماني لا اهتمام له بالأديان، فشب جوزيف ودواخله مفرغة من شفافية الروح متخمة بخواء الحياة المادية.

ظل جوزيف يدرس في مدينة برشلونة حتى بلوغه السابعة عشرة من عمره.. التحق حينذاك بالجيش الإسباني حيث أدى الخدمة العسكرية.. بعد انتهاء خدمته العسكرية التي قاربت العامين بدأ جوزيف جولة في الدول الأوروبية انتهت بفرنسا التي دخلها وهو في الرابعة والعشرين من عمره.. رغب في دراسة الاقتصاد والسياسة في السوربون بباريس، إلى جانب اللغة السنسكريتية القديمة، وهي لغة هندية طقوسية للهندوسية، والبوذية، والجانية.. بيد أن الخواء الروحي الذي عاشه في طفولته وصباه منعه من الانكباب على الدرس والتحصيل.. ما زاد حياته بؤسًا وشقاء الفشل الذي اعترى زواجه من زوجته الأولى الألمانية الذي خرج منه مفطور الفؤاد فارغ الوفاض كفؤاد أم موسى إلا من ابنها موسى.

الخواء الروحي الذي ظل يعانيه جوزيف دفعه إلى التعرّف إلى الأديان كافة، بعد أن عجزت النصرانية عن دخول قلبه المفطور على النفور من كل ما هو باطل.. ساعدته إجادته للغة السنسكريتية على الاطلاع على ديانات الشرق الفلسفية الكبرى خاصة الهندوسية والبوذية.

في عام 1968م اتجه جوزيف قاصدًا الهند بغرض التعرّف إلى قيم الهندوسية ومبادئها، بيد أنه التقى في طريقه مسلمين من يوغسلافيا وتركيا وباكستان وأفغانستان جعلهم الله سببًا في ميله إلى الإسلام، فوضع عصا الترحال ونسي الهندوسية التي من أجلها شد الرحال.. ما سبق ذكره تسبب في ميله للإسلام وتركه للهندوسية أما قصة إسلامه فوراءها قصة باهرة نذكرها في الأسطر التالية..

في أحد الأيام وبينما كان جوزيف يسير في منطقة ريفية بالقرب من مدينة قندهار الأفغانية،

لجأت إليه فتاة تلبس الملابس العربية وطلبت منه حمايتها من رجل أفغاني كان يطاردها وهو يحمل مدفعًا رشاشًا.. هدد الرجل المسلح جوزيف بالقتل إن لم يسلمه الفتاة.. هداه تفكيره إلى التحايل على الأفغاني، فأخذ يحاوره ليقنعه بتركه هو والفتاة.. ثم فجأة وجد نفسه ينطق دون أن يعي بقوله: هل ستقتلني يا أخي قبل أن أتعلم الصلاة؟

رمى الأفغاني بندقيته واتجه إلى جوزيف وعانقه قائلًا: «يا أخي».. ترك المسلح الفتاة وأعطاها نقودًا، ثم اصطحب الاثنين إلى مدينة قندهار حيث استضافهم بعض المسلمين.

أخذ ذلك الرجل يعلم جوزيف الوضوء والصلاة وأركان الإسلام.. وبرغم أن الإيمان لم يدخل قلب جوزيف بعد فإنه أخذ يصلي مع المسلمين الذين ظنوه مسلمًا مثلهم.

مهدت الحادثة الأولى أمام جوزيف طريقه إلى الإسلام وإن لم تؤدِ إلى إسلامه.. بيد أن حادثة أخرى أدت الغرض تمامًا؛ ففي أحد الأيام سافر جوزيف مع صديق نصراني من قندهار إلى مولكان.. سار الاثنان على أقدامهما في تلك المنطقة الصحراوية الوعرة.. اضطر جوزيف إلى خلع حذائه المطاطي الذي كان لا يحتمل أمام أجيج الرمال الحارقة الساخنة.. وبينما هو يسير مع صديقه النصراني حافيًا في شوارع المدينة، التقى رجلًا عجوزًا يحمل زوجًا من الأحذية المستعملة.. اقترب منه الرجل حين رآه حافيًا وسأله إن كان يرغب في شراء حذاء، فلما أجابه بالنفي، سأله عن السبب، فقال له: لأنني لا أملك ثمنه، فعاد الرجل لسؤاله، ومن أين تأكل؟ قال: يطعمني ربي.. عندئذ أعطاه الرجل الحذاء بلا مقابل، بل اصطحبه هو ورفيقه إلى منزله، حيث قدم لهما الطعام، وأصر على استضافتهما لعدة أيام.. وطوال فترة استضافته لهما كان يعطيهما -برغم فقره- روبيتين باكستانيتين في كل يوم، وزاد عطاؤه لهما في اليوم الأخير إلى خمس روبيات.

مثلت الحادثة الأخيرة نقطة تحول كبيرة في حياة جوزيف، فقد انبهر بكرم المسلمين لعابري السبيل حتى لو كانوا مختلفين عنهم في العرق والدين.. ازداد رغبة في معرفة المزيد عن الإسلام، فزار في طريقه العديد من المساجد، والتقى أحد علماء المسلمين وأخبره عن رغبته في تعلم الدين الإسلامي، فرحب به الأخير، واستضافه ورفيقه النصراني في داره لعدة أيام حتى غادرا إلى لاهور.

في أحد أيام عام 1969م وصل جوزيف ورفيقه إلى لاهور والتقيا عالم الاجتماع المسلم الدكتور عبدالحميد الذي أرشدهما إلى مدرسة إسلامية هناك.. قابل الاثنان مسؤولي المدرسة وزعما أنهما مسلمان وطلبا تعلم الإسلام.. أخبرهما المسؤولون بأن هذه المدرسة لا تعلم الإسلام ولكنها مكان لتطبيقه.. تأثر جوزيف كثيرًا بهذا القول الذي دفعه إلى اتخاذ قراره بدخول الإسلام فأعلن إسلامه وغيّر اسمه إلى يوسف.

مكث يوسف في تلك المدرسة قرابة الشهرين، غادر بعدها لاهور إلى الهند ثم عاد إليها مرّة أخرى، ومنها انطلق إلى إيطاليا واستقر في فلورنسا حيث عمل مديرًا لمخيم للشباب، وهناك بدأ نشاطه في خدمة الدعوة الإسلامية وقد أنعم الله عليه بأن جعله سبحانه وتعالى سببًا في هداية أستاذين جامعيين إيطاليين.

قضى يوسف بالمخيم فترة تقارب الأربعة أشهر، ثم غادر إيطاليا إلى أفغانستان ومنها انتقل إلى الهند ثم عاد إلى باكستان مرة أخرى عبر روسيا.. وخلال فترة انتظاره للتأشيرة التي سيدخل عبرها روسيا التقى فتاة سويدية تدعى كارين وتزوجها، ثم انتقلت معه إلى إيطاليا.. عمل يوسف في إيطاليا لفترة قصيرة قبل أن يتجه إلى باكستان لمواصلة الدراسة حيث ظل يتلقى دراسته على يد الشيخ يوسف بيجنوري حتى عام 1972م.

اعتنقت زوجة يوسف الجديدة الإسلام وغيّرت اسمها من «كارين» إلى «كريمة»، وسافرت معه إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث أقاما هناك، وقد رزقه الله منها بولدين وبنت، هذا إضافة إلى موسى ابنه الوحيد من زوجته الأولى.. كرس يوسف وكريمة حياتهما لتنشئة أبنائهما تنشئة إسلامية تحميهم من مفاسد المجتمع الأمريكي.

لم يقتصر اهتمام يوسف على أولاده وإنما تجاوز ذلك ليصل إلى أفراد الجالية المسلمة في أمريكا، حيث بذل جهودًا مقدرة ونفذ أنشطة كثيرة لخدمة الإسلام والمسلمين هناك، منها إسهامه -بالتعاون مع بعض أفراد الجالية- في تأسيس مدرسة إسلامية تهدف إلى تعليم أبناء الجالية الإسلامية بأمريكا مبادئ دينهم وتنشئهم على عقيدة التوحيد ولتحقيق هذا الإنجاز قام يوسف بجولة مكوكية في بلدان الخليج لجمع التبرعات التي يحتاجها هذا الصرح العظيم حتى يصبح مؤهلًا لاستيعاب أكبر قدر من المستهدفين.

ومن إنجازات يوسف ترجمته للعديد من الكتب الإسلامية إلى اللغة الإسبانية وهي ترجمات مهمة استهدف عبرها المسلمين الناطقين بتلك اللغة حتى يتمكنوا من فهم واستيعاب كل ما يتعلق بدينهم وتاريخهم الإسلامي، ومن الكتب التي قام يوسف بترجمتها كتاب عن الأدعية اليومية يضم نحو ثلاثمئة دعاء مأثور عن النبي -صلى الله عليه وسلّم- وكتاب «قصص الصحابة» ومقالات عن «فضائل شهر رمضان المبارك» وكتاب «لآلئ الإسلام» الذي قام بتأليفه الأديب الإنجليزي إدجار آلان بو، فضلًا عن السيرة النبوية الشريفة.

لعب يوسف كابري وغيره من الدعاة دورًا كبيرًا في خدمة الإسلام والمسلمين داخل المجتمع الأمريكي الذي يعاني مواطنوه فراغًا روحيًّا كبيرًا لا تستطيع أي عقيدة أن تملأه سوى الإسلام.. لكن ولشحّ الإمكانات المادية أمام هذا العمل الكبير يحتاج الأمر إلى توفير المزيد من التمويل فليتها

تتحرك مؤسسات الدعوة الإسلامية في كل دول العالم لمساندة جهود الدعاة في الغرب ليتمكنوا من أن يحققوا للإسلام الانتشار المطلوب الذي يليق بعظمته.

فنحن ننفق في متاع الحياة وزخرفها الزائل ما لو أنفقنا جزءًا بسيطًا منه على الدعوة الإسلامية لما كان هذا هو حال المسلمين وصورة الإسلام في الغرب..

نملك دينًا عظيمًا.. ولأننا ندرك مدى قوته.. لا نجد ما يدفعنا لخدمته والدفاع عنه!!

نعم.. هو لا يحتاج إلينا.. فالله ناصره وناشره بين الناس.. بنا ودوننا..

ولكننا نحن من يحتاج إلى ذلك..

فعندما ننصر الإسلام وندعم نشره نحن في واقع الأمر نقدم خدمة لأنفسنا.. لا للإسلام..

وأنت يا من تبحث عن مخلص!!

إنه الله وحده من سيخلصك من أوزارك وأثقال شكوكك!!

لذا.. اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (9) - (80)

بوابة العلم

أفلا يتدبرون!! أفلا يعقلون!!

قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون!!

إنه الإسلام.. وحده الدين الذي يعلي من شأن العلم والعقل ويدعو أتباعه إليه!!

الدين الوحيد الذي يفسح المجال أمام غير المسلمين للدخول إليه عبر بوابة العلم..

بينما قديمًا كانت الأديان الأخرى تحاكم أتباعها لو حاولوا نشر العلم!!

أنشأت لهم محاكم مخصوصة سمّتها محاكم التفتيش!!

أعدمت العلماء الذين يعلنون اكتشافات علمية تناقض عقيدتها.. حرقت كتبهم.. عذبتهم..

لذا.. وجدت بطلة قصتنا في الإسلام مقصدها..

كيف لا وهو دين العلم.. دين يعلي من قيم التفكير والتدبر والعقل؟!!

فعندما حاربت الكنيسة العلم والعلماء في أوروبا أبعدت الناس عن معرفة الله تعالى فأصبحوا يعيشون في ظلمات الجهل.. كان وقتها الكرادلة والقساوسة يفعلون ذلك بغرض تحقيق المكانة الاجتماعية المميزة والثراء الفاحش مستندين إلى جهل الناس.. إن هناك علاقة طردية مباشرة بين تطور العلم ومعرفة الله سبحانه وتعالى الذي يتجلّى لأصحاب البصيرة النقية من خلال صفحات كونه المنظور.. لذلك علماء غربيون كثر دخلوا الإسلام نتيجة لهذه العلاقة، ومن بين هؤلاء الشابة البريطانية الدكتورة كريستين جاك هيلين بطلة هذه القصة..

إنها عالمة الذرة المعروفة التي دخلت الإسلام نتيجة لتكامل فطرتها النقية مع عقلها العلمي الواعي كتكامل مكونات الذرة من إلكترون ونترون وبروتون.. إن قصة الدكتورة كريستين الباهرة تعد واحدة من قصص كثيرة تؤكد أن إعمال العقل مع الفطرة السليمة يمثلان أقصر الطرق لمعرفة الله تعالى، لأن العالم يتعامل مع حقائق الحياة والكون بنظرة موضوعية لا تحيز فيها ولا انحراف.

ولدت كريستين جاك هيلين لأسرة نصرانية ذات مركز اجتماعي مرموق ووضع مادي ميسور مكّناها من أن تلحق ابنتها كريستين الصغيرة بأرقى المدارس البريطانية وأغلاها.

منذ نعومة أظفارها برزت كريستين كطفلة مميزة تعتبر نسيجًا وحدها في كل شيء.. فكانت تختلف عن بقية أطفال بني جلدتها.. فهي تتمتع بالصفات الطيبة والأخلاق الكريمة التي جاء بها الإسلام برغم أنها لم تسمع به من قبل، ولكنها الفطرة السليمة أينما وجدت القيم الإسلامية النبيلة.. نعم، كانت تكره الكذب والنفاق والزيف وكل الصفات الذميمة التي وجدتها شائعة بين الكثيرين من أفراد قومها.

كافأ الله تعالى هذه الطفلة الصغيرة النقية بأن يسَّر لها السفر مع أسرتها إلى شبه القارة الهندية حيث عرفت -ولأول مرة في حياتها- أن هناك دينًا عالميًّا عظيمًا اسمه الإسلام.. أعجبت كريستين بالإسلام وانبهرت بالترابط المدهش المتين الذي يجمع بين أفراده عامة وبين أفراد كل أسرة مسلمة على وجه الخصوص.. لم تمنعها حداثة سنها وتواضع تجربتها في الحياة من أن تتأمل تماسك المسلمين وتطبّعهم بعادات واحدة طيبة وانسجامهم وتشابههم في الأحاسيس والمشاعر المرهفة تجاه بعضهم بعضًا في السراء والضراء.. قارنت الطفلة كريستين واقع المسلمين في هذا الجانب بواقع مجتمعها النصراني الذي يتسم بالأنانية المفرطة وحب الذات وجفاف العواطف.

من ناحية ثانية شدّها إلى المسلمين بقوة أداؤهم لصلاة الجماعة بالمسجد.. فقد انبهرت كثيرًا وهي تشاهدهم يقفون في صفوف متراصة تحيط بها -في هيبة وجلال- قيم السكون والطمأنينة والخشوع.. أحست في قرارة نفسها بأن هذه الطقوس مألوفة وليست غريبة عليها، بل شعرت بنفسها وكأنها تعرفها منذ صرخة ميلادها الأولى.. بعفوية شديدة وتلقائية أشد وجدت نفسها تنجذب إلى تعلم صلاة المسلمين، وتؤديها معهم وكأنها واحدة منهم.. كانت تشعر بنداء خفي -تحسه دون أن تسمعه- يدعوها للتردد على المساجد التي تعلق بها قلبها في حنو دون أن تدري السر الكامن وراء هذا التعلق المحبب العجيب.

في البدء لم يقلق الوالدان بميول كريستين إذ كانوا يعتبرونها مجرد هواية طفولة عشقتها ابنتهم الصغيرة ولن تلبث أن تختفي لتحل محلها هواية جديدة تتسق مع سنها في مرحلة عمرية لاحقة.

الحقيقة خاب تقدير أسرة كريستين لميول ابنتهم المحببة، ولم يكن الأمر مجرد هواية عابرة، بل كان أكبر من ذلك بكثير، إذ ظل حبها للإسلام يزداد في الحجم كلما كبرت في السن.. فعندما أصبحت شابة يافعة تحول حبها إلى شغف محموم دفعها إلى البحث عن المعلومات والمعارف كافة التي تمكّنها من التعرف إلى تفاصيل هذا الدين القيم وتعاليمه.. وما أن بدأت رحلة بحثها حتى تحول عامل السن كمتغير في العلاقة الطردية بين حبها للإسلام وعمرها إلى متغير آخر هو عامل التعرّف إلى الإسلام، إذ أصبح حبها للإسلام يزداد كلما قرأت عنه حتى بدأت تلافيف الظلمات التي كانت تحجب عنها طريق الهداية تنقشع شيئًا فشيئًا كاشفة وراءها نور الحق

المبين الذي أضاء بصيرتها فأيقنت أن الإسلام هو الدين القويم الذي اختاره الله سبحانه وتعالى لعباده من بني البشر.

عندها فقط توصلت أسرة كريستين إلى قناعة تامّة مفادها أن ميول ابنتها تجاه الإسلام لم تكن مجرد هواية عابرة تخمد بمرور السنين، وإنما تحول الأمر إلى عقيدة راسخة تتكسر دون الصخور الصلبة وإيمان متين لا تزعزعه أعتى العواصف والزلازل.. خافت أسرة كريستين من أن تهجر ابنتهم الحبيبة دين الآباء والأجداد، وتستبدل به دينًا غريبًا عليهم وافدًا من الشرق لا يعلمون عنه سوى أنه دين أهل الصحراء الذين وصفتهم الكنيسة كما وصفهم المستشرقون المغرضون بأنهم قوم بدائيون متخلفون لا يطبقون من القيم الإنسانية إلا نقيضها.. فكرت الأسرة المغلوب على أمرها حينذاك في أن تبعد ابنتها عن الإسلام بتحايل ذكي لا تحس به ألبتة وذلك خوفًا من أن يتملكها العناد فتزداد تمسكًا بالدين الجديد.. ولتنفيذ خطتهم عرض الوالدان على كريستين أن تحول مساق دراستها من الجانب الاجتماعي الإنساني إلى الجانب العلمي البحت.. فعل الوالدان ذلك من منطلق أن دراسة العلوم الطبيعية البحتة ذات الطبيعة المادية الجافة قد تبعد ابنتهما عن متابعة التعلق بالجانب الروحي للإسلام، ومن ثم يأمنا مغبّة تحولها عن النصرانية.

شعر الوالدان بقدر مهول من الراحة والاطمئنان حينما قبلت كريستين اقتراحهما، بل أحسا وكأنهما قد تخلصا من آلاف الأطنان من الركام الذي كان جاثمًا على صدريهما.. ارتسمت على وجهيهما ابتسامة كبيرة تنضح بالرضا، بعد أن شعرا بأنهما استطاعا أخيرًا أن يبعدا ابنتهما المحبوبة عن الإسلام.. لم تعترض كريستين على اقتراح والديها لأنها كانت تحب العلم بعمق، فضلًا عن الاتساق التام الذي وجدته بين طلبها للعلم وحبها للإسلام الذي عرفت من خلال قراءاتها عنه أنه يدعو إلى العلم ويحث عليه.

ولكن!!.. أتت رياح النور بما لا تشتهي سفن الظلام.. فقد حدث عكس ما توقع الوالدان بقدر ما تعني هذه العبارة من معنى، إذ إن كريستين زادت قربًا من الإسلام بدراستها العلمية، لأن الدراسة العلمية التي تلقتها اختصرت لها طريق الهداية وساعدتها كثيرًا على معرفة الله، لأن دارس العلوم يختلف عن غيره في سهولة وعمق تعرفه نواحي العظمة في الإعجاز في خلق الكون، وبالتالي يمكنه أن يبرهن من خلال آيات الله الكونية الباهرة وجود إله قوي عزيز مقتدر لا شريك له يسيّر أمور هذا الكون العظيم.

وحينما خاب مسعى الوالدين في كبح جماح ابنتهما عبر سلاح العلم الذي ارتد على نحريهما قاما باستخدام أسلحة كثيرة بين الترغيب والترهيب، ولكنها عجزت كلها عن إعادة قلب كريستين المؤمن إلى ظلمات الجهل والضلال.

وكمحاولة أخيرة لإعادة ابنتهما إلى ديانة الآباء والأجداد المحرفة، حاول الوالدان استخدام آخر طلقة تبقت معهما، إذ أحضرا لها شابًا نصرانيًّا ليتزوجها أملًا في أن يكون زواجها منه حائط صد منيعًا يحول بين قلبها والإسلام ويردها مرّة أخرى إلى عقيدة النصارى.. لكن!!.. وكغير عادتها، رفضت كريستين الشاب بشدة وسعت جاهدة إلى الارتباط بزوج مسلم يمثل لها صمام أمان يحول بينها وبين الردة التي سعى أهلها لدفعها إليها بشتى السبل.

وحقق لها الله تعالى ما أرادت فتزوجت من شاب هندي مسلم، ثم أشهرت إسلامها بعد أن غيّرت اسمها إلى أمينة محمد كيرال.. مرّت الشهور والأعوام وسارت بها سفينة الإيمان تمخر في سعادة عباب حياتها الروحية الجديدة مخلّفة وراءها -دونما حسرة- حياة الرفاه المغموسة في أسن المادة.. أنعم الله عليها بثلاثة ذكور أطلقت عليهم أسماء: محمد، وعمر، وعبدالله.. وبمعاونة من زوجها حرصت أمينة على تربية أولادها الثلاثة على قيم الإسلام وتعاليمه، حتى يشبوا أقوياء وقد تسلحوا في حياتهم العلمية والعملية بسلاح الإيمان.

إن قصة إسلام هذه العالمة تثبت أن العلم يختصر طريق العبد لمعرفة ربه، لأن العالم يتعامل مع حقائق الحياة والكون بنظرة موضوعية لا تحيّز فيها ولا انحراف، وبذلك فمن أراد أن يعرف الله تعالى حق المعرفة فعليه بالعلم.. وذلك على عكس النصرانية المحرّفة التي تحارب العلم بشدة، بينما يحث الإسلام على العلم ويدعو إلى استخدام العقل.. فما من موضوع في القرآن الكريم إلا فيه دعوة إلى التفكّر وإعمال العقل.. ومن بوابة العلم دخلت أعداد كبيرة من علماء الغرب في دين الله الحق، منهم الدكتورة أمينة محمد كيرال عالمة الذرة المعروفة وبطلة هذه القصة..

لذا يحق لنا أن نسأل كل فرد غير مسلم..

ما الخيار الأفضل بالنسبة إليك: ما أنت عليه من دين يصطدم بالعلم والعقل؟!

أم دين ليس فقط يوافق العلم والعقل بل يدعو إليهما؟!

الإجابة عندك.. أنت..

أما أنا فلا أملك لك غير النصيحة..

أسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (27) - (41)

بارقة أمل

الوصول إلى الله هدف لا يتنازل عنه أصحاب الفطرة السليمة..

بعضهم يسير في الطريق عشرات السنين ويحاول الوصول..

يتأمل.. يدرس.. يسافر.. يسأل.. فيستدل على الطريق..

بطل قصتنا من هؤلاء البشر أصحاب الفطر السليمة، فطرته حددت له وجهته منذ طفولته، بينما حادثة أليمة غيَّرت مسار حياته حتى مماته.. شكوكه في النصرانية أغرقته في بحور من الخمر وأجلسته على تلال من المخدرات، بينما صداقة طيبة غيّرت قناعاته رأسًا على عقب وارتقت به إلى أعلى الدرجات.. إنه الأكاديمي ستيف جونسون.. أستاذ التاريخ بجامعة إنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية وبطل هذه القصة.

ولد ستيف وترعرع في أحضان أسرة كاثوليكية.. فطرته السليمة كانت تدفعه في طفولته إلى الجلوس تحت ظل شجرة كبيرة في مزرعة والده، ليس لكي يلعب كما هو الحال مع نظرائه من الأطفال وإنما ليتأمل في خلق الله سبحانه وتعالى ويتدبر في آياته الكونية الباهرة ويتساءل عن حقيقة الله الذي خلق فسوى، ويتمنى من كل قلبه أن يصبح في كبره من عباده المخلصين.

عندما وصل الصف الدراسي الثامن توفيت جدته.. وأثناء توجهه لحضور جنازتها تعرض لحادثة سيارة أصابته بضرر بالغ في رأسه نتج منه انقطاع الإحساس في النصف الأيسر من جسده، فضلًا عن فقدانه حاسة السمع في أذنه اليمنى.. تسببت تلك الحادثة في تغيير شامل في حياة ستيف إذ نذر حينها أن يهب كل حياته عابدًا مخلصًا كنصراني كاثوليكي آنذاك.

حرمت تلك الحادثة بطل قصتنا من ممارسة الأنشطة الرياضية لكنها أفادته في توظيف معظم أوقات حياته في القراءة والدرس.. ولتحقيق نذره قرر ستيف في البدء الالتحاق بالكنيسة كراهب.. وعندما علم أن الكنيسة في حاجة إلى أطباء ثابر في الحصول على درجة علمية في الكيمياء وعلم النفس تؤهله لدخول كلية الطب.

لتحقيق هدفه المرحلي المتمثل في دخول كلية الطب اجتهد ستيف في عامه الأول، بل أحرز المركز الأول على زملائه.. شغفه بالفلسفة واللاهوت سيطر على تفكيره حتى أصبح أقل ميلًا إلى دراسة الطب، لكن تم ترشيحه لدراسة هذا العلم فشعر بأن الأمر هو تخطيط من الله.

أصبح وقته متنازعًا بين دراسة العلوم الطبية، والاطلاع على كتب الفلسفة، واللاهوت والصلاة والتعبد في الكنيسة، فضلًا عن خدمة الكنيسة المحلية.. لكنه سرعان ما بدأ يشعر بالملل والاكتئاب، وبالكره الشديد للدراسة.. الفطرة السليمة التي كانت تلازمه في طفولته بدأت تستيقظ في داخله وترفده بالكثير من الشكوك حول حقيقة ما كان يؤمن به طوال سنوات عمره.

الصراع النفسي الرهيب بين شكوكه في النصرانية والتزامه بها دفعه إلى أن يدفن نفسه في عالم الخمر والمخدرات عسى غيبوبتهما تتكرمان عليه بالنسيان.. بيد أنه فشل في مسعاه وتحولت حياته إلى جحيم دفعه إلى ترك دراسة الطب.. أبلغ الكنيسة برغبته في التفرغ للرهبنة والفلسفة علهما يسهمان في تعميق إيمانه الذي شعر به يهتز ويضعف.

قضى ستيف عامين كاملين في أبرشية تابعة للكنيسة كمعلم دين إلى جانب تطوعه بالخدمة في السجون، فضلًا عن مواصلته في دراسة اللاهوت والفلسفة.. كان يأمل أن يفيده كل ذلك في استرجاع إيمان بدأ يفقده.. لكنه ظل يعيش حياة متناقضة ومقسمة بين انقطاع للعبادة نهارًا، وغرق في بحور الخمر والمخدرات طوال الليل.

حدثت نقطة تحول كبرى في حياة ستيف حينما طلبت منه الكنيسة أن يحدد المدرسة اللاهوتية التي يرغب في التعلم بها.. سافر حينها إلى أوروبا ثم تنقل بين تورنتو التي نال فيها درجة في الفلسفة، وجامعة إنديانا التي نال فيها درجة في الفلسفة والدراسات الدينية والتربية.. وفي هذه المحطة الأخيرة -أي جامعة إنديانا- بلغ من الشك قمّته.. لم يعد يؤمن بما يدرسه بل كفر بكل ما ظل يمارسه طوال حياته من طقوس تعبدية.. وعلى الرغم من كل ذلك كان متفوقًا في دراسته بدرجة أهّلته للحصول على شهادات زمالة ومنح أكاديمية في جامعات أخرى.. وكان كلما ازداد تفوقًا في حياته الأكاديمية تنامت شكوكه وازداد شعوره باحتقاره لذاته.

فجأة وبلا مقدّمات ظهرت في حياته بارقة أمل جديدة لاحت له وسط ضباب التشتت وعواصف الضياع.. تمثلت بارقة الأمل في شاب عربي مسلم من إمارة أبوظبي يدعى إسماعيل حسان سعيد دخل حياته بتدبير من الله تعالى.. التقى ستيف هذا الشاب العربي المسلم، الذي شرح له بعض حقائق الإسلام ما جعله يفكر في زيارة المسجد في يومه التالي.. وقدر للصديقين أن يزورا دنفر وكولورادو في إجازة، الأمر الذي قاد إلى توطد أواصر الصداقة بينهما، حتى تشاركا السكن.. لاحظ ستيف أن صديقه المسلم يؤدي صلواته الخمس في أوقاتها بانتظام، كما لاحظ أنه يداوم على قراءة القرآن الكريم.. فضلًا عن ذلك رأى فيه القدوة الحسنة.. كان ستيف لا يفتأ يشاهد إسماعيل وهو ينتهي من أداء نسكه حتى يبادره بسؤال عن الإسلام ولما كان الأخير على علم بأصول الدعوة، لم يدعه مباشرة إلى الدخول في الدين الإسلامي إذ كان يكتفي بالإجابة على قدر السؤال. ومن خلال صديقه المسلم ظل ستيف يتعرف في كل يوم إلى شيء جديد من

الدين الإسلامي الحقيقي، ما جعل الصورة السلبية المزيفة التي غرستها الكنيسة في ذهنه عن الإسلام تبهت وتتغير يومًا بعد يوم.

بحلول عام 1981م التحق ستيف بدورة دراسية عن الإسلام نظمها أحد المستشرقين.. وبعد مرور ثلاثة أشهر من تلك الدورة أعطاه صديقه كتابًا للأحاديث القدسية.. وما أن بدأ ستيف في قراءة الكتاب حتى شعر برعشة شديدة تسري في جسده، وببرودة أشد تسري في أوصاله وصلت حدًّا جعلت صديقه المسلم يغطيه بالأغطية الثقيلة، ولكن محال أن تزيل هذه الأغطية برودة روحه التي تتطلّع إلى دفء الحياة الحقيقي المتمثل في الإيمان بالإله الحق الواحد الأحد.

وما أن دخل شهر نوفمبر من عام 1981م حتى تأكد لستيف أنه توصل إلى ما قضى عمره يبحث عنه، وأنه قد ولد من جديد، فخرج الكفر من حياته دفعة واحدة فنطق بالشهادتين معلنًا دخوله الإسلام بإيمان قوي لم تقلل من قوته وعنفوانه اللغة العربية الضعيفة التي خرجت من شفتيه اللتين كانتا ترتجفان من الفرح وعينيه اللتين كانتا تنهمران بالدمع.

ونختتم هذه القصة بالإشارة إلى التحول الجذري الذي آلت إليه حياة ستيف عقب دخوله الإسلام فقد هجر المخدرات والخمر، وسخّر نفسه لخدمة الدعوة الإسلامية في الولايات المتحدة الأمريكية.. ويحرص على القدوة الحسنة كأسلوب فعال من أساليب الدعوة لأنها هي التي أسهمت في هدايته إلى الإسلام عبر صديقه العربي المسلم، ولأنه كان يعلم علم اليقين أن الشباب الأمريكي يمكنه أن يعتنق الإسلام إن وجد القدوة التي تقدم له الإسلام في جوهره الحقيقي النقي، حيث يقول المثل الأمريكي: «لا تقل لي ولكن أرني».. وإلى جانب عمله الدعوي ظل ستيف يمارس حياته الوظيفية أستاذًا في جامعة إنديانا، حيث يفخر طلابه وزملاؤه بأخلاقه الإسلامية وسلوكه السوي الذي يؤهله لكي يكون قدوة إسلامية يحتذى بها..

وهذا هو جوهر الدين الحق.. جوهر الإسلام..

لا كهنوت.. لا رهبانية.. لا عزلة.. بل سلوك ومعاملات يغلفها الإيمان..

سلوك يدعو إلى الإسلام بلا كلمة واحدة.. بل مثال وقدوة..

لذا.. أسلموا واكتسبوا لأنفسكم قبل غيركم.. نمط حياة راقيًا نقيًّا تقيًّا..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (4)

إياك أن تسأل!

إغلاق الباب.. يفتح كل باب!

المتسائلون.. الحائرون.. لا يملون من البحث عن الحقيقة..

العجيب أن من يغلق أمامهم باب السؤال.. يفتح لهم أبواب الخروج!

ولا يغلق باب السؤال إلا من افتقر إلى الإجابة!!

هنا.. تكمن عظمة الإسلام..

بطل قصتنا أغلقوا أمامه باب السؤال ففتحوا له باب الإسلام!!

يا له من قدر سعيد..

بطل قصتنا هذه المرّة مهندس معماري ألماني الجنسية نصراني العقيدة حباه الله بعقل راجح وفطرة سليمة أخرجاه من ظلمات الشرك إلى نور الإسلام.. إنه المهندس المعماري الألماني لوثر أسكوار أو أحمد عبدالله عبدالواحد اسمه الجديد عقب إسلامه.

منذ صغره شب لوثر أسكوار متدينًا.. فقد كان مواظبًا على الذهاب إلى الكنيسة الكاثوليكية في ألمانيا.. ولكن ما أن كبر ونضج عقله حتى دخل المنطقة المحظورة في المسيحية، أي مناقشة مبادئ الدين المسيحي التي تنضح بتناقضات وبنقاط مسكوت عنها شديدة الغموض.. ذهب يومًا إلى رجال الكنيسة، وبدأ يناقشهم في مسائل جوهرية تعتبر من صميم الدين المسيحي.. طرح عليهم عددًا من الأسئلة التي ظلت تؤرقه منذ أن نضج تفكيره، وطلب منهم إجابات شافية عنها علّها تريحه من ضغوط نفسية رهيبة ظل يعانيها نتيجة للتناقضات غير المنطقية التي يغصّ بها الدين المسيحي.

تفاجأ المهندس لوثر بشدة حينما ثار القساوسة في وجهه وطردوه من الكنيسة بعد أن اتهموه بالكفر والإلحاد.. ومنذ تلك الحادثة وضعت الكنيسة بطل قصتنا في القائمة السوداء وهددته بالويل والثبور اللذين ينتظرانه إن عاد إليهم مرة أخرى بهرطقته غير المقبولة.

القاعدة التي تعمل بها الكنيسة للتحكّم في عقول النصارى هي أنه لا تسأل فتُطرد أو تعترض فتهلك! عليك أن تغمض عين بصيرتك وتلغي عقلك تمامًا وتطبّق حرفيًّا كل ما يلقنه لك رجال الكنيسة، وإياك إياك أن تسأل! العديد من المسائل الجوهرية في العقيدة النصرانية المحرفة

ليست للفهم، وحتى تؤمن بها عليك أن تحتقر عقلك وتضعه تحت أقدام رجال الكنيسة أو تقذف به في مزبلة الخرافة والدجل!

أحس لوثر بالضياع وشعر بانقباض شديد يكتم أنفاسه تجاه الكنيسة.. تنهد بعمق وتساءل في حيرة عن كيفية اهتدائه إلى الحق في ظل ديانة متزمتة تضع قيودًا محكمة على العقل والعلم والفكر.. بل عقيدة محرفة ذات مبادئ عقيمة لا تتسق مع المنطق السليم ولا تحتمل المناقشة.

عندما يئس لوثر أسكوار من أي عون يمكن أن يأتيه من الكنيسة قرر أن يعتمد على نفسه، فانفرد بنفسه يتأمّل الحقائق الثابتة من حوله التي لا تقبل الجدل والشك، فوجد أنه بحاجة ماسة إلى التزود من المعرفة، فقد كانت لديه رغبة ملحة تدفعه إلى الاطلاع والقراءة، فعكف على دراسة الأديان جميعها، بحثًا عن ديانة يجد فيها الإجابات الشافية لأسئلته.. ركز أكثر في دراساته على الدين الإسلامي الذي وجد فيه ضالته المنشودة بعد أن أحس تحت مظلته بمعاني الأمان والطمأنينة والسكينة.. الحقيقة انبهر لوثر ببساطة الإسلام كما أعجب بسمو أحكامه وسمو مبادئه، فضلًا عن تسامحه الرفيع الذي لا يوجد في دين آخر سواه، حيث يتجلّى ذلك كلّه من خلال كتابه العظيم.. القرآن الكريم.

وجد بطل قصتنا نفسه يحلّق في فلك نوراني شفيف عندما بدأ قراءة معاني القرآن الكريم وأعجب بشدة بشخصية محمد -صلى الله عليه وسلّم- حينما تعمّق بقراءة سيرته.. وهنا يقول لوثر وقد بلغ قمة التأثر:

«نعم.. إنه قرآن عظيم.. كتاب المسلمين... لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.. فأنا لن أنسى تلك الراحة التي غمرت كياني، وهزت أعطافي، وانسكبت على روحي رضًا وإيمانًا وسكينة عندما قرأت بعض آياته الكريمة.. وحينما تعمقت في قراءة سيرة النبي محمد -صلى الله عليه وسلّم- ودرستها بعناية، هالتني الجوانب الإنسانية في حياته، خاصة تلك البساطة وذلك التواضع الحبيب إلى النفوس.. والحب للخير في أجلى معانيه، وغير ذلك من المثل الكريمة التي اتصف بها عليه الصلاة والسلام».

ومن هنا وجد لوثر أسكوار نفسه مدفوعًا بقوة خارقة إلى هدى الإسلام ذلك الدين العظيم الذي لا يفرق بين أحد إلا بالتقوى التي جعلها أساس التفاضل في الميزان بين البشر.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ (13) الحجرات

ثم عاد لوثر أسكوار يتابع قوله عن الإسلام بإعجاب: لقد أعجبني في الإسلام ما تحلى به من

صفات جليلة دعا إليها القرآن الكريم:

الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (134) آل عمران

ما وجده المهندس المعماري الألماني لوثر أسكوار في كل من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة دفعاه بشدة نحو الإسلام الذي انساب نوره إلى شغاف قلبه فقرر دونما تردد أن يعتنق دين الإنسانية والخير والكمال، فنطق بالشهادتين وأطلق على نفسه اسم أحمد عبدالله الواحد فنعم الاسم لنعم الرجل..

الرجل الذي ما قبل يومًا أن يكون بلا روح.. بلا فطرة نقية..

رفض قهر فطرته السليمة التي تشتاق وتبحث عن خالقها..

ضحّى بكل غالٍ ونفيس في سبيل الحفاظ على فطرته والوصول إلى الحق..

فكان الحق أغلى وأنفس..

وأنت.. لا تركن إلى ما حولك من ضلال.. وأنقذ فطرتك الطاهرة..

هذه الفطرة لا يملكها لوثر أسكوار وحده!!

تملكها أنت أيضًا..

الفطرة هي المفتاح الذي يحرّك الله به قلوب عباده وأنت واحد منهم..

خلقك الله وفطرك على الإيمان به إلهًا واحدًا لا شريك له..

ولكنهم أطاعوا الشيطان وخدعوك..

تخلص من خداعهم.. أزل ما علق بفطرتك من أدران!!

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (27) - (103)

أم الخبائث

الإيمان.. لا يحتاج إلى أكثر من كلمة..

معنى واحد لكلمة واحدة قد يعرفه غير المسلم.. فيكون سببًا بإذن الله في دخوله الإسلام.. في النجاة..

أصحاب العقول المتفتحة.. والقلوب النقية.. والأرواح الوثابة.. يملكون حساسية مفرطة تلتقط إشارات الإيمان.. وما أكثر إشارات الإيمان في الإسلام.. وما أروع عجائب القرآن..

بطل قصتنا من أصحاب هذه الحساسية.. فمنذ بداياته الأولى مع الدراسة، عشق دراسة الأديان من جوانبها كافة: بدءًا بعقد المقارنة بينها، مرورًا بتعرف مبادئها وانتهاءً بالاطلاع على طقوسها.. عندما ولج ميدان الحياة العملية كان مترعًا بقدر كبير من الفلسفات الروحية والمادية التي تغص بها الدراسات الخاصة بالأديان فالتحق بمجال الصحافة موجهًا قلمه وجهده إلى الكتابات الاجتماعية والفلسفية.. تفرغ بعدها للتأليف، حيث صدرت له عدة مؤلفات في مجال علم النفس العلاجي.. إفراطه في التدخين أصابه بمضار صحية بالغة، ما دفعه إلى تأليف كتاب عنه كعادة مضرّة بمتعاطيها.. عقب ذلك ألّف كتابًا تحدّث فيه عن أضرار الخمر.. أصابته أم الخبائث هذه بالألم لإهلاكها الكثيرين من بني جلدته لكنها في المقابل كانت سببًا في إسلامه عندما علم بأن الإسلام يحرمها بل ويجعلها «أم الكبائر».. إنه الفيلسوف الأمريكي الدكتور آرثر كين.. ندعوكم للتعرف إلى قصة إسلامه.

وصف الإسلام للخمر بأنها «أم الكبائر» أو «أم الخبائث» لقى هوى في نفس بطل قصتنا؛ إذ وجد فيه وصفًا صادقًا لهذا المشروب الضار الذي ما ترك عقلًا ولا روحًا إلا وفتك بهما، وما غشى أسرة إلا وهدمها بل ما تفشى في مجتمع إلا وخربه.. نتيجة لهذا الوصف البليغ أعجب الدكتور آرثر كين.. بالإسلام وازداد إقبالًا على تصفح نسخة مترجمة لمعاني القرآن الكريم بدأ عبرها يتحقق في آيات كتاب الله الكريم، ويتدبر أحكامها ومعانيها.. تمنى آنذاك لو كان يعرف اللغة العربية حتى يستطيع قراءة القرآن الكريم بلغته الأم الأصلية التي أنزل بها على النبي محمد -صلى الله عليه وسلّم-.

وفي مقالة نشرتها مجلة «حضارة الإسلام» المصرية في شعبان 1383هـ الموافق يناير 1963م بعنوان «لماذا أسلمت؟» يروي الدكتور آرثر كين قصة إسلامه قائلًا:

«أخيرًا خرجت بنتيجة مهمة ووصلت إلى الحقيقة، التي ظللت أبحث عنها طويلًا، وهي أنني

سأعتنق الإسلام وأكون مسلمًا، لذا اتجهت نحو الشريعة الإسلامية أقرأ كل ما كتب عنها بالإنجليزية، فقرأت القرآن الكريم مرتين في تأنٍ وروية، وقرأت كتبًا كثيرة في الفقه الإسلامي والدراسات الإسلامية، وانتهيت في يقين إلى أن الدين الإسلامي هو دين العقل والمنطق، وهو دين الدنيا والآخرة، وهو أيضًا دين المادة والروح».

أنعم الله تعالى على الدكتور كين بفطرة سليمة ساندت عقله المتفتح في رحلة إيمانية صعبة مقصدها البحث عن الحقيقة في بلد لا يربطه بالإسلام سوى العداء المستحكم الذي يكنّه له أهله.. لم يجد كين أمامه من مفر سوى التمترس وراء عزلة اختيارية وفرت له وقتًا ثمينًا وظفه في البحث عن الحقيقة.

وبعد رحلة طويلة من البحث والتقصي في سر الوجود، استندت إلى دراساته السابقة للأديان والفلسفة وعلم النفس، وصل الدكتور كين إلى قناعة تامة مفادها أن الإسلام هو أقرب الأديان إلى الله تعالى، وإلى النفس الإنسانية، حيث وجده يختلف عن بقية الأديان في تكامل شريعته التي توازن بين الروح والمادة.. بعد حولين كاملين من التردد حسم الدكتور آرثر كين أمره واتخذ خطوته الأولى التي يرويها بنفسه قائلًا:

«في عام 1961م أعلنت إسلامي أمام الشيخ محمد داوود في مدينة نيويورك وأخذت من المركز الإسلامي في واشنطن كل ما أرغب في قراءته من كتب الفقه والشريعة الإسلامية، ولكنني أحسست أن إسلامي لن يكتمل إلا بزيارة بعض الأقطار الإسلامية والعيش فيها فترة من الزمن بين إخواني المسلمين، فاخترت القاهرة تلك المنارة الإسلامية التي يتطلع إليها أبناء الإسلام في شتى أنحاء العالم، وهكذا أتيحت لي الفرصة المأمولة فزرت الجامع الأزهر ورددت في إيمان وإخلاص، وفي صدق ويقين الركن الأول من الإسلام وهو الشهادتين».

عقب إسلامه أطلق الدكتور كين على نفسه اسم «علي عمر كين»، وأصبح يوزع وقته بين قراءة معاني القرآن الكريم مترجمة إلى اللغة الإنجليزية وتعلم اللغة العربية حتى يتمكن من قراءة أصول دينه من مصادرها الأمينة الأصلية البعيدة عن التحريف.

بعد فترة ليست بالطويلة بانت وتكشفت لبطل هذه القصة أشياء كثيرة عن الإسلام وأركان لم تدر بخلده ألبتة: عند أدائه للصلاة شعر بأن السجود وملامسة جبهة المسلم للأرض تعني تأكيد المساواة بين بني البشر، إذ إن كل الناس عبيدًا للخالق جلّ جلاله، وأن الجميع -حكامًا ومحكومين- يعفرون جباههم بالسجود على الأرض اعترافًا بهذه العبودية الحقة.. ورأى في الصوم كبحًا لشهوات نفس الإنسان وتساميًا بها عن الصغائر وتقربًا صادقًا إلى الله رب العالمين.. ووجد في الزكاة سبيلًا أمثل لتحقيق المجتمع العادل الخالي من الجوعى والمحرومين.. ففيها يجد

الفقير أن له حقًّا ربانيًّا في مال الغني، بينما يجد الأخير في ذلك فرصة لتنمية ماله وتطهيره بالزكاة فيؤدي هذه الشعيرة برضا وطمأنينة لا تحدهما حدود.

تغيرت شخصية الدكتور كين تمامًا عقب إسلامه، إذ صار أكثر روحانية وشفافية، وقد قال في ذلك: «لقد أصبح الإسلام بعد ذلك جزءًا لا يتجزأ من حياتي، أتنسم تعاليمه كل يوم، وأحس بروحانيته تسري في كياني وتسبغ عليّ هناء وسعادة، إني أحس بتحول غريب طرأ على نفسي وفكري».

شعر الدكتور كين بقدر كبير من السعادة لا تحده حدود عقب دخوله الإسلام وإن كانت تؤرق فكره رغبته الطموح في تعلم اللغة العربية في أسرع وقت ممكن حتى يتمكن من قراءة كلام الله عزّ وجلّ باللغة التي أنزل بها.. ولتعميم رغبته طلب من الدعاة العاملين في البلدان الناطقة بغير اللغة العربية ألا يقتصر عملهم على شرح مبادئ الدين والشريعة للمسلمين، وإنما ينبغي لهم فتح فصول لتعليم اللغة العربية لمن لا يعرفها منهم وتدريسها لهم حتى يتمكنوا من قراءة القرآن الكريم بلغته الأصلية.

فسبحان من جعل أم الخبائث التي أهلكت الكثيرين سببًا في إحياء نفس طال مواتها وإخراجها من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان!!

إنها رحمة الله التي غشيت الدكتور آرثر كين فأحالته إلى علي مكين..

الرحمة التي تقود الإنسان دون أن يدري إلى الإيمان بالله.. إلى السعادة والسكينة.. إلى الجنة..

يضع أمامك نقاط الضوء فتسير خلفها.. تتبع مساراتها.. تدخل في ما يحبه الله لك من دين الفطرة السليمة.. دين الأنبياء كافة.. الإسلام..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (27) - (32)

الإجابات الشافية

الفطرة.. يا لها من محفز على البحث لا يستكين حتى يصل إلى مبتغاه..

تظل مصدرًا للنور بين جنبات الإنسان..

إنها المفتاح الذي يحرّك الله به قلوب عباده..

هذه الفطرة هي ما أتعبت بطلة قصتنا حتى أوصلتها إلى الإيمان..

فمثلها مثل الكثير من النصارى أصحاب الفطرة السليمة لم تجد في عقيدتها المحرفة ما ينشده الباحثون من الطمأنينة والسكينة.. قررت الإلحاد عندما اكتشفت أنها تعتنق دينًا لا يتوافق مع منطق العقل ولا يتسق مع مسلّمات نفسها المتعطشة للحق.. ولما لم تجد راحة النفس في الإلحاد أخذت تبحث في الكثير من الأديان حتى وجدت ضالتها المنشودة في الإسلام..

إنها السيدة الإنجليزية «مافيز جولي» بطلة هذه القصة.

نشأت مافيز في بيئة مسيحية لكنها لم تكن مقتنعة بالنصرانية التي وجدت فيها معتقدات كثيرة لا يتقبلها عاقل.. ظلت منذ طفولتها غير متحمسة للمسيحية على الرغم من أن والديها ألحقاها بمدرسة تابعة للكنيسة.. بدأت رحلة البحث عن عقيدة سوية لا تتعارض تعاليمها مع منطق العقل لتؤمن بها.. اجتهدت كثيرًا في مرحلة بحثها الأولى دون أن تجد ضالتها المنشودة، فعبرت عن ذلك بصوت تعلوه نبرة اليأس: «شرعت في دراسة الأديان الرئيسية في العالم.. درست البوذية، فوجدت أنها وإن كانت تهدف إلى الخير فإنها تفتقر إلى التفاصيل، وينقصها وضوح الاتجاه.. ودرست الهندوسية، ورأت أنها أمام مئات الآلهة لا ثلاثة فقط، ولكل منها قصة وهمية مثيرة لا يمكن قبولها.. ثم قرأت اليهودية في العهد القديم، وخرجت من قراءاتها بأنه تنقصها المقومات التي ترى أنها لا بد من توافرها في الدين.. ودرست علم الروحانيات، ولكن دون جدوى أيضًا».

وفي يوم مشهود يظل عالقًا بذاكرتها أرسلت مافيز بمقال إلى إحدى الصحف المحلية كانت تنتقد فيه تأليه المسيح كما ورد في الإنجيل. وعقب نشر الصحيفة للمقال، التقط رأس الخيط شاب قارئ مسلم واتصل على الفور بكاتبة المقال، فكانت تلك نقطة البداية في دراستها للإسلام.

عقب ذلك جمعتها مع القارئ المسلم جلسات نقاش عديدة انتهت بأن أقنعها بصحة ما جاء به الإسلام، بل وصلت إلى قناعة تامة مفادها أن ما جاءت به أرقى الحكومات في أواخر القرن

العشرين من تشريعات لا يرقى لمستوى التشريعات التي جاء بها الإسلام منذ ما يزيد على أربعة عشر قرنًا.

بدأت خطوتها الأولى في طريق الهداية بقراءة القرآن.. صعب عليها استيعابه في بادئ الأمر بيد أنها وجدته يصل إلى سويداء القلب رويدًا رويدًا حتى تعلقت به بوله، بل أصبح جزءًا منها لا تقدر على مفارقته ولو للحظات.. في تلك المرحلة من حياتها كانت تتساءل باستمرار وفي بالها تأليه النصارى للسيد المسيح: «كيف يعقل أن يأتي هذا الهدي الكامل للإنسانية بطريق البشر المتصفين بالنقص في حين لم يقل المسلمون قط أن محمدًا -صلى الله عليه وسلّم- فوق البشر؟!».

لكي تكتسب المزيد من المعلومات عن الإسلام تعرفت مافيز إلى عدد من المسلمين، كما قابلت بعض السيدات الإنجليزيات اللاتي اعتنقن الإسلام واللاتي بذلن أقصى ما يستطعنه لمعاونتها ولإطلاعها على المزيد من المعلومات عن الدين الإسلامي.

بدأت تشغلها آنذاك أسئلة كثيرة.. بيد أنها كانت تجد الإجابات الشافية لكل أسئلتها في القرآن الكريم الذي وجدته كتابًا شاملًا فيه تبيان لكل شيء..

وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ (89) النحل

ومن الأسئلة الملحّة التي كانت تراودها سؤال عجيب مفاده: لماذا لا ينزل الوحي على رسول في القرن العشرين؟! ولماذا انقطعت رسالات الله إلى البشرية منذ قرون عديدة؟! وكالعادة وجدت في القرآن الكريم إجابة مقنعة لهذا السؤال مفادها أن محمدًا -صلى الله عليه وسلّم- هو خاتم الأنبياء والمرسلين، وأن رسالته صالحة لكل زمان ومكان حتى قيام الساعة..

مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا (40) الأحزاب

هنا نتوقّف قليلًا مع هذا السؤال العجيب الذي كان يراود بطلة هذه القصّة.. من بين 24 ألف نبي و313 رسولًا أرسلهم الله إلى البشرية، فإن الرسول الوحيد الذي قال إنه خاتم الرسل والأنبياء جميعًا هو مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم-! الرسول الوحيد الذي قال إن الله لن يبعث رسولًا بعده! النبي الوحيد الذي قال إنه لن يأتي نبي بعده! وفي هذا دليل قطعي لكل من له أدنى درجة من الفهم لأن يؤمن بأن مُحمَّدًا -صلى الله عليه وسلّم- هو بالفعل خاتم الرسل والأنبياء، لأنه انقضى حتى الآن أكثر من أربعة عشر قرنًا ولم يُبعث بعده رسول ولا نبي، وهذه هي أطول فترة انقطاع لرسالات الله إلى البشرية. ومعلوم أن كل رسول نبي، ولكن ليس كل نبي رسول،

وبذلك قال القرآن الكريم عن محمد -صلى الله عليه وسلّم- إنه «خاتم النبيين» فيكون بذلك خاتم الأنبياء والمرسلين معًا، لأن الرسل يتم اصطفاؤهم من بين الأنبياء.

تشير بطلة قصتنا أيضًا إلى تأثرها بالظلم الذي يتعرض له الإسلام من قبل الغربيين فيما يتعلق بإباحة الإسلام لتعدد الزوجات وتقول إنها اقتنعت بالحكمة من التعدد لأنها تتم في الحدود الضيقة المقررة، وعندما تدعو إليه ضرورات الحياة، بل يمكن له أن يكون علاجًا ناجعًا لما يجري الآن في الغرب من العلاقات السرية الكثيرة بين الجنسين..

وتدافع كذلك عن هذا التعدد بحجة أنه يحصّن النساء غير المتزوجات خاصة في فترة الحروب التي تزيد فيها أعداد النساء على أعداد الرجال.. وفي هذا الجانب تذكر أنها ما زالت تذكر ذلك البرنامج الإذاعي «سيدي العزيز» الذي سمعت فيه يومًا فتاة إنجليزية نصرانية تطالب بتشريع يبيح تعدد الزوجات حيث قالت إنها تفضل العيش كزوجة أخرى على أن تظل عانسًا.

وهكذا بدأت نفس السيدة مافيز تطمئن تدريجيًا إلى الحق الذي جاءت به تعاليم الإسلام، فطرحت كل العواطف الأخرى التي كانت تشدها شدًّا إلى الطريق المضاد، فأعلنت إيمانها واعتناقها الإسلام عن قناعة تامّة، وبعد تفكير عميق ودراسة واعية مستفيضة تواصلت لقرابة عامين وليس عن عاطفة خاطفة مؤقتة يمكن لها أن تزول في أي لحظة..

عامان من عمر الإنسان.. بل من حياته الحقيقية.. لا يساويان شيئًا..

«الآخرة هي الحيوان لو كانوا يعلمون».. الآخرة هي الحياة الحقيقية..

فكيف يبيع البعض الخلود في النعيم.. بعرض زائل في دنيا فانية؟!!..

خذ من قصة مافيز عبرة توفر بها سعيك وعناءك..

فما وصل الباحثون قبلك.. وما أكثرهم.. إلى شيء سوى الإسلام!!..

ولن تجد أنت سوى الإسلام.. دين الله الحق..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (26) - (27)

الإنجيل العتيق

ساحات الدعوة إلى الله على وجه الكرة الأرضية.. ساحات شاسعة..

المسلمون مدعوون إلى الدعوة!!..

نعم.. فمن سيدعو الناس إلى دين الله إن لم يقم المسلمون بذلك؟!!..

الدعوة إلى الله من أخص خصوصيات أمة الإسلام.. ميّزهم بها الله.. ينتظرها الناس منهم..

الأهم.. أن من مات من غير المسلمين على ضلاله فإن المسلمين هم من سيحاسبون على تقصيرهم في دعوتهم إلى الإسلام!!..

فكم من دول وقبائل ومجتمعات لا تعرف عن الإسلام شيئًا من الأساس!!.. ناهيك عن الإيمان به!!.

فأين المسلمون؟!!.. بطل قصتنا ينبهنا على ذلك..

غمرت رحمة الله تعالى بطل قصتنا فأحالته من قسيس متزمت يدعو للمسيحية ويعادي الإسلام والمسلمين إلى داعية إسلامي صادق يدعو للإسلام دون أن يعادي معتنقي الديانات الأخرى.. إنه القسيس ألم ولدقرقس سابقًا الداعية الإسلامي الآن «عبدالله إبراهيم» ندعوكم للتعرف إلى قصة إسلامه.

التناقضات الكثيرة التي ترزح تحت نيرها الديانة النصرانية دفعت بطل قصتنا إلى الشك في وظيفته كقسيس، إذ وجد أن طبيعة عمله تحتّم عليه تقديم مواعظ دينية نصرانية لم يكن هو مقتنعًا بها، الأمر الذي يجعله يعاني ضغوطًا نفسية رهيبة.. وما دفعه أكثر إلى التشكيك في المسيحية الرواية التي وردت في القرآن الكريم عن السيد المسيح -عليه السلام- مقارنة بالروايات المتناقضة للمذاهب المسيحية، فضلًا عن احترام الإسلام لهذا النبي الكريم.

ولد «ألم ولدقرقس» في إثيوبيا ولكنه يحمل الجنسية الإريترية، وكان قسيسًا في الكنيسة الكاثوليكية متعصّبًا للمسيحية، يقوم بالتنصير في عدد من الدول الأفريقية، وفي لحظة تاريخية فارقة في حياة هذا القسيس حدث له أمر مهم جدًّا جعله يتحول من النصرانية المحرّفة إلى الإسلام دين الحق.. فيا ترى ما هو هذا الحدث؟! يروي ذلك بنفسه ويقول: «وجدت نسخة قديمة من الإنجيل في الكنيسة الإثيوبية كتب فيها: «ويأتي رسول من بعدي اسمه أحمد فاتبعوه»! لاحظ عبد الله إبراهيم تناقضًا تامًّا بين تلك النسخة العتيقة من الإنجيل وما يقوله القساوسة،

وهذا ما دفعه إلى البحث في الأمر والتعمق في دراسة القرآن الكريم.

العجيب أنه وجد في القرآن الكريم النص نفسه على لسان المسيح -عليه السلام-:

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ (6) الصف

قاده بحثه في القرآن والإسلام إلى الوصول إلى قناعة تامة مفادها أنه يقف أمام دين عظيم اقتنع تمامًا بأنه آخر الرسالات السماوية وأنقاها من الشوائب والأخطاء، وأسماها في المعاني والمقاصد الدنيوية والآخروية.. كل ذلك دفعه إلى اعتناق الإسلام عن قناعة تامّة، مضحيًا بالكثير من المكاسب المادية الدنيوية الزائلة التي تمنحها له الكنيسة كقسيس، مثل السكن المؤثث، والسيارة الفاخرة، وجواز السفر الأممي، فضلًا عن الراتب الضخم.

عقب اعتناقه الإسلام تعرض الداعية عبدالله إبراهيم إلى مضايقات كثيرة من بني جنسه لم يكترث لها ألبتة، بل ظل يعيش حياة طيبة مطمئنة مملوءة بالسعادة يمارس فيها كل قواعد الشريعة الإسلامية السمحة.. وقد ازدادت سعادته عندما تزوج امرأة مسلمة.

تحدث الداعية «عبدالله إبراهيم» عن العديد من الميزات الفريدة التي يتمتع بها الإسلام والتي جعلت منه دينًا متفردًا يختلف عن النصرانية المحرّفة والأديان الأخرى، ومن بين هذه الميزات دعوته للمساواة بين بني البشر، حيث جعل ميزة التفاضل تقتصر فقط على التقوى، كما أشار إلى عظمة القرآن الكريم الذي حفظه الله تعالى من التحريف.

اهتم الداعية عبدالله إبراهيم كثيرًا بالدعوة الإسلامية حيث أسلم على يديه أكثر من أربعين نصرانيًّا، وقد وظف في ذلك خبرته بالدين المسيحي وهو يتوقع دخول المزيد من النصارى إلى الإسلام.. من ناحية ثانية دعا عبدالله إبراهيم المسلمين إلى ضرورة اهتمامهم بإخوانهم الجدد والوقوف معهم ومساندتهم حتى يصبحوا محصنين وقادرين على حماية أنفسهم من الدعاية المضادة التي يستخدمها أعداء الإسلام أملًا في إرجاعهم عن دينهم الكريم إلى ضلالهم القديم.

ويصرح الداعية عبدالله إبراهيم بأنه متفائل بمستقبل الإسلام في أفريقيا حيث يقول في ذلك: «إن مستقبل الإسلام في القارة السوداء بخير، برغم النقص الواضح في الدعاة وعدم دعم بعض الحكومات الإسلامية لهذه الدعوة، فالإسلام بخير برغم الفرق الواضح في الجهود المبذولة في تنصير المسلمين، وما يبذل من مال من أجل ذلك، غير أن الداخلين إلى الإسلام هم الأكثر.. وبرغم استغلال منظمات التنصير للمجاعة الشائعة في أفريقيا فإن الإسلام يزداد انتشارًا.. ومن

هنا فنحن نريد ونطمع من جميع المسلمين في أنحاء العالم أن يتكاتفوا متعاونين في دعم دعوة الإسلام وتبليغها لغيرهم ممن لا يدينون بها، خصوصًا أن انتشار الإسلام أفضل وأسرع إذا وجد الدعاة المخلصين».

ونختتم هذه القصة بنصيحة ذهبية تستند إلى خبرة قسيس سابق وجهها للدعاة الذين يعملون على نشر الإسلام في أوساط المجتمعات النصرانية حيث يرى أن المناظرات بين علماء الدين الإسلامي والقساوسة تمثل أداة قوية يمكن لها أن تخدم الإسلام بصورة فاعلة، خاصة إذا كان المناظر المسلم ملمًّا بكل من الدين الإسلامي وعقيدة المسيحيين، فضلًا عن كونه يتمتع بمهارات تجعل منه شخصية جذابة ومقنعة تمتلك المقدرة على إظهار صلاح الإسلام وفساد العقائد الأخرى..

بذلك ينتشر الإسلام في أفريقيا ويدخل الناس في دين الله أفواجًا..

ونسهم في إنقاذ الناس من النيران.. وفوزهم بروضات الجِنان..

ففي الناس خير وفطرة طاهرة علاها الغبار ولا تحتاج إلى أكثر ممن ينفضه!!..

أدعوك إلى نفضه من فوق صفحة قلبك الطاهر..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (1) - (59)

التثليث العجيب

ما درس أحد الإسلام من منابعه الأصيلة إلا ووجد فيه السعادة الحقيقية التي يبحث عنها..

وقتها.. لا يملك غير المسلم إلا أن يعتنقه عن قناعة تامة..

حتى من يُصنفون ضمن أعداء الإسلام من الساسة أو رجال الدين أو رجال الفكر أو رجال الاقتصاد..

الكل يستسلم على أعتاب الإيمان.. لو تعرف إلى الإسلام الصحيح.. دون تشويه..

وقتها.. يكون لإسلامهم دوي هائل في نفوس أفراد مجتمعهم!!..

ولنأخذ على سبيل المثال رجال الاقتصاد..

أصحاب رؤوس الأموال..

من لا يدينون إلا لمصالحهم.. وأرباحهم الدنيوية..

فأهل الاقتصاد في الدول الغربية يُعتبرون من أقوى جماعات الضغط التي تحرك رجال السياسة وبالتالي تهدد الإسلام وتقف حائط صد أمام زحفه الحضاري..

إذا كان الأمر كذلك تخيل كيف يكون وقع خبر اعتناق أحد أشهر رجال الاقتصاد في نفوس من يستخدمون الاقتصاد وأهله لمحاربة الإسلام؟!!

في هذه المرّة نتناول قصة إسلام العالم الاقتصادي «كريستوفر شامونت».. ومن أهم الأسباب التي كانت تقف وراء إسلامه شكوكه في مسائل كثيرة تزخر بها النصرانية من بينها مسألة «التثليث» التي كانت تؤرق مضجعه منذ طفولته ولم يجد لها تفسيرًا مقنعًا إلا في القرآن الكريم فقرر اعتناق الإسلام باعتباره دينًا قيمًا حنيفًا يخاطب العقل والتفكير المنطقي قبل القلب والميول العاطفية.

يقول بطل قصتنا إنه لم يكن مقتنعًا بعملية «التثليث» على الرغم من تعصّبه الذي عرف به للنصرانية دين آبائه وأجداده.. وعندما أرهقته وساوس الشك والحيرة بدأ يبحث عن أصل مسألة «التثليث» في القرآن الكريم لعله يجد الإجابة الشافية.

وبالفعل بدأ كريستوفر يقرأ القرآن الكريم بعمق، وقد ساعدته قراءته على فهم ماهية الإسلام وعظمته، كما مكّنته من التوصل إلى قدرته الفائقة على إقناع عقل الإنسان عبر الخطاب

العلمي الموضوعي.. عثر كريستوفر على ما كان يبحث عنه بشأن عملية «التثليث» حينما وجد أن القرآن الكريم يتحدث عن أن هناك إلهًا واحدًا فقط هو الذي يستحق العبادة والطاعة، هذا فضلًا عن وصفه للسيد المسيح بأنه رسول الله، وأنه بشر ممن خلق..

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (171) النساء

إن أعجب ما في الديانة النصرانية المحرّفة ألوهية المسيح والثالوث الأقدس! عقيدة التثليث المستمدّة من أفكار الوثنيّين الرُّومان، وباعتراف الكنيسة نفسها، عقيدة لا تُفهَم بالعقل البشري مهما بلغ من العبقرية والذكاء! فالآب والابن والروح القدس ذاتٌ واحدةٌ، ثم هم ثلاث ذَوات في آن واحد! لا تسأل كيف، ولا تشغل بالك بفهمها؛ لأنها ليست للفهم! وخارجة عن حدود عقلك المحدود! برغم أن من اخترعها بشر مثلك! فقط عليك إلغاء عقلك والإيمان بها كما هي من دون أي نقاش!

إن لفظ «ثالوث» لم يرد على لسان المسيح -عليه السلام- ولا مرّة واحدة في أي كتاب من كتب النصارى! فكيف يهمل المسيح -عليه السلام- هذا الثالوث الأقدس وهو بهذه الأهمية لدى النصارى؟! كل ذلك يؤكد أن الثالوث أو التثليث من الخرافات التي أقحمتها الكنيسة في الديانة النصرانية بعد قرون من المسيح -عليه السلام-. وبذلك كان هذا الثالوث العجيب سببًا في إسلام العديد من النصارى، فكل من فكّر في حقيقة هذا الثالوث بصدق وتجرّد قاده تفكيره إلى هجر النصرانية والبحث عن عقيدة أخرى!

وللحصول على المزيد من فهم الإسلام واستيعابه بدأ «كريستوفر شامونت» يقرأ معاني القرآن الكريم المترجمة إلى اللغة الإنجليزية.. لقد وجد صعوبة كبيرة في بادئ الأمر في الفهم بيد أنه استطاع إدراك بعض الآيات ذات المعاني الواضحة.

إلى جانب معاني القرآن المترجمة بدأ كريستوفر يطلع على بعض الكتب التي تتحدث عن الإسلام وهي كتب مترجمة أيضًا إلى الإنجليزية كان قد حصل عليها خلال فترة عمله بالمملكة العربية السعودية تلك الفترة الخصبة من حياته التي اختلط فيها بمسلمين ينتمون إلى جنسيات مختلفة دارت بينه وبينهم مناقشات ثرية أسهمت كثيرًا في إثراء معرفته بالإسلام، أما قراءته للقرآن المترجم التي سبق ذكرها فقد أكدت له البون الشاسع بين الإسلام والنصرانية في الخطاب المباشر بين الله سبحانه وتعالى وعباده عبر رسله المكرمين، وهنا يقول كريستوفر شامونت:

«كل ما قرأته في القرآن الكريم كان يعلق بذهني طوال الوقت.. فالله سبحانه وتعالى يخاطب عباده مباشرة دون أي وساطة، عكس الكتاب المقدس، فالكلام فيه دائمًا على لسان الرسل».

ويشير كريستوفر إلى أنه قرأ ست سور من القرآن الكريم بدأها بسورة البقرة وظل يعيد قراءة تلك السور لعدة مرّات حرصًا منه على فهمها بعمق، لأنها تشمل مفهوم الإسلام.. وهي قراءات استوعب عبرها مدى عظمة الله سبحانه وتعالى ومدى الرحمة المطلقة التي لا يملكها غيره عزّ وجلّ.. فهو يغفر لعباده كل ذنوبهم طالما لجأوا إليه مباشرة طالبين التوبة والمغفرة، دونما حاجة إلى وسيط من البشر أو من الرسل.

ويذكر كريستوفر شامونت أنه فهم عظمة الخالق من خلال التدبر والتأمل في آياته الكونية المنظورة التي تعتبر من أجلِّ النعم بل نصح غيره من المسلمين بالمحافظة على تلك النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم إذا قال: «من مبادئ الإسلام العظيمة دعوة الإنسان إلى عدم الإيذاء أو الإضرار بأحد ولو كان جمادًا».

ويشير «كريستوفر شامونت» إلى حقيقة مهمة مفادها أن التمسك بتعاليم الإسلام يعني تطور المسلمين وبلوغهم أقصى درجات التقدم والرقي بدليل أن المسلمين الأوائل كانوا أول من سلك طريق الحضارة والتقدم العلمي بشقيه الطبيعي والاجتماعي.. بل صنعوا عولمة فريدة من نوعها لا تعتمد على إقصاء الحضارات الأخرى بقدر ما تعتمد على أخذ الصالح من تلك الحضارات وهضمه من منطلق أن الحكمة ضالة المؤمن.

بعد قناعات راسخة تلت دراسة عميقة للإسلام اعتنق البروفيسور «كريستوفر شامونت» الإسلام وأطلق على نفسه اسم «أحمد» تيمنًا باسم رسول الإسلام -صلى الله عليه وسلّم-، الذي ورد اسمه في القرآن الكريم على لسان السيد المسيح (**وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ**) الصف: 6.

ثم بلور البروفيسور «أحمد شامونت» نظرته للإسلام فقال: «إن الإسلام هو الدين الذي يخاطب عقل الإنسان... ويضع يده على بداية الطريق ليحقق السعادة في الدنيا والآخرة... هذه حقيقة، فلقد وجدت في الإسلام، ما كنت أبحث عنه... وأي مشكلة يواجهها الإنسان يجد حلها في القرآن الكريم».

واختتم البروفيسور «أحمد شامونت» حديثه بأنه يتمنى من كل قلبه أن يتعلم اللغة العربية، حتى يستطيع أن يقرأ القرآن الكريم بسهولة ويسر وحتى يستوعب معانيه بصورة أعمق، ويصبح قادرًا على تحقيق التواصل الحميم مع إخوته من المسلمين.. وفي المقابل يعبّر عن أمله في أن تتوافر في العالم كتب وصحف دينية تتحدث عن الإسلام باللغة الإنجليزية بعيدًا عن

كتابات المستشرقين المغرضة..

وهكذا ربح الاقتصاد العالمي عالمًا اهتدى إلى الحقيقة المطلقة..

وربح العالم الإسلامي اقتصاديًّا حقق الشهرة بعلمه فأدخله الله تعالى الإسلام بفضله..

هكذا.. ربح أحمد شامونت نفسه..

وهذا هو الأهم بالنسبة إليه..

فمن عرف الله.. ربح نفسه.. فاز بخير الدنيا والآخرة..

بمفهوم الاقتصاد والربح الأخروي الأبدي..

لا الربح الدنيوي لأهل الاقتصاد المادي!!..

اسألوا الله الربح الحقيقي..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (6) - (26) - (101)

الحاخام اليهودي

حاخام يهودي يؤم المسلمين!!.. جملة تصلح لكي تكون عنوانًا لأحد أفلام الخيال العلمي حيث يبتكر العلماء -داخل قصة الفيلم- مستحضرًا سحريًّا يغيِّر كيميائية ذلك الحاخام اليهودي فيتقدم المصلين المسلمين في طرفة عين!!

لو أنتج فيلم مثل هذا وعرض قبل بضع سنوات على أكثر الناس سذاجة لما اقتنعوا به ..

الآن وبعد إسلام بطل قصتنا هذه فالأمر يختلف تمامًا!

في مدينة مرغلان التاريخية بجمهورية أوزبكستان عاش بطل قصتنا إبراهيم بن إسماعيل بولات.. ولو أن أحدًا في هذه المدينة حدّث آخر قبل بضع سنوات بأن بولات يعتزم دخول الإسلام، لسخر منه، لأن هذا الرجل كان أحد أبرز حاخامات يهود المدينة، وأحد المتعمقين في دراسة الديانة اليهودية، وأحد مدرسي شباب اليهود الذين تعلّموا منه أسس ديانتهم اليهودية وطقوسها، ولكنها إرادة الله التي شاءت أن تنقذ روح هذا الرجل، وتهديه إلى طريق الحق عبر رحلة إيمانية طويلة.

كغيرها من مدن جمهورية أوزبكستان، قدّر لمرغلان أن ترزح تحت وطأة الحكم الشيوعي الذي أدخلها برغم أنفها وأنف أهلها في عام 1917م ضمن منظومة ما كان يعرف باتحاد الجمهوريات السوفيتية الذي تأسس نتيجة للانقلاب الشيوعي على حكم القياصرة.

لقد ذاق المسلمون الويل والثبور تحت حكم القياصرة، بحكم تعصب هؤلاء الأخيرين للنصرانية، وبسبب عدائهم السافر للإسلام والناتج من تنافسهم السابق مع الخلافة العثمانية على زعامة البلقان.. بيد أن ما ذاقه أهل هذه الدولة الإسلامية على أيدي الشيوعيين يجعل من حياتهم السابقة في ظل الحكم القيصري نزهة لطيفة تدخل البهجة والفرح في القلوب.. فالنظام الشيوعي حوّل الإسلام في الجمهوريات التابعة للاتحاد السوفيتي إلى ديانة تمارس في السر؛ إذ حرم المسلمين من الحصول على الحد الأدنى من الحقوق التي يمكن أن يتمتع بها أي مواطن في أي دولة.. بل هدم هذا النظام معظم المساجد، ومنع الجهر بالأذان بدعوى أن «الدين أفيون الشعوب».. والأمر المحزن أن تطبيق هذا المبدأ اقتصر فقط على المسلمين، بينما أتاح لغيرهم من أصحاب الديانات الأخرى هامشًا كبيرًا من الحرية.

ووسط هذا الجو المكفهر الذي كبّل حرية المسلمين، عاش إبراهيم بولات، حيث أتيحت له

-كيهودي- حرية كبيرة لم يتح عشرها لأي مسلم.. ما جعله يتوصل إلى خطأ المقولة التي تزعم أن الشيوعيين نكّلوا باليهود، إذ إن الشيوعية هي ربيبة للصهيونية.

أعجب إبراهيم بمعاصريه من المسلمين الذين حافظوا على عقيدتهم وممارسة طقوس دينهم سرًّا دون أن يهابوا الموت، ودون أن تشوش على هويتهم الأسماء السوفيتية التي أجبروا على التسمّي بها.

إن المجتمع الذي عاش وسطه إبراهيم بولات أتاح له فرصة التعرف إلى المسلمين عن قرب، وبالتالي لاحظ الاختلاف الجوهري في الأخلاق بين اليهودي والمسلم، الأمر الذي جعله يبدأ رحلته مع الإيمان في مرحلة باكرة من عمره.. وبالتحديد منذ أن كان في الثالثة عشرة من عمره.. ففي تلك السن الغضة، كان غير قادر على استيعاب الكثير من تعاليم الديانة اليهودية التي تم تلقينها له من قبل أسرته وحاخامات اليهود.. ومن ضمن ما لقن له منذ نعومة أظفاره مقولة إن اليهود هم «شعب الله المختار» وما عداهم من البشر خلقوا فقط لخدمة اليهود.. شواهد مرئية كثيرة أقنعته بعدم صحة هذه المقولة.

لقد لاحظ بولات من جهة أن بني جلدته من اليهود يكذبون بقدر ما يتنفسون الهواء ويستحلون مال بعضهم بعضًا ومال غيرهم ويتعاملون بالربا الذي نهت عنه التوراة، ويعتبرون استغلالهم لغير بني جنسهم عبادة دينية.. بينما من جهة أخرى لاحظ أن المسلمين لا يستحلون مال أحد، ولا ينظرون إلى غيرهم من أصحاب الديانات الأخرى نظرة احتقار، كما لاحظ أن بينهم مودّة ورحمة لم يجدها عند غيرهم.. كل هذا جعله يحترم المسلمين ويحبّهم ويكره اليهود ويحتقرهم.

من أهم الأسباب التي جعلت بولات يشكك في صحة العقيدة اليهودية وسلامتها، النظرة الاستعلائية التي اعتاد اليهود أن ينظروا بها إلى غيرهم من البشر، وتقوقعهم الاجتماعي على بعضهم بعضًا.. فضلًا عما كان يسمعه من أصدقائه من المسلمين في حديثهم عن تحريف التوراة، وعن حقيقة أن الكتاب المقدس الحالي كتاب محرّف زوّره الأحبار الذين ساءهم خروج النبوة من بيت يعقوب -عليه السلام- إلى بني عمّه من أولاد إسماعيل بن إبراهيم -عليهما السلام-.

عندما لاحظت أسرة بولات أن ابنها بدأ يشكك في عقيدة آبائه قررت إلحاقه بدراسات يهودية حتى يصير حاخامًا.. لكن غلبت إرادة الله تعالى على إرادتهم وانقلب السحر على الساحر؛ إذ إن دراسة إبراهيم بولات المتعمقة في شؤون العقيدة اليهودية جعلته يعمل عقله وبالتالي يدحض الكثير من خرافات بني إسرائيل الذين حرّفوا العقيدة اليهودية وحادوا بها عن طريقها المستقيم الذي كانت عليه، ومالوا بها مع الهوى، فهم يدّعون التوحيد، وفي الوقت نفسه يزعمون أن العزيز ابن الله، ويدّعون عبادة الله، وفي الوقت نفسه يصفونه بأوصاف لا تليق به -تعالى الله عما

يقولون علوًّا كبيرًا-.

ولكن برغم شكوكه الكثيرة ظل بولات متمسكًا باليهودية، فتزوج من يهودية، وأنجب منها أولادًا.. ساعده استقرار حياته عقب زواجه على التركيز في دراساته.. وبعد دراسات متعمقة انتهى إلى نتيجة واضحة مفادها أن اليهودية بصورتها المحرفة بعيدة كل البعد عن أن تحقق له استقرارًا نفسيًّا أو تقدم له إجابات منطقية عن الأسئلة العقدية الملحاحة التي كانت تزلزل كيانه.. مرّ بذاكرته شريط من الصور لأصدقائه من المسلمين الذين كانوا يتمتعون بالطمأنينة والسكينة على الرغم من عيشهم في ظل ظروف قاسية من القهر والاضطهاد والتنكيل التي كان يسومهم بها الشيوعيون في ظل حكمهم المريع.. تمنى لحظتها من كل قلبه لو كان واحدًا من أولئك المسلمين حتى يتمتع مثلهم بحياة السكينة والاطمئنان والاستقرار النفسي والروحي.. بيد أن حرصه على متاع الدنيا وخوفه من غضب طائفته وأسرته كانا سببين جعلاه غير قادر على نبذ العقيدة اليهودية واعتناق العقيدة الإسلامية على الرغم من كرهه للأولى وحبه للثانية.

أمام صراع نفسي مرير عاشه بولات متنازعًا بين العقيدتين، قرر أن يعقد موازنة بينهما، ثم يستفتي قلبه، لينتهي إلى اعتناق أصلحهما، وأقربهما إلى القلب والعقل، انتهت الموازنة بعد دراسات طويلة للشريعتين الإسلامية واليهودية، إلى قراره الحاسم باعتناق الإسلام، بعدما وجد فيه ما يلبّي حاجته الروحية، ويجيب عن جميع التساؤلات التي تدور في عقله، كما وجد فيه صورة واضحة لا لبس فيها ولا غموض لخالق الوجود، وتنزيهه عن الشبه بغيره، والإقرار بوحدانيته وربوبيته، فضلًا عمّا وجده في الإسلام من إقرار بالرسالات السماوية التي سبقته واحترامه للأنبياء السابقين كافة.. وأيضًا مما دفعه لاعتناق الإسلام ما وجده فيه من أن التقوى هي أساس المفاضلة بين البشر، هذا إلى جانب العديد من القيم والمعاني النبيلة السامية التي انفردت بها الشريعة الإسلامية عن غيرها من الشرائع باعتبارها خاتمة الرسالات، وهاله أن يكتشف أن الإسلام هو عقيدة آبائه منذ أقدم العصور، ودمعت عيناه عندما قرأ قول الله تعالى: (**مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**) آل عمران: 67.

قرّر بولات أن يحدد بشجاعة وثقة مصيره بين دنيا فانية، وآخرة باقية، فاختار الآخرة، وأعلن إسلامه، برغم علمه التام ما ينتظره من بطش الحزب الشيوعي ربيب اليهود، ومن سخط أهله وجيرانه وأصدقائه الذين يكرهون الإسلام ويكنّون له العداوة والبغضاء.. عقب إعلان إسلامه دعا إبراهيم معارفه وأصدقاءه وزملاءه إلى وليمة أقامها بمناسبة اعتناقه الإسلام آملًا أن يجعل الله منها سببًا في هدايتهم.

لم يكتف بولات بإشهار إسلامه، وإنما تحول هذا الحاخام اليهودي السابق الذي تمرّس في الدعوة وأساليبها إلى داعية إسلامي يعمل على هداية الناس إلى دين الحق، فبدأ بعشيرته

الأقربين، فهدى الله على يديه زوجته وأبناءه ووالده الذي اعتنق الإسلام قبل أن ينتقل إلى الرفيق الأعلى بشهرين فقط.

هجر الحاخام اليهودي السابق إبراهيم بولات عمله في مصنع النسيج وتفرغ للدعوة الإسلامية، حيث التحق بمسجد مرغلان الذي عمل فيه مؤذنًا، وإمامًا، ومحفظًا للقرآن الكريم.. وقد كان يعطي أولوية في برنامجه الدعوي للنشء إلى جانب اهتمامه بدعوة أصدقائه ومعارفه من اليهود موظفًا في ذلك علمه المتعمّق بأسرار العقيدة اليهودية، آملًا في إنقاذ أرواحهم وهدايتها إلى طريق الحق..

الطريق الوحيد المؤدي إلى الله.. المؤدي إلى الجنة..

الطريق الذي يكفل للإنسان راحة البال وسكينة الروح..

سالكو هذا الطريق لم يجدوه سالكًا ممهدًا..

بل اجتهدوا وثابروا وتحملوا.. فكانت الجائزة..

وما أعظمها من جائزة..

لذا ابدأوا الخطوة الأولى فقط.. ليس عليكم أكثر من ذلك..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (64)

سؤال مباغت

تخيّل أن يكون سؤال.. مجرد سؤال.. طريقًا للهداية!!

هل أدركت مدى قدرة الله.. كيف يصرف الأمور؟!!

كيف يسبب الأسباب؟!!

تأتي النتائج من مقدمات غير متوقعة.. فنثق بأنها ما تحققت إلا بقدرة الله وحده..

إنها لحظة الشروق.. حينما يسري النور إلى قلب الإنسان دون أن يدري..

لحظة تلخص العمر والمآل..

هذه اللحظة.. مرت بها بطلة قصتنا.. إنها عارضة أزياء شهيرة تعاملت مع العديد من دور الأزياء العالمية، وأجرت معها وسائل الإعلام العالمية العديد من الحوارات، بيد أن سؤالًا صحفيًّا واحدًا من صحفية مسلمة كان السبب في انزوائها عن بهرجة الأضواء السطحية لتغوص في عالم الأضواء العميقة باعتناقها الإسلام.. فمن هي عارضة الأزياء هذه؟ ومن هي الصحفية؟ وما هو السؤال السحري الخطير الذي سألته الثانية للأولى فشكّل نقطة فارقة في حياة الأولى بينما أكسب الثانية أجرًا عظيمًا يجل على الوصف؟ لمعرفة الإجابة عن كل هذه التساؤلات ندعوكم لقراءة هذه القصة.

مكان أحداث قصتنا هذه المرة هو مسرح عروض الأزياء، أما بطلتها فهي عارضة الأزياء اليونانية ماكلين سيكاروس.. التي تعدّ من عارضات الأزياء الشهيرات اللائي تعاملن مع العديد من دور الأزياء العالمية.

بدأت نقطة التحول في حياة العارضة ماكلين سيكاروس بسؤال يتكون من كلمات محدودة بسيطة المبنى عميقة المعنى سألته لها صحفية جزائرية في إطار حوار صحفي وكان السؤال كما يلي:

لمَ لا تفكرين في عروض الأزياء الإسلامية؟

تقول ماكلين وهي تتحدث عن هذه الواقعة: «لم أكن أتوقع مثل هذا السؤال، ولم أكن أعرف شيئًا عن الإسلام ولا علم لي بأزيائه.. طلبت من الصحفية الجزائرية -وأنا أتحرّق شوقًا- أن تعرّفني إلى الإسلام.. كانت سعادة الصحفية الجزائرية لا توصف، وهي تحدثني عن الإسلام وعن رسول الله محمد -صلى الله عليه وسلّم- فضلًا عن حديثها لي عن وضع المرأة في الإسلام،

وعن الأزياء التي يجب أن ترتديها حتى تحميها من عيون الفضوليين؛ فاكتشفت من خلال حديثها أن الإسلام كنز كبير، كما توصلت إلى حقيقة أنني كنت غائبة عن الوعي طوال سني عمري التي سبقت تعرفي إلى هذا الدين العظيم».

واسترسلت ماكلين سيكاروس في حديثها تقول في إعجاب يزينه وشاح من الرضا عن النفس:

«الحقيقة نهلت من هذا الكنز الثمين بحب لم أتذوق طعمه من قبل، وببساطة ويسر لم أجدهما في تعاليم دين غيره.. إنه دين عظيم يتسم بالبساطة والوضوح في مختلف مناحي الحياة، ليرسم الطريق المستقيم للإنسان في هذا العالم».

أردفت ماكلين سيكاروس وقد اغرورقت عيناها بالدموع: «بحق لقد بكيت كثيرًا، وأنا أنهل من فيض الحب الإلهي غير المحدود ومن معين المسيرة القرآنية الكريمة التي لا تعرف الانقطاع.. لقد ندمت أشد الندم على سنوات عمري الفائتة التي مرت عليّ دون أن أتعرّف إلى هذا الكنز الإلهي الوضيء».

واسترسلت ماكلين سيكاروس في حديثها بعد لحظات قلائل من الصمت: «شعرت بالاطمئنان الشديد حينما أخبرني علماء الإسلام الأفاضل أن الإسلام بتعاليمه السمحة يجُبُّ ما قبله.. نعم، لكم بكيت وأنا أنطق بالشهادتين، ولكم بكى معي قلبي الذي نفض عنه هموم سنوات سابقات ندمت عليها أشد الندم.. نعم شهدت أن الله واحد لا شريك له، لم يلد ولم يولد، وأنه سبحانه وتعالى خالق السماوات والأرض».

وأردفت ماكلين سيكاروس وهي تتحدث بنبرات تنضح سعادة: «تيمنًا باسم السيدة خديجة أم المؤمنين -رضي الله عنها- أولى زوجات رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- غيرت اسمي إلى خديجة.. درست العلوم الإسلامية وتعلمت اللغة العربية حتى أكون مؤهلة للتمتع بالقرآن الكريم هذا الكنز الإلهي الفخيم، وحتى أكون قادرة على قراءته بنفس لغته التي نزل بها على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلّم-».

وتقول خديجة اليونانية المسلمة في لهجة فخر: «تزوجت مسلمًا تونسيًّا، وأنجبت منه ثلاثة من الأبناء.. نحن كأسرة نعيش سعداء في ظل الإسلام العظيم.. بحق إنها حياة سعيدة يحفها الاستقرار كنت أفتقدها فيما مضى، وما أخالني كنت سأشعر بها لولا اعتناقي للإسلام هذا الدين العظيم.. أبنائي بحمد الله يأخذون من كلينا -أنا وأبيهم- كل ما هو طيب وكل ما يلزمهم لكي يعيشوا حياة إسلامية كريمة طيبة لا يشوبها ما يعكّر صفو حياتهم في حاضرهم أو مستقبلهم».

وفي خاتمة حديثها تقول خديجة: «لا بدّ من أن ينتشر الإسلام في مختلف ربوع العالم لأن

الناس عطشى وفي أمسّ الحاجة إلى برّ آمن يحميهم من أمواج الإلحاد والمادية، والتردي المريع في قاع الرذيلة.. أتمنى من كل قلبي أن يكتب الله سبحانه وتعالى للإسلام انتشارًا غير عادي، حتى يعرف الناس في مختلف أنحاء العالم أن رسالة الإسلام موجهة لهم جميعًا بمختلف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم».

وكما ابتدرنا قصتنا بعدد من الأسئلة نختتمها بأسئلة أخرى..

هل كانت النجمة ماكلين سيكاروس عارضة الأزياء الشهيرة تحلم، ولو مجرد حلم، أن تنقلب حياتها رأسًا على عقب وأن تستبدل باسمها المعروف اسم نجمة حقيقية هي السيدة الأولى، السيدة خديجة -رضي الله عنها-؟!

هل كانت تمنّي النفس بالحصول على سعادة حقيقية افتقدتها في حياتها قبل إسلامها على الرغم مما كانت تعيش فيه من رغد العيش وترفه، جنبًا إلى جنب مع ثلاثية الشهرة والمجد والثراء؟!

إنها نعمة من الله تعالى وهبها لخديجة بطلة قصتنا هذه.. نعمة الهداية..

فمتى تحين لحظة هدايتك أنت؟!!

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (29)

الفروق الثلاثة

أسرع المجتمعات التي ينتشر فيها الإسلام برغم الهجوم عليه.. المجتمع الغربي..

الأسباب التي تقف وراء إسلام الغربيين تتباين من إنسان لآخر.. من دولة لأخرى..

تتفق في أمر جوهري واحد..

الإسلام هو الدين الوحيد الذي فيه سعادة البشرية وفيه حل لكل مشكلاتها..

فعدد كبير من الشباب الغربي ضائع يعيش حياة لا قيمة لها..

بل هي أشبه بحياة البهائم أو أسوأ!!

قليل منهم من ينتبه إلى واقعه ويبدأ البحث عن الطريق الحق..

نشأ بطل هذه القصة وترعرع في بيئة نصرانية، لكنه كان على موعد مع لطف الله تعالى الذي أيقظ فكره ودفعه إلى التفكير في حقيقة اعتقاده فهيأ له الأسباب التي غيّرت حياته واستنقذه بها من العذاب الأبدي، فهداه إلى الإسلام بعد رحلة من البحث ليست بالقصيرة.

في هذه القصة يحدثنا الأوروبي يعقوب ريموند عن الأسباب الحقيقية التي دفعته لترك النصرانية دين آبائه وأجداده واعتناق الإسلام.

وجد يعقوب ريموند ثلاثة فروق جذرية وجوهرية بين النصرانية والإسلام جعلته يوقن تمامًا بأن الإسلام هو الدين الحق الذي يجب أن يعتنقه كل من ينشد السعادة الحقيقية.. فيما يلي الفروق الجوهرية بين الإسلام والنصرانية التي توصل لها بطل هذه القصة فكانت سببًا في اعتناقه الإسلام:

يتمثل الفارق الأول في أن النصرانية التي تقر وتعترف بالأنبياء كافة قبلها ترفع عيسى إلى مرتبة الألوهية، مع إنكارها التام لنبوة محمد -صلى الله عليه وسلّم-.. في المقابل يؤمن سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلّم- بجميع الأنبياء والرسل السابقين له، ويؤكد أن رسالة الإسلام التي أنزلت إليه هي الرسالة السماوية الوحيدة التي لا تزال وسوف تظل حتى قيام الساعة محفوظة من أي تحريف أو تغيير، بعكس الديانات السماوية الأخرى التي طالها التحريف والتشويه من قبل مضلين استخدموها لمصالحهم الشخصية.

ويتمثل الفارق الثاني في مناداة النصرانية بالنظرية التي تزعم أن عيسى إله وأنه ابن الله في الوقت ذاته!! بالطبع هذا أمر يستعصي على الفهم فضلًا عن أنه يناقض التعاليم التي نادى بها موسى وإبراهيم -عليهما السلام- إذ علم كلاهما الناس أن يعبدوا إلهًا واحدًا لا شريك له.. كما أن زعم هذه النظرية يجعل منها نظرية مجحفة تقيم الفوارق بين الأنبياء وتقسمهم إلى بشر وآلهة! وهذا لا يستقيم مع ديانة سماوية نقية.

أما الفارق الثالث فيتمثل في أن النصرانية تنصِّب الكنيسة وتجعل منها وسيطًا بين الناس وربهم وخالقهم.. أي إن بإمكان الناس ارتكاب ما تشتهيه أنفسهم من المعاصي والآثام دون خوف من العقاب لأن الكنيسة سوف تعفو عنهم بكل بساطة وتضمن لهم الخلاص والنجاة.. في المقابل يبيّن الدين الإسلامي أن الله تعالى وحده لا شريك له هو الذي يغفر الذنوب، وهو وحده يقضي يوم القيامة في الأعمال التي اكتسبها الناس في حياتهم الدنيا دون تدخّل من أي أحد.

من جهة ثانية انتقد يعقوب ريموند النصرانية ووصفها بأنها دين يفتقر إلى الاستقرار والثبات لأن تعاليمها تظل عرضة للتعديلات المستمرة بحسب ما تقتضيه العادات المتغيرة والأمزجة المتقلبة، وهنا يشير إلى مجلس الفاتيكان الثاني كآخر الأمثلة لهذه التعديلات، فالنصرانية دين تتطور عقيدته وتتبدّل عبر العصور، ما بين كل تطور وتبديل مئات السنين!

الملاحظ أن الديانة النصرانية تقدم عادات البشر وتقاليدهم وتضعها في منزلة أسمى من إرادة الله تعالى على عكس الدين الإسلامي الذي يجعل من كلمة الله العظمى هي الأسمى.

بالإضافة إلى ما سبق هناك أسباب أخرى دفعت بطل قصتنا إلى التخلي عن النصرانية.. من هذه الأسباب القيم الإنسانية التي لاحظ تحطم أبسطها في المجتمعات الغربية نتيجة لانتشار أساليب الحياة المادية البحتة.. الجشع والسباق المادي المحموم الذي نتجت منه شريعة الغاب حيث البقاء للأقوى وحيث انعدم تمامًا الإحساس بالأخوة، إذ انحصر اهتمام الناس في الأقطار الأوروبية والأمريكية في الحصول على المزيد من وسائل الراحة المادية عبر المنهج الميكافيللي الذي تبرر فيه الغاية الوسيلة فأصبح الخواء الروحي هو المهيمن على نفوس الجميع.. في المقابل وجد بطل قصتنا في الإسلام كل معاني الأخوة الإنسانية ما جعله يدعو الله من كل قلبه أن يصبح الإسلام هو الدين الوحيد في أرجاء العالم كافة حتى تنعم البشرية كلها بنعمة الأخوة الصادقة وليس ذلك على الله ببعيد.

أسباب عديدة دفعت كثيرًا من النصارى إلى ترك ديانة آبائهم وأجدادهم، ومن بينهم الأوروبي يعقوب ريموند..

وتبقى عظمة الإسلام هي المعين الطيب الذي يشرب منه كل من أنار الله بصيرته وهداه إلى

اعتناق الحنيفية السمحة..

إنها الإسلام.. دين الأنبياء جميعًا..

من لدن آدم -عليه السلام- إلى خاتم الأنبياء محمد -عليه الصلاة والسلام-..

فمن يرتضي دينًا غير دين الأنبياء جميعًا؟!!

الدين الذي لن يقبل الله منا غيره.. إن ابتغينا غيره..

ولمَ نبتغِ غير الإسلام دينًا وفيه كل الخير؟!

ألم يشهد المنصفون من علماء الأديان الأخرى بتحريفها؟!

فلمَ نؤمن الآن بدين محرف لم ينزل هكذا على أنبياء الله؟!

أندين لله بما لم يوحِ به؟!!

وحده الإسلام الذي حفظه الله كما نزل على محمد -صلى الله عليه وسلّم-..

لذا.. اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (9) - (11)

الخديعة الجهنميّة

حقًّا.. «**وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا**»!

يظن الإنسان أن الترف والملذات الدنيوية الشهوانية هي الخير والنعمة والمتعة والسعادة!!

إنها جهنم التي يتعجّل الإنسان دخولها!

يلهث وراءها.. يصل إليها.. يتمسك بها.. ينغمس فيها..

فإذا هي سراب.. هي جهنم.. في الدنيا والآخرة..

أيها السادة.. إنه الإيمان بالله.. وحده طريق السعادة..

ليس هذا كلامي.. إنه الواقع والعبرة المستفادة من تجارب من ملكوا هذا السراب!!

أتريدون مثالًا على ذلك؟!.. تفضلوا الآن..

بطل قصتنا.. ترك هوليوود.. جنة عبدة المادة في الأرض حيث تتربع المتعة المادية بكل أنواعها من شهرة ومال وخمر وليال حمراء ماجنة مع الجنس الآخر، فركل كل ذلك وراءه واعتنق الإسلام حيث الطمأنينة والسكينة والسلام..

وبين الحياتين توصل إلى نتيجة خطيرة مفادها ما يلي:

في حياته الأولى بينما كان ينظر إليه المجتمع كرجل مميز بلغ من النجاح قمته كان يشعر بنفسه محطمًا يترنح في أسفل درجات الفشل؛ في حياته الثانية، أي عقب إسلامه، كان ينظر إليه المجتمع كرجل فاشل حطم مستقبله بيديه، بينما كان ينظر هو إلى نفسه كرجل متفرّد بلغ أقصى غايات النجاح!

إنه فيدور إيفان جفرنور Fedor Eitan اسمه السابق أو «فارض رحمة الله» اسمه الجديد.. ندعوكم للتعرف إلى مسيرته وقصة إسلامه.

ولد فيدور بمدينة كاراكاس بفنزويلا.. نشأ منذ صغره مسيحيًّا كاثوليكيًّا بحكم ديانة أسرته ومجتمعه.. درس في المدارس الكاثوليكية بولاية نيويورك، وعندما تركت انطباعًا سيئًا في نفسه حول النصرانية تحول إلى دراسة البوذية والهندوكية، وبعض الديانات الوثنية.. أما الإسلام فلم يتعرّف إليه إلا عبر الطرح الظالم من قبل أعدائه..

في أمريكا من السهل على المرء الاطلاع على جميع الأديان باستثناء الإسلام لأنهم يخافون منه! ظاهرة الخوف من الإسلام ليست ظاهرة حديثة، بل ظاهرة قديمة، وتتجدد هذه الظاهرة بتجدد الأحوال والأزمات.

إن الإسلام لا يطالب أحدًا أن يكون عبدًا لغير الله فلماذا يخافون منه؟ والإسلام يساوي الناس في الحقوق والواجبات، فلماذا يبغضونه؟!

والإسلام أمّن الناس على دمائهم وأموالهم وأعراضهم وأديانهم وأنفسهم، فلماذا يكرهونه؟! لأن الإسلام هو دين الفطرة المكتمل الذي يحمل عوامل انتشاره وتمدده، وبذلك فهو أسرع الأديان انتشارًا في العالم، خاصة في الدول الغربية.

عندما وصل فيدور إلى مرحلة دراسته الجامعية هجر أسرته بفنزويلا وذهب إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث درس في أحد معاهدها العليا، ثم غادرها إلى العاصمة الإيطالية روما حيث درس في أكاديمية الفنون الجميلة.. عقب تخرجه عاد فيدور مرة أخرى إلى الولايات المتحدة حيث التحق بجامعة كولومبيا قسم فن الإعلام الجماهيري. شعبة الإنتاج السينمائي.

عقب تخرّجه وجد نفسه يمتلك تخصصًا مرغوبًا فيه في سوق العمل الأمريكي فامتهن مهنة مرتفعة الدخل عمل عبرها في نيويورك، وهوليوود، وكاليفورنيا، وشيكاغو.. حيث عاش حياة السينما بكل ما تحويه من امتيازات وملذات.. وهنا يقول فيدور في مرارة: «الغريب أن كل فرد في العالم حين ينظر إلى الأفلام الأمريكية يتمنى أن يعيش الحياة الأمريكية بعد أن يدور بأذهانهم هذا المستوى الذي يرونه في أفلامهم!! ولكنني برغم ذلك كلّه اكتشفت أن ما أعيش فيه إنما هو حلم.. بل حلم فارغ.. أو حلم خطير.. فقد كنت أحلم بالنجاح في الحياة، ولكنني بعد أن حصلت على هذا المتاع الدنيوي لم أجده شيئًا.. ولم أحصل على السعادة الحقيقية، بل وجدت أنني كنت في خدعة كبرى، ولم أجد أمامي طريقًا آخر، فانغمست مرة أخرى في الشهوات، حتى وصلت إلى مرحلة أحسست أنني أعيش من خلالها في جهنم نفسها.. هذه جهنم التي يتمنى كل شخص أن يدخلها!! السيارات الفارهة، والنساء، والخمر، وكل ما تمتلكه أمريكا من هذه الشهوات والرغبات المادية».

صمت فيدور للحظات قلائل ثم أردف قائلًا: «ولم يعد أمامي غير احتمالين.. إما أن أستمر في هذه الخديعة الجهنمية، وكان ذلك مستحيلًا بعد أن زاد شقائي، وإما أن أهرب منها إلى طريق آخر.. ولكن ما هو الطريق؟ لا أعرف.. وخلال هذه المعاناة كان لا بدّ لي من قوة عليا تخرجني من تلك الحيرة. ومن ذلك اليأس، فنظرت إلى الدين».

بحث فيدور في كل الأديان علّه يجد فيها ما يخرجه من أزمته الروحية المستفحلة.. عندما

وصل إلى طريق مسدود هدته فطرته السليمة إلى أن يتوجه بالدعاء إلى الله تعالى حتى يهديه إلى الطريق القويم.. واستطرد مرة أخرى ليقول: «عندما كنت صغيرًا اعتدت الذهاب إلى الكنيسة لأعترف للقسيس ببعض الخطايا، لكني أحسست وقتئذ أن هذا أمر غير طبيعي، واتجهت إلى الله مباشرة، قائلاً له: إنك لا تحتاج إلى قسيس يقف بيني وبينك، لأعترف لك بذنوبي.. وبعد ذلك كنت كلما أردت أن أتوجه إلى الله، توجهت إليه مباشرة دون واسطة قسيس».

فطرته السليمة التي دفعته إلى أن يتوجه بالدعاء إلى الله تعالى، دفعته أيضًا إلى اتخاذ هيئة السجود التي يمارسها المسلمون في صلاتهم.. نداء داخلي هداه إلى أن في هذه الهيئة تسليم مطلق لله خالق الوجود والسبب في كل موجود.. كان فيدور يتجه إلى الله بهذه الصورة كلما شعر بالحيرة وكلما حاصرته الوساوس والشكوك.. عندما رآه بعض الناس على هذه الهيئة أخبروه بأنه يفعل ذات ما يفعله المسلمون في صلاتهم.. هذه المعلومة الأخيرة أيقظت انتباهه وجعلته يقرأ الكثير من الكتب التي تتحدث عن الإسلام بعين فاحصة ونفس باحثة متعطشة إلى الحق عساه يجد فيه ضالته المنشودة.. ومن تلك الكتب التي اطلع عليها كتاب بعنوان «الإسلام تحت المجهر» للأستاذ حمودة عبد العاطي. ثم قرأ ترجمة لمعاني القرآن الكريم..

لقد وجد في الإسلام بساطة محببة وعمقًا كاملًا ودقة متناهية، كما وجد في القرآن الكريم صورة مطابقة لفطرته التي دفعته فيما سبق إلى التوجه إلى الله خالق الكون.

ويتابع فيدور حديثه فيقول: «زادت قراءاتي للقرآن، وتشبّعت به، وشعرت بالسعادة لأنني وجدت فيه تلبية لكل حاجاتي الروحية... فالواقع أنني شعرت أنه كلما قرأت عن الإسلام ازددت يقينًا بهذا الدين، واكتشفت العديد من جواهر هذا الكنز الذي كان مختفيًا عن نفسي... ويكفيني أنه في الوقت الذي اعتبرني فيه المجتمع ناجحًا غاية النجاح، كنت أشعر بيني وبين نفسي بأنني محطم فاشل.. أما بعد أن اعتنقت الإسلام، فإن المجتمع أصبح ينظر إليّ نظرته إلى الرجل الفاشل، في الوقت الذي أعتبر نفسي فيه بلغت غاية من أقصى غايات النجاح».

وما أن اعتنق بطل قصتنا الإسلام وغير اسمه إلى «فارض رحمة الله» حتى تذكر ذلك الماضي الأسود البغيض حيث كان يذهب وهو صغير إلى الكنيسة ليعترف للقسيس ببعض الخطايا.. كان يشعر وقتذاك بأن ما يفعله أمر غير طبيعي.. لكنه كان آنذاك بلا حول ولا قوة عكس حاله عقب إسلامه حيث الحول والقوة بيد الله تعالى وحيث يستطيع أن يتوجه إلى الله تعالى مباشرة ودونما وسيط.

ولم تسع الفرحة فارض رحمة الله حينما اعتنقت والدته الإسلام فوجّه نصيحة لكل المسلمين يرجوهم فيها أن يتمسكوا بالدين الحق وأن يشيحوا بأبصارهم ونفوسهم عن الحياة المادية

الزائلة ويفكروا في النعيم المقيم..

أن يقوموا بواجبهم تجاه غير المسلمين..

نعم فالإسلام مسؤولية!

وغير المسلمين أمانة في أعناق المسلمين!!

وأنت.. أنت أمانة في عنق نفسك!!

فأسلم لله.. ولا تسلم نفسك للشيطان!!

فتهوى بها في نار جهنم.. جهنم الدنيا قبل جهنم الآخرة!!

أسلم وذق حلاوة الإسلام.. حلاوة الإيمان.. حلاوة الجنة..

الجنة الحقيقية.. وليس جنة هوليوود الزائفة!!

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (6) - (26)

الفريد الغاني

أفريقيا.. القارة البكر..

الأرض الخصبة.. حتى في الأرواح..

برغم انتشار النشاط التنصيري في أفريقيا.. فإن فطرة الأفارقة النقية تطوق دائمًا إلى الإسلام..

طالما استقبلوا الدعاة المسلمين بكل الترحاب..

هم أسرع المدعوين إلى الإسلام إيمانًا به ودخولًا فيه..

قلوب تستقبل الإسلام وكأنها مسلمة طوال عمرها..

وإن لم يدعهم المسلمون إلى الإيمان فإن فطرتهم تبحث عنه بكل إخلاص وشغف..

بطل قصتنا ممن بحث عن الإسلام حتى هداه الله..

بطلنا غاني الجنسية.. نصراني العقيدة.. ضلالي الهوى..

إعماله لعقله ومن قبل ذلك رحمة الله تعالى كانا السبب في اعتناقه الإسلام.. إنه ألفريد كوبيناوا الذي أطلق على نفسه اسم عبدالله كوبيناوا عقب إسلامه.

رأى ألفريد كوبيناوا في الدروس الدينية المسيحية قمة الضلالة خاصة عندما سمع في تلك الدروس الزعم الباطل الذي يقول إن عيسى ابن مريم هو الله، وأن السيدة مريم هي أم الله، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.. هذه الأباطيل التي أرّقت مضجعه حاول أن يعترض عليها فوجد أمامه خطوطًا حمراء ملتهبة من يتعداها يتهم بالزندقة ويتلقى أشد صنوف العذاب.. وعندما صرح برأيه في تلك الأباطيل أخبروه بأنها أسرار يعلمها فقط رجال الدين وأن على عامة الناس الإيمان بها بلا مناقشة.. خرج من قاعة الدرس مسرعًا، وعاهد نفسه على الوصول إلى الحقيقة ولو كلفه ذلك حياته.

توسل إلى الله تعالى أن يهديه إلى الطريق القويم وأن يرشده إلى معرفة الحق بعد أن أضناه التفكير في الوصول إلى ضالته المنشودة عبر إعماله لعقله. استجاب الله عزّ وجلّ دعاءه وأخرجه سبحانه وتعالى من ظلمة الشك إلى نور اليقين.. شعر لأول مرة في حياته بالطمأنينة والسكينة تغمران قلبه وبالسعادة الغامرة تملأ جوانحه حينما نطق بالشهادتين على يد الحاج شعيب شيخ الإسلام في غانا.. بدأ يعتز بكونه أصبح مسلمًا.

رحلة طويلة قطعها بطل قصتنا وهو ينتقل من ظلمات الشك إلى نور اليقين يرويها لنا بصوت متهدج: «ولدت نصرانيًّا مؤمنًا بديني كل الإيمان، وكنت دائم الذهاب إلى الكنيسة منذ أو وعيت، فضلًا عن إيماني بالله وحبي له وتفاني في ذاته، ومناجاتي إياه دائمًا في السرّ والعلن، فقد كنت أبغي الهدى وأنشد الراحة من هذه الخرافات الكاذبة، لأنني أحسست في قرارة نفسي أنني غير مطمئن لبعض هذه الأراجيف التي يلقنها لنا رجال الدين المسيحي».

يضيف عبدالله كوبيناوا بأنه كان يعيش في تلك الفترة صراعًا نفسيًّا قاسيًا ويعاني فراغًا روحيًّا رهيبًا زلزل كيانه، فضلًا عن هاتف كان ينطلق من داخله معترضًا ميوله الجديدة ويدعوه بألا يثور على دين آبائه وأجداده.

ضاقت به الدنيا حينما وجد نفسه متجاذبًا بين عاملين متناقضين يشده كل منهما في اتجاه مغاير.. قرر الفرار.. بيد أنه لم يجد مكانًا يفر إليه سوى الكنيسة آملًا أن يجد فيها ما يريح قلبه.. وبالفعل ذهب إلى الكنيسة كعادته.. نظر إلى تمثال المسيح مصلوبًا، واستمع إلى أحد رجال الدين يشير إليه قائلًا: «هذا هو الله، خالق الكون وأمه السيدة مريم هي أم الله»!.

لم يتمالك ألفريد كوبيناوا نفسه فصاح معترضًا بأعلى صوته على ذلك فاتهم بالكفر والزندقة.. نعم لم تتح له أقل مساحة للمناقشة بل تم تهديده بالحرمان من الجنة ونعيمها.. حينها لم يجد أمامه سوى الفرار من الكنيسة وهو يردد في نفسه: «كيف يكون السيد المسيح هو الله، مع أنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا؟ وكيف يكون الله بشرًا مثلنا؟ ومن الذي خلقه هو إذن؟».

منذ ذلك اليوم هجر الكنيسة وتحاشى التعامل مع رجالها.. وفي ليلة لا تنسى ظل يقرأ ويفكر حتى شعر بأن عقله على وشك الانفجار فقام مسرعًا واتجه إلى الله تعالى وتوسل إليه أن يهديه إلى طريق الحق والخير.

وفي يوم لن ينساه طوال حياته كان ألفريد كوبيناوا يسير في أحد شوارع غانا فانتبه إلى وجود جمع كبير من الناس يستمعون إلى أحد الخطباء.. ذهب إليهم وتوقف يستمع إلى حديث الخطيب.. وجده يحثهم على تعاليم فاضلة كالنظافة والوضوء والإخاء والتسامح وحب الخير والخضوع لله وحده.. انبهر بهذه المبادئ السامية وتاقت نفسه لها وشعر بأنها البلسم الذي سوف يشفيه من الفراغ النفسي الذي ضعضع حياته ويخلّصه من الخواء الروحي الذي كان يكتم أنفاسه.. لم يتمالك روحه فتلى الشهادتين، ثم أعلن إسلامه على يد الحاج شعيب شيخ الإسلام في غانا.

في البدء عارض أهله إسلامه، لكنه استطاع إقناعهم بدينه الجديد فرحبوا به خاصة عندما رأوا منه الاستقامة واجتناب المنكر والامتناع عن شرب الخمر، بل تجاوز أهله وأقنع أكثر من خمسين من أبناء غانا وهداهم إلى الإسلام، الأمر الذي فتح شهيته للتفقه في العلوم الإسلامية

حتى يصبح داعية مؤهلًا، فشد الرحال إلى الأزهر الشريف.

ويختتم الأخ عبدالله كوبيناوا حديثه بقوله: «وأول شيء سأفعله بعد تخرجي هو الدعوة إلى الإسلام في بلدنا ومحاربة المنصرين والعمل على نشر هذا الدين السمح، فقد عاهدت نفسي على أن أكرس وقتي ومالي لرفع راية الإسلام، ومن فضل الله عليّ أن ترك لي والدي مزرعة فأرجو أن يعينني الله على تحقيق هذه الأمنية الغالية».

وهكذا.. قدر الله دائماً أن يهدي إليه المخلصين في البحث عنه..

داعية يدعو أناسًا.. فيؤمن شخص آخر!!

يتجمعون للاستماع إلى كلام الله.. فيمر ألفريد.. فيشعر بالشعور الفريد.. شعور الإيمان..

يخلص في البحث عن الحق..

ثم يخلص في خدمة الحق والدعوة إليه!!

وأنت.. لا تستسلم للضلال.. ابحث عن نفسك بالحق!

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (9)

القوة الباهرة

يقع إنسان العصر الحديث تحت طائلة السلطة الرابعة.. الإعلام..

هذه السلطة ترسم صورة نمطية للأشخاص والدول والأديان والحضارات والثقافات..

تنطبع الصورة في عقول الجميع وقلوبهم.. إلا من رحم ربي..

وبناءً على الصورة تنطلق الأفعال.. وردود الأفعال.. يتم رسم الخطط وبناء العلاقات.. على جميع المستويات في العالم.. والإسلام.. ضمن هذه المستويات..

صورته في الإعلام الغربي لا تمتّ للحقيقة بأي صلة..

لكنه الإعلام.. سلطة.. يفرض الصورة.. ينشرها.. يتأثر الإنسان الغربي بها..

بطلة قصتنا من ضمن من تأثر بهذه الصورة.. ولدت كاثوليكية متشدّدة.. لم تكن تعرف عن الدين الإسلامي سوى حجاب المرأة وتعدد الزوجات فقط.. زيارة للجزائر جعلتها تعرف الكثير عن الإسلام الأمر الذي أقنعها بدواعي حجاب المرأة وتعدد الزوجات.. عادت إلى فرنسا وكأنها ولدت من جديد فاعتنقت الإسلام.. من هي وما هي تفاصيل قصة إسلامها؟! هذا ما سنعرفه من خلال حديث السيدة فاتحة الفرنسية عن نفسها وعن رحلتها المثيرة من غياهب الظلمات إلى عالم النور:

ولدت وترعرعت في كنف عائلة كاثوليكية، وكنت من أنصار حركة مساواة المرأة، وبالتالي كنت أتبنى موقفًا سلبيًّا متشدّدًا ضد الإسلام، لأنني لم أكن أعرف عنه -كحال الكثير من الغربيات- غير حجاب المرأة وتعدد الزوجات فقط.

لقاء قصير مع شخص في أحد بلدان العالم الثالث وعام من المراسلة ثم رحلة إلى الجزائر- كأول بلد مسلم أزوره- كلها سلسلة من حلقات تمثل طوق النجاة الذي غيّر مسار حياتي.

من خلال زيارتي للجزائر تعرفت إلى الكثير عن الإسلام، كما أدهشني الشباب الجزائريون بمعرفتهم الواسعة عن دينهم.. ناقشتهم كثيرًا وفي عدة جلسات.. انبهرت بتلاوتهم وبحفظهم عن ظهر قلب سورًا كاملة من القرآن الكريم، كما أعجبت بحقيقة أنهم يؤيدون حججهم بأحاديث نبوية.. بحق شعرت حيال معرفتهم الواسعة بمدى جهلي في هذا المجال.

من الأمور التي لاحظتها كذلك حقيقة أن الإسلام كدين لم يكن يختلف كثيرًا عن الدين الذي

كنت قد تربيت عليه، إذ وجدت أن القرآن الكريم يتحدث عن نفس الأنبياء، هذا فضلًا عن التشابه الذي لمسته في المبادئ الأخلاقية بين الدينين الإسلامي والمسيحي الكاثوليكي.. لقد توصلت إلى قناعة تامة مفادها أن رسالة محمد -صلى الله عليه وسلّم- لا تخالف ألبتة رسالة من سبقوه من الأنبياء.. وحينها تساءلت: لماذا نتوقف -كمسيحيين- عند النبي عيسى المسيح -عليه السلام- بينما الكتاب المقدس نفسه يبشرنا بمجيء نبي آخر بعده؟

من جهة ثانية تجلّت أمامي حكمة الإسلام العميقة البالغة في كثير من الممارسات عندما تعرفت إلى أسباب هذه الممارسات وأهدافها وحدودها، والتي من بينهما ارتداء المرأة للحجاب، وتعدد الزوجات اللذان كانا يمثلان سلاحي الفتاك الذي كنت أستخدمه لمهاجمة الإسلام.. أما أكثر ما غمرني بالدهشة في الإسلام فهي تلك القوة الباهرة في داخل المسلم، فهو يعيش في أمن وسلام داخليين لأنه يفوض أمره كلّه إلى الله وفي كل شؤون حياته.

عدت إلى فرنسا بعد بضعة أيام قضيتها في الجزائر، وقد وضعت كلًّا من سرِّي الدفين وزادي الثمين في صدري.. نعم أحببت الإسلام في شغف بينما تزودت بسورة الفاتحة وسورتين قصيرتين سجلت تلاوتهما فضلًا عن بضع ملاحظات حول طريقة أداء الصلاة دونتها في مفكرتي.. فقد عزمت على أن أؤدي شعيرة الصلاة فور وصولي إلى فرنسا بهدف أن أبدأ بخطوة حسنة في حياتي الجديدة.

وتختتم فاتحة حديثها بقولها: من المؤكد أن ولادتي الجديدة تلك كانت تمثل تحدّيًا أمام عزيمتي لأنها تتطلب منِّي الكثير من العمل، إذ كنت أحتاج إلى تعلم الكثير فضلًا عن إعادة تعلم الأكثر بيد أن الله تعالى الذي أعانني كثيرًا، فهو بعد أن أنعم على بنعمة الإسلام وهبني زوجًا صالحًا ومنحني أخوات مسلمات كثيرات رافقنني في طريق حياتي الجديدة، كما منّ عليّ بأن أصبح القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما دليلا عملي في الحياة مثلي في ذلك مثل كل مسلمة.

فأي مسلم ومسلمة يسكن القرآن قلبيهما.. يهتديان بهديه..

هو دليل حياتهما السعيدة.. إلى آخرتهما السعيدة بإذن الله..

ولا تكتمل سعادة المسلم إلا بشعوره أن الإسلام ينتشر ليسعد البشرية..

لا تكتمل سعادتنا إلا بسعادتك.. فأسلم تسعد.. في الدنيا والآخرة..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (10)

تصحيح الصورة

بساطة الإسلام..

وخلوه من الأسرار التي يجب على معتنقه الإيمان بها دونما مناقشة..

سماحته وعدم تفريقه بين بني البشر إلا بالتقوى..

تعاليمه التي جعلت للفقير حقًّا في مال الغني..

وسطيته بين الإفراط والتفريط..

كلها أمور باهرة جعلت بطل هذه القصة يترك النصرانية ويعتنق الإسلام..

إنه الأديب والشاعر الأمريكي المعروف دونالد ركويل.

ولد دونالد في مدينة تيلورفيل بالولايات المتحدة الأمريكية.. تأثر في بداية حياته بأبويه النصرانيين، وبالتالي لم يخطر بباله لحظة أنه سيترك ديانتهما ليعتنق ديانة أخرى هي الإسلام، خاصة وقد أخبره القساوسة بأنها ديانة وثنية يعتنقها متخلفون يقيمون في الشرق وينكرون عبادة التثليث التي هي أساس العقيدة النصرانية.

لم يكن دونالد يلقي كثير بال للفكرة الدينية ولا يهتم بالأمور الروحية أو الغيبية، لأن الحياة المادية التي يعيشها أفراد مجتمعه جعلت همّه الوحيد يقتصر على ملذاته اليومية، كما أن اهتمامه بالأدب صرفه عن التفكير فيما سواه، إذ كان يطمح إلى أن يكون أحد أساطينه الذين يشار إليهم بالبنان.. شجعه على ذلك حصوله على العديد من الجوائز الأدبية خلال فترة دراسته.. وبالفعل تحقق له طموحه عقب انتهائه من دراسته الجامعية إذ أصبح أحد أعلام الشعر والأدب المرموقين في الغرب.

وإن شغل حب الأدب دونالد عن التفكير في الجوانب الدينية، فقد أسهم الحب ذاته في دفعه إلى أن يتعرّف إلى الإسلام ومن ثم إنارة بصيرته وتوجيهها إلى طريق الحق المستقيم. فطبيعة الأدب الإنسانية التي تتطلب من الأديب الإلمام بالثقافات والحضارات المختلفة جعلت دونالد يحرص على الإلمام بثقافات الشعوب عمومًا وبثقافات أهل الشرق على وجه الخصوص إذ شدته إلى الشرق الأساطير التي تصف حياة أهله بالسحر والغموض، بل تخيل دونالد كالكثير من الغربيين أن كتاب «ألف ليلة وليلة» هو تسجيل تاريخي لقصص واقعية دارت أحداثها في الشرق، وليس

مجرد قصص من نسج الخيال.

انجذاب دونالد ناحية الشرق دفعه إلى قراءة بعض الكتب المترجمة التي تتحدث عن الإسلام، بينما جعلته قراءة تلك الترجمات ينجذب ناحية الديانة الإسلامية.. وهذا ما تحدث عنه كويل في العدد الثامن للسنة الرابعة من مجلة «حضارة الإسلام» الذي صدر عام 1964م حيث قال: «لقد جذبتني إلى الإسلام عوامل كثيرة ودواعٍ مختلفة لا يمكنني حصرها أو الوقوف عليها جميعًا، لأن منها الظاهر الجلي الذي لا يماري فيه إنسان، ومنها الباطن الخفي الذي يغوص في أعماق الروح، ويكمن في خبايا الضمير، لقد قرأت عن الإسلام وقرأت عن القرآن الكريم وشيئًا من سيرة النبي الكريم سيدنا محمد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلّم- فاسترعت انتباهي أشياء كثيرة».

قراءات ركويل عن الإسلام جذبته بشدة نحو هذه العقيدة التي تتسم بروح البساطة والخلو من التعقيد والألغاز والطقوس المبهمة مثل تلك التي كانت تفرضها عليه ديانته النصرانية دون أن تمنحه أدنى الحق في المناقشة، فضلًا عن أن الإسلام علمه حقيقة أن الله أقرب إليه من حبل الوريد مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ**﴾ البقرة: 186.

من جهة ثانية شدت دونالد ركويل إلى الإسلام تلك السماحة العظيمة التي لم يجدها في النصرانية كما بهرته مساواته بين كل بني البشر، إذ إن الجميع في الإسلام متساوون أمام الله تعالى مهما اختلفوا في حظوظهم الدنيوية، حيث لا فضل لأحد منهم على الآخر إلا بالتقوى.

وأكثر من هذا وجد بطل قصتنا في تعاليم الإسلام ما غمر روحه بحب هذا الدين حيث جعل للفقير حقًّا في مال الغني يؤديه إليه عبر دفعه للزكاة التي تعد الركن الثالث في الإسلام، كما وجد ركويل في الإسلام وسطية مثالية ترفض المغالاة في كل شيء حيث لا تفريط ولا إفراط، فهو لا يحرم المسلم من متاع الدنيا حيث لا رهبانية في الإسلام، وفي المقابل لا يبيح له أن يغرق كليًّا في وحل المتع الدنيوية الزائلة فينشغل عن أخراه مصداقًا لقوله تعالى: ﴿**وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا**﴾ القصص: 77.

عندما وصل دونالد ركويل إلى هذه النقطة شعرت نفسه بالطمأنينة وتيقنت تمامًا بأنها وجدت أخيرًا ما كانت تنشده، فسارع إلى إشهار إسلامه، وتسمى باسم محمد عبدالله، تيمنًا برسول الله -صلى الله عليه وسلّم- خاتم النبيين وأعظم شخصية في تاريخ البشر.

وما أن دخل محمد عبدالله الإسلام حتى بدأ يعمل في حماسة على التبصير بحقيقة الإسلام، ووظف في ذلك ما حباه به الله تعالى من إيمان قوي وموهبة أدبية مميزة فأصبح داعية إسلاميًّا من طراز فريد جعله الله سببًا في هداية العديدين إلى طريق الحق المستقيم.

وفق الله تعالى الشاعر الأمريكي والداعية الإسلامي محمد عبدالله في أن يزيل الصورة المشوهة عن الإسلام التي غرسها القساوسة والمستشرقون في عقول الغربيين مستخدمًا في ذلك سلوكه القويم وعلمه الواسع وأدبه الجم، حيث قدّم للغربيين صورة مثلى لما يجب أن يكون عليه المسلم، فأفلح في تصحيح الكثير من أفكارهم المغلوطة عن الإسلام وجعلهم يدركون مدى عظمته.

فليت كل مسلم يوظف مواهبه وما حباه الله به من قدرات في نشر الصورة الصحيحة للإسلام..

لا يحتاج الإسلام إلى تجميل.. هو الأجمل بلا شك..

نحتاج فقط إلى إزالة التشويه.. إظهار حقيقته.. صورته الأصلية..

ولا يحتاج الإسلام ذلك لخير للإسلام.. بل خير للمدعوين إليه..

كيف يسعى لخير له وهو كل الخير؟!!

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (32) - (95)

سرادق العزاء

من يحمل في صغره همّ ديانة واحدة لا يقتنع بها يحمل همًّا ثقيلًا..

فكيف بمن يحمل هم ديانتين لا يقتنع بأي منهما؟!

تثيران في نفسه الغضة من المخاوف والشكوك والآلام أكثر مما يتحمله طفل صغير..

إلا أن فطرته السليمة.. روحه الطاهرة تطيران به إلى سماء الإيمان.. إلى نور الإسلام.. نور الله خالقه..

بطل قصتنا كان متنازعًا بين ديانتين لم يقتنع بأي منهما: اليهودية ديانة آبائه وأجداده التي يتعصب لها أفراد أسرته والمسيحية الديانة المقررة التي يدرس تعاليمها بالمدرسة.. ظل تائهًا وسط غابة شائكة من علامات الاستفهام التي تحيط بها الحيرة حتى وجد ضالته المنشودة في الإسلام.. الدين الحنيف الذي وجد فيه إجابات شافية عن أسئلة محيرة ملحة كانت تقضّ مضجعه.. إنه الجندي اليهودي رافع شريف الذي اعتنق دينا قويمًا يمقته بنو جلدته من اليهود.

رافع شريف جندي يهودي عمل في الجيش الأمريكي عقب بلوغه سن الرشد وإن بدأ رحلته مع الإيمان منذ أن كان صبيًّا يافعًا لم يتجاوز العاشرة من عمره.. ظل رافع يلاحظ وجود تناقض محيّر بين ما يدرسه في المدرسة الأمريكية الكاثوليكية وما كان يتعلمه من والديه اليهوديين في المنزل.. جعله هذا التناقض يعيش بين مطرقة المدرسة وسندان والديه.. إن توقف عن مذاكرة دروسه عنّفه والداه وإن بدأ الدراسة بصوت مسموع إنهالا عليه بالضرب، وعنّفاه لترديده ما يسيء إلى الديانة اليهودية؟! وفي هذا الجانب يقول:

«نشأت موزّعًا بين الديانتين اليهودية التي تدين بها أسرتي، والمسيحية الكاثوليكية التي كنت أتلقاها في المدرسة، وأجد معظم أصدقائي يدينون بها.. وفي الواقع أنني منذ طفولتي الباكرة وأنا أذكر أن مكانة المسيح التي يعطيها له المسيحيون وموقعه في الدين كانا يثيران في ذهني التشويش والاختلاط، ففي المدرسة كان المسيح إلهًا معبودًا، وكنت أجد زملائي يؤمنون بذلك حقيقة، فإذا ما ذكرت تلك الحقيقة في البيت كان جزائي الضرب من والدي الذي كان يحرص على الفكر الديني». النصارى يعتبرون يسوع إلهًا يعبدونه من دون الله، واليهود يعتبرونه ابن زنا مجهول النسب -العياذ بالله-!

وبذلك كان رافع شريف يجد نفسه تائهًا في هذه الفجوة السحيقة بين ما تؤمن به الأسرة وتعاليم المدرسة، ما حفزه على البحث عن حقيقة الأديان ودراسة الفروق بينها.

عندما تجاوز مرحلة الطفولة وبلغ السابعة عشرة من عمره، بدأ يحب القراءة بصورة عامة ويستمتع بالقراءة في مجال الأديان المقارنة على وجه الخصوص.. ساعدته قراءاته على استيعاب الكثير عن ديانات العالم ومعتقداته حتى وقعت يداه مرّة على نسخة مترجمة من معاني القرآن الكريم فبدأ يقرؤها.. وما أن فرغ من قراءة تلك النسخة التي أدهشه مضمونها حتى وجد أن الكتاب الذي بين يديه يحمل إجابات باهرة عن كل الأسئلة الحائرة التي كانت تعشعش في ذهنه منذ نعومة أظفاره.. وأكثر ما شده تجاه القرآن الكريم اشتماله على منهج متفرد للحياة وأسلوب مدهش لعقيدة مقنعة تجمع بين الدنيا والآخرة، وهو عين ما كان يبحث عنه ويشعر بحاجته إليه.

ومن الأمور العجيبة التي أثارت انتباهه وأراحت نفسه كثيرًا، مكانة السيد «المسيح» في القرآن الكريم، حيث ورد فيه باعتباره رسولًا كريمًا، ولكنه لا يمتلك صفة الألوهية مثله في ذلك مثل موسى ونوح وإبراهيم وغيرهم من بني البشر.. هذه النقطة الأخيرة أجابت له عن سؤال ظل يطرحه على نفسه منذ طفولته: «من هو عيسى؟».

وعلى الرغم من أنه وجد في الإسلام كل ما كان يبحث عنه فإنه لم يسارع إلى اعتناقه إذ شعر بأن الأمر يحتاج إلى المزيد من البحث وهو ما عبّر عنه بقوله: «لقد استغرقت بعض الوقت في الدراسة والاهتمام بالإسلام، وبدأت أتعرّف إلى جماعة من المسلمين وألتقيهم لأعرف أكثر وأكثر عن الإسلام، إلى أن استقر رأيي على الدخول في الإسلام».

ومن بين العوامل التي شجعته على اعتناق الإسلام إعجابه بالمسلمين الذين تعرّف إليهم، إذ وجدهم يطبّقون تعاليم الإسلام كما ينبغي العمل والتحلي بها.. فتذكر حينها زملاءه وأصدقاءه القدامى الذين كانوا يرتكبون الحماقات والذنوب في العطلات الأسبوعية، ويعلنون توبتهم واعترافهم في الكنيسة، ثم يعودون إلى الممارسات نفسها في عطلة الأسبوع التالية.. فكان يشعر بأن ذلك نفاق وخداع في تعامل الإنسان مع ربه.

أخيرًا وعن قناعة تامة اعتنق «رافع شريف» الإسلام وظل يحرص على التزام تعاليمه.. صدم أهله كثيرًا باعتناقه الإسلام فظلوا يصرخون في وجهه ويبكون حتى صبيحة اليوم التالي ويعبرون عن خيبة أملهم في إسلام ابنهم اليهودي الشاب الذي يعمل جنديًّا في الجيش الأمريكي.. قاطعوه جميعًا استجابة لمعتقداتهم التي تقضي بقطيعة من يترك الديانة اليهودية، بل اعتبروه ميّتًا وأقاموا له سرادق العزاء، وعلى الرغم من كل ذلك فقد ظل رافع مرفوع الهامة كمسلم عزيز ثابت على إسلامه كمؤمن قوي الشكيمة لا يتزحزح عن إسلامه قيد أنملة.

برغم مقاطعة أهله ومناصبتهم له العداء، أصبح «رافع» يعتز بإسلامه أيّما اعتزاز ويتحلى

بسلوكياته أيّما تحلٍّ، وكان يحرص على أن يكون قدوة حسنة لغيره فيحبب لهم الإسلام في شخصه كما أحبه هو بالطريقة ذاتها من آخرين.. وفي هذا الجانب يقول رافع:

«إنني أحاول دائمًا أن أطبق المبادئ الإسلامية وأكون قدوة لغيري، حتى لا يعتقد الآخرون أني غير صادق أقول ما لا أؤمن به.. كذلك أقوم بدعوة زملائي للإسلام، فأنتهز فرصة وقت الصلاة يوم الأحد وأحاول إقناع زملائي بعدم الذهاب للكنيسة لأقرأ عليهم بعض الآيات القرآنية وتفسيرها، وما تحويه من معانٍ، ثم نبدأ في النقاش حول هذه المعاني التي وردت بها، ولكي أشجعهم على البقاء معي كنت أشتري الجرائد اليومية، وأقدم لهم القهوة في فترة الاستراحة، حتى أجتذب أكبر عدد ممكن منهم إلى جانبي لأحدثهم عن الإسلام».

فتأمّلوا كيف انتقل هذا الجندي الأمريكي في سلاسة من ظلمات ديانته اليهودية التي يكنّ أفرادها العداء للإسلام إلى نور الإسلام الذي لا يضمر العداوة لأهل الديانات الأخرى!! ثم عقب ذلك يتحدى مجتمعه بأكمله الذي يصر على تكبيله بتعاليم ديانته التي لا تحترم العقل، فيعتبرونه ميّتًا ويقيمون له سرادق العزاء، ولكنه يحيا حرًّا كريمًا في رحاب الإسلام..

إنه «رافع شريف» الداعية الإسلامي الجديد الذي أقضّ بإسلامه مضاجع اليهود..

فطوبى له ولكل من وجد طريق الحق فسلكه وتحمّل في سبيله أي عناء وأي عداء..

فمن يعادونك ليعيدوك إلى طريقهم.. طريق الضلال.. سيكونون أول من يتخلى عنك عند حسابك على السير في هذا الطريق..

سيبيعونك بلا ثمن ليتبرؤوا منك!!

سيهيلون عليك جبال ذنوبهم علّك تحملها عنهم!!

لا تطعهم.. أسلم.. تسلم..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (26) - (63)

عروس استثنائية

بطلة قصتنا.. عروس في عرسين!!

فاجأت الجميع في حفل زفافها بخبر باهر..

ستُزف في ليلة عرسها هذه مرّتين: الزفة الأولى لزوجها..

الزفة الثانية للإسلام.. أشهرت إسلامها ليلة زفافها!!

الإسلام الذي ناصبته العداء لفترة طويلة فبادل شرّها بخير.. زفها إلى أحد أبنائه..

إنها السيدة الألمانية «باتينا» العروس الاستثنائية التي حولت حفل زواجها إلى منبر دعوي..

كانت باتينا تشارك في أعمال التنصير من خلال الجمعيات التبشيرية، فالتقت بشاب مصري اسمه «علي حسن عثمان» فدعته لاعتناق النصرانية.. تفاجأت برده عندما دعاها إلى اعتناق الإسلام.

أجرى الشاب المصري مع المنصرة الألمانية سلسلة من المناقشات والحوارات والمقارنات بين «النصرانية» و«الإسلام» التي انتهت باقتناعها بالإسلام واعتناقها له.. ليس هذا فحسب بل انتهى بها الأمر بأن تزوجت الشاب المصري علي حسن عثمان في المركز الإسلامي في «ميونيخ».. ثم فاجأت الحاضرين لحفل الزواج بأن أمسكت بالميكروفون في المكان المخصص للنساء لتعلن للجميع عن سر باهر خطير!! حيث قالت بصوت حماسي ينضح بالصدق:

«ثمة شيء مهم قبل وقائع عقد القران والزفاف.. أريد أن أشهر إسلامي، وأن يشهد الحضور عليه لأزف في ليلة عرسي مرتين... مرة لزوجي، ومرة لديني الجديد.. لقد تركت الأهل والأحباب والجيران، وهأنذا أولد بينكم من جديد».

التقطت باتينا أنفاسها للحظات بعد أن أفرغت جزءًا من شحنة فرحها الغامر ثم بدأت تسرد للحضور قصة دخولها الإسلام.. حيث قالت: «والداي لم يكونا يومًا مؤمنين بأي ديانة، وعندما كان عمري اثني عشر عامًا كان لدي شعور عميق بحتمية أن أعتنق دينًا، ولم يكن أمامي وقتها إلا النصرانية فالتزمت بها، وأردت أن أصوغ حياتي كلها بعد ذلك وفقًا لها، ما أزعج عائلتي كثيرًا.. وفي بداية التزامي النصرانية لجأت إلى «البروتستانت» وجعلت همّي كلّه رعاية الأطفال والاهتمام بهم، ولكن بعد حين اكتشفت أن مجموعة «البروتستانت» التي أحيا بينها لا تحمل من النصرانية

غير اسمها، فابتعدت عنهم إلى أن التقيت بمجموعة من رجال الكنيسة، فمارست حياتي الكنسية، غير أنني كنت أشعر أنه ما زالت هناك رغبات نفسية لم تأت بها الممارسات الكنسية، لقد كنت أسعى دائمًا إلى البحث عن الكمال الذي يشبع كل رغباتي النفسية».

ثم تضيف «باتينا» وقد ارتفعت حرارة كلماتها بأن علاقتها مع نبي الله عيسى -عليه السلام- لم تتسق يومًا مع تصورات الكنيسة له التي تأباها الفطرة السوية.. وحتى ذلك الوقت لم تكن تعلم شيئًا عن الإسلام الذي كان لها بمنزلة كوكب غامض لم يتم اكتشافه بعد.

في بداية العقد التاسع من القرن العشرين مرت باتينا بموقف غيّر حياتها رأسًا على عقب.. في تلك الفترة كانت تشارك في أعمال التنصير في أفريقيا مع إحدى الجمعيات التبشيرية.. وبينما كانت في قمة علاقاتها الإيمانية بمعتقداتها النصرانية التقت بشاب مصري فدعته للنصرانية كما هو ديدنها مع جميع من كانت تلتقيهم آنذاك كمنصّرة.

دارت بين باتينا والشاب المصري سلسلة مناقشات موضوعية ساخنة تحتشد بالكثير من الأسئلة المتعلقة بالرب والإسلام والنصرانية.. عندما تطرق النقاش لمسألة التثليث وجدت باتينا نفسها عاجزة عن تفسير هذه القضية التي لم تقتنع بها يوماً.. فهي -وبفطرتها السليمة- كانت تتساءل في استنكار: ما هو الروح القدس؟ وما هي حقيقة شخصية عيسى -عليه السلام-؟ ما كان يثير شكوكها أن عيسى -عليه السلام- لم يرد ذكره على أنه الرّب في الكتاب المقدّس ولا في أي كتاب من كتب النصرانية المحرفة.

إلى جانب قضية التثليث وجدت باتينا نفسها عاجزة كذلك عن الإجابة عن الكثير من الأسئلة.. للخروج من هذه الأزمة العقدية اضطرت إلى أن تقرأ الكتاب المقدّس مرة أخرى وبتعمق.. وجدت أن صورة عيسى -عليه السلام- في الكتاب المقدس صورة بشرية.. رجعت إلى تطبيق النصرانية في حياة الناس.. وجدت أن المسيحيين يطبقون من المسيحية ما ذكره «بولس».. توصلت أخيرًا إلى أنها لم تجد في النصرانية منهاجًا شاملًا أو أيديولوجية متكاملة.. شعرت حينها بأن قوة علاقتها مع النصرانية أخذت تقل وتتناقص شيئًا فشيئًا.. بدأت تدرس القرآن الكريم.. لكن برغم اقتناعها بالإسلام استغرقت وقتًا طويلًا قضته متنازعة بين ثلاثية البحث والدراسة والتردد.. في البدء كان يعز عليها أن تبدّل دينها.. لكن بعد المزيد من المناقشات والبحث المستمر وجدت أن حبال النصرانية أصبحت واهية وكل العوائق التي كانت تقف حائلًا بينها وبين الحقيقة قد سقطت، كما اقتنعت تمامًا بأن ما جاء به القرآن الكريم هو وحده الحق الذي يعلو ولا يعلى عليه.. عندما وصلت إلى هذه النقطة -نقطة اللاعودة- انتابها إحساس بأنها ولدت من جديد.

بدأت بعدها تمارس الشعائر الإسلامية بصورة متدرجة، بدءًا بأداء الصلوات الخمس، مرورًا

بتطبيقها لبقية الفرائض، وانتهاءً بأدائها للسنن والتي من بينها صيام يوم عرفة.. أخيرًا أكدت لها هذه الممارسات أن عقيدة الإسلام هي الطريق الحق الذي لا حق سواه.

توقفت «باتينا» فجأة عن سرد قصتها الباهرة لتقول بلغة عربية مكسرة، وبصوت خافت يزينه الخشوع ونبرة صادقة دفيئة سالت من جرّائها دموع الحاضرين: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، اللهم إني أشهدك وأشهد حملة عرشك وملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الله لا إله إلا أنت، رضيت بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا ورسولًا».

بانتهاء باتينا من سرد قصتها التي اختتمتها بإشهارها لإسلامها الذي تتحمس له بفخر وغيرة، بدأت مراسم حفل زفاف هذه العروس الاستثنائية، التي أشاعت الفرح وأدخلت البهجة في نفوس الحضور..

ويا له من عرس في الدنيا يعقبه عرس الآخرة.. والآخرة خير وأبقى..

تأمل كيف يشعر المؤمن بقوة الإيمان فلا يخجل ولا يضعف!!

تأمل كيف وقفت قوية أمام جميع الحضور في عرسها وأعلنت إسلامها بفخر كبير.. ودون أن تخشى لومة لائم..

وتأمل كيف وقف من كانت تدعوه إلى النصرانية قويًّا وردّ الدعوة بمثلها!!

لسان حاله يقول: كيف تجدين القوة لدعوتي إلى الضلال.. ولا أجد القوة لدعوتك إلى الحق؟!!

إنها قوة الإيمان بالحق..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (26)

فخور بإسلامي

سلطان البيئة والعائلة والثقافة والدين على الإنسان.. سلطان حاكم متجبر..

إلا أن من أراد الله له الهدى والإيمان لا يقف أمامه أي سلطان..

إنها الفطرة السليمة التي وهبها الله للإنسان.. أفلح من تمسك بها واتبع نقاءها..

بطل قصتنا.. خضع لسلطان البيئة والعائلة والدين.. ثم خدع السلطان.. بالإيمان!!

ولد في تايلند وسط أسرة ومجتمع يكنان عداوة شديدة للإسلام.. ألحقته أسرته بمدرسة دينية محلية حرصًا منها على إعداده حتى يصبح مؤهلًا لكي يعمل داعيًا ينشر معتقداتهم الفاسدة التي ورثوها عن الأجداد وحتى يصبح ضليعًا في تشويه صورة الإسلام وسط أفراد مجتمعه.. استمع إلى داعية إسلامي بغرض انتقاده فوجد الأخير قد شده بحديثه الذي يدخل العقل والقلب وحبب له الإسلام فكان سببًا في إسلامه.. إنه التايلندي نستور جرميو تاذي ندعوكم للإبحار معنا في قصة إسلامه.

تقف وراء إسلام نستور جرميو حادثة غريبة تستحق الوقوف عندها كثيرًا.. خرج الطالب نستور جرميو يومًا من مدرسته وهو يحمل في يديه كتبًا تطعن في الإسلام وتعمل على تشويه صورته بينما يحمل في قلبه تجاه الإسلام كل صنوف الكراهية.. وبينما هو سائر في طريقه شاهد داعية إسلاميًّا يخطب في مجموعة من الناس تجمعت حوله.. كان الداعية يشرح للحضور رسالة الإسلام الخالدة ويتحدث لهم عن مبادئه العظيمة.. غيرة على عقيدته شعر نستور جرميو بالضيق ومن ثم قرر أن يفسد عليه حديثه بأن يخبر من تجمعوا حوله بأن ما يسمعونه منه ليس سوى أباطيل تفسد القلوب والعقول مستخدمًا في ذلك الحجج الكاذبة المضمنة في الكتب التي يحملها معه.. وحتى يبدو نقده موضوعيًّا ومقبولًا رأى نستور جرميو ضرورة أن يقف ويستمع للداعية حتى يصادف ثغرة في حديثه يستخدمها مدخلًا لمهاجمته.. لكن وعلى غير توقع منه وجد نفسه يستمع ويتتبع بعمق حديث الداعية حتى نهايته دون أن يفكر مجرد التفكير في مقاطعته.

مضى نستور جرميو بعد ذلك إلى بيته وهو يفكر متأملًا ما قاله الداعية عن الإسلام، إذ وجده يختلف تمامًا عن ما قرأه في كتبه.. لم يذق طعمًا للنوم في تلك الليلة إذ أخذ يقارن بين ما قرأه عن الإسلام في السابق وما سمعه من الداعية المسلم.. منذ ذلك الوقت أخذ نستور جرميو ينظر إلى الإسلام من زاوية أخرى.. نعم هذا الدين الذي كان يكرهه فيما مضى شعر نحوه بانجذاب

أدهشه إذ وجده دينًا سهلًا واضح المبادئ قوي الحجة أقرب إلى الفطرة من غيره من الأديان.

لم تشرق شمس اليوم التالي على نستور جرميو حتى أخذ يبحث عن الداعية المسلم.. وعندما عثر عليه وجّه له أسئلة كثيرة كانت تقلقه.. وبعد سماعه لإجابات أسئلته من الداعية المسلم قرر اعتناق الإسلام.. ترك بطل قصتنا المدرسة التي وجدها تناقض ميوله وقناعاته الجديدة.. وعندما علم المسؤولون باتجاهه الجديد الذي لم يداره عن أحد حاولوا إغراءه بكل ما لديهم من وسائل بيد أنهم فشلوا في مساعيهم فقد تشبث بالإسلام بقوة إذ وجد فيه ما كان يبحث عنه من سعادة حقيقية فاعتنقه عن قناعة تامة.

لم يكتف نستور جرميو بمجرد اعتناقه الإسلام إذ بدأ يتعمق في دراسته من مصادره الأصلية، أي من خلال نسخ مترجمة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، كما أصبح شديد الحرص على تطبيق شعائر الدين الإسلامي والتزام تعاليمه، حيث يقول في ذلك: «لقد أصبحت منذ ذلك الوقت حريصًا على أداء شعائر الدين، والتزام طاعة الله في كل ما أمر به، والبعد عن كل ما نهى عنه، لأن الله معي في كل وقت يراني ويطلع على أحوالي...

إنني فخور الآن بأن ديني الإسلام الذي أدركت أخيرًا أنه هو الدين الحق».

إنها حلاوة الإسلام.. لذة الإيمان.. شوق الإنسان لدخول الجنان..

فطوبى لمن قادته قدماه دون أن يدري إلى أسباب الهدى والإيمان..

وطوبى لمن لم يبخل على غيره من غير المسلمين بالدعوة والدعاء بنعمة الإسلام..

من كان غير مسلم ثم أكرمه الله بالإسلام هو خير من يشعر بمن لا يزال بعيدًا عن نعمة الإسلام..

فساعدوا غيركم.. فقد كنتم بالأمس تفتقرون إلى يد العون من المسلمين.. فإن قصروا فلا تقصروا!!

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (26)

قارب النجاة

يجتهد الحاقدون على الإسلام في طمس أي طريق يهدي الناس إلى الإسلام..

العجيب.. أنهم كلما طمسوا الطريق.. أو اعتقدوا ذلك.. ازداد عدد المهتدين إلى طريق الإسلام!!

يعتقدون أنهم يهتدون إلى الطريق بأبصارهم.. فيعمونها!!

إنها البصيرة أيها الغافلون!!.. فكيف لكم بطمسها؟!!

بطلة قصتنا.. أتاحوا أمامها الأديان كافة.. ما عدا الإسلام.. فأسلمت!!

إنها السيدة الأمريكية «فرجينيا جراي هنري» ندعوكم للتعرّف إلى قصة إسلامها.

نشأت فرجينيا في مدينة «لويفيل كنتاكي» وتخرجت في جامعة «كولومبيا».. لم تكن راضية عن حياتها برغم رغد العيش، فقد كانت تبحث دونما جدوى عن الاستقرار الروحي والطمأنينة النفسية كما ظلت تنشد في يأس نعمة الاقتناع بدينها، على الرغم من أنها كانت ترتاد الكنيسة بانتظام، وهي كما تقول: «كنت منذ صغري متدينة، أذهب دائمًا إلى الكنيسة البروتستانتية التي أنتمي إليها.. وكان من تعاليم هذه الكنيسة أن أؤمن بالحياة الآخرة.... ولكن أي حياة هذه ومعظم الناس لا يفكرون في الموت إلا عندما يتقدمون في السن؟! وقد حدث في صغري أن شاهدت كثيرًا من قريباتي وأقراني يموتون في بعض الحوادث، فبدأت أفكر في مصيرهم، وماذا سوف يحدث لهم بعد موتهم؟! كما أن طريقة الحياة الأمريكية تجعل المرء يشعر أنه سيموت عندما يبلغ الستين، فعليه أن ينتهز فرصة هذه الحياة لينفقها في المتعة والملذات قبل أن ينتهي كل شيء!!».

لم تكن فرجينيا راضية عن حياتها ألبتة فبدأت تبحث في استماتة عن الاستقرار الروحي.. خلال رحلة بحثها عن الحقيقة التقت حركة كبيرة تؤمن بالحياة بعد الموت تطلق على نفسها اسم «الروحية».. يمتلك بعض أفراد تلك الحركة -كما يزعمون- المقدرة على التواصل مع عالم الأموات.. وهؤلاء يعتبرهم بقية أفراد الحركة من الموهوبين!! لكن ما أن يبدؤوا اتصالهم بعالم الأموات الذي يقولون عنه إنه عالم روحي حتى تتفاجأ بهم يسألونهم فقط عن النواحي المادية التي لا صلة لها بالدين والروح، ولا علاقة لهم بالحياة الطيبة الصالحة! ويعتقد أفراد تلك الجماعة أن كل شيء له تعليل في حياتهم المادية بالضرورة أن يكون من عالم الأرواح.

وعندما توصلت فيرجينيا أن دراستها لعالم الأرواح لا تمكنها من الوصول إلى بغيتها المنشودة المتمثلة في الاستقرار الروحي تركتها جانبًا، واتجهت إلى دراسة الأديان فدرستها جميعها في

الجامعة ما عدا الدين الإسلامي، لسبب تذكره في حديثها وهي تقول: درست في الجامعة مقارنة الأديان لمدة أربع سنوات، باستثناء الدين الإسلامي الذي لم يكن يدرّس لنا، لأن رئيس القسم كان أستاذًا يهوديًّا يدعى «موريس فريدمان».

لم تقتنع فيرجينيا بما درسته عن الأديان فقد شعرت بأن كل ما حولها بعيد عن الحقيقة والموضوعية، وينطبق ذلك حتى على الكتب التي تتحدث عن الأديان.. فعلى سبيل المثال لاحظت أن مجلة «لايف» التي تشرف عليها هيئة يهودية تنشر كتبًا عن الأديان الأخرى مثل البوذية والهندوكية والإسلام وتتحدث عنها وكأنها أديان أثرية لا تمتّ للحياة بصلة وبالتالي كان اطلاعها على الإسلام يتسم بالضعف الشديد.. وجدت نفسها غارقة وسط دوامة من الحيرة وأمواج من القلق.. لكن وقبيل أن تغرق في يم الضياع أسلم زوجها وكان لها بمنزلة قارب النجاة، وهنا تتحدث بطلة قصتنا قائلة وعلى محياها تبدو ملامح الرضا وتتجلى مظاهر الراحة النفسية كمن أنزلت من على أكتافها أطنانًا من الحديد: «لم أشعر بوجود الإسلام في نفسي إلا بعد أن أسلم زوجي، فبدأت أقرأ الكتب الإسلامية وأسأل المسلمين عن تعاليمه، حتى وجدت فيه الهداية والإقناع النفسي والعقلي، والعثور على الحقيقة التي أبحث عنها».

اعتنقت بطلة قصتنا الإسلام عقب إسلام زوجها فوجدت فيه إجابات شافية عن كل الأسئلة التي كانت تقلقها منذ صغرها والتي من بينها تلك الأسئلة المتعلقة بحقيقة الحياة والموت.. وشعرت بالاستقرار الروحي الذي كانت تبحث عنه، والطمأنينة النفسية التي كم افتقدتها في حياتها.. أسلمت بعد أن اقتنعت بالإسلام كدين قويم استطاع أن يغير نظرتها إلى الحياة.. عندها فقط شعرت بأن الله تعالى أنعم عليها بأعظم نعمة في حياتها بأن هداها إلى الإسلام..

إنها النعمة الأعظم.. أم النعم.. وكفى بها نعمة..

النعمة التي تنال بها كل النعم.. كيف لا وهي مفتاح دخولك الجنة بإذن الله..

فاطرق الباب.. ولا أقول لك «افتح الباب».. فالمفتاح ليس معك..

فقط اطرق الباب.. كن لحوحًا في الطرق..

غيرك ظل يطرق الباب سنوات وسنوات حتى فتح الله عليه..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (26) - (27)

قصة شريفة

للقلب فصاحة.. كما اللسان..

فصاحة القلب.. مشاعر صادقة..

فصاحة اللسان.. كلمات ليست بالضرورة صادقة!!

لا يخدع المرء قلبه..

بينما قد يلعب اللسان بالكلمات..

في النهاية ينتصر القلب.. فالصدق سلطة.. قوة..

فعندما يجعل الله الكيد في الحناجر..

وينقلب السحر على الساحر..

فهذا يعني انتصارًا للحق..

بطلة قصتنا.. أرادوا توظيف موهبتها لمحاربة الإسلام من خلال تنصير النساء المسلمات وإفسادهن.. درست الإسلام كأداة للتنصير، بناءً على رغبتها، فوجدت نفسها وقد أصبحت من أنصاره، فنطقت بالشهادتين واعتنقت الإسلام..

إنها الأمريكية شريفة كارلو بطلة هذه القصة.. تحكي لنا قصتها مع الإسلام فتقول:

عندما كنت في طور المراهقة كنت أتمتع بفصاحة التعبير، وأتميز عن قريناتي بالنشاط الفاعل والدفاع المستميت عن حقوق المرأة.. صفاتي السابق ذكرها لفتت انتباه مجموعة من الأشخاص الذين يعملون في مراكز حكومية كان لديهم مخطط شرير لتقويض الإسلام.. أذكر أن أحد أعضاء تلك المجموعة وعدني بأن يضمن لي عملًا في السفارة الأمريكية في مصر لو درست «العلاقات الدولية» وتخصصت في قضايا «الشرق الأوسط».. كان ذلك الشخص يهدف إلى أن أستخدم مركزي في السفارة الأمريكية في مصر مستقبلًا وأتواصل مع النساء المصريات المسلمات ومن ثم أشجع حركة حقوق المرأة الناشئة في ذلك البلد المسلم والمسالم.

في البدء حسبت أنها فكرة عظيمة لأنني شاهدت النساء المسلمات على شاشة التلفزيون، ووصل إلى علمي أنهن يعانين الاضطهاد والعنف والظلم والضعف، فقلت هذه فرصة جيّدة

لكي أخرجهن من ظلمات قهر العصور القديمة إلى نور حرية القرن العشرين.. ولكي أحقق هذا الهدف كان لا بدّ لي من أن أتعرّف إلى الإسلام؛ فذهبت إلى الجامعة حيث درست القرآن الكريم، والحديث النبوي والتاريخ الإسلامي، كما درست الأساليب الملتوية التي من خلالها أستطيع أن أوظف تلك المعلومات بما يمكنني من تحقيق أهدافي.. على سبيل المثال تعلمت كيف ألوي وألون الكلمات لأجعلها تشير إلى ما أريده أن يصل إلى فهم المتلقي.. بيد أنني وما إن بدأت أدرس الإسلام حتى أخذت رسالته تأسرني وليس ذلك بغريب فقد وجدتها رسالة منطقية وعميقة.

في الحقيقة حرك تأثري بالإسلام مشاعر الخوف والرعب في نفسي.. لذلك وحتى أستطيع مقاومة ذلك التأثير قررت أخذ جرعات وقائية من الديانة المسيحية فبدأت أتلقى دروسًا في هذا الجانب.. لقد اخترت في ذلك أستاذًا واسع الشهرة، ويحمل درجة الدكتوراه في فلسفة اللاهوت من جامعة هارفرد.. نعم اخترته لأتلقى منه ما أنشده من جرعات دينية وقائية.. شعرت مع ذلك الأستاذ بأنني في أيدٍ أمينة لأنه كان مسيحيًّا موحدًا، ولم يكن يؤمن بالتثليث أو ألوهية المسيح، بل كان يؤمن بأن المسيح نبي.. وقد أثبت الأستاذ هذه الحقيقة من خلال تناوله للتوراة والإنجيل في أصولهما اليونانية والعبرية والآرامية، كما بين مواضع التغيير في تلك الأصول.

وفي الحقيقة لقد كان انتهائي من تلك الدروس بداية لتقويض الديانة النصرانية داخل نفسي، وإن لم أكن حتى تلك اللحظة مستعدة لقبول الإسلام.

وعقب ذلك تابعت دراستي لأجل حياتي المهنية المستقبلية، حيث أخذت مني تلك الدراسة نحو ثلاث سنوات.. وبالتوازي مع دراستي الجديدة تواصلت مع عدد من المسلمين لأسألهم عن عقيدتهم الدينية.. وقد تطوع أحد أولئك الأشخاص بتعليمي كل ما له صلة بالإسلام عندما رأى اهتمامي الشديد به.

في أحد الأيام اتصل بي الشخص ذاته، وأفادني بأن مجموعة من المسلمين تزور المدينة ونصحني بأن ألتقيهم.. بالطبع وافقت، وذهبت للقاء تلك المجموعة بعد صلاة العشاء.. فوجدت نفسي في قاعة بها نحو عشرين شخصًا.. أفسحوا لي المكان جميعهم، فجلست قبالة رجل باكستاني مسن.. كان واسع الاطلاع في مواضيع الدين المسيحي.. تناقش معي وتجادل حول أجزاء متنوعة من الإنجيل والتوراة والقرآن.. تواصل النقاش بيننا حتى طلوع الفجر.. وعقب انتهاء النقاش طلب مني الرجل ما لم يطلبه شخص آخر.. لقد دعاني إلى اعتناق الإسلام.. بل قل طرق وترًا حساسًا داخل نفسي لم يطرقه أحد قبله.. أدركت تمامًا أن الأوان قد آن، فقلت بقناعة تامة لا تشوبها شائبة: «نعم، أريد أن أصبح مسلمة».

علمني ذلك الرجل الحكيم كيفية نطق الشهادة بالإنجليزية والعربية فنطقتها.

وما أن نطقت كلمات الشهادة حتى شعرت وكأن حملًا هائلًا أزيح عن صدري.. ولتقريب الصورة أفيدكم بأنني كنت ألهث وكأنني أتنفس للمرة الأولى في حياتي.. الحمد لله تعالى الذي وهبني حياة جديدة، ومنحني فرصة للفوز بالجنة؛ فأسأله سبحانه وتعالى أن أحيا وأموت على دين الإسلام.

هذه هي قصة شريفة كارلو الفتاة الأمريكية الموهوبة المسلمة بالفطرة والتي حاول بنو قومها توظيفها لتنصير نساء الإسلام وإفسادهن حتى يقلّ عددهن فأصبحت واحدة منهن وإن زادت عددهن بأكثر من واحدة.. فهي قد تحولت عقب إسلامها من مجرد فتاة واحدة إلى امرأة بحجم وطن.

«ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين»..

هذا ما ينطبق من كلام الله على قصة شريفة..

مكروا للإسلام.. فخدموه ونشروه وأضافوا إليه مؤمنين ينشرونه.. بصدق.. لا بفصاحة كاذبة..

أيها السادة.. تعلموا.. كفى.. لا تنطحوا الجبل برؤوسكم..

إنه الإسلام.. دين الله الحق.. وكفى..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (10) - (58) - (120)

الاستسلام لله

التميز والنجاح لا يعرفان حدودًا أو نهايات..

المتميزون قبل إسلامهم.. يزدادون تميزًا بالإسلام!

هم يبحثون.. ثم يبحثون..

ثم لا يملون ولا يكلون من البحث..

إما أن يصلوا.. وإما أن يصلوا!!

غريزة الوصول إلى الحق لا تنطفئ في قلوبهم حتى يعرفوا الحق عن قرب.. حتى ينتسبوا إليه..

بطل قصتنا من هؤلاء المميزين.. ولد لوالدين أمريكيين ينتميان إلى الكنيسة الأرثوذكسية.. تعلم في صغره التعاليم النصرانية فشب متدينًا.. وعندما شب عن الطوق دفعته فطرته السليمة إلى التمرد على عقيدته النصرانية.. تقافزت إلى ذهنه تساؤلات عديدة لم يجد لها إجابات منطقية حتى من القساوسة.. دفعه شكه في عقيدته إلى البحث في ديانات الشرق.. أتاح له عمله الدبلوماسي في الفلبين فرصة التقاء العديد من المسلمين، وبمعونتهم درس الإسلام فوجد فيه الإجابات المقنعة لكل تساؤلاته فاعتنقه.. إنه الكاتب القاص والدبلوماسي الأمريكي ألكساندر رسل ويب.. الداعية الإسلامي محمد ألكساندر.. هذه دعوة للسياحة بين فضاءات حكاية إسلامه..

ولد ألكساندر رسل ويب بمدينة هدسون التابعة لمقاطعة كولومبيا في ولاية نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية.. والداه ينتميان إلى الكنيسة الأرثوذكسية ما جعله يلقن التعاليم والطقوس الأرثوذكسية منذ نعومة أظفاره فشب متدينًا.

عندما بلغ بطل هذه القصة العشرين من عمره وبدأ عقله أولى خطواته نحو النضج، بدأ يتمرد على عقيدته حيث اكتشف تعارض تعاليمها مع أبسط قواعد المنطق والفطرة السليمة.

بدأت تحاصره التساؤلات الغامضة حول عقيدته من كل حدب وصوب.. ما أثار حيرته اكتشافه أن القسيس نفسه لا يملك إجابات لهذه التساؤلات سوى أحاديث مكررة لا تقدم ولا تؤخر تناقلها رجال الكنيسة أبًا عن جد.

قاده شكه في العقيدة النصرانية إلى البحث في ديانات الشرق، عساه يجد فيها ما ظل ينشده..

قرأ أعمال الكتّاب والفلاسفة المهتمين بفلسفة الخلق والحياة والموت أمثال: مل، لوك، كانت، هيجل، وهكسلي، وغيرهم بحثًا عمّا يروي ظمأه من إجابات بيد أنه فشل في العثور على مبتغاه؛ لأن علمهم مهما علا سيظل محدودًا، وقاصرًا عن فهم واستيعاب حقيقة الذات الإلهية وعظمتها.

على الرغم من أن تلك القراءات لم تمده بإجابات عن أسئلته الحائرة فإنها مدته بكم مهول من المعارف الفلسفية التي مكنته من أن يمتلك قلمًا ذائع الصيت في مجال الفكر والكتابة، كما أنها، أتاحت له بعض المعلومات عن ديانات الشرق وفي مقدمتها العقيدة الإسلامية.

جعلت منه تلك القراءات قاصًّا موهوبًا، وكاتبًا صحافيًّا لامعًا، حيث عمل محررًا في كل من صحيفتي «سان جوزيف جازيت» و«الجمهوري ميسوري».. بيد أن النقلة الكبرى في حياته حدثت له إثر تعيينه قنصلًا عامًا للولايات المتحدة الأمريكية في العاصمة الفلبينية «مانيلا».

العمل الدبلوماسي لويب في مانيلا أتاح له فرصة التقاء العديد من المسلمين، وقد أعانه هؤلاء في معرفة الكثير عن الإسلام.. تألم بشدة عندما رأى المسلمين يعاملون في بلادهم كمواطنين من الدرجة الثانية بعد أن كانوا هم السادة والحكام.. وتألم أكثر عندما استحضر حقيقة أن الاستعمار الذي أسهمت بلاده في صنعه عبر بيعها الفلبين إلى البريطانيين بثمن بخس هو الذي أشعل نار الفتنة العنصرية لنصارى الفلبين ضد مسلميها المغلوب على أمرهم.

وما أن بدأ ألكساندر دراسة الإسلام حتى انبهر باكتشافه لعظمته وبساطته وقربه من الفطرة السليمة وبعده عن كل طلاسم الكنيسة التي تمتلئ بها عقائد النصارى.

وجد ويب في الإسلام تحقيقًا كاملًا للأخوة الإنسانية بمعناها الحقيقي العظيم إذ إن الناس فيه سواسية أمام الله تعالى كأسنان المشط لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى، كما وجد فيه علاقة مباشرة بين العبد وربه بلا وسيط بعكس الديانة النصرانية.. عندها فقط أدرك ألكساندر أن الإسلام هو النموذج الأسمى للأديان وأنه يمثل الفطرة والحق الذي ارتضاه الله تعالى لعباده، وأنه هو الدين الذي نادى به جميع الأنبياء والمرسلين بمن فيهم نبي الله عيسى -عليه السلام-.

وما أن وصل ويب إلى هذه القناعة حتى قرر اعتناق الإسلام بصورة رسمية عملية برغم يقينه بأنه مسلم بقلبه منذ سنوات عديدة.. فأعلن ويب إسلامه وغيّر اسمه إلى «محمد» تيمنًا بالرسول -صلى الله عليه وسلّم-، مع احتفاظه ببقية اسمه فصار يعرف باسم محمد ألكساندر رسل ويب.

وعقب إعلانه لإسلامه قام محمد ويب بجولة مكوكية طاف عبرها العديد من بلدان العالم الإسلامي حيث التقى إخوته في الله، ثم تفرغ كداعية إسلامي عقب انتهاء مدة خدمته في العمل.. وكان يرد على المتشككين في إسلامه بقوله: «إن اعتناقي الإسلام لم يكن نتيجة عاطفة منحرفة، أو

اعتقادًا أعمى، أو حركة انفعالية آنية، ولكنه كان وليد دراسة جادة، أمينة، حثيثة، وبريئة من كل تصور مسبق، كان وليد الاستقراء، والتدبر، والرغبة الملحة في معرفة الحقيقة.. بكلمة أخرى، اعتنقت الإسلام بعد أن تبين لي أن جوهر العقيدة الإسلامية الحقة هو الاستسلام لله، وأن الصلاة حجر الزاوية فيها، إن هذه العقيدة تدعو إلى الأخوة العالمية، والحب العالمي، والتعاطف العالمي، إنها تلح على نقاء العقل، ونقاء الفعل، ونقاء القول، وتلح على النظافة -الطهارة- المادية، إنها الكاملة -فوق كل شيء- أبسط وأرقى أشكال الدين التي عرفها الإنسان».

إخلاص محمد ويب في خدمة الدعوة الإسلامية دفع الجالية المسلمة في الولايات المتحدة الأمريكية إلى تكريمه بتقليده رئاستها..

وهذه هي كلمة السر.. الإخلاص..

أخلص توجهك إلى الله تفز في الدارين..

أخلص في البحث عن الحق.. تصل إلى كمال الإيمان..

إنه وعد الله للمخلِصين.. حتى يكونوا مخلَصين..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (26) - (72)

منصة التتويج

البحث عن الدين الجامع بين الروح والجسد..

بين القلب والعقل..

هو بحث عن أهم ما في الحياة..

الله خلق الإنسان جامعًا بين الطرفين..

فلا يُعقل أن يكون الدين الذي يغلف حياة الإنسان صادمًا ومهملًا لأي من الطرفين..

هذا ما لم يدركه أصحاب الأديان الأخرى..

وحده الإسلام هو الدين الجامع بين الطرفين..

الدين المحتفظ بعقيدته وشريعته كما أراد الله..

لا تحريف ولا تبديل في الإسلام..

لذا.. «**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ**»..

هذا البحث عن الدين هو سر سعادة بطلة قصتنا هذه..

أتاح لها عملها كسكرتيرة بمكتب شرطة الأجانب في «لوزان» السويسرية الفرصة في إلقاء نظرة على المسلمين الذين وجدتهم يختلفون عن غيرهم في السلوك الراقي والأدب الجم، فضلًا عن السكينة والطمأنينة التي تبدو على محياهم فأعجبت بهم وسجلت في ذهنها نقطة لمصلحة الإسلام.. ثم شاهدت ذات يوم برنامجًا عن الإسلام بثه التلفزيون السويسري رأت فيه المسلمين وهم يؤدون الصلاة في خشوع، وبحركات متناسقة فوجدت نفسها مشدودة إلى الإسلام.. موقفان مؤثران مثّلا نقطة تحول في حياتها وكانا سببًا في اعتناقها للإسلام.. إنها السيدة السويسرية «آمال لوليه» بطلة هذه القصة.

لم تكن بطلة قصتنا هذه مقتنعة بوجود وسيط بين الإنسان وربه الأمر الذي جعلها تشك في الديانة النصرانية التي وجدت نفسها تعتنقها بصورة قسرية لكونها تنتمي لأسرة مسيحية متدينة، ومن ثم بدأت البحث عن ديانة بديلة تتسق مع عقلها المتفتح وفطرتها السليمة.

عقب إكمالها لدراستها الجامعية عينت «آمال لوليه» سكرتيرة بمكتب شرطة الأجانب في

«لوزان» بسويسرا.. منحها عملها هذا فرصة ذهبية مكّنتها من الاحتكاك بفئات مختلفة من الناس يتباينون في أعراقهم وجنسياتهم ودياناتهم، ومن هؤلاء مسلمون ينتمون لبلدان متعددة. وجدت آمال في المسلمين أناسًا مميزين يختلفون عن غيرهم في السلوك الراقي والأدب الجم والطمأنينة الواضحة، فضلًا عن اعتدادهم بأنفسهم حينما يتعاملون مع الغير.. وجدت آمال في المسلمين أشياء كثيرة كانت تفتقدها في حياتها من أهمها نعمتا الطمأنينة النفسية والاستقرار الاجتماعي.. تطور انطباعها الطيب عن المسلمين إلى إعجاب شديد حينما شاهدت برنامجًا عن الإسلام في التلفزيون السويسري.. رأت المسلمين في ذلك البرنامج وهم يؤدون الصلاة في خشوع، وبحركات متناسقة انبهرت بها أيما انبهار.. وجدت نفسها مشدودة إلى الإسلام، بل تمنّت في تلك اللحظة لو كانت تشاركهم الصلاة.. شعرت وكأن هاتفًا من أعماقها يردّد قائلًا في صدق: هذا هو الدين الذي ظللت أبحث عنه السنين الطوال.

كادت عاطفة آمال الجياشة تدفعها إلى اعتناق الإسلام بيد أنها قررت التروي والتريث حتى تسلم عن فهم واقتناع تامين لذلك قضت سنتين في جمع المزيد من المعلومات عن الإسلام كما ظلت تتردد على المركز الإسلامي في «لوزان» لتلتقي بالمسؤولين والمسلمين فيه حتى تتعرف عبرهم إلى المزيد من تعاليم هذا الدين وأركانه.

وتقول آمال بصوت دفيء خفيض يعلوه الوقار: «لقد كان مقدرًا لي أن أعتنق هذا الدين منذ الصغر.. فلم أكن أجد في ديانتي أي حب.. فضلًا عن أن المعلومات التي كنت أتلقاها في المدرسة لا يمكن أن يقبلها عقل متفتح واعٍ... فقد كانوا يعلموننا أن الإنسان إذا اعترف بذنوبه أمام أحد رجال الدين المسيحي، فإن هذا الاعتراف مبرر لغفران ذنوبه... وهذا شيء لا يمكنني أن أقتنع به.. وبرغم ذلك فإنني أخذت أؤمل نفسي بأنني ربما أقتنع بعد أن يكبر عقلي وينضج فكري أكثر وأصير امرأة».

ظلت آمال على حالها غير مقتنعة بالنصرانية حتى بعد أن كبرت ونضج عقلها، لذلك قررت أن تهجر ديانتها وديانة أهلها وتلوذ بالإسلام بعد أن وجدت نفسها مشدودة إلى تعاليمه وآدابه وإعجابها بالحقوق التي منحها للمرأة، فضلًا عن التكريم الذي أضفاه عليها.. عندما وصلت إلى تلك النقطة لم تتردد آمال لحظة في أن تعتنق الإسلام عن اقتناع وحب.. وما أن فعلت ذلك حتى أحست بالسكينة تغمر نفسها وانتابها إحساس من ولد من جديد.

وعندما سألها بنو جنسها القدامى عن رأيها في تعدد الزوجات الذي يبيحه الإسلام ردت على السؤال قائلة في حدة وغضب شديدين: «إن ذلك ما يردده أعداء الإسلام.. وهم جاهلون أو حاقدون على هذا الدين العظيم... فالإسلام سمح بتعدد الزوجات ولكن قيّده بالعدالة التي لا يمكن أن تتحقق إلا قليلًا جدًّا... وبرغم ذلك فأنا أفضل أن يتزوج الرجل بأكثر من امرأة على أن

تكون له عشيقات كما نجد في معظم أوروبا وغيرها من دول العالم البعيدة عن الإسلام، فالرجل فيها يتزوج وفي الوقت نفسه يتخذ له أكثر من عشيقة!!».

وعندما سألوها مرة أخرى عن القيود التي فرضها عليها الإسلام أجابت قائلة بنبرة ساخرة يعلوها الاستنكار: «لا... لم أشعر بذلك مطلقًا.. فالإسلام لا يمنع المسلم إلا عن الأشياء التي تضره، ولذا حرمها الله تعالى كالتبرج، وسفور المرأة الذي يؤدي بها إلى طمع الغير فيها وقد يصل إلى حد الاعتداء عليها باغتصابها كما نسمع كثيرًا... ومن هنا جاء حث الإسلام على ارتداء الحجاب».

ثم استطردت قائلة في ثقة واعتزاز: «أنا مثلًا يمكنني أن أمارس أنشطتي العادية في إطار مبادئ الإسلام، فلم أشعر بأي قيد علي من تعاليمه، بل بالعكس شعرت بحرية النفس التي تحررت من عبودية الجسد الذي كنت أهتم بإبراز مفاتنه لأنال إعجاب نظرات الغير، ولكن الحمد لله قد هداني الله إلى الطريق الصحيح، وأنا أشعر بفيض من النور يغمر كياني كلّه، بل إنني تحولت إلى إنسانة جديدة».

هذه رحلة مباركة قطعتها «آمال لوليه» لتصل إلى بر الأمان.. إلى الإسلام، حرصت على أن تؤدي فرائضه كاملة، ومن ذلك فريضة الحج التي جعلتها تشعر بأنها قد تغيرت تغيرًا كاملًا لتعيش في عالم الطهر والنقاء والشفافية.

الفطرة السليمة أينما غُرست في القلب فلا تخذل صاحبها أبدًا.. فقد سخّر الله تعالى لآمال عوامل كثيرة مكنتها من تحقيق آمال عريضة بدت لها في البدء مستحيلة: عملها بمكتب شرطة الأجانب الذي فتح بصرها على المسلمين، والبرنامج التلفزيوني السويسري الذي أنار بصيرتها بنور الإسلام، ثم بحثها الدؤوب الذي أكسبها المزيد من المعلومات عن هذا الدين الحنيف، فضلًا عن المركز الإسلامي في «لوزان» الذي زفها إلى أعظم منصات التتويج..

وهكذا حققت «آمال لوليه» بإسلامها آمالها العريضة التي ظلت تحلم بها..

فمتى تحقق أنت آمالك في الوصول إلى السعادة الحقيقية؟!

باب السعادة لا يحتاج إلى مفتاح.. لأنه مفتوح دائمًا..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (26) - (45)

ميشال الغريب

برغم اختلاف الديانة.. فإن غير المسلمين الذين يعيشون في الدول العربية ينتمون إلى الثقافة الإسلامية!! فهم غير مسلمين ديانةً.. مسلمون ثقافةً.

بيئتهم الإسلامية تؤثر فيهم.. تحرك نور الإيمان في قلب من يمتلك منهم فطرة سليمة..

تثير في دواخلهم تساؤلات عميقة.. فتقود المنصف منهم إلى النجاة.. إلى الإسلام!!

بطل قصتنا كان يستمتع في صغره بمرأى مئذنة الجامع وهي تتسامى في فضاء حيِّه العريق، وهو المسيحي الذي ينتمي إلى أسرة نصرانية قحة تعتنق المذهب الماروني وتكنّ للإسلام أقصى درجات العداء!! لم يكن يكفيه الاستمتاع بمرأى المئذنة بل كان يتمنى من كل قلبه لو يدخل المسجد خلسة ولو لمرة واحدة في حياته ليصلي كما رأى المسلمين يصلون..

عجزت فطرته السليمة في صغره عن تجاوز طاغوت أهله.. لكن عندما كبر تحققت أحلامه ودخل المسجد جهرة من بوابة الإسلام بدلًا من التلصص عليه خلسة عبر نافذة غرفته.. إنه الدكتور ميشال الغريب أحد نجوم الدعاة وبطل هذه القصة.

ولد ميشال في بيروت، تحديدًا في حي «الخندق العميق» ذي الأغلبية المسلمة.. عاش طفولة متنازعة بين فطرة تحب الإسلام وأهله، وأهل يكرهون الإسلام ورموزه.. لم يسمع يومًا صوت المؤذن ينادي للصلاة دون أن يهرول نحو النافذة في شغف محموم ليصغي في سكينة وادعة تفوق سنوات عمره الغضة إلى كلمات وضيئة دخلت فؤاده دون أن تطرق باب عقله.. مع صوت الأذان الذي أحب كلماته دون أن يستوعب معانيها كان ينبهر بمرأى المسلمين وهم يتوجهون في حب إلى المسجد لأداء الصلاة.. تلخصت آنذاك قمة آماله في أن يركع كما يركع المسلمون وأن يسجد كما يسجدون.. فقط لولا خوفه من أفراد أسرته الذين كانوا يقفون سدًّا منيعًا دون تحقيقه لأحلامه الصغيرة الكبيرة.

كبر ميشال جنبًا إلى جنب مع أحلامه الجميلة.. بدأ يستوعب الكلمات التي يرددها المؤذن فازداد تعلقه بها.. تعلق قلبه أكثر بالقرآن الكريم وكان يشعر بالرهبة والخشوع كلما تناهى إلى سمعه صوت المقرئ وهو يرتل آيات الذكر الحكيم برغم انتمائه النصراني.

عاش ميشال طفولة مؤلمة داخل قفص من الحرمان.. فقر أسرته المدقع اضطره إلى أن يمزج

بين العمل والدراسة حتى يساعد والده في تغطية نفقات الأسرة المتزايدة.. عشق اللغة العربية التي ولجت قلبه عبر بوابة القرآن والأذان بيد أن غول الفقر وقف حاجزًا بينه وبين شراء الكتب التي يمكن أن يقوي عبرها هذه اللغة التي أحبها كثيرًا.. فطرته السليمة ألهمته إلى حل عجيب.. تمثل هذا الحل في قراءة القرآن الكريم.. نعم قرر ميشال الاستعانة بكتاب الله الكريم حتى يستفيد من بلاغته الباهرة وإعجازه اللفظي المدهش في امتلاك ناصية العربية التي أحبها فبادلته حبًّا بحب، إذ كافأته بأن جعلت آيات الله تتغلغل في حنايا صدره كما مكنته قراءة القرآن الكريم من الوصول إلى اكتشاف خطير مفاده زيف ما أخبره به القساوسة من أن المسلمين لا يوقرون المسيح عيسى -عليه السلام-، ولا يكنّون احترامًا لأمه العذراء؛ إذ وجد القرآن الكريم يصف عيسى -عليه السلام- وأمه العذراء بأصدق الأوصاف، وأكثرها تبجيلًا وتوقيرًا.. برغم كل ذلك لم يفكر في اعتناق الإسلام.. وفي المقابل لم ترق له أفكار النصرانية ومعتقداتها، بل اتبع التيار العلماني، واستمر يتبع هذا التيار حتى بعد حصوله على درجة الدكتوراه في العلوم السياسية، واشتغاله بالتدريس في الجامعة اللبنانية.

لكن وعلى الرغم من علمانيته المتشدّدة فقد ظل ميشال الغريب يحرص على أن يتناول الإسلام في محاضراته ومؤلفاته -كعقيدة وشريعة- بصورة موضوعية، كما كان معظم أصدقائه المقربين من المسلمين، ليس هذا فحسب بل إن شقيقته تريزا تزوجت من مسلم سني.

علاقاته الوثيقة بالمسلمين ربما كانت السبب في أن يسهم مع بعض المثقفين النصارى في إنشاء «منظمة المسيحيين الديمقراطية» التي كانت تتصدى للدعاوى العنصرية الحاقدة التي كانت تعمل على تشويه صورة الإسلام في أذهان الغربيين.. وهكذا استمر به الأمر من حال إلى حال حتى أعلن إسلامه.. وهو إسلام فطري ظل يلازمه منذ طفولته.. نعم اتجه ميشال بكل قناعة إلى دار الفتوى في بيروت حيث أشهر إسلامه، وتسمى باسم «محمد ميشال الغريب».

عوامل كثيرة دفعت ميشال الغريب إلى إعلان إسلامه.. يرجع أول هذه العوامل إلى تشككه في صحة تعاليم النصرانية التي يناقض بعضها بعضًا، خاصة الزعم بألوهية عيسى ابن مريم -عليه السلام-، الفكرة التي تناقض نفسها بنفسها، وهو تناقض يتجلى في أوضح مظاهره أمام من يضع في الاعتبار الزعم بأن صلبه كان فداء لخطيئة البشرية!! بينما يقول الكتاب المقدّس على لسان المسيح نفسه: «ملعون كل من علق خشبة»! أي ملعون من صُلب!

في المقابل وجد ميشال الغريب في القرآن الكريم الرد الشافي لكل ما يدور في ذهنه من تساؤلات، حول حقيقة الله عزّ وجلّ، وبشرية عيسى -عليه السلام-.. هذا بالإضافة إلى وسطية دين الإسلام التي تجمع بين الجانبين الروحي والمادي في الإنسان، إلى جانب شريعته التي تصلح لكل زمان ومكان، وتنظيمه لعلاقة العبد بربه، وعلاقة العبد بالعبد، فضلًا عن حقيقة أنه جعل

التقوى -ولا شيء سواها- أساسًا للمفاضلة بين الناس.

أسهم ميشال الغريب بمؤلفاته الصادقة الجريئة في خدمة العديد من قضايا المسلمين، ففي كتابه «حريق المسجد الأقصى» الذي قام بتأليفه استجابة لطلب ورد إليه من مركز الأبحاث الفلسطيني، أوضح ميشال أن حريق المسجد الأقصى يؤكد الطبيعة العدوانية للدولة اليهودية، أما كتابه «التمييز العنصري في إسرائيل» فقد جاء ليفضح حقيقة الوجه البغيض للكيان الإسرائيلي الذي يقتات على دماء الأبرياء وأشلاء الضحايا.

ومن الأمور المهمة التي أشار إليها ميشال الغريب حقيقة أن الدعاة ما زالوا يعتمدون على الوسائل التقليدية في الدعوة إلى الله، بل أوصى بأن يواكب الدعاة التطور الفكري والعلمي للبشرية حتى يتمكنوا من تقديم عقيدتهم بما يليق بها من جلال وجمال وكمال، وحتى يقدروا على مواجهة اليهود الذين استغلوا وسائل الاتصال الحديثة وسيطروا على معظم وكالات الأنباء العالمية، وسخّروها لخدمة الصهيونية، فالمسلمون في رأيه يملكون مقدرات مادية مهولة، وإمكانات بشرية ضخمة بيد أنهم لا يوظفونها في خدمة الدعوة الإسلامية.

من ناحية أخرى ينبّه ميشال الغريب على حقيقة مهمة مفادها أن الإسلام لا يفرق بين الدين والدنيا، أو بين الشريعة والنظام وبالتالي لا مجال للعلمانية في ظله، على عكس بلاد النصارى التي قامت فيها العلمانية نتيجة للنزاع الذي كان دائرًا بين القساوسة من ناحية، ورجال السياسة من ناحية أخرى على مطالب دنيوية مثل جباية الضرائب، كما أنها قامت نتيجة لمحاربة الكنيسة لتطور العلوم على عكس الإسلام الذي يشجع عليه.

إلى كل إنسان غير مسلم.. أنت مدعو إلى تأمل هذه القصة..

انظر إلى ميشال الصغير الكبير.. وتأمل كيف أخرجته فطرته السليمة -بعد رحمة الله تعالى- من ظلمات النصرانية التي كان عليها آباؤه إلى نور الإسلام الذي كان يعشقه منذ نعومة أظفاره.. وتأمل كيف تحول من مسيحي صغير حلمت أسرته بأن يصبح في كبره قسًّا يشار إليه بالبنان إلى داعية مسلم لا يشق له غبار..

تأمل نفسك!!

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (26)

وفي الرؤيا هداية

قسيس ابن قسيس..

جده قسيس ووالدته نصرانية نشطة تعلم الإنجيل للنساء..

منذ صغره وُصف له سيد البشر وخاتم النبيين بصفات تنفر منها أذن العدو قبل الصديق والكافر الموضوعي قبل المسلم الحقيقي.. معلم قرآن نحيف القوام بسيط الثياب سأله عن دليله على ألوهية المسيح.. بحث في الأناجيل فلم يجد الدليل.. ترك النصرانية وبحث عن الحق في العديد من الديانات فلم يجده.. اعتكف في غرفته ثمانية أشهر يدعو الله أن يهديه سواء السبيل..

رأى نفسه في المنام يقف حائرًا وسط محيط من الظلمة المدلهمة.. أتاه رجل يرتدي الأبيض من الثياب يشع منه نور بدد الظلمة! طلب الرجل منه ترديد الشهادة فردّدها وراءه.. في صبيحة اليوم التالي وصف الرجل الذي رآه في المنام لأحد المسلمين.. انبهر بشدة حينما علم أنه الرجل ذاته الذي وصفوه له منذ صغره بصفات تشمئز منها الآذان بينما رآه على هيئة تشرح الصدر.. فرح بشدة كما لم يفرح من قبل واعتنق الإسلام.. إنه القس الإندونيسي الجنسية هولندي الأصل رحمة بورنومو الذي ندعوكم للتعرّف إلى قصته الباهرة.

ينتسب رحمة بورنومو إلى أب هولندي وأم إندونيسية وأسرة نصرانية ورثت الدين المسيحي أبًا عن جد.. جدّه قسيس ينتمي إلى مذهب البروتستانت، وأبوه قسيس على مذهب بانتي كوستا، ووالدته تعلّم الإنجيل للنساء، بينما كان هو قسيسًا، ورئيسًا للتبشير في كنيسة (بيتل إنجيل سبينوا).. قال وهو يتحدث عن قصة إسلامه إنه لم يخطر بباله ولو للحظة أن يكون مسلمًا في يوم من الأيام، إذ ظل والده ومنذ صغره يردد في أذنيه مقولة «إن محمَّدًا رجل بدوي صحراوي ليس له علم ولا دراية، ولا يقرأ وأنه أمّي»، ليس هذا فحسب بل قرأ للبروفيسور النصراني الفرنسي ريكولدي قوله في أحد مؤلفاته المغرضة التي كتبها ضد الإسلام: (بأن محمَّدًا رجل دجال يسكن في الدرك التاسع من النار)! هكذا ومنذ ذلك الحين تكونت لديه صورة سلبية عن الإسلام وعن رسوله -صلى الله عليه وسلّم- جعلته يمقت الإسلام بشدة ولا يفكر ألبتة في أن يتخذه دينًا.

في أحد الأيام أرسلته قيادة الكنيسة للقيام بأعمال تبشيرية في منطقة (دايري) بشمال جزيرة (سومطرة).. عقب انتهائه من مهمته التي استغرقت ثلاثة أيام أوى إلى دار مسؤول الكنيسة في تلك المنطقة، ليقيم معه إلى حين وصول السيارة التي تقله إلى موقع عمله.. فجأة وبلا مقدمات دخل عليه رجل نحيف الجسم، دقيق العود يرتدي كوفية بيضاء بالية، ولباسًا قد تبدل لونه من كثرة

الاستعمال، حتى أن نعله كان مربوطًا بأسلاك لشدة قدمه.. اقترب منه الرجل وبادله التحية ثم باغته بالسؤال التالي:

«لقد ذكرت في حديثك أن المسيح إله، فأين دليلك على ألوهيته؟».

رد عليه رحمة بورنومو باحتقار وقد تغيرت نبرة صوته من الغضب:

«سواء أكان هناك دليل أم لا فالأمر لا يهمك: إن شئت فلتؤمن، وإن شئت فلتكفر».

أدار الرجل ظهره لهذا القسيس ثم انصرف في أدب جم.

عندما عاد رحمة بورنومو إلى بيته ظل سؤال الرجل يتردد في دواخله بإلحاح: «أين دليلك على ألوهية المسيح؟»! دفعه سؤال الرجل إلى مراجعة كتب الإنجيل كلها ولفترة طويلة من الزمن بحثًا عن الإجابة الشافية لهذا السؤال العجيب.. انتبه أثناء بحثه إلى حقيقة أن هناك أربعة أناجيل مختلفة من تأليف البشر، فسأل نفسه: «هل هناك قرآن بنسخ مختلفة من تأليف البشر؟».. جاءته إجابة مفادها أنه قرآن واحد فقط! وليس عليه اسم مؤلف! درس الأناجيل الأربعة ولم يجد الدليل الذي يبحث عنه.. فإنجيل متّى يقول عن المسيح إنه ينتسب إلى إبراهيم وإلى داوود! وهذا يعني أن المسيح إنسان من بني البشر.. وإنجيل لوقا يقول عن المسيح إنه: (يملك على بيت يعقوب إلى الأبد، ولا يكون لملكه نهاية)! وإنجيل مرقس يقول: (هذه سلسلة من نسب عيسى المسيح ابن الله)! بينما يقول إنجيل يوحنا عن المسيح: (في البدء كان الكلمة، وكان الكلمة عند الله، وكان الكلمة الله)!

تأكد لبطل قصتنا أن الأناجيل الأربعة تتضمن رؤى مختلفة ومتناقضة عن طبيعة المسيح! لقد تفاجأ بالخلاف البارز في الأناجيل الأربعة حول صفة المسيح أهو إنسان أم ملك أم ابن الله؟! والأهم من ذلك تأكد أنه لا يوجد نص في أي إنجيل من الأناجيل الأربعة يقول إن المسيح إله!

وعندما واصل بحثه في الأناجيل وجد نصوصًا في إنجيل يوحنا تشير إلى دعاء المسيح وتضرعه إلى الله سبحانه وتعالى، فقال في نفسه: لو كان المسيح هو الله القادر على كل شيء لما احتاج إلى مثل هذا التضرع والدعاء! ألا يمثل هذا الدعاء اعترافًا صريحًا من المسيح بأن الله هو الواحد الأحد، وأن المسيح هو رسول الله المبعوث إلى قوم بني إسرائيل وحدهم.. وجد رحمة تأكيدًا على استنتاجه هذا في إنجيل متّى حيث يقول على لسان المسيح: (لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة)! فهذا يعني وبشهادة الأناجيل أن الله هو الواحد الأحد، وأن المسيح -عليه السلام- هو رسوله إلى بني إسرائيل فقط.

يتذكر رحمة وقد ارتسمت الدهشة على وجهه العبارات التي اعتاد على ترديدها في صلاته

(الله الأب، الله الابن، الله الروح القدس، ثلاثة في أقنوم واحد)، تحدث إلى نفسه في ما يشبه الهمس: إنه لأمر عجاب!!

لو سألنا تلميذًا في الصف الأول الابتدائي هل حاصل جمع 1+1+1=3؟ لقال: نعم، ثم إذا ذكرنا له: أن 3=1 لرفض هذه الإجابة بسبب التناقض في الإجابتين! وهذا هو عين ما ينطبق على تناقضات الكنيسة في صفات المسيح التي يناقض بعضها بعضًا.. وهو الذي يقول في الإنجيل بأن الله واحد، لا شريك له.

بعد قراءته الناقدة الفاحصة للأناجيل الأربعة والمقارنة بين نصوصها اتضح له جليًّا أن هناك تناقضًا صريحًا بين العقيدة التي كانت راسخة في نفسه منذ نعومة أظفاره، وهي عقيدة الثالوث، وما يقوله المسيح في الأناجيل بأن الله واحد أحد لا شريك له، فأي الاثنين هو الصحيح؟! دفعه السؤال الأخير إلى أن يبحث في الأناجيل من جديد فوجد في سفر إشعياء النص التالي: «اذكروا الأوليات منذ القديم، لأني أنا الله وليس آخر. الإله وليس مثلي». (سفر إشعياء 46: 9)

ومنذ تلك اللحظة اختفت من عقله تمامًا عقيدة الثالوث التي كانت راسخة في نفسه منذ أن كان طفلًا صغيرًا! اندهش رحمة بشدة عندما وجد ذات المعنى في القرآن عقب اعتناقه الإسلام حيث يقول الله تعالى في سورة الإخلاص: **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ** (1) **اللَّهُ الصَّمَدُ** (2) **لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ** (3) **وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ** (4).

من الأشياء التي انتقدها رحمة بورنومو في الديانة النصرانية والتي بسببها طلقها إلى غير رجعة ما يعرف بالذنب الوراثي، ويقصد به ذلك الذنب الذي اقترفه آدم عندما أكل من الشجرة المحرمة عليه.. فوفقًا للعقيدة النصرانية المحرّفة سيظل البشر يرثون هذا الذنب بمن في ذلك الجنين في رحم أمه.. اعتراض رحمة على بدعة الذنب الوراثي أو الخطيئة الأولى دفعه إلى البحث عنها في العديد من الكتب.. عندما رجع إلى العهد القديم وجد في سفر حزقيال ما يلي:

«الابن لا يحمل من إثم الأب، والأب لا يحمل من إثم الابن. بر البار عليه يكون، وشر الشرير عليه يكون.. فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقًّا وعدلًا فحياة يحيا. لا يموت.. كل معاصيه التي فعلها لا تذكر عليه». (سفر حزقيال 18: 20 - 22).

هذه النصوص وغيرها أكدت لرحمة حقيقة جلية مفادها أن نصوص صريحة من الكتاب المقدس نفسه تبطل أهم التعاليم المسيحية! أي تبطل الاعتقاد الخطأ للنصارى الذي يرى أن ذنوب بني البشر لا تغفر حتى يصلب المسيح! فالله تعالى لا يحتاج إلى وسيط حتى يغفر ذنوب البشر، بل إن أبا البشر آدم -عليه السلام-! هو أول من غفر الله له دونما وسيط.

ويستمر رحمة في انتقاده للتعاليم المسيحية مسلّطًا الضوء على مقولة إن المسيح هو المنقذ المخلص للعالم، بمعنى أن من آمن بألوهيته يحق له أن يفعل ما يشاء من الذنوب والمعاصي لأنه سينقذه من الحساب والعقاب! وهنا يقول ما دام المسيح الذي حوكم وأهين وصلب لم يستطع إنقاذ نفسه فكيف يستطيع إنقاذ الآخرين؟ ثم هل يليق بإله أن يكون عاجزًا عن الدفاع عن نفسه؟ إنها أسئلة منطقية لا يحمل الواحد منها أكثر من إجابة تتسق مع المنطق ذاته، إلا إذا كان المجيب يفتقر إلى العقل أو يفتقر إلى الحياد إن كان صاحب عقل.

في عام 1969 هجر رحمة مذهبه البروتستانتي ولكنه لم يترك الديانة النصرانية نفسها، إذ إنها (أي الديانة النصرانية) تحتوي على أكثر من 360 مذهبًا.. وعقب مغادرته المذهب البروتستانتي ظل يتنقل لمدة عام بين عدد من المذاهب النصرانية قبل أن يتخذ قراره الأخير بأن يهجر النصرانية بكل مذاهبها.. بعدها جرب عددًا من الديانات كالبوذية والهندوسية لعدة شهور فوجدها لا تشبع نفسه التوّاقة لمعرفة الحق.

عندما وصل رحمة بورنومو إلى طريق مسدود قرر اعتزال الجميع حيث دخل في خلوة مع نفسه وأخذ يدعو الله أن يهديه إلى طريق الحق.. فكان يردد في خشوع وتضرع: «يا رب: إذا كنت موجودًا حقًّا فخذ بناصيتي إلى الهدى والنور، واهدني إلى دينك الحق الذي ارتضيته للناس».

واظب رحمة بورنومو على هذا الدعاء لمدة ثمانية أشهر متواصلة، وفي ليلة الحادي والثلاثين من شهر تشرين الأول من عام 1971م الموافق للعاشر من رمضان بالتاريخ الهجري، وبعد أن فرغ من دعائه المعتاد راح في نوم عميق.. رأى في منامه العالم من حوله وهو غارق في ظلمة حالكة بحيث لا يستطيع رؤية يده إن أفردها أمامه.. فجأة ظهر أمامه رجل يشع منه نور بدد الظلمة الحالكة التي تحيط بالمكان! تقدم الرجل المبارك نحو رحمة.. كان يرتدي ثوبًا أبيض وعمامة بيضاء، له لحية وضيئة تحيط بها الهيبة ويعلوها البهاء.. ذو وجه باسم لم ير رحمة مثله من قبل في الجمال والإشراق.. خاطبه الرجل المبارك وقال له بصوت محبب يمتلئ ودًّا: (ردّد الشهادتين)! سأله رحمة مستفسرًا: (وما الشهادتان؟) فقال له الرجل: (قل: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله).. نطق رحمة بما أمره به الرجل بل كرره وراءه ثلاث مرّات.. غادر الرجل المكان وترك وراءه رحمة كمن يعيش في حلم باهر داخل حلمه الجميل.

في صبيحة اليوم التالي استيقظ رحمة من نومه مبهورًا بما رأى وسمع وقد وجد جسمه مبللًا بالعرق.. سأل أول صديق مسلم قابله في ذلك الصباح: (ما هي الشهادتان، وما قيمتهما في الإسلام؟)، فقال: (الشهادتان هما الركن الأول في الإسلام، ما أن ينطقهما الرجل حتى يصبح مسلمًا)، بعدها استفسر منه عن معناهما.. شرح له المسلم معنى الشهادتين.. فكر للحظات ثم تساءل عن الرجل الذي رآه في المنام، وهو يتذكر بوضوح شديد تفاصيل ملامحه.. هتف

صديقه المسلم حالما سمع منه الوصف وقال له في حماسة: (لقد رأيت الرسول محمَّدًا -صلى الله عليه وسلّم-).

اغرورقت عينا رحمة بالدموع! الرجل الذي طالما وصفوه له منذ صغره بصفات تشمئز منها الآذان أتاه بنفسه ليهديه إلى طريق الحق! شكر الله تعالى الذي هداه إلى ما كان يبحث عنه السنين الطوال، ومن دون أي تردد خيّر زوجته بين الإسلام والمسيحية، فاختارت الإسلام، وكذلك الحال مع أبنائه الذين اعتنقوا الإسلام عن قناعة تامة..

فطوبى لمن أسلم على يدي سيد الخلق مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم- في اليقظة أو في المنام.. والرؤيا جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة!

فهل ستحتاج أنت إلى زيارة الرسول لك في المنام؟!

أم ستكتفي بزيارته -صلى الله عليه وسلّم- لرحمة.. ليهديه الرحمة؟

لا تستهلك عمرك في البحث عما وصل إليه من هو أشد منك تكذيبًا للإسلام..

لم يجد ما يعينه على استمرار التكذيب.. عندها كان سيكذب قلبه وعقله ونفسه!

فاسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (12) - (30) - (31)

التاريخ يعيد نفسه

عندما تشعر الروح بالاحتياج إلى بارئها..

لا توجد قوة في الكون توقفها عن البحث للوصول إليه..

قد يضطهدها بعض الجبابرة..

قد تضطرها الأيام للكتمان..

إلا أنها ستبوح يومًا بالأسرار.. لا محالة ستبوح..

إن فراغ الروح يقتلها..

فلا تطمئن إلا إذا عادت إلى الحياة بالإيمان..

وبرغم هزيمة الجبابرة على مرّ التاريخ أمام الأرواح الطاهرة.. فإنهم مستمرون في الجبروت..

بطل قصتنا المنتصر على المتجبرين.. ولد في مدينة روما وعلى مرمى حجر من بابا الفاتيكان، ولأبوين كاثوليكيين شديدي التعصب لمذهبهما كان انتماؤه.. نفوره الفطري من الطقوس الكنسية الوثنية التي تقوم على الاعتقاد في الصور والتماثيل تركت في نفسه فراغًا روحيًّا حادًّا جعله شديد التعطش لعقيدة تملأ هذا الفراغ. إنه أندريه روماني بطل هذه القصة الذي هداه الله تعالى إلى اتباع الحنيفية السمحة فألحق به أهله الأذى والاضطهاد حتى هجر موطنه كما كان الحال مع المسلمين الأوائل.

ندعوكم الآن إلى التعرّف إلى الرحلة الباهرة التي قطعها أندريه من الضلال إلى الهدى.

ولد أندريه روماني في مدينة روما معقل الفاتيكان لأبوين كاثوليكيين شديدي التعصب لمذهبهما الكاثوليكي.. أجبرته أسرته في طفولته وصباه على الالتزام التام بالواجبات والطقوس الكاثوليكية، كما فرضت عليه التردّد على الكنيسة كل يوم أحد، بل حتّمت عليه الركوع على ركبتيه أمام تماثيل وثنية نفرت منها فطرته السليمة، وأمام قساوسة حرّفوا المسيحية لينفعوه ويمنحوه بركاتهم وهو الذي لم يشعر يومًا بنفعهم وبركاتهم.

في حديثه عن كيفية اعتناقه الإسلام يقول الدكتور أندريه روماني: كنت أشعر دائمًا بنفور وكراهية شديدين لبعض الطقوس القائمة أساسًا على الاعتقاد في الصور والتماثيل وهي طقوس

تركت في نفسي فراغًا روحيًّا شديد الحدّة، كما جعلتني أشعر دائمًا بعدم الرضا، بيد أنني كنت غير قادر على أن أجهر أو أبوح لأحد بما يمور ويعتمل داخل صدري، فقد كنت طالبًا في حاجة إلى دعم أهلي لي حتى أتمكّن من إكمال تعليمي، فضلًا عن ذلك فقد كنت أعلم علم اليقين أنني سوف أتعرّض للأذى المريع من قبل القساوسة والرهبان ومتعصّبي الكاثوليك لو تفوّهت بما يعتمل في عقلي من رفض للنصرانية.

ولكي أهرب من الفراغ الروحي الذي كنت أعانيه مُرّ المعاناة، انكببت على دراساتي بشدّة فحصلت على درجتين للدكتوراه الأولى في الطب والثانية في علم النفس.. عقب ذلك بدأت أسعى إلى القراءة الناقدة الفاحصة لمختلف الكتب التي تتناول عقيدة التثليث، وكنت أسعى من وراء ذلك إلى البحث عن الحقيقة بين صفحات الكتب، ومن أوائل الكتب التي قرأتها ما كتبه «توما الإكويني» عن عقيدة التثليث على المذهب الكاثوليكي.. ما أصابني بالدهشة أن المتناقضات التي حوتها الكتابات التي قرأتها دفعتني دفعًا إلى الإيمان بوحدانية الله تعالى، ونبذ عقيدة التثليث التي يأباها العقل والمنطق السليمان.

عقب ذلك بدأت خطواتي الأولى نحو الدين الإسلامي الذي أقرّ الوحدانية، فنزّه خالق الكون عن الشريك.. ساعدتني في ذلك كثيرًا قراءاتي لما كتبه بعض المفكرين الأوروبيين الذين أنكروا فكرة التثليث، وهاجموا مذهب الصور والتماثيل الذي يعلي الوثنية تحت راية النصرانية، ومن بين أولئك المفكرين «سوشينوداسينيا» و«سيرفيتو» و«بيتشي ديلا ميراندولا» وغيرهم.

القراءات السابق ذكرها أعادت إلى ذاكرة أندريه روماني تلك الدروس التي كان يتابعها في الجامعة للمفكر «الدوبراندينو» أستاذ الشريعة والتاريخ الإسلامي، وهي دروس متعمّقة تعرّف عبرها إلى الكثير من مقوّمات شريعة الإسلام.

وبعد ذلك بدأ أندريه ينهل بنهم من معين الكتب التي تعينه على الاستزادة في معرفة الإسلام، فانبهر بما فيه من بساطة تفوق الوصف ووضوح عقيدة لا يكتنفها أقل قدر من الغموض، ما جعله يصل إلى قناعة تامّة مفادها أن الإسلام هو الدين الحق وأن ما عليه قومه هو الباطل والضلال فبادر إلى إشهار إسلامه، فكان ردّ فعل أقاربه والكنيسة على ذلك شديدًا وعنيفًا.

لقد تعرّض أندريه عقب إشهاره لإسلامه لأصناف شتى من التعذيب والاضطهاد والتنكيل، تمامًا كما تعرّض لذلك المسلمون الأوائل، ما اضطرهم إلى الهجرة إلى أرض الحبشة حتى أعز الله دينه ونصر نبيه.. فقد اضطر روماني أيضًا إلى أن يترك بلدته بعد أن أذاقه أهلها الويل والثبور وعاش في الصومال حيث تزوج واستقر في ربوعها.. وهكذا يعيد التاريخ نفسه.

هذا ما دفع أندريه روماني للمقارنة بين سماحة المسلمين حين يكتب لهم النصر والتمكين،

وما سجّله التاريخ من وحشية النصارى في الحروب الصليبية وخلال فترات الاستعمار الذي حلّ بكثير من بلاد المسلمين حقبة من الزمن.

ويضيف أندريه: في أوروبا يتحدث الناس عمّا يسمونه التعصب الإسلامي، وينسون أن يقولوا إن النصارى قد استطاعوا الحياة بين المسلمين في بلادهم، في حين لم يقدر المسلمون قط على أن ينالوا حظًّا من ذلك في بلاد النصارى، ولنفكر فقط فيما حدث للمسلمين في إسبانيا وصقلية ولنصمت عمّا بقي كله..

نعم إنه دين التسامح..

تعايشت في كنفه وتحت سلطانه الأديان كلها.. في أمان وسلام..

لمَ لا وهو لا يُكره غير المسلمين على الإسلام؟!!

لا يُكره أحدًا لأنهم يدخلونه عن حب..

لقد غزا القلوب والأرواح قبل البلاد والممالك..

التاريخ المنصف يشهد بذلك..

الأرقام والإحصاءات تؤكد ذلك..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (26) - (27) - (29)

الراهب البوذي

عندما عبد الإنسان الأوثان قديمًا كان ضالًّا..

جاحدًا لآيات الله في الكون حوله..

أما في عصرنا الحديث.. فكيف نصف من يعبدون الأوثان والأحجار؟!

لا يستطيع أصحاب العقول الواعية.. والنفوس السوية أن يتقبلوا مثل هذه الأديان..

لا ينسجم العلم مع هذه العبادات..

لا يستسيغ القلب هذه الطقوس والعقائد..

من هذه العقائد.. العقيدة البوذية..

بطل قصتنا.. ولد لأبوين فقيرين يدينان بالبوذية.. ومنذ صغره كان ينفر من التماثيل التي يعبدها قومه.. مال في شبابه إلى قراءة الكتب الإسلامية.. قارن بين الإسلام وتعاليمه وممارسات قومه التي تأباها النفس السوية.. النتيجة التي توصّل إليها قادته إلى اعتناق الإسلام وتحول من راهب بوذي متزمت إلى داعية إسلامي متسامح.. إنه الراهب البوذي والزعيم السياسي التاميلي «ساندراموتي» بطل هذه القصة.

ولد «ساندراموتي» في إحدى قرى سيريلانكا.. كان أبواه ينتميان إلى طائفة «التاميل» وكانا كبوذيين يداومان على طقوس العبادة أمام الآلهة المزعومة.. بل أمام التماثيل الجامدة ذات الأشكال البشعة التي وظفها الكهان لكي يسيطروا على عقول البسطاء ويبتزوهم ليثروا هم ثراءً فاحشًا مقابل فقر مدقع يعيشه ضحاياهم من المستضعفين.

منذ صغره اتخذ ساندراموتي له موقفًا واضحًا تجاه تلك التماثيل أو الحجارة البليدة الصماء التي صنعها بنو جلدته ثم أمعنوا في إجلالها وتوقيرها؛ فهو لم يقتنع يومًا بأنها قادرة على أن تنفع أحدًا أو تضرّه.. وعندما نضج عقله بدأ يقارن بين تعدد عبادات البوذيين وأشكال تماثيلهم من جهة وما سمع المسلمون يرددونه عن إلههم الواحد الذي ليس كمثله شيء من جهة أخرى.

وتحدث ساندراموتي إلى نفسه فيما يشبه الهمس: نعم يمكن لبوذا أن يكون رجلًا زاهدًا وصاحب تعاليم صالحة، ولكن يستحيل له أن يرقى إلى درجة الإله، لأن الكون كان موجودًا قبل وجوده، وما زال باقيًا بعد رحيله!!

أفكار كثيرة وأسئلة محيرة كانت تدور في عقل ساندراموتي ما جعله صاحب نفس قلقة تواقة للبحث عن الحقيقة.. وما أن بلغ الثالثة والعشرين من عمره حتى كان قد اطلع على العديد من كتب الفكر.. وفي الفترة ذاتها اطلع ساندراموتي على سيرة الرسول مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم- ما دفعه إلى قراءة العديد من الكتب الإسلامية التي ألمَّ عبرها بحقيقة العقيدة الإسلامية وبكونها شريعة شاملة أرسلت للناس كافة، فضلًا عن أنها صالحة لكل زمان ومكان.

وأخذ ساندراموتي يقارن بين ما قرأه عن الإسلام وسيرة رسول الله مُحمَّد -صلى الله عليه وسلّم- والممارسات الوثنية للبوذيين وغرق الواحد منهم في الفواحش من شعر رأسه حتى أخمص قدميه.. بل انبهر كثيرًا بما يتميز به الإسلام من تنظيم محكم ودقيق لعلاقة العبد بأخيه، وعلاقة العبد بربه، تلك العلاقة المباشرة التي تتميز عن بقية الديانات السماوية وغير السماوية بخلوها التام من أي وساطة أو كهانة تقف بين العبد وربه.. كما أدهشته المساواة بين مختلف شرائح المجتمع التي ينفرد بها الإسلام حيث لا يتميز أحد عن غيره إلا بمدى تقواه وإخلاصه لربه.

ولم يمض وقت طويل حتى أشهر ساندراموتي إسلامه وهو في الرابعة والثلاثين من عمره وقد أضاف إلى اسمه اسمين وضيئين خالدين في ذاكرة كل مسلم، إذ تسمى باسم «ساندراموتي مُحمَّد أبو بكر».. وهنا تجدر الإشارة إلى أن أهالي سيريلانكا لا يقبلون أن يحتفظ شخص باسمه القديم إذا ما فكر في اتخاذ اسم جديد، بيد أن ساندراموتي كسر هذه القاعدة واحتفظ باسميه البوذي والإسلامي حتى يخدم الإسلام ويعرف به -كما يقول- لأن الاسم البوذي مع شخص مسلم يثير الكثير من التساؤلات عن الأسباب التي دعت أحد البوذيين إلى اعتناق الإسلام.

وما أن أشهر إسلامه حتى تحول ساندراموتي إلى داعية فاعل بدأ بعشيرته الأقربين حيث أخذ يحدث أسرته وأقاربه وأصدقاءه عن الإسلام وفضائله.. ولم يمض وقت طويل حتى استطاع أن يكون سببًا في إسلام شقيقه وشقيقته، ثم والديه، وتلاهم والد زوجته، وجدته، وزوجته وأبناؤه جميعًا.. ولم يأبَ الإسلام من أفراد عائلته إلا شقيقين له بقيا بوذيين لأنهما عضوان في «حركة نمور التاميل».

نعم خيركم في الجاهلية خيركم في الإسلام.. لم يكتف ساندراموتي باعتناقه للإسلام، إذ دفعته مشاعره المتأججة إلى أن يسهم في إنشاء «حزب المؤتمر الإسلامي»، وهو أول حزب إسلامي في بلاده، ليس هذا فحسب، بل قام بتأسيس منظمتين اجتماعيتين لخدمة الإسلام والمسلمين.. أكثر من هذا أذهل ساندراموتي الجميع بفوزه الساحق في الانتخابات البرلمانية ليكون عضوًا برلمانيًّا فاعلًا يسعى لرفع الغبن والظلم عن مسلمي سيريلانكا، فضلًا عن تبنيه لقضايا المسلمين وغيرهم من الأقليات المستضعفة المقهورة التي لا بواكي لها وليس لها أحد يتحدث عنها ويدافع عن حقوقها المسلوبة.

وهكذا أصبح ساندراموتي داعية إسلامي لا يخشى في قول الحق لومة لائم إذ وضع على عاتقه مهام الدعوة الإسلامية التي من أهمها التصدي لأساليب التنصير التي يقوم بها المنصرون بين أوساط المسلمين في بلاده، مستغلين عاملي الفقر والجهل، ولهذا السبب يدعو ساندراموتي إلى زيادة عدد المراكز الإسلامية الموجودة في بلاده عامة، وفي سيريلانكا خاصة التي يظن أنها وبحكم موقعها ستصبح مصدر إشعاع للدعوة الإسلامية في منطقتها.. ومن جهة ثانية يدعو ساندراموتي إلى ترجمة الكتب الإسلامية إلى اللغتين السيريلانكية والإنجليزية، كما يدعو إلى التوسع في برامج تعليم اللغة العربية لمسلمي بلاده كي يصبحوا بدورهم دعاة يشرحون مبادئ الإسلام لقومهم.

ومن الأمور المهمة التي طالب بها ساندراموتي ضرورة مساعدة حديثي العهد بالإسلام لأن هؤلاء يتعرضون لضغط هائل من أجل ارتدادهم عن الإسلام، كفقدان مورد رزقهم بطردهم من العمل، خاصة أن البوذيين يسيطرون على كل الأنشطة الاقتصادية وعلى كافة مناحي الحياة. وهنا يتساءل ساندراموتي والعبرة تخنقه: إذا كان أثرياء النصارى يدعمون الكنائس وحركات التنصير بالمبالغ الطائلة، فما بالهم أثرياء المسلمين يتقاعسون عن القيام بواجبهم تجاه الدعوة الإسلامية؟!

سبحان الله!! من كان يظن أن راهبًا بوذيًا يعمل قومه جاهدين على قطع شأفة المسلمين يتحول بفضل الله سبحانه وتعالى إلى داعية همام ينافح في شراسة لنصرة هؤلاء المسلمين ضد بني جلدته؟!! بل يتحول إلى سياسي كبير يثق به المسلمون فيمنحونه أصواتهم ليدخل البرلمان مدافعًا عن قضاياهم ومصالحهم في وجه البوذيين؟!

إنها قدرة الله.. هدايته للباحثين عنه في كل شيء.. حتى في أنفسهم..

فطوبى للمهتدين.. طوبى لهم..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (6) - (26) - (29)

مفتاح السعادة

وما يعلم جنود ربك إلا هو..

عندما يريد الله أمرًا يسخّر له ما يشاء من مخلوقاته..

يظن المرء أن الأمر في غاية الصعوبة.. فإذا بأقل مخلوق لله ينهي المهمة!!

أيها السادة.. إنه الله.. وكفى..

فربّ صدفة خير من ألف ميعاد، وربّ عثرة خير من ألف قفزة..

عثرة في حفرة ارتقت ببطل قصتنا من درك مادي سحيق إلى فلك نوراني شفيف..

لقد تفوّقت حفرة صغيرة على منطق الكتب والمراجع وتراكم الخبرة والتجارب لتكون سببًا في تغيير مسار حياة بطل قصتنا هذه!!

إنه مارك شليفر أستاذ علم الصحافة الأمريكي بجامعة نيويورك.

على الرغم من انتمائه إلى أسرة مسيحية كاثوليكية، فإنه لم يكن ملتزمًا بدين معيّن.. ففي فترة من فترات حياته كان يعمل في المغرب مراسلًا للإذاعة الأمريكية، ولعدد من المجلات في نيويورك.. سخّر له الله تعالى حفرة هناك كانت سببًا في إسلامه..

قد يبدو الأمر في غاية الغرابة لكن يجب ألا ننسى أن الله تعالى يضع سرّه في أضعف خلقه.. ويهدي إليه من يشاء كيف يشاء سبحانه.

تحدث مارك عن ذلك في إطار حديثه عن إقامته في المغرب فقال: «الفترة التي قضيتها في المغرب كانت تمثل مفتاح السعادة بالنسبة إليّ ولأسرتي.. حقيقة لقد رأيت هناك ولأوّل مرّة في حياتي عالمًا جديدًا يختلف كليّة عن العالم المادي الذي تركته ورائي في الولايات المتحدة الأمريكية.. ما لمسته عن قرب من جمال في تلك الديار، وما وجدته من روعة في السلوك الإسلامي شدّني بقوّة وجذبني نحو شريعة الحق».

استرسل مارك في حديثه وهو يذكر -في إعجاب- موقفًا حدث له في المغرب عندما كان يرقد طريح فراش المرض فقال: أصبت ذات مرّة بعلّة ألزمتني الفراش.. انبهرت آنذاك بمقدم العشرات من الجيران والمعارف لزيارتي والاطمئنان على صحتي.. كان كل منهم يحاول جاهدًا وفي

منتهى الصدق والإخلاص أن يصنع لي شيئًا.. حقيقة أنستني الدهشة مرارة المرض.. كيف لا وقد فوجئت بسلوك إنساني نبيل لم أجد له نظيرًا في بلدي الأم، حيث الجميع يهتمون فقط بأنفسهم، إذ إن الطابع المادي البحت للحياة هناك صبغ الناس بصبغة أنانية شرسة جعلتهم مجرّد آلات باردة خالية من المشاعر، ما جعلهم لا يكترثون ألبتة بما يصيب الآخرين.. فهناك -في الولايات المتحدة- يكون المرء محظوظًا للغاية إذا حظي بمساعدة من أحد أو إذا زاره أهله خلال فترة مرضه، أو حتى إذا سألوا عنه مجرد سؤال.. وكانت دهشتي الكبيرة حينما سمعت إجابتهم عن سؤالي لهم عن الدافع الذي حملهم على ما فعلوه من أجلي دون مقابل؟!

فأجابوا جميعًا: إننا لم نفعل إلا ما فرضه علينا ديننا الإسلامي الحنيف، وما أمرنا به رسولنا الكريم سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلّم-.

أضاف مارك في مزيد من الإعجاب إلى الموقف السابق موقفًا آخر تعرض له في المغرب فقال: «وأنا بالمغرب خرجت لأوّل مرة إلى سوق شعبي بمدينة الرباط.. تعثرت قدمي في حفرة صغيرة فسقطت على الأرض.. في اللّحظة ذاتها التي ارتطم فيها جسدي بالأرض تدافع نحوي عدد من المغاربة وهم ينشدون مساعدتي على النهوض.. كانوا يسألونني في لهفة وإشفاق -وقد ارتسمت على وجوههم دلائل القلق- عمّا إذا كنت قد أصبت بسوء!!».

استطرد مارك في حديثه قائلًا: «بعد هذا الموقف الذي تعرّضت له دخلت في مناقشات طويلة وواسعة مع العشرات من علماء الإسلام.. تعلّمت من تلك المناقشات الكثير من أمور الإسلام ما جعل إعجابي به يزداد يومًا بعد يوم.. شيئًا فشيئًا ومع مرور الوقت وجدت كلًّا من عقلي وقلبي يكادان يفيضان بعقيدة التوحيد.. انكببت بعدئذٍ أدرس في شغف ترجمة لمعاني القرآن الكريم.. وما أن استوعبت بعضًا من معاني الآيات القرآنية الكريمة حتى وجدت نفسي تتوجه إلى الله تعالى راجية منه عزّ وجلّ الهداية إلى الطريق المستقيم».

صمت مارك هنيهة وسرح ببصره بعيدًا ثم أضاف وهو يهز رأسه في ثقة ممزوجة بسرور من حصل على أعظم جائزة في حياته قال: وبينما أنا أقلّب في خشوع صفحات القرآن الكريم إذ بي أجد نفسي مستغرقًا في قراءة تفسير الآيتين الكريمتين التاليتين:

«لا تُدرِكُهُ الأَبصارُ وَهُوَ يُدرِكُ الأَبصارَ وَهُوَ اللَّطيفُ الخَبيرُ (103) قَد جاءَكُم بَصائِرُ مِن رَبِّكُم فَمَن أَبصَرَ فَلِنَفسِهِ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيها وَما أَنا عَلَيكُم بِحَفيظٍ (104)» (الأنعام).

وما أن أكملت قراءتي لتفسير الآيتين السابقتين حتى وجدت نفسي غارقًا وسط فيوض من الدموع.. نعم كانت الدموع تنهمر من عيني بلا توقف.. أيقنت حينذاك أن هذه إشارة صريحة من الله عزّ وجلّ ترشدني إلى أن أسرع الخطى نحو الدخول في دينه الحنيف، واللّحاق بركب

الموحدين.. استجبت سريعًا للنداء؛ فحزمت حقائبي على الفور ثم سافرت إلى أمريكا حيث أشهرت إسلامي أنا وزوجتي وولدي بالمسجد الكبير في نيويورك.

في خاتمة هذه القصة لا نملك إلا أن نردد بقلوبنا قبل ألسنتنا.. سبحان الله!!

سبحان الله تعالى الذي قيض لبطل قصتنا مارك شليفر حفرة صغيرة انتشلته من حفرة المادة الآسنة وسمت به عاليًا ليدور في فلك نوراني شفيف..

حفرة تعثر فيها بغتة وسقط على الأرض فعثر عبرها على جوهرة الحق التي سمت بنفسه عاليًا لتحلّق بها إلى ما وراء الغيوم..

فحينما يشير إليك الله بالنور.. اتبعه.. ولو بخطوة واحدة..

حينما يضع في طريقك علامة.. اتبعها.. اغتنمها..

خطوة واحدة منك نحو الله.. ستتبعها خطوات من الله إليك..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (1) - (20) - (26) - (29)

العذاب الأبدي

أنت.. يا من لم تسلم بعد..

ماذا تنتظر؟!

لم يبق من العمر الكثير!!

العدّ التنازلي.. مستمر على مدار الثانية..

المهلة.. تقترب من النهاية..

النهاية.. لا نتمناها لك.. لمَ تغفل عنها؟!

قلبك يحمل إيمانًا فطريًّا بالله.. بالتأكيد..

العظماء كلهم بحثوا فلم يجدوا إلا الله.. تركوا الملذات كلها.. تركوا الأوهام كلها.. نهلوا بعد العطش حتى ارتووا من الإسلام.. هاهو واحد منهم.. يخبرك بنفسه.. كان بارونًا إنجليزيًّا ذائع الصيت.. تخرج في جامعة أوكسفورد... يمتلك شعبية كبيرة ويحظى بسمعة عريضة.. تربى تحت تأثير أبوين مسيحيين.. اهتم في صغره بعلم اللاهوت، كما اهتم لاحقًا بالعمل التبشيري.. رغبته في الخضوع للإله الحق وعبادته، وما وجده من تناقض وتحريف في المذاهب المسيحية دفعاه إلى أن يبدأ رحلته الحقيقية في البحث عن الحق.. كرّس وقته لدراسة الإسلام؛ فوجد الجوهرة الثمينة التي ظل يبحث عنها لسنوات طويلة..

إنه اللورد جلال الدين برانتون بطل هذه القصة الذي يحدثنا عن قصة إسلامه فيقول: منذ سنوات ليست بالكثيرة انصب اهتمامي على عقيدة (العذاب الأبدي) لكل البشرية باستثناء بعض المختارين.. دراستي لهذه العقيدة جعلتني أمقتها بشدة كما أدخلت الشك إلى نفسي.. تفكيري المنطقي أوصلني إلى حقيقة مغايرة مفادها أن الإله الذي يستخدم قدرته لخلق الكائنات البشرية بحيث يجعلها معذبة للأبد يستحيل أن يكون إلهًا حكيمًا أو محبًّا -تعالى الله عما يصفون علوًّا كبيرًا- إذ إن مستواه -لو كانت هذه صفاته- لا بدّ من أن يكون أقل من الكثير من البشر الذين يتسمون ولو بقدر يسير من الحكمة.. وعلى الرغم من هذه الوساوس لم أترك اعتقادي بوجود الله تعالى.. كنت نافرًا من قبول الفهم السائد للتعاليم التي تقوم بالوحي الإلهي للرجال.. تركت المسيحية جانبًا وحولت اهتمامي للتحقيق في الأديان الأخرى.

شيئًا فشيئًا كبرت في داخلي الرغبة الصادقة في الخضوع للإله الحق وعبادته.. وعلى الرغم من أن المذاهب المسيحية جميعها تدعي أنها أُسِّست على الإنجيل فإنني وجدتها متناقضة فضلًا عمّا يكتنفها من التحريف، ولهذا السبب قررت دراسة الإنجيل بصورة عميقة وموضوعية.. شعرت من خلال دراستي للإنجيل بأن هناك شيئًا ناقصًا.. صممت على إكمال ذلك النقص بنفسي، بغض النظر عن مذاهب البشر.. بدأت أتعلم بأن الناس يمتلكون «الروح» وأنهم يستحوذون على «قوة ما غير مرئية» وهي قوة خالدة، كما بدأت أتعلم حقيقة أن الآثام لن تذهب هباء وأن الله تعالى سيعاقب عليها في هذا العالم وفي العالم الآخر، كما توصلت إلى حقيقة جلية مفادها أن الله تعالى الغفور الرحيم سيغفر ذنوبنا -برحمته وإحسانه- إذا ما تبنا إليه توبة نصوحًا خالصة.

وأضاف اللورد جلال الدين قائلًا: ما توصلت له سابقًا من نتائج دفعني إلى إجراء المزيد من الدراسات العميقة.. وفي إطار بحثي المضني عن «الجوهرة الثمينة»، كرّست وقتي لدراسة الإسلام؛ ففي ذلك الوقت شدني شيء إليه.. في مكان مغمور من قرية «إتشرا» بدأت أكرس وقتي لعبادة الله العظيم وسط أدنى طبقات المجتمع، مع رغبتي الصادقة في رفعهم إلى مستوى معرفة الإله الحق والواحد، إضافة إلى حرصي على أن أغرس في نفوسهم الشعور بالأخوة والطهارة.

وأضاف اللورد جلال الدين قائلًا في تواضع: لا أود الحديث عن كيفية عملي بين أولئك الناس، ولا الحديث عن التضحيات التي قدمتها لهم أو المصاعب الكثيرة التي مررت بها.. كل ما يمكنني قوله -ببساطة ودونما تعقيد- هو أنني واصلت العمل بينهم من أجل تحقيق هدف واحد، هو خدمة تلك الطبقات البسيطة ماديًّا ومعنويًّا.

وأخيرًا بدأت خطوتي نحو الهدي الإلهي بدراسة حياة النبي محمد -صلى الله عليه وسلّم-.. فيما مضى لم أكن أعرف إلا القليل مما فعله، مقابل معارف مغلوطة كثيرة تشتمل على إدانة المسيحيين لمجده وتشويه لصورته.. قررت حينها أن أنظر في المسألة بصورة موضوعية محايدة بعيدًا عن روح الحقد والتعصب.. وبعد مرور وقت ليس بالطويل توصلت إلى استحالة وجود شك في جدية بحث النبي محمد -صلى الله عليه وسلّم- عن الحق وعن الله تعالى.

وعقب قراءتي عن الإنجازات التي حققها النبي محمد -صلى الله عليه وسلّم- للبشرية أدركت كم هي خاطئة ومجحفة إدانة المسيحيين لهذا الرجل المقدّس.. لقد غيَّر قومه نحو الأفضل أيما تغيير؛ إذ غرس فيهم مكارم الأخلاق.. فبينما كانوا في الجاهلية يعبدون الأصنام، ويعيشون على الجريمة، ويتمرغون في أوحال القذارة والعري، حطم أصنامهم وجعلهم يعبدون الله تعالى الإله الحق.. علّمهم كيف يلبسون.. استبدل طهارة طيبة بقذارتهم القبيحة، وأكسبهم كرامة شخصية واحترامًا ذاتيًّا.. أصبح كرم الضيافة عندهم واجبًا دينيًّا.. بل أصبحت الأمة الإسلامية هي المجتمع الشامل القوي والأكثر منعة في العالم.. لقد أنجزت هذه الأمة الكثير من الأعمال الخيّرة الجليلة

التي هي من الكثرة بمكان بحيث لا يمكننا ذكرها هنا.

واستنكر اللورد ما فعله المسيحيون في صناعتهم لصورة ذهنية مشوّهة عن رسول الله محمد -صلى الله عليه وسلّم- فقال: «كم هو محزن أمام كل هذه العبقرية الباهرة تكريس المسيحيين الجهد للحط من قدر هذا الرسول الكريم -صلى الله عليه وسلّم-.. استحوذ عليّ حينذاك تفكير عميق.. في أثناء تأملاتي تلك زارني سيد هندي اسمه «معين أمير الدين».. لقد سخّره الله تعالى ليهب الهواء على جذوة النار التي تتأجج بداخلي لتزداد اشتعالًا.. تأملت الأمر بشكل أكثر عمقًا.. بدأت أقدم الحجج واحدة تلو الأخرى منتقدًا الدين المسيحي المعاصر، ومناصرًا للإسلام الذي اقتنعت تمام الاقتناع بأنه دين الحق، واليسر، والتسامح، والإخلاص، والأخوة».

اعتنقت الإسلام وقلت في نفسي لم يتبق لي من العمر الكثير لأعيشه على ظهر هذه الأرض، وبالتالي أريد أن أكرّس كل ما بقي لي منه في خدمة الإسلام..

نختتم قصة اللورد جلال الدين بالتأكيد أن لصاحب الفطرة السوية نفسًا طيبة لا تخلد إلى الانشغال بملذات الدنيا التي وفرها المجتمع المادي لصاحبها، إذ سيظل يعيش في حالة أرق وقلق دائمين يبحث عن الحقيقة إلى أن يسخّر له الله تعالى شخصًا يشكل في حياته علامة فارقة كما سخّر لبطل قصتنا هذا صديقه الهندي الذي نفخ في جذوة نار الهدى التي تعتمل داخل قلبه هبة من هواء زادتها اشتعالًا ليتحول من مسيحي رضع الكره للإسلام إلى داعية مثابر يدعو بني قومه وغيرهم إلى حبه والدخول في رحابه..

وسبحان من يهدي أشد العصاة والكارهين للإسلام..

ليس فقط ليدخلوا فيه ويؤمنوا به.. بل ليكونوا دعاة إليه..

إن هذا لآية في حد ذاتها لو تدبرها غير المسلمين!!

آيات في الإيمان.. آيات في التدبير.. آيات في محبة الله لمن يصدق النية في البحث عنه..

تدبروا الآيات فالعمر لحظة.. لحظة لا تمهل من حانت لحظته..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (14) - (26) - (29)

القناع الزائف

عندما تفقد الحضارة الإنسانية إنسانيتها.. ماذا يبقى لها؟!

عندما تعلو قيم القوة المادية.. وتختفي قيم القوة الروحية.. فأين الإنسان؟!

عبر تاريخ البشرية تعاقبت الحضارات..

درس واحد خرج به الإنسان عبر الحضارات كافة..

وبرغم ذلك يتعمّد بعضهم تجاهل الدرس..

درس واحد للإنسان يقول.. لن تجد السعادة إلا مع الله..

بطلة قصتنا إنسانة.. شديدة الإنسانية..

إنسانيتها هي التي أنجتها وقادتها إلى الهدى والإيمان..

بحثت عنه.. فبحث عنها..

مولدها كان في مدينة ليون الفرنسية.. ترعرعت في كنف أسرة كاثوليكية شديدة الثراء وعريقة الأصل.. جدها هو شاعر فرنسا الكبير «لامارتين» الذي طبقت شهرته الآفاق.. اتجهت إلى الكتابة منذ نعومة أظفارها.. فشل زيجتها الاثنتين دفعها إلى التفرغ للكتابة والرسم.. صدمت بشدة في الحرب العالمية حينما اكتشفت وحشية الإنسان الأوروبي المسيحي وبشاعته الذي يرتدي مسوح الرهبان..

رحلت إلى الشرق فانبهرت بوجود حياة روحية لم تعرفها في بلادها.. دخلت الإسلام وأصبحت من دعاته ومناصريه.. إنها الكاتبة الفرنسية فلانتين دي سان بطلة هذه القصة.

تزوجت فلانتين في وقت باكر من مدرس في المرحلة الثانوية.. لم تكن سعيدة بزواجها لأن زوجها لم يكن ذلك الرجل الذي يستطيع أن يستوعب امرأة تتمتع بذكاء متفرد واطلاع واسع وطموح جامح.. على الرغم من حياتها الزوجية التي تفتقر إلى السعادة ظلت وفية لزوجها حتى توفي، بينما لم يحل زواجها المتعثر السابق ذكره دون أن تصبح كاتبة مشهورة يشار إليها بالبنان.

تزوجت بعد ذلك بأحد الوزراء الفرنسيين «شارل ديمون»، وظنت أنه سيكون الزواج الأمثل مقارنة بسابقه.. أصابتها الحسرة حينما اكتشفت بعد الزواج أن بريق الشهرة كان يخفي وراءه

جوانب معتمة من زوجها الثاني.. عقب مرورها بقدر من المشاكل والمنغصات في حياتها الزوجية الثانية حصلت على الطلاق وتفرغت بعد ذلك للكتابة والرسم.

عندما قامت الحرب العالمية الأولى كشفت القناع الزائف عن الوجه الأوروبي البشع الذي كان يبدو لها فيما مضى وجه حمل وديع مسالم.. صدمت بشدة حينما شاهدت الناس يتحولون إلى ذئاب بشرية ضارية يتعاركون داخل مجتمع مادي لا يرحم، بل وسط غابة من الفوضى نظريتها المثلى المذهب الميكافيللي «الغاية تبرر الوسيلة» بينما قانونها الوحيد المستمد من الفكر الداروني هو «البقاء للأقوى».

لم تحتمل روحها الشفيفة الحقيقة المرّة، فغادرت أوروبا إلى شمال أفريقيا تحديدًا إلى المغرب ومن ثم إلى مصر.. أعجبت فلانتين بطبيعة الحياة في موطنها الجديد.. وجدت الحياة الروحية التي لم تعرفها من قبل ولم تتذوق طعمها في بلادها.. اندهشت لمرأى أهل الشرق من المسلمين.. كانت تظنهم -كما وصفهم مواطنوها- مثالًا للتخلف، والهمجية والرجعية.. انبهرت بطبيعة الحياة الجديدة التي تسودها قيم التماسك والتعاطف، والتكافل المجتمعي، والمودة والتراحم، والتعاون على عمل الخير.. نعم من خلال أهل الشرق رأت الإسلام في صورته الحقيقية.. على العكس من الصورة الذهنية التي غرسها في عقلها بنو قومها منذ نعومة أظفارها.. عبرت عن ذلك بقولها:

«لقد رأيت -ولأوّل مرة- الإسلام على حقيقته، وليس كما صورته لي الكنيسة والقساوسة.. رأيت المسلمين وهم ينطلقون إلى المساجد كلما انطلق صوت المؤذن للصلاة.. وعدت بذاكرتي إلى الوراء، إلى أيام طفولتي، حينما كنت أذهب قسرًا إلى الكنيسة لأستمع إلى ترهات القساوسة، في حين تتبادل الفتيات والسيدات مع الشباب نظرات لا تخفى وقاحتها على أحد».

ثم تستطرد قائلة: «لقد عرفت الفرق بين ما يدعو إليه الغرب المادي من مثالية زائفة لا تطبق، وما يمارسه الشرق الإسلامي من سلوكيات حية تترجم فيها قيم الإسلام ومبادئه.. فأيقنت أن العبرة تعود إلى الحافز الروحي الذي يتحكّم في النفوس ويوجه الإنسان إلى الخير أو الشر.. لقد قارنت بين ما شاهدته من قيم الإسلام وما لقنوه لي من تعاليم المسيحية، فأدركت بحسي عظمة الإسلام، وكونه الدين الوحيد الذي ينظم علاقة العبد بربه، وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان، دون حاجة إلى وساطة القساوسة، أو طلاسم الرهبان وأكاذيبهم».

بالإضافة إلى ما سبق ذكره كانت هناك أسباب أخرى حببت الإسلام إلى «فلانتين».. من بين هذه الأسباب تحطم الصورة النرجسية المثالية للإنسان الأوروبي في داخلها.. تلك الصورة الزائفة التي تصور الإنسان الأوروبي المسيحي كملاك حارس لحقوق الإنسان، وكحارس أمين لحماية القيم النبيلة، وكراعٍ مخلص للإنسانية المعذبة من آلامها الدفينة.. نعم تفاجأت برؤية الوجه الأوروبي

الحقيقي البشع متمثلًا فيما كان يفعله مواطنوها الفرنسيون بالشعوب الضعيفة المسلوبة الإرادة التي تعيش في بعض الدول العربية الإسلامية.. أيضًا رأت وجه أوروبا المسيحية القبيح فيما كان يمارسه الإيطاليون من وحشية مريرة في ليبيا.. كما رأته فيما قام به الإنجليز من مذابح في دنشواي بمصر.. وعن كل ذلك تقول الكاتبة فلانتين:

«لقد تحطمت الصورة المثالية للإنسان الأوروبي في داخلي بعد أن أدركت كيف يستغل قومي المسيحية واسم المسيح -عليه السلام- من أجل غايات ومصالح شخصية، ولذلك لم يطل بي الوقت لأعلن كفري بما يدينون به، وأشهر إسلامي بعد أن أدركت أنه دين الحق».

وما أن دخلت فلانتين الإسلام حتى نذرت حياتها للدفاع عنه وللدعوة إليه إذ وجدت فيه روحانية غريبة لم تتذوق حلاوتها منذ أن ولدت، وهذا ما دفعها إلى أن تطلق على نفسها اسم «روحية نور الدين».

أوقفت «روحية» مهاراتها في مجال الكتابة للدفاع عن حرية الشعوب العربية المسلمة ووظفتها للتنديد بالاستعمار الفرنسي والبريطاني البغيضين، ما دفع سلطات الاحتلال الإنجليزي إلى المطالبة بطردها من مصر، غير أن آمال المحتلين تحطمت على صخور شهامة رجال مصر الوطنيين، ساعدها على ذلك تعرفها الرموز الوطنية والفكرية في مصر وفي غيرها من البلاد العربية.

ولإذكاء الروح الوطنية في نفوس العرب والمسلمين لمقاومة الاحتلال خصصت الكاتبة «روحية» صفحات في مجلتها «فوتيكس» للتعريف بالوطنيين العرب، وتقديم نماذج لقادة المسلمين الأكفاء، كالملك عبدالعزيز -رحمه الله- الذي أكدت أنه نموذج للقائد العربي المسلم المؤهل لقيادة العرب والمسلمين على هدى كتاب الله الكريم وسنة نبيه الأمين -عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم-.

ليس هذا فحسب بل استطاعت الكاتبة روحية أن تفضح الاحتلال الفرنسي بتسليطها الضوء على ممارساته الوحشية التي نفذها ضد الشعب العربي السوري وذلك في كتابها «الحقيقة عن سورية».

وكنتيجة طبيعية لمواقفها الشجاعة في الدفاع عن الإسلام والمسلمين شنت الحرب على روحية حتى وصل بها الأمر إلى إغلاق مجلتها، فاعتكفت في منزلها بأحد أحياء القاهرة تتعبد الله سبحانه وتعالى في وحدة اختارتها بنفسها لكي تكون في معية الله تعالى بعد أن رفضت العديد من عروض الزواج. وظلت هذه حالها إلى أن انتقلت إلى رحاب الله تعالى عن عمر يناهز 78 عامًا حافل بالعطاء الصادق لخدمة الإسلام والمسلمين.

انتقل جسد روحية نور الدين إلى الدار العامرة ولكن ظلت ذكراها باقية في قلوب من عاصروها، وحية في عقول كل الأجيال اللاحقة وذلك من خلال أعمالها الكبيرة وكتاباتها الجليلة التي دافعت عبرها عن الإسلام والمسلمين دون أن تخشى في قول الحق لومة لائم ودون أن تندم على نعيم دنيوي زائل عاشته في النصف الأول من عمرها ثم ركلته عندما أنار الله تعالى قلبها وعقلها بنور الإيمان..

أدركت روحية أن حضارة تدمر وتخرب.. ليست حضارة تليق بالإنسان..

أدركت أن الدين الذي لا يغرس في الإنسان الرحمة.. ليس دين الله..

أدركت أن الروح النقية لا تحيا بلا خالقها..

فهل أدركتم أنتم؟!!

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (26) - (29)

المقارنة العجيبة

السعادة.. كلمة السر في حياة الإنسان..

الكنز المفقود الذي يبحث عنه الجميع.. برغم وضوحه التام..

لذا تجد المؤمنين يعرفون طريقه ومصدره.. يرونه جليًّا.. يملكونه بالفعل..

بينما غير المؤمنين يتخبطون.. فلا يجدونه أبدًا.. لأنهم يبحثون في المكان الخطأ..

إنه الإيمان.. وحده سر السعادة..

الإسلام.. وكفى به نعمة من الله..

بطل قصتنا اكتشف ذلك بعد أن عاش مقارنة عجيبة.. حيث نشأ في بيئة مسيحية بروتستانتية.. تأثره بالفلسفة الوجودية جعله ينظر إلى الأديان كمعتقدات خرافية.. عمله بالصحافة مكّنه من زيارة العديد من البلدان.. سافر إلى السويد في نهاية الحرب العالمية الثانية وعمل بها مراسلًا صحفيًّا لأكثر من خمس سنوات.. لاحظ تعاسة الناس هناك برغم رفاهيتهم المترفة.. سافر إلى بعض البلدان الإسلامية.. وجد المسلمين يعيشون في سعادة وهناء على الرغم من فقرهم المدقع.. تساءل في دهشة: لماذا يشعر المسلمون بالسعادة الغامرة في بلدانهم على الرغم من مظاهر الضنك والفقر والتخلف الشديد التي تتسم بها حياتهم؟! ولماذا يشعر السويديون بالتعاسة والضيق برغم سعة العيش والرفاهية والتقدم الذي يعيشون فيه؟! هذان السؤالان دفعاه إلى دراسة الإسلام بعمق.. فانتهى به الأمر إلى اعتناقه.. إنه المفكر السويسري روجيه دوباكييه بطل هذه القصة.

المقارنة العجيبة بين مستوى السعادة في كل من السويد والدول الإسلامية التي زارها بطل قصتنا جعلته يفكر بعمق في معنى الحياة، كما دفعته إلى تأملها من خلال النموذجين السابق ذكرهما.. فقال في ذلك: «كنت أسأل نفسي: لماذا يشعر المسلمون بالسعادة الغامرة في حياتهم على الرغم من أنهم يرزحون تحت نير الفقر والتخلف؟! في المقابل لماذا يشعر السويديون بالتعاسة والضيق على الرغم من سعة العيش والرفاهية التي يعيشون فيها؟! ليس في السويد فحسب بل حتى في بلدي (سويسرا) كنت أشعر بنفس التعاسة التي يشعر بها السويديون، على الرغم من أن سويسرا بلد تتميز فيه الحياة بالرخاء، ومستوى المعيشة مرتفع!».

أضاف روجيه قائلًا: «ما سبق ذكره دفعني إلى أن أدرس وأبحث في ديانات الشرق.. بدأت بحثي

بدراسة الديانة الهندوكية فلم أجد فيها ما يقنعني.. تحولت إلى دراسة الدين الإسلامي.. شدتني إليه حقيقة أنه لا يتعارض مع الديانات الأخرى، ولا يعمل على إقصائها، وإنما يتسع لها جميعها.. ولا غرابة فهو خاتم الأديان.. نعم إنها حقيقة ظللت أزداد يقينًا بصحتها كلما توسعت في قراءاتي.. رسخت تلك الحقيقة في ذهني تمامًا عقب اطلاعي على مؤلفات الفيلسوف الفرنسي المعاصر «رينيه جينو» الذي اعتنق الإسلام.. الحقيقة وكما هو الحال مع الكثيرين ممن تأثروا بكتابات هذا الفيلسوف الفرنسي واعتنقوا الإسلام، اكتشفت أن الإسلام يعطي معنًى حقيقيًّا للحياة، على عكس الحضارة الغربية التي تسيطر عليها المادية.. فهذه الأخيرة لا تؤمن بالحياة الآخرة، وإنما تؤمن فقط بهذه الدنيا».

وهكذا نجد أن «روجيه دوباكييه» تأثر بفكر الفيلسوف الفرنسي «رينيه جينو» الذي اعتنق الإسلام، كتأثره السابق بالسعادة التي وجد المسلمين يعيشون في كنفها عند زيارته للدول الإسلامية.. لقد وجد المسلمين كما سبق ذكره يعيشون سعداء برغم الظروف المادية السيئة التي يعيشون في ظلها.. انبهر بشدة عندما وجد نفوسهم تتمتع بقدر كبير من الإيمان الراسخ.. بل اندهش عندما وجدهم لا يعانون الأزمات الأخلاقية التي يعانيها أهل الغرب، تلك الأزمات التي جعلت كثيرًا من الشباب يهربون من الحياة بالانتحار أو بتعاطي المخدرات، الأمر الذي يعني أن الحياة في نظرهم ليس لها معنى أو قيمة.

وصل المفكر السويسري روجيه دوباكييه إلى نتيجة يعبر عنها بقوله: «لقد اتضح لي أن الإسلام بمبادئه القويمة يبسط السكينة في النفس.. على عكس الحضارة الغربية المادية التي تقود أصحابها إلى اليأس نتيجة للخواء الروحي لأنهم لا يؤمنون بأي شيء.. كما اتضح لي أن الأوروبيين لم يدركوا حقيقة الإسلام، لا لشيء إلا لأنهم يحكمون عليه بمقاييسهم المادية».

وعندما سئل روجيه دوباكييه عن الشيء الذي جذبه نحو الإسلام قال: «في البدء، جذبتني إلى الإسلام شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله.. إذ اكتشفت أن الإسلام دين متكامل ليس به فراغ، وأن كل شيء فيه مرتبط ومحكوم بالقرآن والسنة.. وحسب اعتقادي أن بإمكان الإنسان التأمل في هذه الشهادة طوال حياته».

فمن ناحية تقول الشهادة: لا إله إلا الله.. وهذا يعني أنه ليس هناك حقيقة نهائية ودائمة سوى الله.. في المقابل تقول الفلسفة الحديثة -الفلسفة الوجودية وغيرها- إنه ليس هناك حقيقة سوى هذه الدنيا.. وقد أصبت بالدهشة عندما وجدت أن الإسلام يعبر عن الحقيقة التي تناساها كل من العلم والفلسفة الحديثة».

بعد لحظات من التأمل استطرد روجيه دوباكييه يقول: «لقد تأثرت كثيرًا بالقرآن الكريم

عندما بدأت أدرسه، وتعلمت وحفظت بعض آياته الكريمة.. والحمد لله أستطيع الآن أن أقرأ فيه باللغة العربية: وتستوقفني كثيرًا الآية الكريمة: «**وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**» (آل عمران: 85).

ويضيف المفكر السويسري روجيه دوباكييه قائلًا وقد غمرته السعادة: «قرأت السنة النبوية الشريفة كذلك، وتأثرت بما ورد فيها من حكم وبيان دقيق».

لقد أعلن «روجيه دوباكييه» إسلامه أمام الملأ، إذ وجد أنه ليس هناك مبرر لإخفائه، وكان قبل إشهاره لإسلامه نشر مقالات كثيرة عن الإسلام في صحف غير إسلامية مثل صحيفة «جورنال دي جنيف»، وصحيفة «جازيت دي لوزان».. وقد دافع في تلك المقالات عن قضايا الإسلام كمسلم مخلص متحمس وجد نفسه في دين الإسلام.

وعبّر روجيه عن رأيه في المكابرين الذين ينتقدون الإسلام ويتهمونه بالتخلف، في ثبات الواثق برأيه مقابل رأي يراه مدعاة للسخرية بل ويحمد الله سبحانه وتعالى على أن تقدُّم الإسلام تقدُّم حقيقي لا يشبه ذلك التقدُّم المادي المزيف الذي يعيشه أهل الغرب والذي يقودهم إلى هاوية سحيقة.. ويشير إلى أن تقدُّم الإسلام لو كان يشبه التقدُّم المادي الذي يقصدونه لما أثار انتباهه ولا انتباه العديد من المفكرين الذين وجدوا فيه الخير والسعادة للبشرية.

ففي رأيه أن الإسلام يعبر عن شيء خالد لا يحده زمان ولا مكان، وبالتالي فإن وصفه بالتخلف لا يعدو كونه نوعًا من السخف ودليل على جهل أو مكابرة قائله.. فالتقدم الذي يتشدق به الغربيون لم يقدهم إلا إلى اليأس والضياع الناتجين من الفراغ الروحي.. فالحضارة والمدنية الحديثة تمثلان صراعًا حادًّا مدمرًا بين الإنسان من جهة والمادة والحياة من جهة أخرى، أما الإسلام فهو يعبر عن التقدم الحقيقي وعن الحقيقة المطلقة التي فيها نفع خالد لبني البشر، بالتالي لو سلك الإسلام طريق التقدم بفهمهم القاصر للتقدم والرقي لانتهى به المطاف إلى عاصفة هوجاء من الفوضى والدمار واليأس وكل المهلكات التي وصلت لها حياة أهل الغرب.

وفي إطار رأيه عمّا يثار حول الفرق بين الإسلام كدين، والمسلمين كأشخاص أشار إلى قصة يرى أن فيها الرد على ذلك إذ قال:

لديّ صديق يدعى «محمد أسعد» ترك اليهودية واعتنق الإسلام وهو في السادسة والعشرين من عمره .. أصبح محمد أسعد من علماء الإسلام، وله مؤلفات كثيرة من بينها كتاب يحمل عنوان «الطريق إلى مكة»... قابلته في باكستان حيث يعيش هناك وسألته نفس هذا السؤال: هل هناك فرق بين الإسلام كدين والمسلمين كأشخاص؟ رد عليّ قائلًا: نحن لم نعتنق الإسلام بسبب المسلمين، وإنما لأن الإسلام يعتبر حقيقة لا ينكرها أحد.

نعم صحيح ما يقال إن هناك تدهورًا في حال المسلمين ولكن تبقى الحقيقة أن التدهور عند أصحاب الأديان الأخرى أكثر مما هو عليه وسط المسلمين.. حتى لو كان المسلمون في حالة تدهور فإن دينهم مؤهل وقادر على منحهم السكينة والاطمئنان والحياة السعيدة التي تعينهم على التغلب على تلك الأزمات الأخلاقية التي يعيشها الغرب.

وعن تفسيره لظاهرة الإقبال الملحوظ على اعتناق الإسلام من قبل الأوروبيين أرجع السبب إلى الأزمة التي يعيشها الأوروبيون نتيجة للنهج المادي الأعمى الذي تسير عليه الحضارة والمدنية الحديثة.. لقد وجد الأوروبيون أنفسهم يعيشون في حالة خواء روحي مريع ويأس مدمر جرّاء افتقارهم إلى الإيمان بأي شيء سوى المادة، ما جعلهم يتيهون حيارى في أغوار أنفسهم وفيما حولهم بحثًا عن معنى حقيقي لحياتهم.. وعندما وجدوا ضالتهم المنشودة في الإسلام أقبلوا عليه دونما تردد..

كيف لا وهو سر سعادتهم التي ظنوها في المادة والثراء والرفاه..

بالتجربة.. والموضوعية في دراسة الإسلام..

اكتشفوا الحقيقة.. حقيقة الإسلام.. حقيقة السعادة.. فسعدوا..

أسلموا.. اغتنموا الكنز.. أقبلوا على القرآن.. استمعوا لكلام خالقكم..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (2) - (4) - (14) - (29) - (31)

حليب العذراء

للباحثين عن دين يعلي من شأن العلم.. ها هو الإسلام..

ينصف المرأة ويعطيها كافة حقوقها.. ها هو الإسلام..

يرسم صورة واضحة لله تحترم العقل بلا انتقاص ولا تجسيد.. ها هو الإسلام..

يبني علاقة مباشرة بين العبد وربه بلا وسيط ولا صكوك غفران.. ها هو الإسلام..

كتابه يضم كلام الله حقًّا.. بلا تبديل ولا تحريف.. ها هما الإسلام والقرآن..

هذا ليس كلام المسلمين!! إنها قناعات غير المسلمين من العلماء المنصفين..

وأكبر دليل على ذلك هو بطلة قصتنا.. لقد ولدت وترعرعت في بيئة بروتستانتية تميّزت بالتعصب المتطرّف.. تطبيقات الطقوس الخاوية والشعائر التعبدية الباردة أصابتها بالملل المميت.. بحثها عن الإيمان الصحيح دفعها إلى التفكير في التخلي عن البروتستانتية.. انقسام عائلتها بين كنيستين بروتستانيتين أشعل بينهما مناقشات حادة.. حضورها لتلك المناقشات كطفلة جعل الدين عندها مسألة غامضة ومحدودة خالية من الحس الديني الحقيقي.. عندما نضجت علمت أن الكنيسة تحارب العلم.. بدأت رحلة البحث عن دين حقيقي يدخل الطمأنينة الروحية في أعماقها.

تناهى إلى مسامعها أن الدين «المحمدي» هو آخر الأديان.. سمعت بما وصفه به المستشرقون بأنه دين لا يصلح إلا للشعوب الهمجية المتأخرة.. ولكن على الرغم من ذلك سعت إلى دراسته بجديّة فوجدت فيه ضالتها المنشودة.. إنها بطلة هذه القصة الكاتبة الإيطالية المعروفة إيبيانك مودواودي التي أنقذتها فطرتها السليمة من ظلمات الطقوس الميّتة الباردة إلى قمة فضاء نوراني سامق من الإيمان الحقيقي.

تقول الكاتبة إيبيانك وهي تروي لنا قصتها: «كنت أستغرق في تأملاتي طويلًا.. وكنت أشعر بحاجة قوية لاعتناق دين حقيقي قادر على غرس الطمأنينة الروحية في أعماق قلبي.. دين قويم يقر بوحدانية الخالق كإله حقيقي، وليس كما يصفه بعضهم كأسطورة لا وجود لها في واقع الحياة.. فعندما اعتنق أحد أبناء عمومتي الكاثوليكية شعرت برغبة ملحة لدراسة الكاثوليكية.. درستها فوجدت بونًا شاسعًا بين مبادئها وأصول تطبيقاتها.. تمنيت لو أغمض عيني لأحتفظ بسلام داخلي طالما ظللت أحلم به هربًا من شكوك ظلت تحوم حولي، وصعاب ما انفكت تعتريني

في حل مسائل مختلطة تحتاج إلى تحليل.. طلبت يومًا من صديق واسع الاطلاع في شتى المواد التاريخية والفلسفية أن يحدثني حول حقيقة التعاليم الكاثوليكية فأجابني قائلًا:

«عرّجي إذا شئت على زيارة كنيسة نوتردام بباريس، وتأملي من بعيد بناءها الشاهق، والوهاج من شعاع الشمس المنعكس عليها، ودققي في رسومها وفن عمارتها، وأنعمي النظر، وإذا كنت تستطيعين فحللي تلك الرموز المنقوشة وهذه الخطوط المسطورة والرموز العظيمة، فإنك تجدين الحقيقة التي تفتشين عنها، فكل ما ترينه هو كتاب مسطور من جماد لا يقرؤه إلا من عرف قيمته»!.

نصيحة صديقي الغالية أوصلتني إلى يقين مريح مربح مفاده أن الكنيسة تحرص على أن يظل مريدوها يعيشون في حالة من الجهالة التامّة، ويظلون بعيدين كل البعد عن الدراسات العلمية وإنارة العقول.. نعم كم من المرات صرحت الكنيسة -بلسان الحال أو المقال- بأنها عدوة للعلوم والعقول المستنيرة ويكفي شاهدًا على ذلك حادثة حرق مؤلفات «جاليليو» التي تظهر عداء الكنيسة للعلم والحقيقة.

ثم تنتقد الكاتبة الكنيسة قائلة: تقديس الآثار المقدسة التي هي من تركة القديسين لم تكن سوى عادة جارية منذ القدم، تبنتها الكنيسة بشكل مختلف.. هناك الكثير من الآثار والمتروكات المقدسة التي يرجعها المسيحيون للسيد المسيح.. فهناك نجد المسامير التي ساعدت على صلبه، والتي لم تظهر قدسيتها قبل القرن الثاني، كما نجد الألبسة والأزياء التي تعود له (أي للسيد المسيح) فضلًا عن الآلات الصليبية.. ويتمثل الأكثر غرابة في أنهم اجتهدوا حتى في تصوير عرق المسيح، وفي الحصول على كميات كبيرة من حليب العذراء!! بل خيل للكنيسة أن الأخشاب التي صلب عليها المسيح لا تزال باقية على حالها.

أوردت الكاتبة كذلك أنها وجدت تصورات عن طبيعة القديسين ذكرها الكُتّاب المسيحيون الأقدمون تشير إلى أن للقديسين عدة رؤوس وأقدام، بل وصل بهم الحال أن وصفوا كل قديس على حدة بعدد ما يملكه من رؤوس وأقدام! فعلى سبيل المثال ذكروا أن للقديس «سان جورج» ثلاثين جسمًا كما أن للقديس «سان جان باتيست» -الذي كان بعرف الكنيسة رمزًا دينيًّا- عشرة رؤوس، كما ذكروا أن للقديس جوليان عشرين جسمًا وستة وعشرين رأسًا، وإلى غير ذلك من الأقدام المقدسة والقديسين متعددي الرؤوس!!

ثم أضافت الكاتبة ما يفيد أن الكنيسة منحت أسماء جديدة للعديد من القديسين، فسمّتهم بأسماء الأمكنة الأثرية ونسبت إلى تلك الأمكنة شرف المعجزات والأحداث السالفة التي حدثت للأقدمين.. فهناك على سبيل المثال المياه المعدنية التي ينسبون أصلها الخرافي للقديس رومان وإلى

غير ذلك من المفاهيم الغامضة والخرافات التي يرفضها العقل السليم.

وترى الكاتبة أن الدين يجب ألا يكون غامضًا ومبهمًا يستعصي على الفهم.. فالكنيسة حرّمت قراءة الإنجيل بمعزل عن تفاسير الكهنوت، الأمر الذي جعل الكثلكة أمرًا مبهمًا يحيط به الغموض من كل جانب.. ومن ناحية أخرى أشارت الكاتبة إلى أن الكنيسة منحت قضية التثليث الأهمية الكبرى إذ حتّمت على الكاثوليكي ضرورة الاعتقاد بثلاثة آلهة: الله الأب.. والمسيح الابن.. والروح القدس، مع أن نظرية التثليث تعتبر نظرية شديدة القدم وليست ابتداعًا كاثوليكيًّا حديثًا نسبيًّا.

أمام كل ما يعتري المسيحية من غموض وما يجول بعقل بطلة قصتنا من شكوك، شعرت الأخيرة بأنها في حاجة إلى دراسة الدين الإسلامي بعد أن سمعت عنه بأنه آخر الأديان.. بيد أنها تصورته -في بادئ الأمر- دينًا شرقيًّا لا يتفق مع العقلية الغربية ولا يتسق مع حضاراتها.. كرس في عقلها هذا الفهم الخاطئ عن الإسلام ما ذكره المستشرقون عن المسلمين حيث وصفوهم بأنهم قوم متأخرون، وجاهلون، وهمجيون.. كما وصفوا الإسلام بأنه لا يصلح إلا للشعوب المتخلفة الهمجية.. وعلى الرغم من الافتراءات الكثيرة التي سمعتها عن الإسلام والمسلمين فإنها وجدت في الإسلام ضالتها المنشودة التي كانت تبحث عنها منذ أن استوى وعيها ونضج فكرها.

تقول الكاتبة عن الإسلام إنه جاء بأكبر الحقائق عن الله بصورة واضحة مختصرة في شهادة عظيمة مفادها «لا إله إلا الله»، وتضيف بأن هذه الشهادة عبارة عن نظرية حقة جاء بها الإسلام ليعلمنا أن الله واحد، حي، صمدي، أزلي، حاضر في كل زمان ومكان.

وأفادت الكاتبة أن الإسلام يختلف عن المسيحية في أن العلماء المسلمين لا يملكون إلا صفة الدين والتشريع، على عكس حال الرهبان في الديانة المسيحية الذين يدعون ألوهية المسيح وقد ينسبها بعضهم لنفسه.

ثم أردفت قائلة إن نفسها اطمأنت حينما علمت أن سيدنا محمدًا -صلى الله عليه وسلّم- أبى أن ينسب إليه شيئًا من الألوهية مصداقًا لقول الله تعالى: «**قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ**» (سورة فصلت 6).

ثم أشارت إلى أن الإسلام لا يقدّس الأشخاص مهما كان شأنهم، واستشهدت على ذلك بالكلمات التي قالها أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- حينما تعالت أصوات النحيب والصراخ عند وفاة النبي -صلى الله عليه وسلّم- حيث قال مخاطبًا الناس: «من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حي لا يموت».

ووصفت الكاتبة الإسلام بأنه وضع المرأة في المكانة الاجتماعية اللائقة بها والضرورية لصيانة عناصر أنوثتها، وأشارت إلى أن ما منحه الإسلام من حقوق للمرأة في المعاملات والاعتبارات الذاتية يفوق ما منحته إياها المسيحية بصورة كبيرة.

وتحدثت بطلة قصتنا عن التعاليم الأخلاقية التي تميز الإسلام عن غيره من الأديان من منطلق أنه غير منفصل عن الأخلاق البشرية والآداب الإنسانية، كما أشارت إلى تطبيقه الحقيقي -في شريعته- للعدالة الاجتماعية والديمقراطية التي سعى الغرب لتطبيقها منذ عدة قرون دون أن ينجح في تطبيقها بالصورة المثلى التي يريدها منظّروه.. كما أشارت إلى الزكاة التي فرضها الإسلام على كل مسلم مقتدر والتي تسهم في حل مشاكل الفقراء والمحتاجين.. أما الصلاة فقد تحدثت عنها الكاتبة كحلقة من الاتصال بين العبد وربه، كما قارنت بينها وبين صلاة الكنيسة الترتيلية التي تعتمد على مجرد الكلام الأجوف والأناشيد الصاخبة.. ولم تغفل الكاتبة في كتاباتها الحديث عن شعيرتي الصوم والحج بمنافعهما الكثيرة العميقة وبما لهما من معانٍ خاصة في حياة المسلمين.

ومن الأشياء المهمة التي تحدثت عنها الكاتبة -حديث العارف والمجرب- إمكانية استفادة الغرب من الإسلام وحل كل مشاكله المستفحلة عبر تعاليمه وتشريعاته وذلك بقولها: «ليس في العالم سوى دين واحد يقوم بحاجات البشر كاملة، ويقود البشرية إلى أرقى مجالات العمران والتقدم، ويهذب الأفكار.. وهذا الدين هو الإسلام.. لماذا لا يكون هذا الدين.. الدين المتين الأوحد للحلول المنظور فيها؟ ولماذا لا تتخذ التعاليم القرآنية كتعاليم عالمية، وقد أتى القرآن رافعًا منارة الحقائق الإنسانية؟ إن الإسلام بتعاليمه الإنسانية الشاملة لهو دين العالم المتمدن الحديث.. ولا يزال الإسلام المخرج الوحيد لأوروبا من مأزقها الحرج».

إن الحق هو ما شهدت به الأعداء..

وقد رأينا شهادة غير المسلمين عن الإسلام..

فماذا سيكون إحساسهم ورأيهم بعد اعتناق الإسلام؟!!

فلمَ تحرم نفسك من هذا الشعور؟!!

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (26) - (29)

لحظة فارقة

الفضول.. ذلك السلاح الذي هيّأه الله للإسلام!!

كثير ممن دخلوا الإسلام دخلوه بعد أن قرؤوا عنه..

وقرؤوا عنه نتيجة الفضول الذي أوصلهم إليه ذلك السعي الحثيث من أعداء الإسلام لتشويهه والتخويف منه!! أعماهم الله عن الانتباه لما يثيرونه من فضول كبير لدى من لا يعرفون شيئًا عن الإسلام.. وما أكثرهم..

فتمدُّد الإسلام واتساع رقعته بمعدل يفوق معدلات انتشار الأديان الأخرى مجتمعة، وازدياد معتنقيه بوتيرة متسارعة أكثر من أي وقت مضى، أخاف وسائل الإعلام الغربية فأصبح شغلها الشاغل تشويه صورته أملًا في أن يتوقف هذا المد الإسلامي الباهر، ولكن فات عليهم أنهم بذلك يدفعون ببعض بني جلدتهم للقراءة عن الإسلام، ما يجعلهم يكتشفون ضلال تلك الأكاذيب ويدخلون في دين الله أفواجًا.. ومن هؤلاء بطلة قصتنا هذه الفرنسية إلودي سابقًا وتسنيم الآن..

تحكي تسنيم قصة اعتناقها الإسلام فتقول: تم تعميدي في الكنيسة بوساطة عائلتي، كما أديت مناولتي، بيد أن تربيتي لم تكن تتسق مع المبادئ المسيحية على الإطلاق.. لقد فعلت ما سبق ذكره ليس عن اقتناع، ولا رغبة في اتباع تقليد ديني، وإنما فعلت ذلك رغبة مني في تلقي الهدايا.

كانت حياتي تخلو من التفكر في كيفية خلق العالم الذي أعيش فيه، بل لم أكن أطرح على نفسي أي سؤال.. وحتى ما تعلمته من مبادئ المسيحية كنت أؤمن بأهميته دون أن أنسجم معه.. بيد أن لحظة فارقة في حياتي حولتني - تفكيرًا وسلوكًا- مئة وثمانين درجة.. نعم تحولت من فتاة مستهترة لعوب تمضي أمسياتها في المراقص الليلية برفقة كل من يصاحبها، إلى أخرى مهذبة رزينة تفضل البقاء في المنزل على مراقص اللهو العامرة بكل شيء إلا الحياء.

بدأت حياتي تشهد تغييرًا جذريًّا منذ أن بدأت الاهتمام بالإسلام.. وهو اهتمام يعزى إلى ما كنت أسمعه في وسائل الإعلام من ربطها للإسلام بكل أمر سيئ مثل «الإرهاب» و«التطرف» و«العنف» و«المجازر».. الحقيقة ما تبثه وسائل الإعلام عن الإسلام أثار فضولي؛ إذ استغربت أن يكون دين واسع الانتشار مثل الإسلام همجيًّا إلى هذا الحد.. دفعني ذلك إلى أن أبحث عن الحقيقة بنفسي بدلًا من تلقيها من وسائل الإعلام.

وتمثلت البداية في ذهابي إلى إحدى المكتبات، حيث اشتريت ترجمة للقرآن.. وما أن بدأت قراءة القرآن حتى تغيرت الصورة الذهنية التي غرستها في نفسي وسائل الإعلام عن الإسلام بل تلاشت كل أحكامي المسبقة عن هذا الدين العظيم.. وأصبحت بعد ذلك أقرأ القرآن بشغف ومن ثم اكتشفت أن نور الإيمان بدأ ينساب إلى دواخلي في عفوية شديدة.

انتابني حينها إحساس جديد، إذ كلما ازدادت قراءتي للقرآن ازداد شعوري بالخوف من ارتكاب بعض الأمور السيئة مثل التدخين، وارتداء الملابس الضيقة جدًّا.. الحقيقة انتابني الإحساس بأنني أصبحت غريبة تمامًا عن نفسي! لقد تغيّرت نظرتي للحياة تمامًا بقدر ما تعني هذه العبارة من معنى! بل بدأت تترسخ في أعماقي مبادئ وقيم لم أكن أكترث لها من قبل مجرد الاكتراث.. بدأت هذه القيم والمبادئ تؤثر في طريقتي في التفكير وفي سلوكي في الحياة..

في البدء كنت أتوجس من الدين مخافة أن أضحي بالكثير من ملذات الحياة التي اعتدت عليها، بيد أني وجدت نفسي وبصورة تلقائية أقاطع المراقص الليلية، وأقلع عن المخدرات وعن كل الأفعال المنكرة المشينة.. اندهش الجميع واستنكروا التغير الكبير بل الانقلاب الذي حدث في حياتي.. لم أكن آبه لدهشتهم واستنكارهم لأنني بالفعل لم أعد أرغب في تلك الأمور.

واصلت قراءتي للقرآن الكريم.. أحسست بأنني بحاجة إلى تعميق معرفتي بالإسلام فعدت مرة أخرى إلى المكتبة وقمت بشراء كتب إسلامية أساسية.. وبعد شهرين من القراءة، أعقبهما تفكير متأنٍ عميق قررت اعتناق الإسلام فنطقت بالشهادتين، حيث رددت: «أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله» ومن ثم أصبحت مسلمة.

وتختتم إلودي قصتها وهي تقول في مرارة منتقدة قومها القدامى: «إن فتاة ترتدي ملابس قصيرة جدًّا لا تزعجهم ألبتة.. لكن حشمة الحجاب تؤذي بعضهم بل بالأحرى تؤذي الكثيرين!».

سبحان الله!!.. ما أعظم الإسلام وما أشد أعداءه وضاعة..

يحبون المستقذر من كل شيء ويكرهون الطيب الطاهر النفيس!!

وبعد كل ذلك يأتي من يتهافتون على القذارة ليهاجموا الطهارة!!

ما أعجب النفوس التي لا تعرف الإسلام.. وما أعظم هذه النفس عندما تشع بنور الإيمان..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (10)

المشهد الباهر

الصدفة.. حدث يحسبه البشر كذلك..

الحقيقة.. لا صدفة في كون الله!!..

إنها إرادة الله المدبرة لكل صغيرة وكبيرة في حياة الإنسان..

هو الذي «يدبر» للإنسان «الصدفة» التي تقوده من حياة إلى حياة..

فقط أروا الله منكم خيرًا.. ابحثوا عنه.. سيهديكم..

هذا وعد الله لكل من أقبل على دراسة الإسلام بتجرد ودون تعصب مسبق لمذهب أو دين..

سيصل في نهاية الطريق إلى الحقائق الكونية المتعلقة بالإله والوحدانية والخلق والبعث، وغير ذلك من القضايا التي يتساءل عنها كل إنسان..

بطل قصتنا.. توماس كلايتون.. غربي قح ولد ونشأ في بيئة نصرانية بيد أنه ومنذ نعومة أظفاره ظل يشعر بأنه غريب عن تلك البيئة بقدر إحساسه بأنها غريبة عنه.. لفترة تراوحت بين ست وسبع من السنوات ظلت الكنيسة الأسقفية في إنجلترا تلقنه طقوسًا معقدة وتحشو رأسه بتعاليم غامضة عصية على الفهم وجامدة تتكسر دونها معاول المناقشة.. توصّل إلى حقيقة جلية مفادها أن النصرانية جعلت منه آلة صماء تنفذ ولا تفكر فبدأ يبحث عن البديل.

في أحد الأيام وبمحض المصادفة حدث له أمر باهر غيَّر حياته رأسًا على عقب.. عثر في مكتبة أحد أصدقائه على مؤلف للكاتب الإنجليزي النصراني «جورج سيل» يحوي ترجمة لمعاني القرآن الكريم باللغة الإنجليزية.. انفرد بنفسه وبدأ يقرأ الكتاب في شغف شديد.. على الرغم من أن الكتاب كان يغص بانتقادات مجحفة كان يهيلها مؤلفه «جورج سيل» للإسلام ورسوله الكريم، فإن معاني القرآن الكريم دخلت عقله وقلبه من أوسع الأبواب.

عقب تلك المصادفة الباهرة التي شكّلت علامة فارقة في حياته بدأ كلايتون يقرأ كل ما تقع عليه يده من المؤلفات الإسلامية.. توصل عبر تلك القراءات إلى حقائق مهمة.. فبرغم احتواء تلك الكتب على قدر كبير من الزيف والتشويه، لأن مؤلفيها كانوا يرمون إلى أن يبعدوا الناس عن فهم الإسلام وحبه، فإنها تشتمل على مقدار من الحق.. وبذلك أحس بطل هذه القصة وبحكمته أن الأمر ليس كما قرأه، ما جعله يشعر بمزيد من الحب للإسلام وتعاليمه.

لم يمر على قراءاته تلك زمن طويل حتى قدر لتوماس كلايتون أن يحضر المهرجان الكشفي العالمي الذي أقيم في مدينة مويسون الفرنسية في صيف عام 1947م. شارك في ذلك المهرجان أربعون ألف شاب كانوا يمثلون اثنين وأربعين بلدًا من بلاد العالم. التقى كلايتون في ذلك المهرجان بكشاف جزائري مسلم يدعى «مجدي جمال» أحبه من كل قلبه بل ظل صديقه الوفي.. كان جمال في نظر كلايتون مثالًا للشاب المسلم الصادق الذي يعتبر قدوة صالحة لنظرائه من فئة الشباب.. ويصرح بطل قصتنا بأنه استفاد كثيرًا من صحبة ذلك الشاب.

إلى جانب ما حصل عليه في المهرجان من معلومات عن الإسلام وجدها في بعض الكتب الغربية، اكتسب كلايتون نوعًا آخر ومهمًّا من المعرفة الإسلامية يتمثل في السلوك الحسن لبعض من التقاهم من المسلمين ومن بينهم صديقه الجزائري، حينها فقط أدرك أنه لا بدّ له من معرفة المزيد عن الإسلام والقيم والمبادئ التي يدعو إليها.

عندما عاد إلى بلاده عقب انتهاء المهرجان عقد كلايتون عزمه على أن يقرأ عن الإسلام من مصادره ومراجعه الأصلية، فبدأ رحلة جادة من البحث تمكن عبرها من العثور على عنوان لجمعية إسلامية تدعى «جمعية نشر الدعوة الإسلامية» في لاهور بباكستان. راسل تلك الجمعية فأرسلت له مؤلفات ثمينة تعرض الإسلام في صورته الحقيقية النقية.. تواصل بعدها مع داعية أمريكي مسلم وجد فيه مثالًا للمسلم الصالح الملتزم بتعاليم دينه فوقر الإيمان في قلبه.

في أحد الأيام التي لا تنسى وبينما كانت الشمس تميل عن كبد السماء سمع بطل قصتنا صوتًا عذبًا خاله غناء ولم يفهم معناه.. عندما تجاوز الطريق ودخل تحت مجموعة من الأشجار الوارفة الظلال وقع بصره على مشهد باهر!! رأى رجلًا عربيًّا أعمى، يرتدي الأبيض من الملابس النقية ويعتمر عمامة على رأسه.. كان الرجل يقف على برج خشبي عالٍ.. صوته الساحر الدفيء كان يتسامى في فضاء المنطقة وكأنه يقرع قبة السماء: الله أكبر! الله أكبر! لا إله إلا الله!

كلمات كالدرر لم يفهم كلايتون معناها بيد أن سحرها المدهش انساب إلى سويداء قلبه حتى خالها دخلته قبل أن تمر عبر أذنيه!

عقب ذلك ازدادت دهشة كلايتون ومن معه عندما رأوا أعدادًا كبيرة من الناس يتجمعون.. يختلفون في الأعمار والسحنات والملابس ويتفقون في انكسارهم الواضح الذي ينمّ عن الخشوع، إنهم أناس من مختلف الأعمار يرتدون ألوانًا شتى من الملابس، ويمثلون قطاعات الحياة كافة.. لاحظ كلايتون الجميع وهم يخلعون أحذيتهم وينتظمون في صفوف طويلة منتظمة ومتراصة لا تمييز فيها لأحد على أحد بغض النظر عن اختلاف الألوان والمراكز الاجتماعية سواء بالمال أو العلم أو الحسب أو النسب.. لا فرق بين غني وفقير ولا بين أبيض وأسود ولا بين عامل ووزير ولا

بين تاجر ومتسول.. الجميع متباينون في الأعمار والمراكز الاجتماعية لكنهم متفقون في وحدة الصف وفي التزام العيون المنكسرة بموقع معين لا تملك مغادرته قيد أنملة ألا وهو الحصير المفروش أمام أصحابها.

ذلك المشهد الذي تجلت فيه روح الأخوة في أسمى معانيها نُحت في ذاكرة كلايتون ونُقش في قلبه بمداد من نور يصعب محوه بمرور السنين، كيف لا وقد كان سببًا في دخوله الإسلام!!

السبب.. فقط السبب.. وليس المسبب..

أما أنت.. فسيسبب لك الله سببًا للهداية عندما تثق بأنها بيده..

لذا.. اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (9) - (12) - (27)

في رحاب الأزهر

التعارف.. من سنن الله في الكون..

التعارف على ثقافات بني البشر..

تعلم اللغات المختلفة المملوءة بالعلم والمعرفة..

السياحة والسفر في الأرض للتدبر في البلاد وآيات الله فيها..

من أهم مفاتيح الإيمان للقلوب المغلقة على ضلال..

شغف بطل قصتنا بهذه السنة من سنن الله هيأه للإسلام!!

ولد في فترة استثنائية كانت فيها أوروبا مضعضعة بسبب ويلات الحرب العالمية الأولى.. تلك الحرب المريعة التي تزامن انتهاؤها مع مولده مخلفة وراءها الدمار والخراب في نفوس الناس قبل المعمار.. نشأ كغيره من أفراد جيله بنفسية مشوهة تميل إلى العداء بسبب ما رأته عيناه من فظائع الحرب.. لكن وكما نور الشمس ينبعث من بين ثنايا ظلمة الليل هداه الله تعالى إلى الإسلام عبر بوابة اللغة العربية لغة القرآن الكريم.. إنه المستشرق الأسكتلندي داوود كاون الداعية الإسلامي المعروف بطل هذه القصة.

قضى بطل قصتنا سنوات عمره الأولى في ظل تلك الأجواء الكئيبة محاولًا التخلص من ذكريات الحرب البغيضة التي قتلت في نفسه كل جميل.. انتماؤه لأسرة نصرانية جعله لا يعرف عن الإسلام إلا معلومات شحيحة ومشوهة.

كانت نفسه تهفو إلى تعلم لغات جديدة تثري معارفه، وتربطه بإخوانه من بني البشر الذين لا يتحدثون لغته الإنجليزية.. هذه الميول والاهتمامات جعلته يداوم على ارتياد مكتبة مدينته الأسكتلندية.. وفي عام 1932م وفي إحدى زياراته للمكتبة شاهد إعلانًا عن دورة دراسية في باريس لتعليم اللغة العربية.. قرر دخول الدورة دونما تفكير طويل، دفعه إلى ذلك اطلاعه على مجلة تهتم بالعالم الإسلامي إذ حفزته موضوعات تلك المجلة على تعلم اللغة العربية حتى يتعرف إلى أبناء ذلك العالم القصي الذي لم يكن يعرف عنه الكثير سوى قصص ألف ليلة وليلة الأسطورية التي لا يعرف الغربيون غيرها عن الشرق والتي جعلتهم يتكئون على حائط من الجهل وهم يتأملون شاطئ قصصها الأسطورية دون أن يغوصوا في أعماق بحر المعرفة الحقيقية للإسلام والمسلمين.

شكلت دورة تعليم اللغة العربية التي تلقاها داوود كاون في باريس نقطة تحول كبرى في حياته، إذ جعلته أكثر استيعابًا للقرآن الكريم، حيث اكتشف لاحقًا أن ما تلقاه في تلك الدورة ليس سوى اللهجة العامية الجزائرية، لكن لم يصبه اكتشافه المتأخر ذاك بالإحباط وإنما دفعه إلى أن يلتحق بمعهد الدراسات الشرقية والأفريقية في جامعة لندن لدراسة اللغة العربية الفصحى.. قضى كاون عامًا يدرس اللغة العربية في ذلك المعهد فخرج بقناعة تامة مفادها أن عليه دراسة هذه اللغة التي عشقها في أحد مواطنها.. فكر في الذهاب إلى الأزهر باعتباره من القلاع المهمة التي تدافع عن الإسلام واللغة العربية.. في عام 1933م خاطب الشيخ الواحلي إمام الأزهر آنذاك وأعرب له عن رغبته في دراسة اللغة العربية.. رحب الشيخ بطلبه، بل أرسل له مع رده هدية قيمة هي نسخة من كتاب تفسير القرآن الكريم للبيضاوي.

دراسة كاون السابقة للغة العربية مكّنته من الاطلاع على الكثير من مبادئ الإسلام وقيمه السمحة الأمر الذي جعله متعطشًا لمعرفة المزيد عن هذا الدين العالمي الذي يتسق مع الفطرة السليمة والذي أحبه بعمق حتى أن الكثيرين يقولون إنه أسلم بالفعل قبل وصوله إلى القاهرة.. عندما بدأ كاون دراسته بالأزهر شعر بالراحة التامة لقرار اعتناق الإسلام، لأن وجوده بالأزهر أتاح له التعرّف إلى مسلمين يختلفون في جنسياتهم ولغاتهم وأعراقهم وقاراتهم، لكنهم يتفقون في حبهم الخالص لله تعالى ولرسوله الكريم -صلى الله عليه وسلّم- فضلًا عن الرغبة الصادقة في تلقي المزيد من العلم.. نعم لقاؤه بهذه الكوكبة المميزة من المسلمين جعله يشعر بعالمية الإسلام وبحقيقة الطابع الإنساني للثقافة الإسلامية.

مكث داوود كاون في مصر قرابة العام ونصف العام، وهي فترة مهمة في حياته قضاها في حي الحلمية الجديدة مع مجموعة من الطلاب الصينيين المسلمين الذين جاؤوا إلى مصر للتشبّع بالمعارف الشرعية والدينية الإسلامية، ومن ثم العودة إلى بلادهم للعمل في مجال الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه الحنيف. وخلال فترة وجوده بمصر شعر داوود كاون بالفرق الشاسع بين البلدان الإسلامية والبلدان الأوروبية، فبينما يجعل أسلوب الحياة المادي المرء في البلدان الأوروبية يحس بالاغتراب برغم وجوده وسط أهله، لا يشعر المغترب الغربي في بلاد الإسلام بالاغتراب والوحدة وذلك بما تملكه هذه البلدان من قيم سمحة وأخلاق كريمة، فهي لا تنسيه فقط مرارة الغربة وإنما تشفيه من أمراض الحضارة الغربية بما تجود به عليه من عاطفة جياشة وطاقة روحية لا تتوافران إلا في الدين الإسلامي.

عقب إكمال دراسته في الأزهر، عاد داوود كاون إلى بلاده ليكمل دراساته في جامعة لندن، بقلب مملوء بالإيمان وعقل معمور بالثقافة الإسلامية الأصيلة.. وما أن تخرج في جامعة لندن حتى تم تعيينه عقب الحرب العالمية الثانية ملحقًا ثقافيًا في السفارة البريطانية في القاهرة، وقدّر له حينها أن تزوج زوجته الأولى المصرية التي أنجبت له ابنه «عادل» وابنته «منى».

عندما انتهت فترة عمله بالقاهرة عاد داوود كاون إلى بريطانيا حيث عمل مدرسًا وأستاذًا للغة العربية والأدب العربي في معهد الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن، وهو الصرح ذاته الذي شهد بداية حبه وتعلقه وإيمانه بالإسلام.

وخلال فترة عمله بهذا المعهد أثرى كاون مكتبة الدراسات العربية والإسلامية بمجموعة كبيرة ومميزة من المؤلفات التي تتصدى لكتابات المستشرقين السلبية التي تعمل على تشويه صورة الإسلام والمسلمين، ولعل من أشهر هذه المؤلفات وأكثرها تأثيرًا كتابه القيم «مقدمة للغة العربية الأدبية المعاصرة» الذي تُرجم إلى عدة لغات. حبه للعلم جعله يتعلم خمس عشرة لغة، كان يتحدثها بطلاقة وقد كانت له بمنزلة المفاتيح التي مكّنته كداعية من نشر رسالة الإسلام إلى أقصى مدى وفقه الله تعالى لبلوغه.

وفي عام 2004م انتقل الدكتور كاون إلى رحاب الله تعالى وحتى لحظة انتقاله ظل يتواصل مع التراث العربي والإسلامي الذي أحبه كثيرًا، كما ظل يداوم على قراءة كتاب «إحياء علوم الدين» للإمام أبي حامد الغزالي، فضلًا عن مطالعته كتب التراث العربي والإسلامي وكان لا يفتأ يردد كلمات صادقة يؤكد عبرها أن اللغة العربية بحر عميق وعريض لا ساحل له ولا قرار، وأن الغربيين عجزوا عن فهمها، كعجزهم عن استيعاب أسرار القرآن الكريم ومعجزاته الباهرة فانقسموا إلى فريقين: فريق محايد يشوه الإسلام عن جهل وآخر معادٍ يشوهه عن قصد..

والمشوهون من الفريقين لم يفلحوا في تحقيق أهدافهم.. وإن اعتقدوا ذلك!!

فبرغم حملات التشويه ما زال الإسلام هو أسرع الأديان انتشارًا على وجه الأرض.. حتى في الدول التي تناصبه العداء!! هي حرب خاسرة لا تنتهي!!

يشعلها الشيطان في قلوب غير المسلمين وعقولهم لما يعلمه من الخير الذي ينتظرهم في الإسلام..

يصدهم عن سبيل الله.. ويغريهم بأن يكونوا أعوانه في صد غيرهم!!

فهل تطيعون الشيطان؟! أم تسلِموا فتسلَموا؟!

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (56)

ركس إنجرام

تخيل مدى تأثير المنتجات الثقافية الغربية في الهوية العربية والإسلامية..

تخيل بالأخص مدى تأثير هوليوود في هذه الهوية..

ولكن.. بالمقابل.. تخيل أن أحد كبار مخرجي هوليوود يعتنق الإسلام!!

ماذا؟.. هل ستكتفي بتكبيرة واحدة؟!

الله أكبر.. حقًّا إنها قدرة الله وحده.. إنها الهداية من الله وحده!!

المخرج الكبير هو بطل قصتنا.. إنه المخرج السينمائي العالمي ركس إنجرام الذي فاجأ نبأ إسلامه الأوساط الفنية في (هوليوود)، كما فاجأ الجميع في مختلف دول العالم.. فما هي قصة هذا النجم العالمي الذي كان آفلًا فتألق باعتناقه الإسلام؟

ولد ركس -بحسب القصة التي رواها بلسانه- في أسكتلندا لأب وأم إنجليزيين.. لم يحظَ برؤية أبيه لأنه قتل في حرب البوير المشهورة وما زال ابنه ركس طفلًا صغيرًا.. ظلت أسرته تعيش في رغد من العيش حتى قامت الحرب العالمية الأولى فتطوع للعمل في الجيش.. انضم في فرنسا إلى فرقة الفرسان.. وبعد مضي أربع سنوات قضاها في أتون المعارك الحربية عاد إلى مسقط رأسه ففجع بوفاة أمه وبمقتل إخوته الثلاثة في الحرب.. هام على وجهه لا يلوي على شيء.. تنقل بين العديد من دول العالم (الهند، الصين، اليابان، سوريا، مصر... إلخ).. وحتى يخفف من آلامه الدفينة شغل نفسه بدراسة اللغات والديانات.. في سوريا تعلم اللغة العربية.. درس مختلف الأديان بيد أنه لم يجد الطمأنينة إلا حينما بدأ في مطالعة القرآن الكريم.. طالع ركس القرآن مرارًا وتمعّن في معانيه بعمق.. رأى فيه من العذوبة والروعة ما جعله يتلو آياته في كل يوم حتى يمكِّن لروحه الظمأى للسكينة الشرب منه بقدر ما تستطيع..

وفي ثلاثينيات القرن العشرين زار ركس مدينة الإسكندرية وهام على وجهه حتى وصل إلى دمنهور.. هناك وعلى شاطئ ترعة صغيرة استلقى مسترخيًا فغرق في نوم عميق.. رأى أثناء نومه دخانًا تصاعد من الأرض وتكاثف في السماء ثم أضاء نورًا باهرًا تكونت منه كلمة (الإسلام).. استيقظ ركس من منامه وكلمة الإسلام لا تزال ملء ناظريه وحواسه.. شعر للمرّة الأولى براحة وطمأنينة.. في طريق عودته لاحظ أنه لا يمر بقروي إلا ويقرئه السلام ويدعوه للطعام، بل ويبذل جهده في إكرامه واستضافته في منزله. سأل نفسه مندهشًا: «أنا غربي وهم شرقيون بيني وبينهم

اختلاف جوهري في الطباع والدين فما بالهم يسارعون إلى إكرامي.. أنا كم رأيت الناس في بلدي وهم يرتابون من بعضهم بعضًا»!!..

صمت ركس للحظات اجتر خلالها الذكريات ثم وجّه عددًا من الأسئلة إلى شخصية افتراضية في إطار إعجابه بالمسلمين فقال: «لو مررت على فلاح في أوروبا وأقرأته السلام، هل تحظى منه بمثل هذا الإكرام؟ وإذا وجدت رجلًا يأكل ووقفت إلى جانبه، فهل يشركك في طعامه عن طيب خاطر؟ وإذا قرعت بابًا هل يفتح لك على مصراعيه فتحلُّ فيه ضيفًا كريمًا».

حاول الإجابة عن أسئلته إنابة عن الشخصية الافتراضية فتوصل إلى حقيقة جليّة مفادها أن (الإسلام) هو الذي ارتقى بتلك النفوس فأصبحت سامية كريمة.

نام ركس مرّة أخرى ورأى للمرّة الثانية عمود الدخان وقد تحوّل إلى حروف من ضوء تتجمع لتكوّن كلمة (الإسلام).. استيقظ من نومه وقد أيقن أن الله اختار له الإسلام دينًا.. شعر براحة لم يذقها منذ خروجه من بطن أمه إلى الدنيا.. شعر بنعمة الإيمان تنساب إلى دواخله في نعومة ويسر.. وفي المقابل أحس بلامبالاة تجاه المؤثرات المادية بكل لذتها وألمها.

وتحدث ركس يصف دواعي دخوله الإسلام قائلًا: «أنا لم أقدم على التغيير الذي أحدثته في حياتي لمجرد نزوة وقتية، وإنما درست الدين الإسلامي بعمق لعدة سنين، ولم أعتنقه إلا بعد بحث قلبي عميق، وتحليل نفسي طويل.. فأنا غيّرت دیانتي بغرض الحصول على الراحة من ضجيج الحياة الجنوني، وبهدف أن أنعم بالسكينة والطمأنينة في ظل الهدوء والتأمل بعيدًا عن المتاعب المرهقة التي يسببها التكالب على الكسب واللهاث وراء المال، وحتى أخلص نفسي من براثن الأغراء والإغواء بأنواعها المختلفة.. باختصار اعتنقت الإسلام لكي أنقذ نفسي من الهدم والتدمير».

وأضاف ركس وهو يذكر موقفًا مؤثرًا أحدث أثرًا عظيمًا في نفسه فقال: «أذكر ذات مرة، أن عملي كمخرج سينمائي فوتوغرافي تطلّب مني أن ألتقط شريطًا سينمائيًّا لرجل عربي مهيب طويل القامة يقف في رأس مئذنة ويؤذن للصلاة.. وأنا أقف إلى جانبه وأعمل على تصويره هزني بشدة صوته الذي كان بارتفاعه وانخفاضه ينفذ إلى أعماق قلبي».

أردف ركس وهو يتنهد بعمق: «حالما انتهينا من التصوير وجهت دعوة إلى ذلك العربي ليزورني في مكتبي، وعندما لبّى دعوتي أخذت أسأله عن دقائق الديانة الإسلامية.. تأثرت كثيرًا بإجاباته المقنعة واعتنقت الإسلام بعد ذلك.. بل أخذت أصلي معه.. الحقيقة شعرت بقناعة نفسية مريحة تغمرني رويدًا رويدًا، كما بدأت أشعر بالسعادة وأكره كل الرغبات المادية التي كانت تأسر نفسي».

وعقب إعلانه لإسلامه عانى ركس صراعًا نفسيًّا مريعًا إذ وجد نفسه يقف تائهًا حائرًا في مفترق طرق بين خيارين اثنين لا ثالث لهما: التمسك بديانته الإسلامية أو الحفاظ على عمله السينمائي.. هكذا بقي يسهر الليالي الطوال يرقد في فراشه مفتوح العينين حتى الصباح وهو يفكّر في إيجاد حل لهذه المشكلة حتى جاءه الرد من الله تعالى كما قال.

ففي ليلة من ليالي (نيس) التي زارها لتصوير شريط سينمائي قام يصلي لمدة طويلة فزادت واشتدت عزيمته.. وفي اليوم التالي أدار ظهره لعمله السينمائي ليهب جسمه ونفسه وحياته للإسلام.

واختتم ركس حديثه قائلًا في فرح طفولي: «أنا اليوم ابن الإسلام أشعر بالسعادة أكثر مما شعرت بها في أي يوم من أيام حياتي.. أنا الآن أعيش في مدينتي الغربية وأرتدي ثيابي الغربية بينما أدين بدين الإسلام الخالد الذي هو أكمل دين سماوي ارتضاه الله تعالى للبشرية».

وبقي أن نقول: أكبر مخرج سينمائي فوتوغرافي في العالم كما وصفته جريدة السياسة الأسبوعية التي صدرت في 13 فبراير 1988 يركل المجد والشهرة والثراء ويهجر هوليوود بكل ما فيها من شهرة صاخبة وأضواء براقة مقابل أن يدخل الإسلام.

«**قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**» (يونس: 58).

نعم.. هو خير مما يجمعون..

هل ستصل في مجال عملك إلى النجاح الباهر الذي حققه ركس؟!!

قلة هم أولئك الباهرون..

وتخيل أنك وصلت إلى ما وصل إليه في الدنيا..

لمَ لا تصل أيضًا إلى ما حرص على الوصول إليه في الآخرة؟!!

إنه الأهم.. الأبقى..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (9) - (26) - (27) - (29)

الحقيقة المريرة

دين يأمر باحترام النفس والحفاظ عليها.. ودين محرّف يأمر بالقتل والعنف للجميع..

أيهما هو الحق من الله؟!

نصوص تقطر رحمة وإنسانية.. ونصوص لا تصون عرضًا ولا تحترم دمًا..

أيهما هو كلام الله؟!

برغم وضوح الإجابة.. كالشمس في كبد السماء.. يحاول بعضهم قلب الحق باطلًا والباطل حقًّا..

يتآمرون.. يخططون.. ينفقون.. ولكن كثيرًا ما ينقلب السحر على الساحر..

فكثيرون أولئك الذين يدرسون التعاليم المسيحية حتى يصبحوا منصرين وأعداء للإسلام.. لكن تشاء إرادة الله تعالى أن يصل كثير ممن تعمّقوا في دراسة المسيحية إلى محطة واحدة يتركون فيها مقاعدهم من القطار المسيحي عندما يكتشفون مدى التحريف الذي طال الديانة النصرانية فتكون دراستهم للأناجيل سببًا في اعتناقهم الإسلام. ومن هؤلاء بطل هذه القصة.. بيجي رودريك عدو الإسلام اللدود الذي هداه الله تعالى لاعتناقه..

ولد بيجي في بيت إنجليزي متمسك بالتعاليم المسيحية خلال فترة الاستعمار البريطاني للهند.. تلقى تعليمه الباكر في إحدى المدارس التبشيرية المسيحية.. أعجبته في البدء قصة السيد المسيح، بيد أنه اصطدم لاحقًا بحقيقة مريرة توصّل لها مفادها أن تعاليم الأناجيل لا تمتّ إلى الصحة والصدق بصلة.. وهنا يشير بيجي إلى بعض الأمثلة من تعاليم الإنجيل: من الأقوال المنسوبة للمسيح التي توجب كراهية الأقرباء: «**إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه، وامرأته وأولاده، وإخوته وأخواته، حتى نفسه أيضًا، فلا يقدر أن يكون تلميذًا لي**»! (إنجيل لوقا 14/ 26).

ومن الأقوال المنسوبة للمسيح التي تحرّض على العنف وسفك الدماء: «**لا تظنوا أني جئت لألقي سلامًا على الأرض.. ما جئت لألقي سلامًا بل سيفًا**»! (متّى 10/ 34).

يشير هنا بيجي رودريك إلى أن السيد المسيح، كما ورد في مختلف الأناجيل المحرّفة، لم يعلّم أتباعه الطريقة الصحيحة لاستخدام السيف.. الأمر الذي جعلهم يسيئون استخدامه فقد استخدمه الصليبيون باسم المسيح والنصرانية في ذبح المدنيين الأبرياء وتقتيلهم في الكثير من الأقطار غير المسيحية، كما استخدمته الدول الاستعمارية وبتأييد ومباركة من الكنيسة في قهر

الشعوب الآسيوية والإفريقية واستغلالها، وفي محو سكان نيوزيلندا الأصليين تمامًا، وهو ذات الأمر الذي فعلته في كل من أستراليا وأمريكا الشمالية.. بل لم يتوقف استخدام السيف في ذبح أعداء المسيحية فحسب، إذ استخدمته الطوائف المسيحية لقتال بعضها بعضًا.

لقد كانت الحروب التي قادها المسيحيون هي الأكثر عنفًا ودموية والأشد فتكًا وتنكيلًا بالأعداء والأبرياء عبر التاريخ كلّه؟! في دراسة حديثة لجامعة متشيجن الأمريكية بلغ عدد ضحايا الحروب والنزاعات المسلّحة التي شنّها المسيحيون خلال القرن الماضي وحده نحو 100 مليون قتيل معظمهم من المدنيين الأبرياء! بمعدّل مليون قتيل في السنة الواحدة!

صدم بيجي رودريك بشدة في عام 1945 عندما أسقط الأمريكيون القنابل الذرية على اليابانيين في نجازاكي وهيروشيما، بل كاد يموت من الرعب والفزع عندما قرأ عن الوفاة المروعة للملايين من البشر الأبرياء من رجال ونساء وأطفال.. وفي المنحى ذاته استنكر قيام جيش عظيم من المبشرين النصارى بدخول الجزر اليابانية لاستعباد أرواح اليابانيين تحت غطاء التنصير واستخدامهم لمساندة الرأسماليين من سادتهم البيض ضد أهلهم وبني جنسهم!!

في البدء كان رودريك يرى ويوهم الآخرين بأن أي إنسان غير نصراني فهو وثني لكنه حينما التقى في الكلية مجموعة من الرجال والنساء الذين ينتمون إلى عقائد مختلفة، وأتيحت له الفرصة لمعرفتهم عن قرب وفهمهم بدأ يحترم «الوثنيين» وأتباع الديانات الأخرى، إذ وجد بينهم تسامحًا ورحمة لم يجدهما بين النصارى.. ميوله الجديدة جعلته يصبح أكثر قربًا من أتباع الديانات الأخرى خاصة المسلمين الذين اتخذ منهم صديقًا أخذ يشرح له مبادئ الإسلام.. من خلال هذا الصديق المسلم اقتنع رودريك بأن الإسلام أكثر صلاحية لبني البشر من الديانة النصرانية بل ومن كل الأديان، إذ وجد أن الإيمان بوحدانية الله تعالى في الإسلام هي الأقرب إلى العقل السوي والمنطق السليم من مبدأ التثليث النصراني الذي وجده في النصرانية.. من ناحية ثانية وجد رودريك أن وجهة النظر الإسلامية التي ترجع جميع الديانات الكبرى في العالم إلى أصل سماوي واحد، هي الأقرب إلى المنطق من وجهة النظر النصرانية التي تصف كل الديانات، باستثناء الديانة النصرانية، بالوثنية!! وإن كانت النصرانية نفسها هي الأقرب إلى الوثنية من كل الديانات!

وجد بطل قصتنا في الإسلام دينًا قويمًا يجمع بين المثالية والواقعية حيث يمكّن الإنسان من أن يصبح ربانيًّا دون أن يتخلى عن نشاطاته اليومية، وأن يعمل لدنياه دون أن ينسى آخرته.. ويرى رودريك أن عقيدة الإسلام لا تعرف أمراض العقائد المحرفة السائدة الآن من ظلم واستعمار ورأسمالية وتفريق عنصري وصراع طبقي وحروب جائرة.. بل حتى إن اضطر المسلمون إلى الحرب فإن الإسلام قد وضع لهم ضوابط لا يتجاوزونها وهي قوانين إنسانية تضمن السلامة

الكاملة للنساء والأطفال وللجميع من غير المحاربين.. كما أنها تنطبق على المحاربين أنفسهم إذ لا تمثل بالقتيل ولا تعذب الأسير. بعكس العقيدة النصرانية تمامًا، حيث يعد الكتاب المقدس الموجود بين أيدي النصارى اليوم هو أكثر الكتب دعوة للعنف والإرهاب، وهو الكتاب الوحيد الذي يأمر بقتل الأطفال والنساء والشيوخ والبهائم والتحريض على الإبادة الجماعية وشق بطون الحوامل وقتل الرضع وفضح النساء ونهب البيوت!!

لا تتعجبّوا من ذلك، فسوف أورد لكم بعض النصوص من الكتاب المقدّس لتتأكدوا بأنفسكم: «**وقال لأولئك في سمعي: اعبروا في المدينة وراءه واضربوا. لا تشفق أعينكم ولا تعفوا. الشيخ والشاب والعذراء والطفل والنساء، اقتلوا للهلاك. ولا تقربوا من إنسان عليه السمة، وابتدئوا من مقدسي. فابتدأوا بالرجال الشيوخ الذين أمام البيت. وقال لهم: نجسوا البيت، واملأوا الدور قتلى. اخرجوا. فخرجوا وقتلوا في المدينة**» (سفر حزقيال 9: 5- 7).

ونختتم هذه القصة بما أورده بيجي رودريك من أن الإسلام هو الدين الوحيد الذي استطاع أن يحقق مبدأ الأخوة الحقيقية التي تشمل بني الإنسان كافة بصرف النظر عن اللون أو العنصر أو الاعتقاد.. فالإسلام هو الدين الوحيد الذي استطاع أن يحقق هذا المبدأ في عالم الواقع.. فجميع الناس في نظر هذا الدين متساوون، والأخوة الإسلامية عالمية، وقد أفلح الإسلام في إزالة الحواجز كافة التي تفرّق بين الناس، والجميع في نظره متساوون ولا تفاضل بينهم سوى بالتقوى والصلاح..

وهو التفاضل الحق.. لا من تأخذه العزة بالإثم..

كيف لا وهو دين الله الذي ارتضاه للناس فجعله خاتم الأديان؟!

دين لا يسمح بإبادة الملايين وتشريد النساء والأطفال وسفك دمائهم بلا رحمة..

بل دين يحاسب أتباعه على قتل نفس واحدة.. فيحسبها لهم كقتل الناس أجمعين!!

الفرق شاسع.. والخيار أمامك.. فاختر لنفسك ما ينقذها من الضلال.. من الهلاك..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (9) - (62)

الترجمة الفريدة

اختار الله اللغة العربية وعاءً لكلمات القرآن..

ما أكسب العربية شرفًا لم يدانه ولن يدانيه شرف لأي لغة أخرى..

إلا أنه ليس البشر جميعهم يتحدثون اللغة العربية..

لذا كانت ترجمات القرآن محاولة طيبة لتقريب معاني القرآن إلى غير العرب..

فقط التقريب.. فالإحاطة بالمعنى الدقيق لا يستطيعه بشر.. لأنه كلام الله..

وبرغم ذلك.. تحمل ترجمات القرآن بين طياتها نور وشرف الانتساب إلى القرآن..

إلا أن واحدة من ابتلاءات الإسلام والمسلمين العظيمة هي الترجمة المسمومة وغير الأمينة لمعاني القرآن الكريم من قبل معظم المستشرقين الذين يكنون العداوة للإسلام، أو في أحسن الأحوال من قبل بعض أولئك الذين يفسدون هذه المعاني دون قصد منهم ونتيجة لجهل مركب.

في وسط هذا الواقع المؤلم البعيد عن العدل قيض الله للإسلام من يترجم معاني كتابه الكريم ترجمة صحيحة لا تدليس فيها ولا تحريف عبر عالم مسلم أخرجه الله برحمته من ظلمات الضلال إلى نور الإسلام.. إنه محمد مارمادوك ابن القس البريطاني الشهير تشارلز بكثال أحد القساوسة التابعين لكنيسة كانتربري.

ولد مارمادوك لأسرة نصرانية متشدّدة، وقد حرص والده على تربيته تربية نصرانية صارمة حتى يصبح مؤهلًا للدفاع عن النصرانية وقادرًا على محاربة الإسلام.. عندما بلغ النصراني الصغير سن المدرسة ألحقه والده بذات المدرسة الشهيرة التي تخرج فيها السياسي البريطاني الشهير السير ونستون تشرشل الذي ربطته به علاقة قوية.

وعندما انتهى مارمادوك من دراسته الثانوية وجد فرصة للالتحاق بجامعة أكسفورد لتلقي تعليمه الجامعي، ولكن شخصية مارمادوك المتفردة على غيرها والمتمردة على المنطق الظاهري جعلته يشيح بوجهه عن جامعة أكسفورد حلم الكثيرين، ويقبل دعوة عرضت عليه من صديقه دولنج الموظف بالسفارة البريطانية لزيارة فلسطين.

عشق مارمادوك لتعلم اللغات دفعه إلى تعلم اللغتين الفرنسية والإيطالية وإجادتهما إلى جانب

لغته الأم الإنجليزية.. عقب ذلك أكمل بطل قصتنا العقد اللغوي بتعلمه العربية التي استنفدت منه سنوات طويلة قضاها متنقلًا ما بين فلسطين ومصر وسوريا.

تنقله بين الدول العربية أضاف له أمرًا أكثر أهمية من تعلم العربية إذ مكنه من ملاحظة أهل تلك الدول وهم يمارسون شعائر دينهم الإسلامي.. تملكته حينها الرغبة في التعرف إلى الإسلام الذي لم يكن يعرف عنه سوى النزر اليسير.. أعانه على تنفيذ رغبته دروس اللغة العربية التي كان يتلقاها من إمام المسجد الأقصى في القدس الشريف.. موقف باهر من إمام المسجد الأقصى زاد من قناعة مارمادوك بالإسلام!! حدث ذلك عندما صارح الأخير الأول برغبته في اعتناق الإسلام.. إذ طلب الإمام من بكثال التروي وبحث الأمر مع والديه خشية أن تكون رغبته في اعتناق الإسلام مجرد فورة شباب عاطفية.

تفاجأ مارمادوك كثيرًا من نصيحة الإمام إذ طالما سمع أن المسلمين يلهثون ويكدون في سبيل إقناع الآخرين بدخول الإسلام، هذا فضلًا عما كان يعرفه من طرق ملتوية يستخدمها بنو جلدته في عمليات التنصير.

ضاعفت نصيحة إمام المسجد الأقصى رغبة مارمادوك في دراسة الإسلام، فانكب على دراسة الكتب الإسلامية في شغف غير محدود.

سافر مارمادوك إلى تركيا حيث أسس علاقات طيبة مع مجموعة من المسلمين الأتراك.. بهرته الروح الإسلامية الطيبة التي رآها تسري وتنساب وسط المسلمين الأتراك فعقد العزم على دخول الإسلام.. أخبر صديقه التركي طلعت باشا بنيّته الصادقة في إشهار إسلامه، بيد أن الأخير نصحه بضرورة أن يقدم على خطوته تلك في لندن حتى لا يدخل تركيا في مشكلات دولية تخشاها بشدة.

عملًا بنصيحة صديقه طلعت باشا ووسط حيرة الجميع أشهر مارمادوك إسلامه فور وصوله إلى لندن مع بداية إرهاصات الحرب العالمية الأولى، وتسمى بأفضل الأسماء حيث أطلق على نفسه اسم محمد تيمنًا بالرسول -صلى الله عليه وسلّم-.

وما أن أشهر محمد مارمادوك إسلامه حتى تفرغ للدعوة الإسلامية؛ وبجانب إمامته المصلين في صلاة الجمعة والعيدين والتراويح، تولى مسؤولية الإعداد لطباعة مجلة Islamic Review إحدى أشهر المجلات الإسلامية في لندن، كما تعاون مع «معهد الإعلام الإسلامي» الذي تتمثل رسالته في التعريف بقيم الإسلام وشرح مبادئه وقيمه النبيلة.

في عام 1920م غادر محمد مارمادوك بريطانيا إلى الهند، استجابة لدعوة من العالم المسلم

مولاي عمر سبحاني، حيث عمل هناك مديرًا لمدرسة قرآنية في بومباي، وهو منصب ظل فيه حتى عام 1924م إذ تم استدعاؤه إلى حيدر آباد، حيث عين مديرًا لمدرسة شادرغوث العليا.. وظف محمد مارمادوك وجوده هناك في خدمة الدعوة الإسلامية حيث أصدر مجلة الثقافة الإسلامية Islamic Culture باللغة الإنجليزية والتي كان يهدف من ورائها إلى تعريف العالم غير المسلم بثقافة الإسلام والمسلمين، كما أسهم في حل العديد من مشكلات المسلمين خاصة مسلمي الهند وتركيا، بيد أن أبرز أعماله تتمثل في ترجمته لمعاني القرآن الكريم إلى اللغة الإنجليزية التي بدأها في حيدر آباد، واستكملها في مصر بالتعاون مع بعض علماء الأزهر، وهي ترجمة أمينة لمعاني كتاب الله تعالى كان يهدف من ورائها إلى إيصال معاني القرآن الصحيحة إلى القارئ الأوروبي.. ظهرت هذه الترجمة للمرة الأولى في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1930، وأشيد بها في ملحق التايمز الأدبي، ووصفت بأنها إنجاز أدبي بلا نظير.. ومما يحمد لهذه الترجمة أيضًا أنها أول ترجمة لمعاني القرآن الكريم يكتبها بالإنجليزية مسلم، وتتضح أهميتها بصورة أكبر حينما نستصحب حقيقة أن كل نظيراتها السابقة كانت من صنع المستشرقين أو القساوسة الذين كان التحريف العمد يمثل شغلهم الشاغل.

وإضافة إلى ما سبق تجدر الإشارة إلى أن إلمام محمد مارمادوك بكثال باللغة العربية ساعده كثيرًا على إيجاد أقرب المعاني للنص القرآني، كما أسهمت ميوله الأدبية والثقافية في إكساب ترجمته لغة إبداعية تؤثر في القارئ، ولهذا السبب صدرت ترجماته في أكثر من طبعة كما وجدت قبولًا واسعًا ورواجًا كبيرًا في أوروبا وأمريكا.

أكثر من هذا تمثل ترجمات بكثال خير معين لترجمات مماثلة أتت بعدها قام بها علماء مسلمون إذ استفاد أولئك من هذه التجربة الرائدة الأمر الذي أسهم في إنجاح ترجماتهم وأكسبها الرضا والقبول.

في عام 1935م عاد محمد مارمادوك إلى موطنه بريطانيا ليستقر في لندن، ويمارس نشاطه الدعوي دون التزام بمنصب، فعمل بالوعظ الديني واعتلى المنابر وأَمَّ الناس في الصلوات.. ومما يجدر ذكره هنا أن مجلة الثقافة الإسلامية Islamic Culture انتشرت في لندن ولاقت إقبالًا من قبل غير المسلمين الراغبين في التعرف إلى ثقافة الإسلام وحضارته، كما تجدر الإشارة إلى أن بكثال أنشأ لجنة خاصة للدعوة الإسلامية حرص عبرها وعبر جميع أنشطته على الإسهام في مد جسر ثقافي بين أوروبا والعالم الإسلامي، وقد أسهم عبر محاضراته في هداية الكثيرين إلى الصراط المستقيم، ساعده على ذلك الشخصية الفذة المؤثرة التي يتمتع بها، فضلًا عن لجوئه إلى الحوار الهادئ الذي يستند إلى المنطق السليم والأدلة القوية.

في صبيحة اليوم التاسع عشر من مايو 1936م انتقل محمد مارمادوك بكثال إلى رحاب الله

تعالى بعد أن فارق الحياة إثر نوبة ألمت بقلبه المعمور بحب القرآن والإسلام، وكان آخر ما خطه بيده حسب شهادة زوجته قوله تعالى: **بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ** (112) البقرة.

دفن هذا العالم الفذ في مقابر المسلمين في لندن وهو لم يتجاوز الثامنة والخمسين من عمره.. لقد رحل عن هذه الدنيا الفانية بجسده، بينما بقيت روحه الطاهرة بيننا وذكراه العطرة التي خلدتها أعماله العظيمة التي أفاد عبرها ولا يزال الملايين من المسلمين وغير المسلمين في أوروبا وفي العديد من قارات العالم..

لذا.. يحق للمرء أن يتساءل.. ألم يأن لمن يربون أبناءهم من غير المسلمين على كراهية الإسلام.. وعلى أن يكونوا جنودًا في جيوش تشويه الإسلام.. أن يدركوا حجم الوهم الذي يعيشون فيه ؟!!..

أن يدركوا ضعف البشرية جمعاء في سبيل تحقيق ذلك الهدف الموهوم؟!!..

أيها السادة.. إنه دين الله الذي لا يقبل سواه..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (26) - (73) - (93) - (118)

المسيح الآن

كثيرون هم من يهديهم الله إلى دين الإسلام..

وقليلون منهم من يصبحون دعاة إلى الإسلام في بيئاتهم ومجتمعاتهم..

وأقل القليل منهم من يترك وراءه كتبًا وعلمًا يُنتفع به من بعد وفاتهم.. فيكون صدقة جارية تسهم بإذن الله في الدعوة إلى الإسلام والدفاع عنه وتصحيح المفاهيم المغلوطة عنه وإنقاذ غيرهم من النار بإذن الله..

بطل قصتنا من أقل القليل..

عوامل عديدة تضافرت في إخلاص لكي تجعله يحظى بطفولة هانئة سعيدة ومركز اجتماعي مميز.. نشأ في بيت جمع بين حسنات العلم والحسب والنسب والشهرة، فضلًا عن الحنان الزائد الذي خصته به أسرته بحسبانه الابن الذكر الوحيد بين مجموعة من الأخوات الإناث.. إنه رالف ابن البارون كريتسيان إهرينفلز مؤسس التركيبة الحديثة في مدرسة الجشطالت في علم النفس بالنمسا، وأخ الشاعرة المرهفة المعروفة إيما إهرينفلز.

دون أن يعلم السر وجد رالف نفسه ومنذ بواكير صباه يشعر بانجذاب عجيب نحو الشرق بصورة عامة، ونحو الشرق الإسلامي وأهله على وجه الخصوص.. لم تحل دون ذلك الانجذاب حقيقة أنه لم ير الشرق يومًا ولا حتى في أحلامه.. فسّر الوالد البارون كريتسيان انجذاب ابنه العجيب بتأثره بالحكايات الشرقية المدهشة التي كان جميعهم يسمعونها والتي من بينها حكايات ألف ليلة وليلة.

عندما شب رالف عن الطوق توسعت دائرة مداركه وتبعتها دائرة تحركاته التي شملت العديد من بلدان العالم.. في عنفوان شبابه سافر إلى تركيا ودول البلقان، واختلط بمسلمين ينتمون إلى جنسيات متعددة (أتراك وألبان وبوسنيين.. إلخ) فأعجب بهم غاية الإعجاب.. كان يجد نفسه وكأن قوة مغناطيسية خفية تجذبه ليسير وراء الجموع التي تقصد المسجد في أوقات الصلاة.. بل كان يصلي معهم في الخفاء دون أن يتخلى عن نصرانيته.. ظن الكثيرون أنه مسلم، أما القلة الذين كانوا يعلمون بنصرانيته فآثروا الصمت وعدم البوح بها آملين من الله تعالى أن يهديه إلى الإسلام.

المقابلة الحسنة التي وجدها من المسلمين الذين رحبوا به برغم علمهم بنصرانيته جعلته يعيد

النظر في الكثير من أمور عقيدته النصرانية.. تنهد بعمق حينما تأمل وقائع هذه العقيدة المزيفة، وازدرد ريقه بمرارة حينما تكشف أمامه ضلال معتقداتها المحرفة الفاسدة.. بل تنهد في حسرة حينما تراءى أمامه البون الشاسع الذي يفصل تلك العقيدة عن كل ما هو إنساني بتقتيلها لأبناء الشعوب الأخرى واستغلالها لمواردها ومقدراتها باسم المسيح الذي تنادي تعاليمه الحقيقية غير المحرفة بعكس ما يفعلونه.. بل لو بُعث المسيح -عليه السلام- الآن لتبرّأ منهم واتبع الديانة الإسلامية التي يحاربونها في شراسة ويقتلون أبناءها باسمه!

وقد ثبت بالفعل أن المسيح عيسى -عليه السلام- سوف ينزل في آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ولا يقبل من النصارى إلا الإسلام، وقد دلت على هذا مجموعة من النصوص الشرعية المتعددة.

التنامي المتصاعد لشكوكه في صحة عقيدته النصرانية تبعه اهتمام متزايد بالإسلام، الأمر الذي دفعه إلى دراسة هذا الدين العظيم حتى يكتشف حقيقته ويعلم جوهره.. أوصلته دراسته للإسلام إلى حقائق باهرة وردت في القرآن الكريم، مفادها أن الرسالات السماوية جميعها أتت من مصدر واحد، وأنها كلها تدعو إلى ما يدعو إليه الإسلام من عبادة الله الواحد الأحد الذي لا شريك له في ملكوته.. حينها فقط أدرك -وللمرة الأولى في حياته- واستوعب تمامًا أن لفظة «إسلام» تعني التسليم بوحدانية الله تعالى، وعبادته بإخلاص في السر والعلن.

من ناحية أخرى شدّته بقوة روح الأخوة الإنسانية السمحة التي نادى بها الإسلام حينما ساوى بين الأفراد دونما تفريق إلا بتقوى الله تعالى وكذلك الحال مع الأمم التي لم يميز بينها إلا بالصلاح ونفع العباد.. نعم انبهر بقوة لموقف الإسلام الذي يرفض كل أشكال التمييز العرقي أو الاجتماعي أو الحضاري ويجعل معيار المفاضلة بين الناس مقتصرًا على التقوى التي ما التزمها أحد حتى سلم الناس من شره وأذاه وحظوا بخيره وحبه.

أكثر من هذا كله، ساعدته دراسته في علم الإنسان (الأنثروبولوجيا) على التعرّف إلى العديد من محاسن الإسلام، الأمر الذي جعل الإيمان يتسرب في نعومة إلى سويداء قلبه وتلافيف دماغه خاصة عندما قرأ سيرة سيد المرسلين محمد بن عبدالله -صلى الله عليه وسلّم-.

وما أن حل عام 1927م حتى أضيف للأمة الإسلامية فاروق جديد قلبه مملوء بحب الإسلام، إذ اعتنق رالف إهرينفلز الإسلام، واختار لنفسه اسم «عمر» تيمنًا بالخليفة الثاني الفاروق عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-.. وعقب إسلامه ازداد حبه للإسلام وازداد ارتباطه بالمسلمين، كما أصبح مهمومًا بقضايا الأمة الإسلامية التي صار واحداً منها.. في عام 1932م زار البارون عمر شبه القارة الهندية واضعًا نصب عينيه ما يشيعه أعداء الإسلام عن مكانة المرأة ووضعها

في الإسلام، فدافع عن ذلك في جسارة فارس مغوار، مؤكدًا في موضوعية المكاسب العظيمة التي نالتها المرأة في ظل الإسلام والتي لم تحظ بها حتى في أكثر دول الغرب تحضّرًا.. وضح في جلاء ما أعطته الشريعة الإسلامية السمحة للنساء من حقوق وردت في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة.

اهتمام البارون عمر بالمشكلات الحضارية للمرأة المسلمة غيّرت الصورة السلبية التي رسمتها الكنيسة في أذهان الغربيين، حيث أوضحت دراساته للرأي العام الغربي حقائق كثيرة أكدت لهم أن المرأة في الإسلام نالت من الحقوق والاحترام ما لم تنله نظيراتها في الديانتين النصرانية واليهودية.

عقب عودته إلى النمسا تخصص عمر إهرينفلز في دراسة المشكلات الأنثروبولوجية للثقافات الأموية في الهند، حيث وجدت كتاباته قبولًا واسعًا ورواجًا كبيرًا في أوساط المثقفين، الذين أعجبوا كثيرًا بالثقافة الهندية دون أن يدركوا أن لها أصولًا إسلامية.. إثر هذا الرواج الكبير لمؤلفاته حول هذا الجانب قامت جامعة أكسفورد بنشر كتابه الأول في هذا المجال كواحد من سلسلة إصدارات الجامعة العثمانية بحيدر آباد.

في نهاية ثلاثينيات القرن العشرين سافر عمر إهرينفلز إلى الهند مرة ثانية استجابة لدعوة من السير أكبر حيدري، وذلك عقب اجتياح القوات النازية للنمسا في عام 1938م.. في رحلته الثانية إلى الهند ركز البارون عمر على الجنوب الهندي حيث أجرى دراسات ميدانية في مجال الأنثروبولوجيا.. وتوثقت صلته أكثر فأكثر بالهند التي أحبها من كل قلبه، فترأس قسم الأنثروبولوجيا في جامعة مدراس.

ما يحمد للبارون عمر إهرينفلز الدور الكبير الذي لعبه عبر دراساته العلمية في توضيح الكثير من الأمور المهمة التي كانت خافية على الأوروبيين حول الإسلام والمسلمين، إذ كشفت تلك الدراسات الكثير من أفضال الإسلام والمسلمين على العالم، حيث بيّنت حقيقة أن البلاد الإسلامية كانت مشعلًا للحضارة في وقت رزحت فيه أوروبا تحت نير الحكم الكنسي المتعصب الذي أصابها بالتخلف والجمود نتيجة لمحاربته العلم وممارسته الدجل والتضليل بغرض استغلال موارد العباد.. وإلى جانب دراساته ومؤلفاته تمكّن عمر إهرينفلز عبر مناقشاته العلمية من توضيح الكثير من الجوانب المضيئة في تاريخ الإسلام الحضاري، أسهمت تلك المناقشات في تعديل الصورة الذهنية السلبية التي كانت تعشعش في أذهان المثقفين الغربيين عن ذلك التاريخ ومن بين هؤلاء أخته الشاعرة إيما، التي أصبحت بسبب دراساته ومؤلفاته ومحاضراته شغوفة بالحضارة الإسلامية، حيث بدأت تهتم كثيرًا بالأدب الإسلامي وتسهم بفعالية في إبرازه.

وحتى لحظة انتقاله إلى رحاب الله تعالى كان البارون عمر يحرص على التأكيد -لكل من يلقاه- قصب السبق الذي تفرّدت به الحضارة الإسلامية في كل المجالات، وعلى عالمية رسالة الإسلام الخالدة خاتمة الرسالات.. ولم يتوقف هذا التأكيد إذ استمر حتى عقب وفاته لأن مؤلفاته الإسلامية والعلمية اضطلعت بالدور ذاته الذي كان يقوم به في حياته..

فهي بمنزلة صدقة جارية.. ستستمر تصب في ميزان حسناته..

فهكذا هم أصحاب الهمم العالية.. لا يتوقفون عن العطاء.. لا يتوقفون عن التميز..

وأنت؟!.. ندعوك للاقتداء بالبارون.. الفاروق.. عمر..

قد لا يسعفك الجهد والعلم لتأليف الكتب..

مجرد إسلامك هو نعمة عظيمة لا تتنازل عن الفوز بها!

النجاة.. النجاة.. هي ما يجب أن تحرص عليه..

إنه الخلود.. إما جنة.. وإما نار.. أعاذنا وأعاذكم الله منها..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (55)

الحضارة الأم

عجيب أمر الإنسان.. لماذا يخفي الحق؟!..

سؤال يدور عليه تاريخ البشر.. من لدن آدم حتى اليوم.. بل إلى قيام الساعة!!..

حضارة نبغت ونشرت العلم وأنارت الحياة في شتى المجالات..

ماذا يضير بعضهم في ذلك فيجتهدوا غاية الاجتهاد في طمس هذه الحقيقة؟!!

دين عظيم يأخذ بيد الإنسان إلى الخير والحق والجمال..

ماذا يضير بعضهم فيشوّهوه وينشروا كراهية نبيه وكتابه المقدس بين البشر؟!!

لماذا يحرص بعضنا على الكذب ونشر الشر؟!!

الحقيقة الجليّة التي يحفظها التاريخ في أرشيفه بأمانة ويعتِّم عليها الغربيون في إعلامهم بشدة كشف عنها فيلسوف غربي فكانت سببًا في إسلام بطل قصتنا هذه.. تتمثل هذه الحقيقة في أن الحضارة الغربية قامت على أكتاف الحضارة الإسلامية والتي لولاها لظلت أوروبا حتى الآن تغط في سبات عميق.. إنه الفيلسوف بوخاردت السويسري الجنسية الألماني الأصل، الإيطالي المولد.

ولد بطل قصتنا في عام 1908م بمدينة فلورنسا الإيطالية لأبوين نصرانيين أطلقا عليه اسم تيتوس بوخاردت، وحينما شب عن الطوق وجد نفسه منجذبًا إلى دراسة العلوم الميتافيزيقية، وإلى الغوص والتعمق في البحث عن كل ما يحيط بالديانات السماوية.. ميول بوخاردت هذه صادفت انتشار نظريات المذهب الوجودي في أوروبا حيث هيمنت أفكاره على عقول شبابها بينما اصطدمت ذات الأفكار بفطرة بوخاردت السليمة.

في تلك المرحلة المفصلية من حياته وقف تيتوس يتأمل بعمق النظريات الفلسفية التي انتشرت آنذاك وشغلت العالم بأفكارها الجديدة.. وجد تيتوس أن معظم تلك النظريات الفلسفية يعتنق الفردية ويعتمد على مناهج تجريبية لم يثبت نجاحها بعد.. في البدء وجد نفسه غارقًا في بحور من الحيرة وهو يبحث عن بديل يتسق مع فطرته السليمة، بيد أنه سرعان ما شعر بالفرح وأحس بالراحة النفسية عندما وجد ضالته المنشودة في كتابات الفيلسوف رينيه جينو، ذلك المستشرق المعروف الذي أسلم عام 1912م وتسمى باسم عبدالواحد يحيى.

بدأ تيتوس بوخاردت يقرأ في شغف كتب جينو التي اكتسبت شهرة واسعة وتميزت بالدفاع

عن الإسلام في وجه حملات التشويه التي كان يشنها أعداؤه ضده، وهو دفاع مستميت يؤكد مدى إيمان جينو العميق بالإسلام وعشقه الصادق لقيمه وتعاليمه.

في البدء لم يكن بوخاردت يدري اعتناق جينو للإسلام، وإنما كان يقرأ كتبه باعتبارها نتاجًا طيبًا لدراسات علمية لفيلسوف متخصص في الدراسات الإسلامية.. أوضحت مؤلفات جينو لبوخاردت حقائق كثيرة كانت خافية عنه وكشفت له عن مدى تأثر الغرب بالثقافة الإسلامية.. وعندما علم بوخاردت تلك الحقائق حزت في نفسه كثيرًا حقيقة إنكار معاهد الغرب ومثقفيه لهذا التأثير وتزييفهم الصارخ للتاريخ خوفًا من أن يعلم الناشئة حقيقة أن حضارة أوروبا لم تقم إلا على أكتاف العلماء المسلمين، والتي لولاهم لكانت أوروبا تعيش في سبات جهلها العميق حتى الآن.

تطابق أفكار جينو الراجحة مع قناعات تيتوس الراسخة جعلته يعتنقها دونما حاجة إلى تفكير عميق، إذ إنهما ينتميان إلى المدرسة الكلاسيكية، كما أن لديهما اهتمام شديد بالانحراف الحضاري الحديث الذي تعيشه أوروبا، وبسبب ما سبق ذكره وجد تيتوس بوخاردت في نفسه رغبة شديدة في اعتناق الإسلام فأشهر إسلامه عن قناعة تامة مفادها أنه هو دين الله القويم وأن ما سواه لا يعدو كونه أباطيل من صنع البشر.. عقب إسلامه أطلق بوخاردت على نفسه اسم إبراهيم تيمنًا بالشيخ إبراهيم الطبيب والرحالة السويسري الذي سبقه إلى الإسلام بما يزيد على القرن والذي مات ودفن في القاهرة.

وللتعمق أكثر في الشريعة والحضارة الإسلامية، انتقل إبراهيم بوخاردت في ثلاثينيات القرن العشرين إلى العالم العربي وتحديدًا إلى مدينة فاس المغربية حيث قضى فترة ثرية تعتبر المرحلة الأكثر تأثيرًا في نفسه إذ تركت بصماتها واضحة في منهاجه الفكري وإنتاجه العلمي، حيث استقى من العلماء المغاربة الكثير من ثقافته الإسلامية، وردًّا للجميل عبّر إبراهيم بوخاردت عن امتنانه لمدينة فاس ولأبنائها ولعلمائها بأن خصّها بتأليفه لكتاب قيّم تحدث فيه عن معالم المدينة الفريدة، وأشار إلى موقعها المميز كما وصفها بأنها منارة سامقة من منارات الفكر الإسلامي.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن مؤلفات الفيلسوف والمفكر الإسلامي إبراهيم بوخاردت تتميز بدقتها الشديدة وبتعريفها الشمولي للإرث الحضاري الإسلامي الفريد، وما ميزها عن نظيراتها من المؤلفات حقيقة أن رسالتها موجهة إلى مثقفي الغرب وناشئته باعتبار أنهم مضللون لا يعلمون عن حضارة الإسلام إلا معلومات محرّفة صاغها القساوسة والمنصّرون خوفًا من أن يكتشف بنو جلدتهم فضل الحضارة الإسلامية على الإنسانية بعامة وعلى أوروبا على وجه الخصوص.

بذل إبراهيم بوخاردت مجهودات كبيرة حاول من خلالها تعريف الغرب بالقيم النبيلة والفنون

الراقية الجميلة التي تتميز بها الحضارة الإسلامية عن غيرها من الحضارات، باعتبار أنها الحضارة الإنسانية الوحيدة التي خلقت توازنًا مذهلًا بين مطالب الإنسان المادية وحاجته الروحية.

وتعدّ مؤلفات إبراهيم بوخاردت عن حضارة الإسلام من أهم وأبرز الكتب التي تدرس في العديد من الجامعات الأوروبية وما أكسبها هذه المكانة حقيقة أنها وليدة إخلاص فيلسوف أوروبي مسلم متمكّن استطاع أن يمد القارئ والدارس غير المسلم بمؤلفات منهجية ثمينة وكتب حبلى بأفكار رصينة تتحدث عن تقدم الحضارة الإسلامية ورقيها، قدّمها إلى العالم الحديث بأسلوب ممتع وباهر لا يملك أمامه القارئ إلا أن يتفاعل مع كاتبه الذي يمتلك إلى جانب ناصية المعرفة الحقة رشاقة التعبير المتفرد والمفردة الأنيقة.

وفي عام 1984م رسم الموت المشهد الختامي لحياة المستشرق السويسري المسلم والعلامة البارع إبراهيم بوخاردت.. توفي بطل قصتنا في مدينة لوزان السويسرية عن عمر تجاوز 76 عامًا قضى معظمها مدافعًا عن الإسلام معرّفًا بأحكامه وفنونه، عبر كتب قيّمة ومحاضرات ثمينة ومقالات متنوعة شكّلت كلها معينًا أمينًا لكل راغب في التعرّف إلى الإسلام وحضارته بصدق وموضوعية لا مكان فيهما للتدليس الذي هو ديدن الفريق الآخر المعادي للحق وللإسلام والمسلمين..

أسلم روحه لله بعد أن اجتهد في الحصول على رضا الله..

بعد أن اجتهد في الدفاع عن الإسلام.. دين الحق الذي آمن به ووصل إليه بعد طول بحث..

فهل ستحتاج مثله إلى طول بحث وسنوات معاناة حتى تصل إلى ما وصل إليه في النهاية؟!!

لماذا؟! ألا يستفيد العاقل الأريب مما انتهى إليه الآخرون فلا يضيع عمره في تجريب المجرب وبحث المبحوث؟!

اغتنم عمرك في طاعة الله.. لا في الشكوك والمعاناة..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (9) - (26) - (66)

يوم المنبر

مساكين هؤلاء المنصرون!!

مساكين لأنهم يحرثون في البحر..

يجتهدون وينفقون ويسافرون ويوقفون أعمارهم.. فتخزيهم النتيجة..

مساكين لأنهم قبل أن يضلوا الناس.. هم يضلون أنفسهم..

لا يمنحون أنفسهم فرصة الإيمان..

فلو اطلعوا على الإسلام بحيادية وصدق لأسلموا.. وعرفوا بأنفسهم أنه الدين الحق..

الدليل؟.. الدليل هو ما حدث مع بطل قصتنا..

تم تكليفه بإعداد دليل موجز عن الإسلام ليتم توظيفه في التبشير بالنصرانية..

لكن شاءت إرادة الله سبحانه وتعالى أن ينقلب السحر على الساحر، وأن يتحول صاحبنا من مخرّب كان همّه إفساد الآخرين إلى مصلح شغله الشاغل هداية المفسدين..

إنه المستشرق الهولندي المعروف الدكتور ميليما الذي عمل في الخمسينيات من القرن الماضي رئيسًا للقسم الإسلامي في المتحف الاستوائي في أمستردام والذي كان إسلامه بمنزلة الضربة القاضية في وجه المنصرين.

درس الدكتور ميليما اللغات الشرقية في جامعة ليدن عام 1919م حيث تعلم اللغة العربية وأجادها.. قرأ تفسير البيضاوي للقرآن الكريم، كما اطلع على تأمّلات الإمام أبي حامد الغزالي.. وفي عام 1921م مكث في القاهرة شهرًا كاملًا حيث زار الأزهر.. وإلى جانب اللغة العربية أجاد الدكتور ميليما لغات أخرى مثل اللغة السنسكريتية ولغتي الملايو وأهل جاوة.. وقد تخصص في هذه الأخيرة بعد أن درسها دراسة مكثفة استغرقت خمسة عشر عامًا.

بدأت قصة الدكتور ميليما مع الإسلام إبان الحرب العالمية الثانية وفي منتصف أربعينيات القرن العشرين.. لقد عاد آنذاك من الأسر بعد أن تم تحريره من القوات اليابانية.. طلب منه المعهد الملكي الاستوائي في ذلك الوقت إعداد دراسة موجزة عن الإسلام في جاوة، حيث كان ذلك المعهد يهدف إلى توظيفها في عمليات التنصير التي كان الاستعمار الهولندي يخطط لها في

أندونيسيا.. كانت تلك هي بداية تعرّفه الحقيقي إلى الإسلام، إذ إنه وعلى الرغم من إجادته للغات المسلمين، لم تكن لديه معلومات حقيقية ووافية عن العقيدة الإسلامية، لأن تركيزه فيما مضى كان منصبًّا على الناحيتين الثقافية والتاريخية للإسلام.

لقد أحدث تكليف المعهد الملكي الاستوائي نقلة كبرى في حياة الدكتور ميليما إذ تمكّن عبره من معرفة الإسلام بصورة صحيحة غيرت كثيرًا من فهمه الخطأ له والناتج إما من معلومات من مصادر أوروبية حرفت عمدًا بهدف تشويه صورة الإسلام، وإما حرفت عن غير قصد نتيجة لقلة معلومات كاتبيها عن حقيقة الإسلام أو جهلهم به.

وكانت البداية التي أحدثت هذا التغيير في نظرته للإسلام هي دراسته للدولة الإسلامية الجديدة التي أقامها في باكستان محمد علي جناح.. هذه الدراسة التي قام بها عند زيارته لباكستان في شتاء 1955/54م.

ما أصاب الدكتور ميليما بالدهشة اكتشافه المتأخر حقائق جليّة كانت خافية عنه السنين الطوال، التي من بينها تعرّفه حقيقة أن الإسلام يضع الفضائل الخلقية في المرتبة الأولى، بل لا يكتمل إيمان المسلم إلا إذا تحلى بها، إلى جانب تعرفه حقيقة أن العبادات في الإسلام ليست غاية في حد ذاتها وإنما هي وسيلة للتمسك بالفضائل والأخلاق الكريمة ونبذ المنكرات وكل أنواع السيئات.. بل تعلم من سلوك الشعب الباكستاني المسلم أن كل ما أمرت به الشريعة الإسلامية فيه صلاح بني البشر وأن كل ما نهت عنه فيه هلاكهم.

توصل الدكتور ميليما كذلك إلى كذب الدعايات المغرضة المضللة التي تصور المسلمين على أنهم شعب وثني يعبد محمدًا -صلى الله عليه وسلّم-.. لقد انبهر حينما وجدهم يختلفون تمام الاختلاف عن الصورة التي غرسها أعداؤهم في ذهنه، فهم يعبدون إلهًا واحدًا ينزهونه عن الشرك، كما أنهم يؤمنون بجميع الرسل.. وأكثر من هذا وجد أنهم لم يختلفوا على النبي -صلى الله عليه وسلّم- بعد مماته كما فعل النصارى بعد رفع عيسى -عليه السلام-، ولم يغيروا من دينه وفقًا لأهوائهم كما فعل النصارى واليهود بديانتيهما، بل ظل كتابهم المقدس «القرآن الكريم» محفوظًا -برغم مرور القرون- دون أن يبدل فيه أو يحور حرف واحد منه.

كل ما لاحظه عن الإسلام والمسلمين دفعه إلى أن يسأل أصدقاءه من مسلمي باكستان عن كل ما غمض عليه من شؤون الإسلام.. وجد مساعدتهم له لا تقتصر فقط على مجرد الشرح الشفهي، وإنما امتدت لتشمل إرشاده إلى كل ما يعينه من الكتب على تعرف تفاصيل الإسلام.

ما عرفه الدكتور ميليما عن الإسلام من خلال قراءاته حوله لم يغير فقط نظرته السابقة له وإنما أصبح يشعر بنوع من الود والاحترام للإسلام والمسلمين.. لقد وصل به الأمر أن طلب

من أصدقائه المسلمين يومًا أن يشاركهم أداء صلاة الجمعة في المسجد! وبالفعل كان له ما أراد في أول جمعة تلت تصريحه برغبته.. في ذلك اليوم المشهود وما أن دخل المسجد وأحاطت به جموع المصلين حتى عقد العزم على اعتناق الإسلام.. لقد انبهر باستقبال المسلمين له في المسجد.. لقد أشعروه بأنه واحد منهم.. أخ لهم في الإنسانية.

روى الدكتور ميليما المشاعر الجيّاشة التي تأججت داخله يومذاك في مقال له نشرته مجلة باكستان الفصلية عام 1955م.. تحدث في ذلك المقال عن الترحاب العفوي الدافئ الصادق الذي استقبله به المصلون، كما أشار إلى تطعيم الإمام خطبته ببعض الكلمات الإنجليزية من أجل أن يتمكن هو من فهم واستيعاب الخطبة التي ألقيت باللغة الأوردية.. بل ذكر أن الإمام دعاه عقب انتهاء الصلاة لإلقاء كلمة أمام جموع المصلين.. استجاب ساعتها الدكتور ميليما لدعوة الإمام وألقى كلمة قصيرة شكر فيها الحضور على إكرامهم له وأكد لهم أنه سيحدث الناس في بلاده عن الحفاوة البالغة التي أحاطوه بها.. ما لا يمكن لبطل قصتنا أن ينساه ما حدث له عقب نزوله من المنبر!!

لقد ذهل تمامًا بالأيدي التي تسابقت في حماسة إلى مصافحته.. امتلأت نفسه بالغبطة والسرور حينما تسرب إليها ذلك الشعور الدافئ بالأخوة الصادقة التي غمروه بها.. نعم كانت تلك الجمعة تمثل نقطة التحول الحقيقية في حياته إذ اعتنق بعدها الإسلام وتحول إلى شخص آخر راضٍ تمامًا عن نفسه تغمره السكينة وتحيط به الطمأنينة.

أمور عديدة شدت الدكتور ميليما إلى الإسلام من بينها:

احترام الإسلام للديانات الأخرى، وحرصه على عدم مس عقائد الآخرين بما يؤذيهم، ومنحه الجميع حرية العبادة تطبيقًا لقوله تعالى في القرآن الكريم: «لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ»، فضلًا عن إلزام المسلمين بتوقير سيدنا عيسى -عليه السلام- وأمه مريم العذراء.. وما أصاب الدكتور ميليما بالدهشة هنا حقيقة أن توقير المسلمين لعيسى وأمه هو جزء من دينهم، لأن الإسلام جعل الإيمان برسل الله جميعهم هو ركن من أركانه.. بيد أن أكثر ما لفت نظر الدكتور ميليما للإسلام هو تقرير الشريعة الإسلامية للعلاقة المباشرة بين العبد وربه دونما حاجة إلى وسيط كما هو الحال في ديانته القديمة، وقاده هذا بدوره إلى مقارنة فكرة الفداء في النصرانية، وبين رفض الإسلام مبدأ معاقبة أحد بوزر غيره، أو أن يضحي أحدهم تكفيرًا عن خطايا قومه.

وما أصاب الدكتور ميليما بالدهشة والذهول اكتشافه أن الإسلام سبق ما أطلق عليه الغربيون «الإعلان العالمي لحقوق الإنسان» بأربعة عشر قرنًا من الزمان إذ نادى بالمساواة الكاملة بين البشر على لسان رسول الله -صلى الله عليه وسلّم- في حديثه الشريف: «كلكم لآدم

وآدم من تراب»، وهو ذات ما يتجسد في شعيرة الحج حيث يأتي المسلمون من مختلف بقاع الكرة الأرضية إلى بيت الله الحرام يرتدون لباسًا واحدًا، لا فرق بين غنيهم وفقيرهم إلا بالتقوى وهو ما ذكره الله تعالى في القرآن الكريم بقوله عزّ وجلّ: «**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**».

عندما عاد الدكتور ميليما إلى بلاده كان حريصًا على أن يوضح لمعارفه وأقاربه وأصدقائه حقيقة الإسلام مبيّنًا محاسنه، كما تحدث إليهم عن موقف الإسلام من مختلف القضايا المعاصرة التي تؤرق بني البشر والتي على رأسها «أم الخبائث» ذلك الداء العضال الذي يفتك بعقول الرجال والنساء في المجتمعات الأوروبية والغربية، مشيرًا إلى أن المؤتمرات العديدة والكبيرة التي تعقد للبحث عن وسيلة لعلاج مدمني الخمور والمخدرات لا طائل من ورائها، لأنها تعالج المصيبة بعد وقوعها، وأن الحل الجذري في الإسلام الذي يعالج المشكلة قبل حدوثها حيث يجعل من ضمير المسلم نفسه -قبل القانون- رقيبًا ذاتيًّا يحول بينه وبين المنكرات.

في خاتمة هذه القصة نشير إلى حقيقة جلية مفادها أن ما يحول دون إسلام الكثيرين من غير المسلمين هو جهلهم بالإسلام وفهمهم الخطأ له الناتج من تضليلهم من قبل أعدائه من المنصرين.. وهؤلاء أنفسهم ضُللوا من قبل سلفهم الطالح.. بالتالي لو قرأ أعتى عتاة المنصرين عن الإسلام بحياد وموضوعية سوف يجد نفسه وقد تحول إلى الإسلام..

ولكن.. من يحصل على هذه الفرصة؟.. فرصة الاطلاع على الإسلام بحيادية؟!

هي نعمة من الله.. جائزة.. لن يحصل عليها إلا أصحاب الفطرة السليمة.. الباحثون عن الحق بصدق..

فاجتهدوا في الطلب.. نقوا قلوبكم واقرؤوا بأنفسكم..

فمن داوم على طرق الباب يوشك أن يُفتح له..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (10) - (48)

المقارنات الأمينة

ساعة الفتح.. لحظة بزوغ فجر الإيمان..

لحظة قد تحين بعد سنوات وسنوات من الانتظار!!

المثابرة والدأب والإخلاص هي مقدمات ومسوغات الوصول إليها.. بعد فضل الله..

بطل قصتنا سار في طريق البحث عن الحق حتى ما بعد الأربعين من عمره..

حياته قبل ذلك مسخرة للبحث عن الله..

لذا فقد أثابه الله.. منحه الجائزة.. هداه إلى الإسلام..

بل أصبح من أهم الدعاة إليه والمدافعين عنه..

ولد بطل قصتنا في إحدى ضواحي باريس لأبوين نصرانيين متزمتين.. نشأ على المذهب الكاثوليكي.. شغف بالرسم والشعر ودراسة اللاهوت فجمع بين ثلاثية الفكر والفن والدين.. شجعه والداه على قراءة الأناجيل ودراستها ليصبح مثلهما نصرانيًّا متعصبًا بيد أن الأناجيل قادته إلى التحول من النصرانية إلى الإسلام!! إنه الفنان والمفكر والمستشرق الفرنسي ألفونس إتيان دانيه الذي ندعوكم للتعرف إلى قصة إسلامه.

في الثامن عشر من عمره التحق ألفونس بإحدى مدارس الفنون والرسم الفرنسية في باريس الأمر الذي أدى إلى تنمية شخصيته الذاتية، والارتقاء بقدراته العقلية، بينما أسهم حبه للشعر في إكسابه رهافة الحس ورقة المشاعر.. كان كاتبًا ينفذ قلمه إلى أعماق النفس البشرية، وكان تشكيليًّا يلتمس حياة الناس البسطاء، ويصور همومهم، فتجرد قلمه كما تجردت ريشته من ملونات الاستشراق التي كانت واضحةً في أعمال غيره من المستشرقين.

هذه التغييرات التي حدثت لكيميائية نفسه جعلته يشك في صحة ما تتحدث عنه الأناجيل فيما يتعلق بالكثير من المسائل اللاهوتية، إذ رأى فيها تناقضات كثيرة، لم يجد لها عند القساوسة تفسيرًا يحترم العقل أو تبريرًا يتسق مع المنطق، ما دفعه إلى خوض غمار رحلة طويلة من البحث والتقصي عن الحقيقة، بدأها عندما بلغ الرابعة والثلاثين من عمره.

ما أن بلغت سنه الأربعين حتى أصبح بطل قصتنا علمًا على رأسه نار.. لقد تحققت له شهرة واسعة كفنان تشكيلي صاحب أعمال مميزة وكشاعر متفرد صاحب حس مرهف.. أصدر

حينذاك ثلاثة دواوين من الشعر ومجموعة لوحات شديدة التميز أشهرها اللوحة التي حملت اسم «رمضان في الجزائر».. حتى تلك اللحظة ظل ألفونس على نصرانيته برغم الشكوك التي كانت تساوره حولها كدين سماوي يحترم العقل والعلم.

بدأ بطل قصتنا رحلة طويلة من الشك إلى اليقين استغرقت زهاء ستة عشر عامًا من التفكير والبحث والتقصّي.. عقب مرور 9 سنوات من بداية رحلته المصيرية سافر ألفونس إلى الجزائر حيث اختلط هناك بالمسلمين.. شغلته آنذاك كثيرًا وحيرته مقولات الأناجيل التي لم يستوعبها عقله المتفتح مثل مقولتهم بأن لله ثلاثة أقانيم (الأب والابن والروح القدس)، كما أنه لم يستسغ فكرة «الصلب»!! كانت حيرته تزداد كلما اطلع على الأناجيل، بل زادت من شكوكه حقيقة أن الأناجيل الأربعة قد اعتمدت من بين عشرات الأناجيل التي لا يعرف عنها بسطاء النصرانية شيئًا، والتي يناقض بعضها بعضًا.. بعد تفكير عميق وبحث مجهد توصل إلى قناعة تامة مفادها أن الأناجيل الموجودة حاليًّا ليست هي التي أوحى بها الله تعالى إلى نبيه عيسى -عليه السلام- وأنها اعتمدت على نسخ مكتوبة باللغة اليونانية القديمة وهي لغة تختلف عن لغة المسيح -عليه السلام-، الأمر الذي يعني أن آخرين ليسوا من حواريي المسيح -عليه السلام- هم الذين كتبوا هذه الأناجيل وحرّفوها بعد أن طمسوا النسخ الأصلية لإنجيل المسيح.

عند مقارنته لتناقضات الأناجيل المحرفة بما يتمتع به القرآن الكريم من صدق اقتنع ألفونس بأن القرآن لا يمكن له أن يكون كلام بشر، وإنما هو كلام الله تعالى خالق الكون والبشر وخالق كل شيء.. كما لمس ألفونس في القرآن الكريم الثبات في روايته فضلًا عن المبادئ والقيم النبيلة التي تفتقر إليها الأناجيل وغيرها من الكتب التي تقصها بعض الشعوب.. أكثر من هذا انبهر ألفونس بعظمة الإسلام الذي حرر الإنسان وجعل علاقته بربه علاقة مباشرة لا مكان فيها لكاهن أو قسيس أو بابا يبتزه بما أطلقوا عليه افتراءً «كرسي الاعتراف» أو «صكوك الغفران».

وفي إطار مقارنته القرآن الكريم بالأناجيل المحرفة وبقية الكتب شدّه ما رآه في آياته من دعوة إلى المساواة بين البشر، وما وجده فيه من تشجيع على طلب العلم والحث عليه، وما لمسه في أحكامه من عدالة تجعل منه منهجًا قويًّا أمينًا صالحًا لكل زمان ومكان، بالإضافة إلى أحكامه التي وجد فيها الحلول الناجعة لمشاكل كل الأمم في أي مكان عاشت وفي أي زمان سادت حضارتها.. تأمل ألفونس كذلك سيرة الرسول -صلى الله عليه وسلّم- من مصادر موضوعية لا تعرف الزيف والمكابرة فأعجب بها أيما إعجاب وشعر بمدى التضليل الذي أصابه فيما مضى بسبب افتراءات المستشرقين وأباطيل القساوسة وادعاءات المعادين للإسلام والملحدين بالله تعالى..

في السابق كان يقرأ صورًا متباينة لسيرة الرسول -صلى الله عليه وسلّم- تختلف كل منها عن نظيرتها بحسب اختلاف جنسية كاتبها وإن كانت تتفق جميعها في تشويه هذه السيرة العطرة

التي لم يكتشفها على حقيقتها إلا بعد أن اطلع عليها من مصادرها الحقيقية الأصيلة الأمينة.. وما أدهشه في هذا الجانب حقيقة أن المسلمين في كل الأقطار الإسلامية يتفقون على صورة عظيمة واحدة لسيرة نبيهم -صلى الله عليه وسلّم- لا يغير فيها اختلاف البلدان واللغات والأجناس وهي سيرة اعترف بها لاحقًا غربيون غير مكابرين في شهادات غير مجروحة.

المقارنات السابقة بين الإسلام والنصرانية من جهة وبين السيرة المزيفة للرسول -صلى الله عليه وسلّم- التي غرسها في ذهنه أعداؤه والصورة الحقيقية التي تعلمها من المسلمين من جهة أخرى، كل هذه المقارنات دفعت ألفونس إلى إشهار إسلامه وتغيير اسمه إلى «ناصر الدين».

الصورة المزيفة التي رسمتها الكنيسة ونشرها المستشرقون في أذهان غير المسلمين عن الإسلام ورسولهم الكريم لم يقتصر تأثيرها فقط في دفع «ناصر الدين» إلى اعتناق الإسلام وإنما دفعته عقب إشهاره لإسلامه إلى الدفاع عن الإسلام وتقديمه في صورته الحقيقية للآخرين.. إجادته للغة العربية ساعدته على الاطلاع على سيرة السلف الصالح من المسلمين وعلومهم، الأمر الذي مكّنه من أن يثري المكتبة الإنسانية بمجموعة من المؤلفات والأبحاث القيمة التي تتناول الإسلام والمسلمين، وتوضح أفضال هذه الشريعة الخالدة على البشرية جمعاء من خلال إبراز ما قدمته لها من خدمات جليلة.

من أبرز كتب ناصر الدين كتاب «الشرق كما يراه الغرب»، وكتاب «تاريخ حياة سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلّم-» الذي كتبه باللغة الفرنسية بمشاركة صديقه الجزائري «سليمان بن إبراهيم الجزائري»، فضلًا عن دراسة قيّمة أعدّها بعنوان «أشعة خاصة بنور الإسلام»، سلّط عبرها الضوء على الكثير من المعاني الروحية التي دعا إليها الإسلام وما زال يدعو لها.

ويبقى أن نقول هنا إن كتب «ناصر صلاح الدين» التي سبق ذكرها تتميز عن غيرها من الكتب بدحضها للأباطيل والاتهامات المغرضة التي يروج لها أعداء الإسلام وقد أفادته في هذا الجانب دراساته «اللاهوتية» السابقة إذ مكّنته من كشف زيف الأناجيل المحرفة، بل تحدى في تلك الكتب علماء النصرانية من قساوسة ورهبان ومستشرقين أن يأتوا برسالة شاملة شمولية الدين الإسلامي، كما قارن في تلك الكتب بين مفهوم العبادات في الديانتين الإسلامية والمسيحية مؤكدًا حقيقة أن الصلاة في الإسلام صلاة صافية بالطمأنينة والسكينة والخشوع، وتخلو من الأمور الشائنة التي توجد في صلاة النصارى التي تغص بالصور الرخيصة والتماثيل الجامدة وتعج بالترانيم الجوفاء والموسيقى الصاخبة.

من جهة ثانية أشار ناصر الدين في كتبه إلى حقيقة أن الإسلام حرر البشرية من وساطات الكهنة واستغلالهم المريع، إذ يجعل العلاقة بين العبد وربه علاقة مباشرة، الأمر الذي دفع

القساوسة إلى محاربة الدين الإسلامي في استماتة لأنه يهدد مصالحهم الدنيوية تلك المصالح الضيقة التي تستند إلى جهل بني جلدتهم والناتج من التحريف في أناجيلهم..

لكن وعلى الرغم من كل صنوف الأذى التي لقيها ناصر الدين من القساوسة والمستشرقين استمر يدافع عن الإسلام في شجاعة تستند إلى إيمان صادق لا يتزعزع وعزيمة مؤمن قوية لا تتضعضع إذ لم يوقفه عن أداء رسالته تهديد أو مرض حتى رجعت نفسه المطمئنة إلى ربها راضية مرضية في شهر ديسمبر عام 1929، فصلّى عليه كثير من الشخصيات الإسلامية، وممثّلون عن الحكومة الفرنسية في مسجد باريس الكبير، ثم تولت السلطات الفرنسية نقل جثمانه -حسب وصيته- إلى الجزائر، ودفن في مقبرة «الدشرة القبلية» في بوسعادة في ضريحه الذي بناه لنفسه.

فسبحان القادر على تحويل إنسان منعم في دين إلى إنسان مضطهد لدخوله دينًا آخر.. وبرغم ذلك يجاهد ويقاوم في سبيل هذا الدين المضطهد بسببه!!

تُرى.. ما الذي يجعل إنسانًا يقوم بذلك ويتحمل هذا العذاب؟!!

أليس لأنه تأكد من أنه الحق؟! أليس لأنه تأكد من أنه من عند الله؟!

أليس لأنه علم يقينًا أن البشر جميعًا لن ينفعوه لو كفر وكذب بهذا الدين الحق؟!

ببساطة.. هو دين الله.. وكفى!!

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (4) - (30) - (74)

الهبوط إلى أعلى!

من جديد.. يتنازل من يظن الناس أنهم في سعادة.. عن هذه السعادة!!

لأنها ببساطة.. سراب سعادة.. يحسبه الظمآن سعادة.. حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا..

فالسعادة ليست في أن يتوفّر للإنسان كل ما يريد من متع الحياة، وإلا لكان أسعد الناس هم الأغنياء، وربما كان ذلك من تمام عدل الله عزّ وجلّ في هذا الكون.. والكل في هذا الوجود لا يكف عن بحثه الدؤوب عن كيفية تحصيل السعادة الحقيقية. فكم من صاحب شهرة أو مال أو منصب أو جمال، ومع ذلك عاش حياته كلها كئيبًا تعيسًا يتعالج لدى الأطباء النفسيين، أو تخلّص من حياته التي سادتها التعاسة والشقاء، فقرّر الانتحار لينهي همّه وغمّه وتعاسته!! المطربة العالمية المشهورة (داليدا) تقول في رسالتها الأخيرة التي كتبتها في آخر لحظة من حياتها قبل أن تنتحر: «الحياة لا تحتمل.. سامحوني»!!

بلغت بطلة قصتنا هذه من المجد والشهرة ما تتمناه الفتيات ذوات الأحلام النرجسية عصيَّة التحقُّق.. قدر لها أن تصبح نجمة سينمائية ومسرحية يحيط بها الآلاف ويعجب بها الملايين.. مع الشهرة الغامرة والأضواء الباهرة كان القلق وعدم الاستقرار يخنقان أعماقها المهترئة.. فعلى الرغم من حياتها المثقلة بالترف والرفاه الماديين كانت تحس بأن شيئًا ما ينقصها.. للحصول على الطمأنينة وهدوء البال بدأت تبحث عن حياة أخرى فكان لها ما أرادت وزيادة.. إنها الفنانة الألمانية الشهيرة «كارولا».. غيَّرت «كارولا» اسمها إلى «سكينة».. هذا هو ما حدث لبطلة قصتنا.. أما كيف فهذا هو ما سوف نتعرّف إليه من خلال هذه القصة.

في أحد الأيام وبينما كانت النجمة كارولا تجلس في فيلتها التي تقع في ضواحي برلين أخذت تفكر في الحياة التي تعيشها، حيث لم يمدّها رفاهها المادي بقطرة بل بذرة من سعادة ظلت تبحث عنها منذ نعومة أظافرها.. عندما اكتشفت أن المتاع المادي ليس هو السبيل إلى السعادة، عزمت على أن تبحث عنها -أي السعادة- عن طريق آخر.. نعم قررت كارولا هجر حياتها الخاوية برغم رفاهها المادي ففكرت في الابتعاد عن المجتمع الألماني وزيارة بلدان أخرى علّها تجد في معايشة سكانها ضالتها المنشودة.. غادرت كارولا ألمانيا في عام 1934 بمساعدة من أحد معارفها الذي يعمل في الحكومة، إذ كان هتلر -حاكم ألمانيا أنذاك- يحرّم على الألمان مغادرة وطنهم الأم قيد أنملة.. وبعد رحلة طويلة استمرت عدة أشهر استقر بها المقام أخيرًا في مصر.

تتحدث كارولا عن مصر وهي تجتر ذكريات الماضي قائلة: «كانت مصر أكثر هدوءًا وجمالًا

من الآن.. كنت أتجول في شوارعها فتأخذني مناظر المساجد بمآذنها المرتفعة.. وفي أحد الأيام وبينما أنا أتجول في خان الخليلي سمعت صوتًا عاليًا يردد جملًا جميلة طربت لها أذناي.. اقتربت من مكان مصدر الصوت.. اندهشت حينما لاحظت أن الناس يسرعون مهرولين إلى داخل مبنى عرفت فيما بعد أنه المسجد، كما عرفت أنهم يدخلونه لأداء الصلاة بعد أن يسمعوا هذا النداء الذي عرفت أنه الأذان».

وهنا قالت كارولا وهي تصف في إعجاب حال رواد المسجد: «كنت أرى أشخاصًا مختلفين في أشكالهم ومتميزين في ملابسهم يجلسون في حلقات وهم يحيطون بشيخ مسن يجلس على كرسي عريض.. وبعد ساعات يعتلي شخص مكانًا عاليًا في المسجد يسمى «المئذنة» -كما عرفتها لاحقًا- وينادي بالعبارات التي سبق أن شدّت انتباهي حينما سمعتها من قبل.. عقب ذلك يقف أولئك الأشخاص في صفوف منتظمة ليؤدوا حركات متكرّرة عرفت لاحقًا أنها الصلاة.. اجتذبني هذا المنظر بشدة فكنت أزور ذات المكان وأقضي فيه عدة ساعات لمشاهدته..».

واسترسلت كارولا في حديثها بعد لحظات قليلة من الصمت قالت: «لقد شدتني حركات أولئك الأشخاص، كما بهرني نظامهم في الصلاة، وسكونهم فيها.. فبدأت أعمل على تقليدهم من بعيد.. نعم كنت أشعر بالراحة والطمأنينة لهذه الصلاة على الرغم من أنني لم أكن أعرف كنهها أو أفهم ما يقال فيها.. إنه الشعور ذاته الذي ظللت أحس به كلما دخلت ذلك المكان».

تنهدت كارولا بعمق ثم أردفت قائلة: «عرفت لاحقًا أن أولئك الأشخاص يطلق عليهم المسلمون ويدينون بدين يسمى الإسلام وهو دين لم أسمع به من قبل.. سيطرت عليّ الرغبة في أن أعرف المزيد عن هذا الدّين الذي خفقت له جوارحي وأحببته بشدة دون أن أعرف عنه الكثير.. بل شعرت بنفسي وكأنني ولدت من جديد».

أردفت كارولا في حماسة عبّرت عنها حرارة الكلمات: «صممت على أن أعيش حياة المسلمين.. وقفت وجلة أمام شيخ يحيط به الناس في حلقات.. لاحظ خيوط الحيرة المتشابكة التي انتقب بها وجهي.. انتحى بي جانبًا، وكان قد فرغ لتوه من جلسته اليومية مع الناس.. ردّد أمامي كلمات، وطلب مني أن أكرّرها وراءه.. لم أنس تلك الكلمات حتى اليوم.. ردّدت وراءه الشهادتين: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن مُحمَّدًا رسول الله.. وهكذا أعلنت إسلامي وقد بلغت بي السعادة درجة يصعب وصفها بالكلمات».

أخيرًا حصلت السيدة الألمانية على ضالتها المنشودة التي ظلت تبحث عنها السنين الطوال.. لقد شعرت بالطمأنينة التي افتقدتها في مسقط رأسها.. وحتى تنسى حياتها الأولى وتنعم بالسكينة قلبًا وقالبًا غيّرت اسمها إلى سكينة وصارت تعتز بكونها مسلمة.

حينما تسترجع سكينة -كارولا سابقًا- ذكريات تلك الأيام التي عاشتها قبل أن تولد من جديد تندهش للفرق بين حياتين متناقضتين في كل شيء: حياة الناس في مجتمعها الغربي القديم التي تفتقر إلى السعادة على الرغم من توافر وسائل الراحة والمتعة، وحياة أهلها الجدد في المجتمع الشرقي المتخمة بالسعادة برغم أنف الفقر والحاجة لأبسط مقومات الحياة.. لمعرفة سر التناقض العجيب بين حياتي أهل الغرب وأهل الشرق -الذي يبدو غير منطقي ظاهريًا- قالت سكينة: «لكي أعرف السر الكامن وراء سعادة المسلمين أخذت أقترب منهم أكثر وأكثر.. وجدت أنهم يعيشون في معية الله تعالى على الدوام.. يجتمعون عند الصلاة.. يؤدون شعائر دينهم في منتهى الرضا والاقتناع.. يتوكلون على الله تعالى في تسيير أمورهم بعد أن يؤدوا ما عليهم من واجبات..».

وعند مقارنتها لحياة أهلها الجدد -المسلمين- مع حياة أهل الغرب -أهلها القدامى- تقول سكينة: «في الغرب طغى سلطان المادة على كل شيء حتى أصبح كل الناس -وأنا من بينهم- جسدًا يفتقر إلى الروح.. نعم كنت في حياتي السابقة -التي تخلو من كل قيمة وتفتقر إلى أبسط المعاني- أعيش جسدًا بلا روح، أما الآن فالأمر جدّ مختلف إذ أصبحت لحياتي قيمة ومعنى».

وفي خاتمة حديثها تقول سكينة في نبرة يعلوها الأسى جنبًا إلى جنب مع أمل في حلم ترجو له أن يتحقق: «في الغرب لا يعرف الناس عن الإسلام غير صورة مغلوطة مشوهة يرسمها أعداؤه.. ولكن من ينعم الله تعالى عليه برؤية الإسلام عن قرب سوف يدرك مدى عظمته المطلقة التي لا تحدها حدود، ولا بدّ من أن يعرف قدره مستقبلًا»...

سبحان الله!.. بمقياس أهل المادة شديدة الخواء هبطت بطلة قصتنا -في نظر الملايين من بني جنسها- من قمّة المجد والشهرة لتعيش مع قوم يفتقرون إلى أبسط مقومات الحياة..

أما بمقياس أهل الإيمان فقد سمت وارتقت بروحها إلى فلك نوراني شفيف ما يجعل هبوطها -لو مزجنا بين المقياسين- هبوطًا إلى أعلى بكل ما تعني هذه العبارة من معنى..

إنها سكينة القلب.. لذا فإن السكينة هو الاسم الذي اختارته بطلة قصتنا لنفسها بعد إسلامها..

لقد وجدت السكينة.. وجدت السعادة..

فابحثوا عنهما في المكان الصحيح.. واسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (26) - (29)

الطبقات الثلاث

من أهم سمات القائد حرصه على البحث عن الحقيقة..

لو استسلم لغيرها واعتمد على غيرها لهلك وهلك جيشه..

يتحصن بالصدق.. يتمترس خلف الحق.. يحارب الضلال..

هكذا كان بطل قصتنا..

هكذا أخذ من صفات مهنته العسكرية ما يصل به إلى الإيمان..

قائد بحث عن الحقيقة وحارب أوهام العقيدة وضلالها..

ولد في العاشر من ديسمبر من عام 1876م.. كان سياسيًّا إنجليزيًّا معروفًا.. نال لقب بارون من الدرجة الثانية في عام 1919م.. شغل منصب قائد سلاح الدفاع الملكي البريطاني، كما كان رئيسًا لجمعية سلسي للمحافظين.. إنه «سير سارلز إدوارد آرشيبالد واتكنز هاملتون» الذي تحول اسمه إلى السيد عبدالله آرشيبالد هاملتون عقب إسلامه.. فما هي قصته؟

في حديثه عن رحلته من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، يقول آرشيبالد هاملتون:

جمال الإسلام الوضيء ونقاؤه البسيط ظلا يشدانني إليه على الدوام منذ أن بلغت سن الرشد.. وعلى الرغم من ولادتي ونشأتي في بيئة نصرانية قحّة، لم أؤمن يومًا بالجانب التعسفي من الكنيسة، لأنني كنت على الدوام أقدّم المنطق والعقل على الإيمان الأعمى المجرّد.. شيئًا فشيئًا وبمرور الوقت أصبحت أتمنى العيش بسلام مع خالقي.. وفي المقابل أيقنت تمامًا أنه لا فائدة لي أرجوها وانتظرها سواء من الكنيسة الإنجليزية، أو حتى من كنيسة روما بالفاتيكان أولى الكنائس وقبلة المسيحيين.

يقول آرشيبالد هاملتون: اعتناقي للدين الإسلامي لم يأت مصادفة أو اعتباطًا.. لقد جاء تلبية خالصة لما يمليه عليَّ ضميري.. ومنذ أن منَّ الله تعالى عليَّ بنعمة الإسلام أصبحت أشعر بأنني تحولت إلى رجل أفضل حالًا، بل أصبحت إنسانًا حقيقيًّا بقدر ما تعني هذه الكلمة من معنى.. وما آلمني عقب إسلامي حقيقة مرّة مفادها أنه لا يوجد دين من الأديان تعرّض لمثل ما تعرّض له الإسلام من إساءة وتشويه شديدين على يد جهلة ومتزمّتين لا يفقهون ما يقولون.. ويا ليت قومي يعلمون!.. يا لجمال الإسلام!.. إنه يمنح القوة للضعيف.

ويضيف آرشيبالد هاملتون: تنقسم البشرية وفقًا لوجهة نظري إلى ثلاث طبقات: طبقة أولى تتمثل في أولئك الذين حباهم الله تعالى من فضله وآتاهم الملك والثروة.. وطبقة ثانية تتمثل في أولئك الذين لا مناص لهم من الكدّ والعمل لكسب معاشهم وقوت يومهم.. ثم طبقة ثالثة تتمثل في ذلك الحشد المهول من المتعطشين أو الذين سقطوا على جانب الطريق بلا ذنب جنوه.

يقول آرشيبالد هاملتون: يعترف الإسلام بالعبقرية ويحتفي بالنبوغ والتميز الشخصي.. فالإسلام دين بناء وعمارة وليس دين دمار وتخريب.. فهو -أي الإسلام- يحظر على معتنقيه لعب الميسر والانخراط في مختلف صفقات اليانصيب، كما يحرّم عليهم كل أنواع المشروبات الكحولية وكذلك الحال مع الربا السبب الرئيسي في الكثير من حالات الأسى والشقاء التي عاناها بنو البشر على مر التاريخ وفي مختلف الأمكنة.. نعم يمنع الإسلام أي نوع من الاستغلال الدنيء الذي قد يقترفه بعضهم ضد آخرين.

ويسترسل السيد عبدالله آرشيبالد هاملتون قائلًا: نحن المسلمين لا نؤمن بالقدرية والجبرية وإنما نؤمن بالقضاء والقدر، وبالنسبة إلينا تعدّ العقيدة بلا عمل أمرًا وهميًّا لا وجود له ألبتة، لأنه لا فائدة للعقيدة إذا لم نسع إلى تطبيقها على أرض واقع حياتنا.. وأكثر من هذا نحن نؤمن بأننا محاسبون على أعمالنا في الحياة الدنيا والآخرة.. كما أن على كل واحد منا تحمُّل أعبائه؛ حيث لا تزر وازرة وزر أخرى.

وأضاف عبدالله آرشيبالد هاملتون قائلًا: إن الإنسان -وفقًا للفهم الإسلامي للطبيعة البشرية- يولد على الفطرة مبرّأً من أي ذنب، كما أشار إلى أن الإسلام يقرُّ بحقيقة أن الرجل والمرأة ينحدران من نفس واحدة وجوهر واحد، وأن الله عزّ وجلّ منَّ عليهما بمقدرات متساوية في جوانب الفكر والروح والخلق.

ويقول: أنا لست في حاجة إلى أن أتحدث بإسهاب عن مبدأ الأخوة العالمية بين البشر في الإسلام، لأنها حقيقة مسلّم بها، إذ إن الجميع -أميرهم وحقيرهم وغنيهم وفقيرهم- سواسية كأسنان المشط.. وقد لمست هذه الروح الكريمة الطيبة بين إخوتي المسلمين.

وفي خاتمة حديثه ذكر عبدالله آرشيبالد هاملتون ما معناه: بينما يعبد المسلمون الله تعالى ويوادُّون عبادته في كل لحظة، فإن النصارى يتعبدون في أيام الآحاد فقط، بينما يخصِّصون بقية أيام الأسبوع لافتراس عباده ومخلوقاته.

يا لها من خاتمة باهرة!!

إنها مقارنة موضوعية مهمة بين الإسلام والنصرانية أتت من رجل علّمته التجربة..

رجل ناضج عاش حياته في معسكري الإيمان والضلال..

بل رجل سعيد الحظ أنعم الله تعالى عليه بأن حوَّله من سياسي إنجليزي معروف وقائد لسلاح الدفاع الملكي البريطاني إلى داعية إسلامي همام، ومدافع صادق عن الإسلام لا يخشى في قول الحق لومة لائم..

بحث عن الحق.. فلما عرفه لزمه ودافع عنه..

حقيقة الأمر أنه كان يدافع عن آخرته.. عن مآله..

جميعنا.. يحمل أمام نفسه مسؤولية الدفاع عن آخرته ومآله..

أنت القائد.. قائد روحك وقلبك وعقلك..

فهل ستتركها للهلاك والضلال..

أم ستحميها وتقودها إلى السعادة والخلود في الجنة؟!!

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (9) - (26) - (27) - (29)

لغة الإنجيل

التساؤل والتغافل..

التساؤل هو طريق الوصول إلى الحقيقة..

بالتساؤل يفرق الإنسان بين الحق والضلال.. بين النور والظلام..

والعكس بالعكس..

بالتغافل.. يغوص المرء في بحر الأكاذيب حتى يغرق..

بالتغافل.. يسير الإنسان إلى حتفه مغمض العينين..

بالتغافل.. يأمن الإنسان إلى ما يجب ألا يأمن..

هذا ما فطن إليه بطل قصتنا بفطرته السليمة..

إنه رسام عالمي تحتشد متاحف العالم الكبيرة بلوحاته وتحتفي بها.. شكوكه الكثيرة في طقوس الديانة المسيحية وتعاليمها جعلته غارقًا وسط طوفان من القلق وأمواج من الحيرة.. بحوثه المضنية في الديانة المسيحية ومناظراته الحادة مع قساوستها جعلته يرفض المسيحية بشكلها المحرّف الحالي ويتيقن تمامًا أنها ليست المسيحية التي أنزلت على نبي الله عيسى -عليه السلام-. بحث في الإسلام فتيقن تمام اليقين أنه الدين الحق الذي لم يتعرّض لأي تحريف أو تبديل منذ أن أوحي به، فاعتنقه ووجد فيه تسامحًا وضيئًا مع نفسه ومع العالم..

إنه الرسام والمفكر الفرنسي المعروف إتييان دينيه بطل هذه القصة.

ولد إتيان دينيه في العاصمة الفرنسية «باريس» عام 1861م.. إلى جانب تميُّزه بلوحاته المشهورة التي تتصدر صالات العديد من متاحف العالم، عُرف إتيان دينيه بحبه لحياة العرب وهو حب انتهى بدفن جثمانه -بعد حياة حافلة بالإنجازات الفكرية والفنية- في أرض عربية بادله أهلها حبًّا بحب.

اشتهر إتيان دينيه بمقدرته الفنية الكبيرة في الرسم والتصوير والتي نتج منها لوحات متفرّدة أشاد بها النقاد.. وتتصدر صالات متحف باريس العديد من لوحاته الشهيرة التي من بينها لوحة تحمل اسم «غداة رمضان»، كما أن له لوحات أخرى عديدة في متاحف «لوكسمبرج» و«سدني»

وفي غيرها من متاحف العالم.

طبيعة عمله الفني أكسبته نزعة دينية عميقة.. امتزاج الاثنين -أي الفن والدين- مع بعضهما بعضًا جعل منه خير مثال للإنسان الملهم الشفيف رقيق المشاعر.. عقله المتفتح ونزعته الدينية المتعمقة وواقع الديانة المسيحية في مجتمعه شديد التناقض، هذه كلها عوامل جعلته حائرًا في معتقداته الدينية وقلقًا على مصيره بعد الموت.

تأمّله في النصوص المقدّسة، وتدبّره في العقائد التي يدين بها من حوله جعلاه يفكّر بعمق في بعض المفاهيم الدينية السائدة من حوله مثل: المسيحية والكنيسة والبابا المعصوم وعقيدة التثليث والصلب والفداء والغفران، وإلى غير ذلك من المفاهيم والتعاليم التي لم يشعر حيالها بالراحة.

أعاد قراءة الأناجيل قراءة ناقدة فاحصة آملًا أن يجد فيها سمة صدق تخلّصه من قلقه وتزيل حيرته حتى يؤمن من داخل أعماقه بفكرة المسيح ابن الله.. أوصلته قراءاته الموضوعية هذه إلى نتائج مغايرة.. فوجد في الأناجيل ما يتنافى مع الصورة المثلى للإنسان الكامل التي يجب أن يشخصها الدين القويم.. قرأ في الأناجيل أقوالًا عجيبة نسبت للمسيح لا تتسق مع الفطرة السليمة، ومن بين تلك الأقوال ذكر لنا ما يلي:

«**في اليوم الثالث كان عرس في قانا الجليل، كانت أم يسوع هناك، ودعا يسوع تلاميذه إلى العرس ولما فرغت الخمر قالت أم يسوع له: ليس لهم خمر.. قال يسوع: ما لي وما لك يا امرأة!**» (إنجيل يوحنا - الإصحاح الثاني عشر).

ومن الأقوال المنسوبة للمسيح التي توجب كراهية الأقرباء:

«**إن كان أحد يأتي إليّ ولا يبغض أباه وأمه، وامرأته وأولاده، وإخوته وأخواته، حتى نفسه أيضًا، فلا يقدر أن يكون تلميذًا لي**» (إنجيل لوقا - الإصحاح الرابع عشر).

كذلك من الأقوال الغريبة التي قرأها «دينيه» المنسوبة للمسيح:

«**وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد، ولا الملائكة الذين في السماء، ولا الابن إلا الأب**» (إنجيل مرقص - الإصحاح الثالث عشر).

وإلى غير ذلك من النصوص الغريبة التي جعلته يشك في صحة الأناجيل التي اطلع عليها.. والأمر الوحيد الذي لم يراوده فيه شك حقيقة أن الله تعالى أنزل الإنجيل على عيسى -عليه السلام- بلغته ولغة قومه، بيد أن الإنجيل الحقيقي الذي أنزل عليه ضاع وحرّف واندثرت تعاليمه الأصلية،

حيث تم استبدال أربعة أناجيل مهجّنة ومشكوك في أمرها به، ويكفي دليلًا على تحريفها حقيقة أنها مكتوبة باللغة اليونانية، وهي لغة غريبة عن لغة عيسى -عليه السلام- الأصلية التي أنزل بها الإنجيل وهي لغة سامية لا علاقة لها باللغة اليونانية.

سؤال كبير جدًّا يطرح نفسه هنا: كيف كُتب الإنجيل باليونانية برغم أن المسيح كان يتكلم الآرامية؟

سؤال آخر: هل الإنجيل الأصلي الذي باللغة الآرامية موجود في هذا الزمان؟

هذا يعني أن كل من يقرأ الإنجيل إنما يقلّد المترجم، والمترجم لا علم له، إذ لم يطلع على الحقيقة، لكنه أُخْبِر بشيء فصدقه، والمترجِم ليس معصومًا من الخطأ والتحريف عمدًا.

قراءاته الكثيرة وبحوثه المضنية ومناظراته الطويلة مع قساوسة الكنيسة أوصلته -كما سبق ذكره في مقدمة هذه القصة- إلى رفض المسيحية تمامًا إذ وصل إلى يقين صادق مفاده أن المسيحية الحالية ليست هي المسيحية الأصيلة التي أنزلها الله تعالى على عيسى -عليه السلام- بل لا يربط بين الاثنتين سوى الاسم فقط.

عقب قناعة تامّة توصل لها مفادها أن المسيحية بتحريفها لا تشبع غريزته الدينية رأى «دينيه» أن يتجه إلى عقله علّه يهديه سواء السبيل بيد أنه وجد الأخير عاجزًا عن تلبية أشواقه المتمثلة في إشباع هذه الغريزة.

فكّر في الاستفادة من تجارب الآخرين الذين توصلوا إلى ما توصل إليه من تحريف مروع حل بالمسيحية. وسأل نفسه: ماذا فعل هؤلاء؟! رأى أن معظمهم وجد ضالته في الإسلام ما جعله يتجه إليه ليستكشف كنهه.

بعد دراسات استكشافية توصل إلى أن القرآن الكريم هو الكتاب الوحيد الذي حفظه الله تعالى من التحريف والتبديل.. تتعدد الطوائف الإسلامية وتتنوع إلى عشرات الفرق ولكن القرآن الذي يؤمنون به واحد ليس فيه أي اختلاف، ولم يحدث فيه أي تغيير منذ أن أوحي به حتى الآن! عقب ذلك وفي سبيل الاستزادة بمعرفة الإسلام قرأ بعمق العديد من الكتب فعرف الكثير عن الإسلام ساعدته في ذلك معايشته للبيئة الإسلامية.

تمخضت قراءات إتيان دينيه السابق ذكرها إلى اعتناقه الإسلام.. وقد أحدث إسلامه ضجة في أوساط الطبقة الفنية في فرنسا فاتهموه بالخيانة، ولكنه لم يعبأ بالكلام الذي حيك عنه، ذلك أنه اتخذ الإسلام دينًا عن قناعة تامة وهو الأمر الذي أكسبه القوة في مواجهة الآخرين..

ليس هذا فحسب بل تحول إلى داعية مخلص صادق رفد الدعوة الإسلامية بالعديد من

المؤلفات القيمة مثل «محمد رسول الله» و«أشعة خاصة بنور الإسلام» و«الحج إلى بيت الله الحرام».. و«الشرق في نظر الغرب» وغيرها من الدرر النفيسة التي تفتقت عنها عبقرية إتيان دينيه قبل أن تفارق روحه الطيبة الدنيا الزائلة إلى دار الخلود.

عندما بلغ السبعين من عمره توفي إتيان دينيه بعد حياة حافلة بالبذل والعطاء اختتمها بمسك ختام تمثل في الدعوة إلى الله تعالى.. ووري جثمانه الثرى بمدينة «بوسعادة» بالجزائر بناءً على وصيته وسط حشد كبير من المشيّعين ضم عامة الناس، وكبار المسؤولين وعارفي فضله.

وأنت.. هل فكرت في هذه اللحظة؟!

لحظة الموت؟! لحظة الحقيقة؟!

كيف سيكون اللقاء.. اللقاء مع خالقك.. الله..

استعد.. فهي لحظة صعبة مقبلة لا محالة..

لن ينجيك منها إلا إيمان تكون قد آمنته من قبل الموت..

وحدها هداية الله هي من سيمنحك هذا الإيمان..

اسأل الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (2) - (11) - (26) - (30)

رأس كل خطيئة

عندما ترى النور لا تجزم بالوصول!!

بلوغ الإيمان وكماله هو فضل من الله وحده..

إذا رأيت النور.. لا يكفي..

سر في الطريق إليه.. اجتهد..

لا يغرك المتاع الزائل..

ولا يرهبك الناس..

كثيرة هي ألاعيب الشيطان التي يسوقها لمن يحاول الاقتراب من الحق..

يزين له نعيم الدنيا.. يخوفه من المصير في الدنيا..

من رضي الله عنهم وأراد لهم الخير.. لا يلتفتون إليه..

من ضعفت عزيمتهم.. وانشغلوا بالدنيا ينساقون وراء الألاعيب..

هذا حال بطل قصتنا وأستاذه الذي أوضح له طريق الإسلام..

بطل قصتنا تعلَّم الكهنوت منذ نعومة أظفاره فكانت هدايته على يد قس كبير في السن والمقام!! هو الذي أقنعه بالإسلام بعد أن اقتنع هو ولكنه لم يسلم حرصًا منه على الحفاظ على عرض دنيوي أغدقت به عليه الكنيسة فخسر الآخرة التي طلب من بطلنا لهذه القصة أن يحرص عليها بدخول الإسلام.

ضيفنا في هذه الحلقة كان قسيسًا نصرانيًّا، عاش في جزيرة «ميورقا» التي تقع في الطرف الجنوبي الشرقي من إسبانيا، وتعلم فيها الإنجيل وبلغ منزلة عظيمة في الديانة النصرانية.. وعندما بلغ عمره 35 سنة هيّأ الله له حادثة مفاجئة أحدثت انقلابًا جذريًّا في عقيدته، فخرج من بلده باحثًا عن الإسلام والمسلمين. فأسلم وحسن إسلامه، وألّف لنا كتابًا رائعًا سمّاه «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب»، وقد سلك مسلكًا فريدًا في إبطال عقائد النصارى من أناجيلهم والرد عليهم ردًّا عقليًّا مفحمًا، لأنه أعلم بالداء وأدرى بالدواء، فكان حريًّا بإفحام عالمهم وإفهام جاهلهم.. فكم هي ممتعة كتابات النصارى الذين أسلموا.. وما بالك إن كانوا علماء في دينهم..

لكن الأكثر إمتاعًا عندما يتصدون لعلماء دينهم السابق، يبيّنون باطلهم ويفنّدونه، دافعين عن الإسلام كل باطل وسوء.

ضيفنا هذا هو أبو محمد عبدالله بن عبدالله الترجمان، وقد كان يدعى قبل إسلامه «أنسلم تورميدا» وينسب إلى بلده «ميورقا» وهي جزيرةٌ تقع في الطرف الجنوبي الشرقي من إسبانيا -بلاد الأندلس سابقًا- عاش في القرن التاسع، تعلم في صغره علوم الكهنوت في دير بوبليت ثم أخذ يتنقل في البلاد يتعلم المسيحية حتى استقر به المقام في إيطاليا في مدينة بولونيا التي كانت عاصمة علم عند النصارى فتعلم على قس من كبار علماء النصارى في زمانه فتلقى منه العلم خلال عشر سنوات أقامها عنده. ولأهمية قصة إسلامه فقد أثبتها لنا في مقدمة كتابه «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب»، التي سوف نختصرها لكم بتصرّف بين طيّات هذا المقال..

في سياق حديثه عن نفسه يقول صاحب «تحفة الأريب»: سكنت في كنيسة لقسيس كبير السن عندهم كبير القدر اسمه: «نقلاومرتيل» وكانت منزلته فيهم بالعلم والدين والزهد رفيعة جدًّا انفرد بها في زمنه عن جميع أهل دين النصرانية فكانت الأسئلة في دينهم ترد عليه من الآفاق من جهة الملوك وغيرهم فقرأت على هذا القسيس علم أصول النصرانية وأحكامه ولم أزل أتقرب إليه بخدمتي له وتقربي منه إلى أن دفع إليّ مفاتيح مسكنه وخزائن مأكله ومشربه وصيّر جميع ذلك كلّه على يدي، ولم يستثن من ذلك سوى مفتاح بيت صغير بداخل مسكنه كان يخلو فيه بنفسه، والظاهر أنه بيت خزانة أمواله التي كانت تهدى إليه، والله أعلم.

يقول عبدالله الميورقي: فلازمت هذا القسيس من القراءة عليه والخدمة له عشر سنين ثم أصابه مرض يومًا من الدهر، فتخلّف عن حضور مجلس أقرانه، وانتظره أهل المجلس وهم يتذاكرون مسائل من العلوم، إلى أن أفضى بهم الكلام إلى قول الله عزّ وجلّ على لسان نبيه عيسى في الإنجيل: «أنه يأتي من بعده نبي اسمه البارقليط».. فبحثوا في تعيين هذا النبي من هو من الأنبياء، وقال كل واحد منهم بحسب علمه وفهمه، فعظم بينهم في ذلك مقالهم وكثر جدالهم ثم انصرفوا من غير تحصيل فائدة في تلك المسألة.

يقول: فأتيت مسكن القسيس صاحب الدرس المذكور، فقال لي: ما الذي كان عندكم اليوم من البحث في غيبتي عنكم؟ فأخبرته باختلاف القوم في اسم «البارقليط» وأن فلانًا قد أجاب بكذا وفلانًا قد أجاب بكذا.. وسردت له أجوبتهم فقال لي: وبماذا أجبت أنت؟ فقلت: بجواب القاضي فلان في تفسيره الإنجيل، فقال لي: ما قصرت، وقربت، فلان أخطأ، وكاد أن يقارب، ولكن الحق خلاف هذا كله لأن تفسير هذا الاسم الشريف من العلم القليل، فبادرت إلى قدميه أقبلهما، وقلت له: يا سيدي قد علمت أني ارتحلت إليك من بلد بعيد ولي في خدمتك عشر سنين، حصّلت عنك فيها من العلوم جملة لا أحصيها، فلعل من جميل إحسانكم أن تمنوا عليّ بمعرفة هذا

الاسم.. فبكى القسيس وقال لي: يا ولدي.. والله أنت لتعزّ عليّ كثيرًا من أجل خدمتك لي وانقطاعك إليّ.. وفي معرفة هذا الاسم الشريف فائدة عظيمة، لكني أخاف عليك أن يظهر ذلك عليك فتقتلك عامة النصارى في الحين، فقلت له: يا سيدي والله العظيم وحق الإنجيل ومن جاء به لا أتكلم بشيء مما تسرّه عليّ إلا عن أمرك. فقال لي: يا ولدي إني سألتك في أول قدومك عليّ عن بلدك وهل هو قريب من المسلمين؟ وهل يغزونكم أو تغزونهم لأختبر ما عندك من المنافرة للإسلام، فاعلم يا ولدي أن «البارقليط» هو اسم من أسماء نبيهم محمد -صلى الله عليه وسلّم- نزل الكتاب الرابع المذكور على لسان دانيال -عليه السلام- وأخبر أنه سينزل هذا الكتاب عليه، وأن دينه هو دين الحق، وملّته هي الملّة البيضاء المذكورة في الإنجيل.

البارقليط أو الفارقليط تعريب لكلمة «بيريكلتوس» ومعناها (الذي له حمد كثير) وهو ما يوافق أفعل التفضيل من حمدَ.. وهذه الكلمة كانت موجودة في نسخ إنجيل يوحنا إصحاح 15 عدد 26، وأيضًا في بعض الطبعات القديمة مثل طبعة لندن سنة 1821 وسنة 1831 وسنة 1844، لكنها حُرفت في الطبعات الحديثة إلى كلمة «المعزي» وهذا نص ما تم تحريفه: (ومتى جاء المعزي الذي أرسله أنا إليكم من الأب روح الحق الذي من عند الأب).

يقول عبدالله الميورقي: قلت له يا سيدي وما تقول في دين هؤلاء النصارى؟ فقال لي: يا ولدي لو أن النصارى أقاموا على دين عيسى الأول لكانوا على دين الله لأن عيسى وجميع الأنبياء دينهم دين الله.. ولكن بدلوا وكفروا. فقلت له: يا سيدي «وكيف الخلاص» من هذا الأمر؟ فقال: يا ولدي بالدخول في دين الإسلام. قلت له: وهل ينجو الداخل منه؟ قال لي: نعم ينجو في الدنيا والآخرة.. فقلت: يا سيدي إن العاقل لا يختار لنفسه إلا أفضل ما يعلم فإذا علمت فضل دين الإسلام فما يمنعك منه؟ فقال لي: يا ولدي إن الله تعالى لم يطلعني على حقيقة ما أخبرتك به من فضل الإسلام وشرف نبي أهل الإسلام إلا بعد كبر سني ووهن جسمي ولا عذر لنا فيه، بل هو حجّة الله علينا قائمة ولو هداني وأنا في سنك لتركت كل شيء ودخلت في دين الحق، وحب الدنيا رأس كل خطيئة، وأنت ترى ما أنا فيه عند النصارى من رفعة الجاه والعز والترف وكثرة عرض الدنيا، ولو أني ظهر عليّ شيء من الميل إلى دين الإسلام لقتلتني العامة في أسرع وقت.. وهب أني نجوت منهم، وخلصت إلى المسلمين فأقول لهم: إني جئتكم مسلمًا، فيقولون لي: قد نفعت نفسك بنفسك بالدخول في دين الحق فلا تمنّ علينا بدخولك في دين خلصت به نفسك من عذاب الله فأبقى بينهم شيخًا كبيرًا فقيرًا ابن تسعين سنة لا أفقه لسانهم ولا يعرفون حقي فأموت بينهم جوعًا وأنا والحمد لله على دين عيسى وعلى ما جاء به، يعلم الله ذلك مني.

يقول عبدالله الميورقي: فقلت له يا سيدي أفتدلني أن أمشي إلى بلاد المسلمين وأدخل في دينهم؟ فقال لي: إن كنت عاقلًا طالبًا للنجاة فبادر إلى ذلك تحصل لك الدنيا والآخرة، ولكن يا ولدي هذا أمر لم يحضره أحد معنا الآن فاكتمه بغاية جهدك، وإن ظهر عليك شيء منه قتلتك العامة

لحينك، ولا أقدر على نفعك ولا ينفعك أن تنقل ذلك عني فإني أجحده، وقولي مصدق عليك وقولك غير مصدق علي، وأنا بريء من ذلك إن فهت بشيء من هذا. فقلت: يا سيدي أعوذ بالله من سريان الوهم لهذا وعاهدته بما يرضيه.

ثم أخذت في أسباب الرحلة وودّعته فدعا لي عند الوداع بخير، وزودني بخمسين دينارًا ذهبًا وركبت البحر منصرفًا إلى بلدي مدينة ميورقة فأقمت بها خمسة أشهر وأنا أنتظر مركبًا يتوجه إلى أرض المسلمين.. فحضر مركب يسافر إلى مدينة تونس فسافرت فيه من صقلية وأقلعنا عنها قرب مغيب الشفق فوردنا مرسى تونس قرب الزوال.

فلما نزلت بديوان تونس وسمع بي الذين بها من أحبار النصارى أمروا بمركب وحملوني معهم إلى ديارهم، وصحبت بعض التجار الساكنين أيضًا بتونس فأقمت عندهم في ضيافتهم على أرغد عيش أربعة أشهر، وبعد ذلك سألتهم هل بدار السلطان أحد يحفظ لسان النصارى، وكان السلطان آنذاك مولانا أبا العباس أحمد، فذكر لي النصارى أن بدار السلطان المذكور رجلًا فاضلًا من أكبر خدامه اسمه يوسف الطبيب وكان طبيبه ومن خواصه ففرحت بذلك فرحًا شديدًا.

سألت عن مسكن هذا الرجل الطبيب فدللت عليه واجتمعت به وذكرت له شرح حالي وسبب قدومي للدخول في الإسلام، فسر الرجل بذلك سرورًا عظيمًا بأن يكون تمام هذا الخير على يديه، ثم ركب فرسه وحملني معه لدار السلطان ودخل عليه فأخبره بحديثي واستأذنه لي فأذن لي.

فمثلت بين يديه فأوّل ما سألني السلطان عن عمري فقلت له: خمسة وثلاثون عامًا، ثم سألني عما قرأت من العلوم فأخبرته، فقال لي قدمت قدوم خير، فأسلم على بركة الله، فقلت للترجمان -وهو الطبيب المذكور-: قل لمولانا السلطان إنه لا يخرج أحد من دين إلا ويكثر أهله القول فيه والطعن فيه فأرغب في إحسانكم أن تبعثوا إلى الذين بحضرتكم من تجار النصارى وأحبارهم وتسألوهم عني وتسمعوا ما يقولون في جنابي وحينئذ أسلم إن شاء الله تعالى، فقال لي بواسطة الترجمان: أنت طلبت ما طلب عبدالله بن سلام من النبي -صلى الله عليه وسلّم- حين أسلم.

ثم أرسل إلى أحبار النصارى وبعض تجارهم، وأدخلني في بيت قريب من مجلسه فلما دخل النصارى عليه، قال لهم: ما تقولون في القسيس الجديد الذي قدم في هذا المركب؟ قالوا له: يا مولانا هذا عالم كبير في ديننا، وقال علماؤنا إنهم ما رأوا أعلى من درجته في العلم والدين، فقال لهم: وما تقولون فيه لو أسلم؟ قالوا: نعوذ بالله من ذلك هو ما يسلم أبدًا.. فلما سمع ما عند النصارى بعث إليّ فحضرت بين يديه وشهدت شهادتي الحق بمحضر النصارى فصلبوا على وجوههم وقالوا ما حمله على ذلك إلا حب التزويج فإن القسيس عندنا لا يتزوج

وخرجوا مكروبين محزونين!

من عجائب النصارى أن القس لا يتزوج ويرون أن الزواج نقيصة في حقه، وفي الوقت نفسه ينسبون الولد والزوجة إلى الله سبحانه وتعالى!

سبحان الله!!..

من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.. كم هو محظوظ بطل قصتنا الذي سخّر له الله تعالى أحد كبار القساوسة المسيحيين ليهديه إلى طريق الإسلام إذ تحول مرة واحدة في نهاية عمره من أحد المنصرين الذين يبشرون بتعاليم المسيحية إلى داعية قدّر له الله أن يهدي أحد تلاميذه إلى دخول الإسلام وإن عجز هو عن فعل ذلك.

فسبحان الهادي إلى الإيمان به.. برحمته..

يسخر غير المهتدي ليكون هاديًا إلى الله..

إنها من عجائب الإيمان..

لذا فلتسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصدر: (13)

أنين.. وحنين!

المُلك ليس مرادفًا للنعيم والرفاه..

المَلِك الحق هو من يحافظ بالحكمة والقوة على شعبه وبلده ودينه..

ولكن.. عندما يكون المَلِك صغيرًا.. صغيرًا في كل شيء.. يضيع المُلك!!

يعيش الناس على أنين العذاب.. والحنين إلى الملك المغتصب.. والدين المسلوب..

بدأت القصة باتفاق سرّي عقده أبو عبدالله الصغير، آخر ملوك الأندلس المسلمين، مع ملك إسبانيا فرديناند يقتضي بتسليمه غرناطة، مقابل أن يأمن المسلمون على أنفسهم وأموالهم ودينهم، ولكن ما أن استقر له الحكم نكث فرديناند بالعهد وخيّر المسلمين: إما اعتناق المسيحية وإما مغادرة الأندلس، ثم بدأت محاكم التفتيش في التعذيب والقتل والنفي حيث خيّرت أهل الأندلس من المسلمين بين التنصير والموت.. تمسك بعضهم بالإسلام ورفضوا الاندماج مع المجتمع النصراني ومن بين هؤلاء والد بطل قصتنا الذي ولد ابنه في هذا التوقيت العصيب ونشأ كطفل صغير لا يعرف شيئًا عن ماضي الأجداد فكاد يقع فريسة ولقمة سائغة في شباك النصرانية إلى أن حرره والده من بين براثن التنصير بعد أن أدخله غرفة سرية كان الابن منذ نعومة أظفاره يتمنى أن يدخلها ليرى ما فيها فكيف أنقذه والده وماذا كان يوجد داخل تلك الغرفة السرية هذا ما سوف نعرفه في هذه القصة.

عقب سقوط مدينة غرناطة في الثاني من يناير عام 1492م سقطت بلاد الأندلس، وهو ما اعتبره المؤرخون انتصارًا كاسحًا للنصرانية، وضربة موجعة موجهة إلى الإسلام.. بعد سنوات محدودة من سقوط بلاد الأندلس أصبح جميع المسلمين في إسبانيا يخضعون لمحاكم التفتيش الجائرة التي تبحث بشكل مهووس عن كل مسلم لتقدمه لمحاكمات غير عادلة وعقوبات وحشية تصل عقوبتها إلى الموت تحت التعذيب، الأمر الذي أجبر الكثيرين من ضعاف المسلمين على التنصر، كما تم تحويل جميع مساجد المسلمين إلى كنائس.

في تلك الفترة الرهيبة وذلك الجو الدموي المرعب ولد بطل قصتنا الذي كان صغيرًا، ولا يدري بما يدور حوله.. كان يزعجه بشدة حال أبيه عندما يعود هو من المدرسة ويتلو عليه في فخر ما حفظه من «الكتاب المقدس» وما تعلمه من اللغة الإسبانية.. اضطراب أبيه الملحوظ لم يكن ليخفى عليه وكذلك الحال مع لونه المصفر.. ما يؤكد إحساسه بعظم اضطراب أبيه تركه

له بعد ذلك وانزواؤه في غرفة سرية تقع في أقصى الدار، دخولها محرم على الجميع.. كان أبوه يغلق عليه باب الغرفة الساعات الطوال ثم يخرج منها محمر العينين، في هيئة من لم يتوقف لساعات عن البكاء المرير.

كان يؤلمه منظر أبيه أيامًا وهو ينظر إليه بلهفة وحزن، ثم يحرك شفتيه وكأنه يود أن يتحدث إليه بأمر ما، ولكن ما أن يقف ليصغي إلى حديث يتوقع سماعه حتى يوليه أبوه ظهره وينصرف دون أن ينبس ولو بكلمة واحدة.. لاحظ الابن كذلك أنه لا يفتأ يغادر المنزل في طريقه إلى المدرسة حتى يلاحظ أباه يشيعه بنظرات دامعة حزينة وكذلك الحال مع أمه التي كانت تحتضنه وتقبله باكية.. بل كانت تستقبله عند عودته من المدرسة بلهفة وشوق وكأنها لم تره منذ عشر سنوات.. لم تمر على بطل قصتنا لحظة دون أن يفكر في تعجب من تصرفات والديه التي لم يجد لها مبررًا أو تفسيرًا.

ومن الأشياء التي أثارت فضوله أن والديه كانا يبتعدان عنه ويتحدثان همسًا بلغة غير اللغة الإسبانية.. لغة غريبة لا يعرفها ولا يفهمها كما لاحظهما يقطعان حديثهما ويتحدثان في أمر عادي باللغة الإسبانية حالما يقترب منهما.. التصرف الغريب لوالديه أثر فيه تأثيرًا بالغًا حتى انتابه الإحساس بأنه ليس ابنهما، وإنما هو لقيط عثرا عليه في قارعة الطريق.

عندما يصل بطل قصتنا إلى هذه المرحلة من التفكير كان ينزوي بعيدًا عن والديه ليبكي بحرقة في أحد أركان المنزل.. لكل ما سبق ذكره أصبح مختلفًا عن أنداده من الأطفال إذ تميز بأنه طفل انطوائي معزول لا يشارك أقرانه اللهو واللعب بل كان يجلس بعيدًا عنهم واضعًا كفيه على رأسه وكأنه رجل كبير يحمل قدرًا مهولًا من الهموم.. ويظل في هذا الوضع إلى أن يجذبه الخوري من كم قميصه، لكي يذهب إلى الصلاة في الكنيسة.

موقف آخر زاد من حيرته! عندما ولدت أمه طفلًا جميلًا وما أن بشرت أباه بمقدمه حتى ظهر الحزن على وجهه بدلًا من أن يبتهج، وذهب إلى الخوري ودعاه ليعمد الطفل، وأقبل يمشي وراءه، وهو مطرق برأسه إلى الأرض، وعلى وجهه علامات الحزن المبرح، واليأس القاتل، حتى جاء به إلى الدار ودخل به على أمه.. لاحظ بطل قصتنا ردّ فعل أمه الغريب عندما دخل عليها والده بالخوري لتعميد القادم الجديد!! ازداد وجهها شحوبًا على شحوبه وشخصت عيناها نحو مكان افتراضي بعيد ثم سلمت الطفل إلى الخوري خائفة حذرة قبل أن تغمض عينيها في جزع من ترى طفلها يذبح أمام عينيها.. ازدادت حينها حيرة بطل قصتنا إذ خاب تفسيره الأول كما تضاعف ألمه بسبب الموقف الأخير.

في ليلة عيد الفصح، وغرناطة غارقة في دوامة من طقوس التآمر الخبيثة، بينما أضواء

المشاعل وبريق الصلبان يومضان على شرفات المدينة الذبيحة ومآذنها، دعاه أبوه في جوف الليل ليتبعه، وأفراد الأسرة يغطون في نوم عميق.. قاده في صمت مهيب إلى غرفة الأسرار التي لم يسمح له بدخولها منذ أن ولد.. خفق قلبه بشدة حتى شعر بدقاته تزلزل الأرض المظلمة تحت قدميه الراجفتين.. تماسك بعد جهد جهيد برغم اضطرابه الشديد.. ما أن وصل به والده منتصف الغرفة حتى أغلق الباب وراءهما في إحكام، ثم أخذ يبحث عن السراج.. وقف لحظات في الظلام بدت له كأنها أعوام.. ما أن أشعل والده سراجًا صغيرًا حتى استشرت الدهشة في جسمه من شعر رأسه حتى أخمص قدميه!! كانت الغرفة خالية من العجائب والغرائب التي ظل يتخيلها منذ نعومة أظفاره!! لم يكن فيها سوى بساط متواضع وكتاب متوسط الحجم موضوع على رف، وسيف قديم معلق بالجدار.. أجلسه أبوه على البساط، وأخذ ينظر إليه نظرات عميقة تشع منها الغرابة.. انتاب بطل قصتنا إحساس من انتقل إلى عالم افتراضي لا علاقة له بدنياهم التي تقبع خلف الباب.. أمسك والده بيديه في حنو وعطف، ثم تحدث إليه بصوت هامس عميق:

«يا بني، إنك الآن في العاشرة من عمرك، وقد صرت رجلًا، وإني سأطلعك على السر الذي طالما كتمته عنك، فهل تستطيع أن تحتفظ به في صدرك، وتحبسه عن أمك وأهلك وأصحابك والناس أجمعين؟ إن إشارة منك واحدة إلى هذا السر تعرض جسم أبيك إلى عذاب الجلادين من رجال ديوان التفتيش».

ما أن التقطت أذنا الصبي اسم «ديوان التفتيش» حتى ارتجف في خوف.. نعم كان صغيرًا ولكنه يعرف تمامًا ما هو ديوان التفتيش، لأنه كان يرى ضحاياه في كل يوم، بينما هو ذاهب إلى المدرسة، أو عائد منها.. كم رأى من رجال يصلبون وآخرون يحرقون، وكم أبصر بنساء يعلقن من شعورهن حتى يمتن، أو تبقر بطونهن فتخرج أحشاؤهن بل وأجنة الحوامل منهن!! صمت الابن وكأن على رأسه الطير ولم يرد على أبيه.

فقال له أبوه: «مالك لا تجيب! أتستطيع أن تكتم ما سأقوله لك؟».

قال الابن: نعم!

قال الأب: اقترب مني.. أرهف سمعك جيدًا، فإني لا أقدر أن أرفع صوتي.. أخشى أن تكون للحيطان آذان، فتشي بي إلى ديوان التفتيش، فيحرقني حيًّا.

فاقترب الابن من أبيه وقال له: إني مصغٍ يا أبتِ.

فأشار الأب إلى الكتاب الذي كان على الرف، وقال: هل تعرف هذا الكتاب يا بني؟

رد الابن: لا..

فقال الأب: هذا كتاب الله تعالى.

تساءل الابن في براءة: الكتاب المقدس الذي جاء به يسوع ابن الله.

اضطرب الأب وقال منزعجًا: «كلا، هذا هو القرآن الذي أنزله الله، الواحد الأحد، الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، على أفضل خلقه، وسيد أنبيائه، سيدنا محمد بن عبدالله النبي العربي -صلى الله عليه وسلم-».

فتح الصبي عيناه على آخرهما مندهشًا ولم يفهم شيئًا..

شرح له أبوه الأمر موضحًا: «هذا كتاب الإسلام، الإسلام الذي بعث الله به محمدًا إلى الناس كافة.. فظهر هناك.. وراء البحار والبوادي.. في الصحراء البعيدة القاحلة.. في مكة في قوم بداة، مشركين، جاهلين، فهداهم به إلى التوحيد، وأعطاهم به الاتحاد، والقوة، والعلم والحضارة، فخرجوا يفتحون به المشرق والمغرب، حتى وصلوا إلى هذه الجزيرة، إلى إسبانيا، فعدلوا بين الناس، وأحسنوا إليهم، وأمنوهم على أرواحهم وأموالهم، ولبثوا فيها ثمانمئة سنة.. ثمانمئة سنة، جعلوها فيها أرق وأجمل بلاد الدنيا».

صمت الأب للحظات ثم أضاف في فخر: نعم يا بني نحن العرب المسلمون..

لم يملك الابن لسانه من الدهشة والعجب والخوف، وصاح:

ماذا؟ نحن؟ العرب المسلمون!

قال الأب: نعم يا بني.. هذا هو السر الذي سأفضي به إليك.

صمت الأب للحظات حالما استجمع أنفاسه ثم استرسل في حديثه:

«نعم نحن.. نحن أصحاب هذه البلاد، نحن بنينا هذه القصور، التي كانت لنا فصارت لعدونا، نحن رفعنا هذه المآذن التي كان يرن فيها صوت المؤذن، فصار يقرع فيها الناقوس، نحن أنشأنا هذه المساجد، التي كان يقوم فيها المسلمون صفًّا بين يدي الله، وأمامهم الأئمة، يتلون في المحاريب كلام الله، فصارت كنائس يقوم فيها القساوسة والرهبان، يرتلون فيها الإنجيل. نعم يا بني.. نحن العرب المسلمون، لنا في كل بقعة من بقاع إسبانيا أثر، وتحت كل شبر منها رفات جد من أجدادنا، أو شهيد من شهدائنا. نعم.. نحن بنينا هذه المدن، نحن أنشأنا هذه الجسور، نحن مهدنا هذه الطرق، نحن شققنا هذه الترع، نحن زرعنا هذه الأشجار.

ولكن منذ أربعين سنة.. أسامع أنت؟ منذ أربعين سنة خدع الملك البائس أبو عبدالله الصغير، آخر ملوكنا في هذه الديار، بوعود الإسبان وعهودهم، فسلمهم مفاتيح غرناطة، وأباحهم

حمى أمته، ومدافن أجداده، وأخذ طريقه إلى بر المغرب، ليموت هناك وحيدًا فريدًا، شريدًا طريدًا وكانوا قد تعهدوا لنا بالحرية والعدل والاستقلال.. فلما ملكوا خانوا عهودهم كلها، فأنشؤوا ديوان التفتيش، فأدخلنا في النصرانية قسرًا، وأجبرنا على ترك لغتنا إجبارًا، وأخذ منا أولادنا، لينشئهم، على النصرانية، فذلك سر ما ترى من استخفائنا بالعبادة، وحزننا على ما نرى من امتهان ديننا، وتكفير أولادنا.. أربعون سنة يا بني، ونحن صابرون على هذا العذاب، الذي لا تحمله جلاميد الصخر، ننتظر فرج الله، لا نيأس لأن اليأس محرم في ديننا، دين القوة والصبر والجهاد».

تنهّد الأب كمن أنزل من على كتفه أطنانًا من الحديد وطلب من ابنه عدم البوح بالسر لأن حياته معلقة بشفتيه إن نطقتا بالسر الخطير، ثم أبان له أنه لا يخشى الموت ولا يكره لقاء الله، ولكنه يحب أن يبقى حيًّا، ليعلمه لغة قومه وتعاليم دينه حتى ينقذه من ظلمات الكفر الحالكة إلى نور الإيمان الشفيف، ثم طلب منه بعد ذلك في حنو أن يذهب إلى فراشه.

منذ تلك الليلة صار بطل قصتنا لا يرى شرف الحمراء أو مآذن غرناطة حتى تعتريه هزة عنيفة، وتغمر فؤاده الكثير من المشاعر المتناقضة من شوق وحنين وحزن وبغض وحب.. بل كان كثيرًا ما كان يقف أمام الحمراء ويخاطبها معاتبًا:

«أيتها الحمراء.. أيتها الحبيبة الهاجرة، أنسيت بُناتك، وأصحابك الذين غزوك بأرواحهم ومهجهم، وسقوك دماءهم ودموعهم، فتجاهلت عهدهم، وأنكرت ودهم؟ أنسيت الملوك الصيد، الذين كانوا يجولون في أبهائك، ويتكئون على أساطينك، ويفيضون عليك، ما شئت من المجد والجلال، والأبهة والجمال، أولئك الأعزة الكرام، الذين إن قالوا أصغت الدنيا، وإن أمروا لبى الدهر.. أألفت النواقيس بعد الأذان؟ أرضيت بعد الأئمة بالرهبان؟».

بعدها يخاف أن يسمعه بعض جواسيس الديوان، فيسرع إلى أبيه ليحفظ الدروس العربية، كما يتعلم منه القرآن الكريم وأساسيات العلوم الإسلامية، وبعدها يتوضأ ليصلي خلفه خفية في غرفتهم السرية.

وكان الخوف من أن يزل الصبي فيفشي السر، لا يفارق والده أبدًا، وكان من حين لآخر يمتحنه فيدس أمه إليه فتسأله: ماذا يعلمك أبوك؟ فيجيبها: لا شيء!

فتقول له: إن عندك نبأ مما يعلمك، فلا تكتمه عني.

فيرد عليها: إنه لا يعلمني شيئًا.

عندما تعلم بطل قصتنا العربية، وفهم القرآن، وعرف قواعد الدين، عرّفه أبوه بأخ له في

الله، فأصبحوا يجتمعون الثلاثة على أداء العبادات وقراءة القرآن.

اشتدت بعد ذلك قسوة ديوان التفتيش، وارتفعت وتيرة تنكيله بمن تبقى من العرب المسلمين، ففي كل يوم كان بطل قصتنا يجزع لرؤية عشرين أو ثلاثين مصلوبًا، أو محرّقًا بالنار حيًّا بل لا يكاد يمضي يوم دون أن يسمع فيه بالمئات يعذبون بصورة وحشية حيث تقلع أظافرهم، وتكوى أرجلهم وجنوبهم بالنار، بل تقطع أصابعهم وتشوى ثم توضع في أفواههم، كما يجلدون حتى يتناثر لحمهم على الأرض.

استمرت حملات ديوان التفتيش الوحشية لفترة طويلة.. حينها ذكر له أبوه بأن إحساسًا ينتابه مفاده أن أجله قد دنا وأنه يهوى الشهادة ويتمنى حصوله عليها على أيدي هؤلاء المتوحشين، لعل الله يرزقه الجنة، فيتحقق له الفوز العظيم.. وصرح له بأنه مطمئن وراضٍ عن نفسه لأنه أدى الأمانة الكبرى التي كان يعيش من أجلها والمتمثلة في إخراجه من ظلمة الكفر إلى نور الإيمان، ثم طلب منه أن يطيع عمّه ولا يخالفه في شيء.

بعد مرور أيام على حديث أبيه، وفي ليلة شديدة الظلمة، أمره عمّه بأن يذهب معه، فقد يسّر الله لهم سبيل الفرار إلى عدوة المغرب بلد المسلمين فسأله الغلام عن أبيه وأمه.. فشدّه عمه من يده بقوّة وذكّره بطلب أبيه: ألم يأمرك أبوك بطاعتي؟.. مضى معه مكرهًا وما أن ابتعدا عن المدينة وشملهم الظلام حتى أخبره العم بأن الله كتب السعادة لوالديه المؤمنين على يد ديوان التفتيش!!

ترحّم الغلام على والديه.. وركب السفينة وهو يبكي..

وأخيرًا نجح في الوصول مع عمّه إلى برّ الأمان..

إلى شاطئ المغرب العربي! أتدرون من هو هذا الغلام؟

إنه العالم الكبير والمصنّف القدير محمد بن عبدالرفيع الأندلسي.

عاش هناك يتذكر تلك الأيام الصعبة على النفس..

ويروي لكم هذه القصة العجيبة هو عن نفسه.. وفيها من العبر الكثير..

اسألوا الله الهداية.. فبالله نهتدي إلى الله.

المصادر: (7) - (58) - (67)

هكذا انتهت

هكذا اهتديت

أهم المصادر:

أوّلًا: القرآن الكريم؛ مصحف المدينة المنوّرة برواية حفص عن عاصم.

ثانيًا: الكتب:

1. ابن علي، أبو إسلام أحمد (2008)؛ عادوا إلى الفطرة؛ مكتبة صيد الفوائد الإلكترونية.
2. أديب، الطيب (2012)؛ عباقرة الغرب لماذا أنصفوا الإسلام؟ القاهرة: دار المعرفة للنشر والتوزيع.
3. أرمنيوس، جمال زكريا (2006)؛ لماذا اخترت الإسلام؟ القاهرة: مكتبة النافذة.
4. الألفي، أسامة (2005)؛ لماذا أسلموا؟ القاهرة: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي.
5. الحمداني، سفر أحمد (2010)؛ لماذا اعتنقنا الإسلام دينًا؟ دمشق: دار القبس.
6. السرجاني، راغب (2013)؛ عظماء أسلموا؛ القاهرة: دار أقلام للنشر والتوزيع والترجمة.
7. الطنطاوي، علي (1957)؛ قصص من التاريخ؛ القاهرة: دار المنارة للنشر والتوزيع.
8. الطويل، محمد ناصر (1414 هـ)؛ إسلام القساوسة والحاخامات؛ الرياض: دار طويق للنشر والتوزيع.
9. العشّي، عرفات كامل (2001)؛ رجال ونساء أسلموا؛ القاهرة: المكتب المصري الحديث.
10. اللولو، هالة صلاح الدين (2005)؛ كيف أسلمت: وثائق وشهادات مترجمة؛ دمشق: دار الفكر.
11. المدرس، علاء الدين شمس الدين (2009)؛ القرآن يقوم وحده؛ بغداد: مكتبة أنوار دجلة.
12. المقدّم، محمد بن أحمد بن إسماعيل (2004)؛ علو الهمة؛ الإسكندرية: دار الإيمان.
13. الميورقي، أبو مُحمَّد عبد الله الترجمان (1988)؛ تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب؛ بيروت: دار البشائر الإسلامية.
14. برير، الصادق أحمد عبد الرحمن (2010)؛ عظماء أسلموا؛ الرياض: دار الحضارة للنشر والتوزيع.
15. بوسكين، إدريس (2013)؛ أوروبا والهجرة: الإسلام في أوروبا؛ عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع.
16. جمعية النجاة الخيرية؛ سلسلة قصص مشاهير المهتدين (17): ريتشارد فيرلي كبير مفتشي فرقة مكافحة الإرهاب.
17. جمعية النجاة الخيرية؛ سلسلة قصص مشاهير المهتدين (20): القسيس سيلي من كبار المنصرين في جنوب إفريقيا.
18. جمعية النجاة الخيرية؛ سلسلة قصص مشاهير المهتدين (21): العالم البريطاني أرثر أليسون.
19. جمعية النجاة الخيرية؛ سلسلة قصص مشاهير المهتدين (22): روبرت كرين.. كبير مستشاري

الرئيس الأمريكي الأسبق نيكسون.

20. جمعية النجاة الخيرية؛ سلسلة قصص مشاهير المهتدين (29): أستاذ الصحافة الأمريكية.. عبد الله شليفر.

21. جمعية النجاة الخيرية؛ سلسلة قصص مشاهير المهتدين (34): رئيس الأساقفة التنزاني أبوبكر موايبيو.

22. جمعية النجاة الخيرية؛ سلسلة قصص مشاهير المهتدين (36): المعمّرة البلجيكية ماري جوسيت.

23. جمعية النجاة الخيرية؛ سلسلة قصص مشاهير المهتدين (37): المصورة الأمريكية نيكول كوين.

24. جمعية النجاة الخيرية؛ سلسلة قصص مشاهير المهتدين (43): البرلماني الهولندي فان دورن.

25. عبد الرحمن، أحمد (2009)؛ لماذا أسلم هؤلاء؟ القاهرة: مكتبة وهبة.

26. عبد الصمد، محمد كامل (1995)؛ الجانب الخفي وراء إسلام هؤلاء (ثلاثة أجزاء)؛ القاهرة: الدار المصرية اللبنانية للنشر.

27. عثمان، محمد عثمان (2004)؛ لمَ أسلم هؤلاء الأجانب؟ (ثلاثة أجزاء)؛ سوريا: حلب: دار الرضوان.

28. علي، محمد عبد العظيم (2003)؛ سر إسلام الأمريكيات؛ مصر- المنصورة: دار المنارة.

29. فارس، نايف منير (2010)؛ علماء ومشاهير أسلموا؛ الكويت: دار ابن حزم.

30. محمود، عبد الرحمن (2005)؛ رحلة إيمانية مع رجال ونساء أسلموا؛ المكتبة الإسلامية الشاملة.

31. معدِّي، الحسيني الحسيني (2009)؛ الإنجيل قادني إلى الإسلام؛ دمشق: دار الكتاب العربي.

32. معدِّي، الحسيني الحسيني (2006)؛ قساوسة ومبشرون ومنصرون وأحبار أسلموا؛ حلب: دار الكتاب العربي.

33. لانج، جيفري (2013)؛ حتى الملائكة تسأل.. رحلة إلى الإسلام في أمريكا؛ ترجمة منذر العبسي؛ دمشق: دار الفكر.

34. لانج، جيفري (2000)؛ الصراع من أجل الإيمان.. انطباعات أمريكي اعتنق الإسلام؛ ترجمة منذر العبسي؛ دمشق: دار الفكر.

35. ويلدز، ماري (1990)؛ رحلتي من الكنيسة إلى المسجد لماذا؟ مكتبة المهتدين الإسلامية.

36. يحيى، محمد (1990)؛ رحلتي من الكفر إلى الإيمان: قصة إسلام الكاتبة الأمريكية مريم جميلة؛ القاهرة: دار المختار الإسلامي.

ثالثًا: الصحف والمجلّات:

37. صحيفة الاتحاد الإماراتية (1 يوليو 2005)؛ فخ التنصير.

38. صحيفة الاتحاد الإماراتية (7 يونيو 2016)؛ عملاق كرة السلة الشهير: من "فرديناند" إلى كريم عبد الجبار.

39. صحيفة الأنباء الكويتية (13 أغسطس 2010)؛ لماذا أسلموا: الدكتورة آن صوفي.

40. صحيفة الأنباء الكويتية (2 أغسطس 2011)؛ جريميا: قرأت ترجمة للقرآن فشعرت بأنه يخاطبني.

41. صحيفة الأنباء الكويتية (12 أغسطس 2010)؛ لماذا أسلموا: عالمة الذرة الدكتورة كريستين جاك هيلين.

42. صحيفة البيان الإماراتية (11 يونيو 2016)؛ كريم عبد الجبار: الإسلام نقلني مـن العبودية إلى الحرية.

43. صحيفة البيان الإماراتية (21 إبريل 2013)؛ أرناود فان دورن يصلي بالروضة ويذرف الدموع.

44. صحيفة الخليج الإماراتية (19 نوفمبر 2010)؛ ملحق الدين للحياة: لماذا أسلمنا؟

45. صحيفة الخليج الإماراتية (5 نوفمبر 2010)؛ ملحق الدين للحياة: لماذا أسلمنا؟

46. صحيفة الشرق الأوسط اللندنية (8 نوفمبر 2011)؛ حوار مع جمال زكريا إبراهيم.

47. صحيفة الشرق الأوسط اللندنية (13 فبراير 2010)؛ حوار مع الضابط البريطاني ريتشارد فيرلي.

48. صحيفة الشروق التونسية (15 مارس 2013)؛ قالوا عن الإسلام: ميليما (1).

49. صحيفة الشروق الجزائرية (2 إبريل 2015)؛ حوار مع جمال زكريا إبراهيم.

50. صحيفة عكاظ السعودية (21 يناير 2000)؛ قصة إسلام غريبة جدًّا.

51. مجلة البيان؛ أديوجو، مسعود النرواجو: من تجربتي مع النصرانية: اكتشفت تناقضاتها وزيفها؛ العدد 87/ إبريل 1995.

52. مجلة الفيصل؛ الداعية أحمد عبدالله كوبسيل: نداء الحق لباه في تونس؛ العدد 231/ السنة 1416هـ

53. مجلة الفيصل؛ جاكلين فيمات: طفل أرشدها إلى الله؛ العدد 216/ السنة 1415هـ

54. مجلة المجتمع الكويتية، العدد 1644/ صادر بتاريخ 4 ديسمبر 2004.

55. مجلة الفيصل؛ البارون عمر أهرينفلز رباط خفي جذبه إلى الإسلام؛ العدد 222/ السنة 1415هـ

56. مجلة الفيصل؛ داود كاون: علاقته بالإسلام بدأت بعشق لغة القرآن؛ العدد 257/ السنة 1418هـ

57. مجلة رابطة العالم الإسلامي (3 فبراير 2016)؛ الصحفية البريطانية إيفون ريدلي تروي قصة اعتناقها الإسلام.

رابعًا: المواقع الإلكترونية:

58. ابن علي، أبو إسلام أحمد (1429 هـ)؛ عادوا إلى الفطرة: 70 قصة حقيقية مؤثرة؛ مكتبة صيد

الفوائد: http://www.saaid.net

59. ابن علي، أبو إسلام أحمد (28 مارس 2012)؛ ألم ولدقرقس.. القس المتعصب؛ موقع قصة الإسلام: www.islamstory.com

60. أبو المجد، عبد الرحمن (4 مايو 2011)؛ حوار مع الدكتور جيرالد إف ديركس؛ استرجع بتاريخ 15 أغسطس 2017 من موقع الألوكة (http://www.alukah.net).

61. البروفيسور إدريس توفيق؛ الصفحة الرئيسية على فيسبوك: www.facebook.com/IdrisTawfiq

62. الزيدي، مثنى علوان؛ مقال بعنوان: نظرة المستشرقين للعقيدة الإسلامية؛ استرجع بتاريخ 17 يوليو 2017، من موقع صيد الفوائد: https://saaid.net

63. السنوسي، محمد السنوسي؛ مقال بعنوان: أخلاق الإسلام في نظر الغربيين؛ استرجع بتاريخ 27 إبريل 2017 من موقع الوعي الإسلامي: http://alwaei.gov.kw

64. الطويل، محمد ناصر (1 نوفمبر 2012)؛ الحاخام بولات.. يتحول إلى داعية للإسلام؛ موقع قصة الإسلام: www.islamstory.com

65. المراكبي، عبد الرحمن (5 مايو 2013)؛ حوار مع البروفيسور إدريس توفيق ورحلته من الفاتيكان إلى الأزهر؛ موقع شبكة الألوكة: http://www.alukah.net

66. الموسوعة الحرة (إبراهيم بوخاردت): https://ar.wikipedia.org/wiki

67. الموسوعة الحرة (أبو عبد الله محمد الثاني عشر): https://ar.wikipedia.org/wiki

68. الموسوعة الحرة (أرنود فان دورن): https://ar.wikipedia.org/wiki

69. الموسوعة الحرة (إيفون ردلي): https://ar.wikipedia.org/wiki

70. الموسوعة الحرة (زكي عريبي): https://ar.wikipedia.org/wiki

71. الموسوعة الحرة (كريم عبد الجبار): https://ar.wikipedia.org/wiki

72. الموسوعة الحرة (محمد ألكسندر رسل وب): https://ar.wikipedia.org/wiki

73. الموسوعة الحرة (محمد مارمادوك بكتال): https://ar.wikipedia.org/wiki

74. الموسوعة الحرة (ناصر الدين دينيه): https://ar.wikipedia.org/wiki

75. الموسوعة الحرة (يوسف إستس): https://ar.wikipedia.org/wiki

76. الموسوعة الحرة (يوسف إسلام): https://ar.wikipedia.org/wiki

77. الموقع الرسمي للشيخ يوسف إستس: http://yusufestes.com

78. الموقع الشخصي للشيخ يوسف إستس: http://www.islamtomorrow.com

79. الموقع الشخصي للصحفية إيفون ريدلي: http://www.yvonneridley.org

80. بابكر، مصعب الطيب؛ مقال بعنوان: طوفان التنصير هل يهدد هوية السودان؟ استرجع بتاريخ 29 إبريل، 2017 من موقع المكتبة الشاملة: http://sh.bib-alex.net

81. بيرنز، كريمة (21 أكتوبر 2010)؛ حبِّي للعربيَّة أرشدني للإسلام؛ موقع الإسلام اليوم: www.islamtoday.net

82. حياة أوسمان (27 يونيو 2016)؛ مقال بعنوان: قصة إسلام حياة كولينز من التثليث إلى التوحيد؛ استرجع بتاريخ 30 مارس 2017 من موقع "نساء من أجل فلسطين": http://www.womenfpal.com

83. ربى قعوار؛ الصفحة الرئيسية على فيسبوك: www.facebook.com/Ruba.Qewar.Kawar

84. فتح الله، جمعة مهدي (21 فبراير 2016)؛ لماذا أسلمنا؟ موقع شبكة الألوكة: http://www.alukah.net

85. قاطرجي، نهى؛ مقال بعنوان: رواد وعلماء اختاروا الإسلام؛ استرجع بتاريخ 17 يوليو 2017، من موقع صيد الفوائد: https://saaid.net

86. لقاء خاص مع "مطاع بيل" في تلفزيون العربية بتاريخ 6 فبراير 2017.

87. لقاء خاص مع "مطاع بيل" في تلفزيون إم بي سي بتاريخ 14 يناير 2017.

88. مادة صوتية بعنوان: "رحلة نيكول كوين من المسرح إلى الحكمة"؛ استرجعت بتاريخ 9 أغسطس 2017، من موقع: https://jameelvoice.wordpress.com

89. مادة صوتية بعنوان: "قصة إسلام القس السابق إدريس توفيق"؛ بثتها قناة الرحمة الفضائية، واسترجعت بتاريخ 9 أغسطس 2017 من موقع اليوتيوب: www.youtube.com/watch?v=s2fVKGmvuls

90. مادة صوتية بعنوان: "قصة إسلام يوسف إستس.. الخروج من الظلمات إلى النور"؛ استرجعت بتاريخ 10 أغسطس 2017، من موقع طريق الإسلام: www.islamway.net

91. مادة صوتية بعنوان: "أسباب تسلل الصحفية البريطانية إيفون ريدلي لأفغانستان"؛ قناة الجزيرة الفضائية: برنامج لقاء اليوم، 21 نوفمبر 2001م.

92. مارك وارد (يوليو 2013)؛ ما مدى انتشار المواقع الإباحية على شبكة الإنترنت؟ استرجع بتاريخ 9 سبتمبر 2016 من موقع بي بي سي العربي (http://www.bbc.com/arabic).

93. ماهر الشيال (17 ديسمبر 2016)؛ "محمد مارمادوك.. مترجم القرآن.. المتيم بالشرق"؛ موقع البديل: https://elbadil.com

94. مصطفى مهدي (17 يناير 2017)؛ مقال بعنوان: "قصة إسلام الأخت حياة كولينز من التثليث إلى التوحيد"؛ استرجع بتاريخ 30 مارس 2017 من موقع شبكة الألوكة: http://www.alukah.net

95. مقال بعنوان: "إسلام الكاتب الأمريكي دونالدس روكويل"؛ استرجع بتاريخ 14 أغسطس 2017، من موقع المستجيبين لدعوة الحق: http://toislam.canalblog.com

96. مقال بعنوان: "الأسقف الأمريكي مصطفى مولاني"، استرجع بتاريخ 5 أغسطس 2017، من موقع قصة الإسلام: www.islamstory.com

97. مقال بعنوان: "الدعوة الفردية"؛ استرجع بتاريخ 13 يوليو 2017، من موقع: www.forsanhaq.com

98. مقال بعنوان: "إيفون ريدلي"، استرجع بتاريخ 10 أغسطس 2017، من موقع قصة الإسلام: https://islamstory.com

99. مقال بعنوان: "حكاية إسلام جندي أمريكي"، استرجع بتاريخ 5 أغسطس 2017، من منتديات عالم الرومانسية http://forums.roro44.net

100. مقال بعنوان: "رواد وعلماء اختاروا الإسلام"؛ استرجع بتاريخ 17 يوليو 2017، من موقع ستار تايمز: www.startimes.com

101. مقال بعنوان: "سر انتشار الإسلام"؛ استرجع بتاريخ 30 يونيو 2017، من موقع طريق الإسلام: www.islamway.net

102. مقال بعنوان: "سلسلة عظماء أسلموا"؛ استرجع بتاريخ 21 يونيو 2017، من موقع: http://defense-arab.com

103. مقال بعنوان: "فطرة الإسلام"؛ استرجع بتاريخ 9 يوليو 2017، من موقع: www.ghrib.net

104. مقال بعنوان: "قصة إسلام ميليتش ياكوف"؛ استرجع بتاريخ 8 أغسطس 2017، من موقع: www.islamhouse.com

105. مقال بعنوان: "قصة إسلام الدكتورة آن صوفي السويدية"؛ استرجع بتاريخ 8 يوليو 2017، من موقع: http://aliorffi.blogspot.ae

106. مقال بعنوان: "كبير مفتشي فرقة مكافحة الإرهاب البريطانية.. مسلم"؛ استرجع بتاريخ 16 يونيو 2017، من موقع قناة العربية: http://www.alarabiya.net

107. مقال بعنوان: "مبشرات في زمن الوهن"؛ استرجع بتاريخ 11 أغسطس 2017، من موقع طريق الإسلام: www.islamway.net

108. مقال بعنوان: "من الظلمات إلى النور: قصة إسلام قس نصراني"؛ استرجع بتاريخ 10 أغسطس 2017، من موقع: http://forum.7ail.net

109. مقال بعنوان: "منصرون وقساوسة شرح الله صدورهم للإسلام"؛ استرجع بتاريخ 3 يونيو 2017،

من موقع الشبكة النسائية العالمية: www.fin3go.com

110.مقال بعنوان: "نابليون: حياة الأوت لو.. رحلة تختصر حياة"، استرجع بتاريخ 7 أغسطس 2017، من موقع الألوكة: http://www.alukah.net

111.منشور بتاريخ 16 إبريل 2016 في صفحة "أقلام سلفية" على الفيسبوك: www.facebook.com/aklamsalafya

112.مؤمن إبراهيم، القس بيشوي سابقًا؛ الصفحة الرئيسية على فيسبوك: www.facebook.com/momen.ibrahi

113.هشام عبد المنعم (13 نوفمبر 2012)؛ القس بيشوي ملك يكشف سر إسلامه؛ استرجع بتاريخ 15 أغسطس 2017 من موقع قصة الإسلام (www.islamstory.com).

خامسًا: المصادر الأجنبية:

114. Abdulaziz, Manal (02 Jul 2007). Stories of New Muslims: Idris Tawfiq, Catholic Priest, UK. Retrieved August 10, 2017, from: www.islamreligion.com.

115. Al Khattab, Yousef (14 May 2007). Stories of New Muslims: Yousef al Khattab, Ex-Jew, USA. Retrieved August 25, 2017, from: www.islamreligion.com.

116. A Muslim in the Family. BBC News. 1 May 2004

117. Bakkar, Ammar (16 Jan 2006). Stories of New Muslims: Jeffrey Lang, Professor of Mathematics and Writer, USA. Retrieved August 10, 2017, from: www.islamreligion.com.

118. British Muslim Heritage. Marmaduke Pickthall: a brief biography. www.masud.co.uk

119. Burns, Karima (17 May 2010). Stories of New Muslims: Karima Burns, Ex-Christian, USA. Retrieved August 10, 2017, from: www.islamreligion.com.

120. Carlo, Shariffa (19 Nov 2007). Stories of New Muslims: Shariffa Carlo, Ex-Christian, USA. Retrieved August 10, 2017, from: www.islamreligion.com.

121. Estes, Yusuf (16 Jan 2006). Stories of New Muslims: Yusuf Estes, Former Christian and Federal Prison Chaplain, USA. Retrieved August 10, 2017, from: www.islamreligion.com.

122. Yvonne Ridley (2001); In the Hands of the Taliban; Robs

هكذا انتهت

هذا الكتاب

إلى كل ضالٍّ يسعى إلى الهداية.. وإلى كل حزين يبحث عن السعادة.. وإلى كل تائه ضلّ طريق الحق.. وإلى كل غافل يعيش على معتقدات فاسدة.. في هذا الكتاب كل ما تبحثون عنه وأكثر..

قصص واقعية لكنها أغرب من الخيال، يقدّمها المؤلف بأسلوب أدبي مشوّق.. شهادات صادقة من أناس عاشوا الكفر بكل ما فيه.. ثم أراد الله الهداية لقلوبهم الحائرة فغمرها بنوره فأبصروا..

هذا الكتاب ليس مجرد سرد لقصص بعض المهتدين إلى دين الحق، وإنما هو رصد أمين لنماذج إنسانية رائعة أراد أصحابها أن ينقلوا للناس تجاربهم الشخصية في التفكير الواعي والبحث العميق عن الحقيقة دون قيود أو حدود، فتجرّدوا من التعصب لمعتقداتهم، وحرّروا عقولهم من أي مفاهيم سابقة أو أحكام مسبقة، حتى لا يميلوا بأفكارهم في اتجاه معين، ودرسوا العقائد والأديان بحياد تام ومنهجية علمية حرّة، انتهت بهم إلى الحقيقة التي يبحثون عنها، فتنازلوا عن معتقداتهم الباطلة وأعلنوا إسلامهم لله رب العالمين.

وإن الأمر ليزداد أهمية وروعة وعظمة عندما يكون معظم هذه النماذج من علماء النصارى والقسيسين والمبشرين ممن شنوا حملات التضليل والتشكيك في دين الإسلام، وحملوا على عواتقهم عبء الدعوة إلى النصرانية، وبعد تفكير عميق، ومراجعة واعية لمعتقداتهم، توصلوا إلى حقيقة أن الدين عند الله هو الإسلام، الدين الحق الذي يروي ظمأ الأسئلة الخالدة في حياة الإنسان: من أين أتيت؟ ولماذا أعيش؟ وإلى أين أذهب بعد الموت؟ هذه الأسئلة الكبرى التي تسكن في أعماق كل إنسان، ولا مفر من مواجهتها.

ولعل في اطلاع غير المسلمين على هذه النماذج الصادقة ما ينبههم على ما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من صدق وتجرّد وشجاعة وبعد نظر حينما يتجلّى الحق ماثلًا بين يديه.. فكل كافر بدين الإسلام لا محالة سوف يندم غاية الندم لحظة موته ويوم القيامة حيث لا ينفعه الندم.. وإن دين الإسلام خيار وقت وليس خيار قبول أو رفض.. والإنسان مخيّر بين أمرين: إما أن يؤمن ويسلم وجهه لله في هذه الدنيا الآن، وإما أن يؤمن عند الغرغرة في لحظة الموت وفي الآخرة بعد فوات الأوان.. الكل سوف يؤمن بالله وحده ودينه الحق لا شك في ذلك.. الخيار الحقيقي، ليس بين أن تؤمن وألّا تؤمن، الخيار متى تؤمن؟! والعاقل من يدرك نفسه الآن قبل فوات الأوان.

الناشر